

محمد توفيق السهلي و حسن الباش

المعتقدات الشعبية في التراث العربي

توزيع دار الجليل

محمد توفيق السهلي
حسن الباش

المعتقدات الشعبية
في التراث العربي

توزيع



الإهــــداء

إلى الزيتونة الفلسطينية التي بقيت حيّة منذ وجودها الأول على الأرض الكنعانية

المؤلفــان

الفصل الأول

الأنثروبولوجيا ومدخل إلى دراسة المعتقد الشعبي

*ما هو المعتقد الشعبي؟

لا نعتقد أنه بهذه السهولة يمكن أن نعرّف المعتقد الشعبي، فالبحث واسع، وحيثيات الموضوع أوسع.

وإذا كان لا بدّ من وضع مصطلح أو تعريف للمعتقد فلا بدّ قبل ذلك من معرفة مكانه أو موقعه؛ هل هو يدخل ضمن علم الإجتماع، أم أنه يدخل ضمن علم الفولكلور، أم يدخل ضمن علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا)، أو الأساطير الدينية؟

لا شك أن هذا المعتقد الشعبي لا يأتي منزلاً بمفرده، ولا مخلوقاً من عدم. والعلم في وقتنا الحاضر لا يترك مجالاً لظاهرة جزئية أو كلّية إلا ويصنفها ويجعلها في مكانها العلمي، حيث الموضوعية والدقة والاهتمام والدراسة الجدّية الحثيثة.

* المعتقد الشعبي وعلم الإجتماع:

يهتم علم الإجتماع بدراسة السلوك الإجتماعي والإنساني، وهو في ذلك علم قديم، يمتد بجذوره إلى (ابن خلدون) العلامة العربي المعروف. ومع تطور هذا العلم، اتسعت المفاهيم واختلطت بعلوم أخرى فرضتها طبيعة التطور الإنساني الإجتماعي، فجاء العالم (دوركهايم) ليبين أن هناك فرقاً واضحاً بين الظاهرات الفيزيولوجية والكيميائية والنفسية، لأن الظواهر الإجتماعية تنشأ وتتوالد في بيئة

جمعية نتيجة علاقات إجتماعية. والظواهر الإجتماعية مثلها مثل الظواهر الطبيعية الأخرى لا بد أن تخضع للبحث العلمي الدقيق[١].

والمعتقد الشعبي هو ظاهرة إجتماعية تنتج عن تفاعل الأفراد في علاقاتهم الإجتماعية وتصوراتهم حول الحياة والوجود وقوى الطبيعة المخيفة والمسيطرة أو المتحكمة في تسيير الحياة الكونية. ولأسباب عديدة أهمها ذلك التراكم الإجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار يصبح المعتقد ذا قوة آمرة قاهرة، فهو يأمر في حالة الإيجاب، ويقهر في حالة السلب[٢]. وبسبب ذلك أيضاً نرى المعتقد يأخذ طابعاً قدسياً روحياً وحتى دينياً، ذلك باعتباره نتاجاً حياتياً للأجيال السابقة، بما حملته من أفكار وبما مارسته من صراع مع قوى الطبيعة وغيرها من القوى، وبما حُقنتْ به نفوسهم من تعاليم وأخلاقيات أملاها حكماؤهم أو رسلهم وزعماؤهم الروحانيون.

* المعتقد الشعبي وعلم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا):

تبحث الأنثروبولوجيا في أصل الإنسان وتطوره وأشكال التجمع البشري. وقد انقسم هذا العلم إلى فرعين، اهتم فرعه الحديث بالحياة الإجتماعية، حيث راح يدرس المجتمعات المعقدة والمعاصرة، ولم يقتصر على دراسة المجتمعات البدائية وأفكارها وتسلسل تطور صناعاتها اليدوية وما شابه.

ولعل المعتقد الشعبي باعتباره نتاجاً عقلياً وجدانياً كلامياً لتراكمات زمنية عميقة، فإنه يتداخل مع علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا)، حيث دراسة المأثور الشعبي المتوارَث منذ أغبر الأزمنة.

* المعتقد الشعبي والفولكلور:

هنا تبرز أهمية الدراسة، كون المعتقد في هذا العصر يصبح جزءاً من التراث الشعبي، ولذلك فقبل أن ندرك التداخل بين هذا وذاك لا بدّ أن نعود قليلاً لنرى ما أصل الفولكلور وما هو ميدان دراسته؟.

إذا كان الفولكلور مصطلحاً جديداً في وطننا العربي، فإن الباحثين والمهتمين العالميين انتبهوا له منذ زمن بعيد وتكونت له مدارس وجمعيات. ولعل أبرز

مصطلحين ظهرا لدراسة الحياة الشعبية وللإشارة للعلم الذي يدرس هذه الحياة هما:

١)- المصطلح الألماني (فولكسكندة).

٢)- والمصطلح البريطاني (فولكلور).

أما الفولكسكندة Volkskunde- فيرجع إلى ما بين عام ١٨٠٦م وعام ١٨٠٨م، ويعود لكل من (برنانتو) و(فون أرنيم) اللذين بحثا في مجموعة الأغاني الشعبية التي وُجدت لدى الشعوب التي تتحدث الألمانية.

وقد استخدم الباحث الألماني (هردر) مصطلحات كالمعتقد الشعبي في كتابه أصوات الشعوب في الأغاني عام ١٧٧٨-١٧٧٩م[٣] وتعنى (الفولكسكندة) في المقام الأول بدراسة الحياة الروحية الشعبية بكافة طبقاتها وجماعاتها المختلفة من فلاحين وعمال وسجناء وصيادين.. إلخ.

أما (فولكلور) فيعود أصلها إلى عام ١٨٤٦ عندما بعث (وليم جون تومز) برسالة إلى صحيفته البريطانية لتخصص مساحةً فيها لتسجيل الملاحظات التي ترد حول العادات والمعتقدات التي ما تزال حيةً موجودةً في بريطانيا.

وتأسست جمعية الفولكلور البريطانية وأكدت هذا الإصطلاح. وكان من أهدافها جمع ونشر المأثورات الشعبية والأغاني الروائية والأسطورية والأقوال الحكمية والمعتقدات الخرافية والعادات القديمة، وقد لاحظ الفولكلوريون أن البيئة الإجتماعية والمنازل والأبنية والحرف والأدوات بالنسبة لشعب من الشعوب لديها القدرة على أن تحمل معتقدات هذا الشعب وعاداته. ويظهر أن الفنون القولية من أهم ما تتّجه هذه الجمعية إلى دراسته.

وحسب رأي المصطلح الألماني والمصطلح البريطاني، فإن الفولكلور هو العلم الذي يدرس التراث الروحي اللا مادّي للشعب، وخاصة التراث الشفاهي. وأكثر من فسّر هذا المصطلح الفيلسوف (اسبينوزا) والمفكر (كراب)، ويقول الأخير في هذا المجال: إن مجال الفولكلور هو إعادة بناء صورة التاريخ الروحي للإنسان كما تتضح في أصوات الشعوب غير المصقولة.

وقد عرّف (وليم جون تومز) الفولكلور بأنه المعتقدات والأساطير والعادات

وما يراعيه الناس، والخرافات والآغاني الروائية والأمثال التي ترجع إلى العصور السالفة(٤).

أما (كراب)، فيرى أن الفولكلور يقتصر على دراسة التراث الشعبي غير المدون على نحو ما يظهر في الرواية والعادات والمعتقدات السحرية والطقوس الشعبية(٥).

ونجد في هذا المجال (لويس سبنس)، وهو من المدرسة البريطانية، يعرّف الفولكلور بأنه ذلك الجزء الشعبي من التراث مرتبطا بالعادات والمعتقدات القديمة الباقية بين الناس، ويمكن أن يعرف الفولكلور على أنه علم أو معرفة الجماهير مهتما بالعرف والمعتقد والرواية والفن المبكر الذي استمر باقيا بينهم من الماضي(٦).

فمن خلال ما تقدم نرى أن المعتقد من أهم أشكال التراث الذي يدرسه الفولكلور؛ إن كان ذلك حسب التعريف الألماني أو حسب رأي جمعية الفولكلور الإنكليزية. ومن هنا أيضاً نرى أن المعتقد جزء من الفولكلور أو التراث الشعبي بشكل عام.

* هل المعتقد الشعبي فن؟

بالطبع فإننا إذا أردنا إدراك الجواب فإن علينا معرفة الفنون الشعبية القولية وغيرها من أجناس التراث الشعبي الأخرى، وذلك بسبب التداخل الحاصل بينها(٧). فالفن الشعبي يشمل الأغنية والمثل والرقص والموسيقا والرسم والنحت. وعلاقة المعتقد بتلك الفنون تتضح من خلال ارتباطه بالعقائد والطقوس التي تفصح عنها الأغاني والأمثال والحكايات الشعبية، تلك التي تخدم بالدرجة الأولى إشباع الحاجات الإجتماعية والنفسية والروحية.

* المعتقد الشعبي والميثولوجيا:

لا شك أن المعتقد الشعبي بالمحصلة النهائية هو الثقة والإيمان المطلق بقوة المعتقد (الشيء المعتقد به الذي يؤثر في مجرى حياة الفرد كإنسان وبالمجموع كبشر لهم إيمانهم)، ويختلط المعتقد بالميثولوجيا، لا سيما أن الآلهة كما كانت

في عصور الكنعانيين وغيرهم أثّرت كثيرا في سلوك الأفراد وعلاقات الشعوب ببعضها. ونعتقد أن أحد المنابع التي يستقي المعتقد منها، ذلك المنبع الديني المتعدد الآلهة والمنبع الديني التوحيدي. وطالما أن المعتقد الديني متعدد الآلهة يختلط بالأسطورة، فإن كثيرا من المعتقدات تبدو وكأنها أسطورة أو مبنيّة عليها، لا سيما المعتقدات التي تتحدث عن الخلق ـ آدم ـ حواء ـ السماء ـ النجوم.. إلخ... ونجد في المعتقد الشعبي رائحة الأصل الديني، إنْ كانت وثنية أو غيرها، وأحياناً أخرى نجد رائحةً دينيةً خاصة لها تصورها بمعزل عن الجذور.

والمعروف أن الإنسان كتلة من الماضي السحيق والحاضر والتصوّر، وبالطبع فإن ما ورثه هذا الإنسان لا بدّ وأن يؤثر في تفكيره وسلوكيته وعلاقاته الروحية الفردية والإجتماعية المسلكية.

* المعتقد كقوة:

إن الإيمان بقوة الإعتقاد له تأثير قوي في تحول التصور إلى فعل جماعي أو فردي. فالإعتقاد بنظرية الخلق بالكلمة (كن فيكون)، وتعلق الوجود بما بين الكاف والنون، يجعل ظواهر الثقافة الإجتماعية الشعبية تستند إلى مرتكز غيبي فلسفي خاص قد يتعارض مع المستند العلمي أو شبه العلمي الذي تدّعي الثقافة فوقية الإنتماء له(٨).

فالإيمان بأن التمائم والحُجب لها تأثير في شفاء المريض أو وصْل المتخاصمين من الأزواج، يؤدي في كثير من الأحيان إلى نتيجة إيجابية. وهذا يتعلق بقوة المعتقد وتأثيره في العلاقات الإجتماعية والفردية. وقد نرى ذلك ينسحب على المجتمعات المتخلفة والمتقدمة معاً. ولا دهشة في ذلك، لأن الإنسان المعاصر، كما أسلفنا، هو كتلة من الموروثات والتصورات التي غذّت وكوّنت كيانه الفردي والإجتماعي جيلاً بعد جيل.

* البيئة وأثرها في نشأة وتطور المعتقد الشعبي:

تنقسم البيئة إلى إجتماعية وجغرافية، ومن خلالهما يمكن أن ندرس العلاقة الوطيدة بين المعتقد الشعبي وبينها. فالبيئة الجغرافية بما فيها من جبل وسهل

وشاطىء وصحراء وشجر وقحط، تخلق في هذا التنوّع رؤية الإنسان المتفاعل معها، فنجد أن المعتقدات التي تكثر فيها الوحوش البرية والغيلان والجن تكثر في البيئة الجبلية ذات الأشجار الغابيّة الكثيفة، بينما نجد في بيئة الساحل كثرة المعتقدات المتعلقة بالبحر وما فيه من عجائب بحرية كالموج والمدّ والجزر وحورية البحر والحيتان وعجائب الصيد وما يرافقها من تهويلات يتخيّلها الصيادون. وفي بيئة الصحراء نجد المعتقدات التي تحمل في طياتها المعجزات وتتعلق بمسألة الجفاف والقحط والكرم والصيد البري وغير ذلك مما تفرزه بيئة الرمال والسراب والحر والثعابين القاتلة.

فالبيئة الجغرافية تخلق نوع المعتقد ومضمونه، غير أن ذلك لا يعني عدم التداخل المعتقدي بين البيئات. فهي تتأثر ببعضها وتتداخل، وتشترك أحيانا في صنع معتقدات واحدة، غير أن ما يتناسب وكل بيئة على حده، يطغى على ما عداه من معتقدات بيئة مختلفة. وللتوضيح أكثر، نرى معتقدات تتحدث عن شجر البلوط أو التين وعلاقتهما بالجن أو الثعابين السوداء، وهذا لا نجده في بيئة صحراوية تكثر فيها الكثبان والرمال وتفتقد لوجود الأشجار فيها.

إن تفاعل الإنسان مع بيئته هو الذي يخلق استجاباته وردّات أفعاله ومعتقداته، إضافة لما يحمله هذا الإنسان من موروث حول محتويات بيئته الجغرافية. وقد يضيف هذا الإنسان أشياء أخرى وتصورات جديدة على ما يحمله من تصورات وما عرفه من موروثات، وينشأ بسبب ذلك رصيد أكبر من التصورات وتتراكم حتى تصل إلى أبنائه ومن يليهم من أجيال، وبهذا تكثر المعتقدات، حتى ليصعب على الباحث حصرها وجمعها.

أما عند المقارنة بين معتقدات بيئة وأخرى فنرى مثلاً الفرق بين معتقدات بيئة باردة وأخرى حارة، ففي الأولى تكثر الرياح الباردة والأمطار والثلوج، وبتفاعل الإنسان معها تُخلق لديه المعتقدات المتناسبة مع بيئته، كالمعتقدات المتعلقة بهجوم الذئب على القرية أيام غمر الثلج، وهذا على سبيل المثال، بينما في البيئة الحارة، ونتيجة لتفاعل الإنسان معها تُخلق معتقدات حول كثرة الناموس وانتشار الأفاعي وما شابه ذلك.

إن المصاعب والمشقات التي يواجهها صيادو السمك أثناء هيجان البحر وعلوّ الموج وتقطُع الشـبّاك، تخلق لديهم الخوف والرعب والتحدي، ونتيجة تفاعل هذه الأشياء تُخلق المعتقدات المناسبة والمتناسبة مع الواقع الذي يعيشونه.

أما البيئة الإجتماعية، فتلعب دوراً أكبر في خلق المعتقد والتصورات حول الحياة والوجود، فالعلاقة بين الإنسان وبيئته علاقة أخذ وعطاء يكون فيها الفرد فعّالاً تارةً ومنفعلاً تارةً أخرى؛ يستجيب لمتطلباتها ويعطيها؛ يكون فيها ملقِياً ومتلَقياً، وقد يتصارع مع ما لا يعجبه، وتنشأ بذلك عملية التفاعل المستمر والمتواصل بينها وبينه. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن تنوع المعتقد في مضمونه يعود إلى نوع البيئة الإجتماعية التي يتفاعل معها الإنسان.

أما من حيث التركيب المادي للبيئة فيمكن أن يرى بيئة مدنية وأخرى قروية وثالثة بدوية، وأما من حيث التركيب البنيوي الأسري، فإننا نرى البيئة العائلية ذات السلطة المطلقة للكبير والبيئة العشائرية والبيئة الأقرب إلى الفردية.

وهناك تصنيفات أخرى يمكن أن نرى منها بيئةً مثقفةً وأخرى جاهلة، وبيئةً غنية وأخرى فقيرة، وهذه التقسيمات تتفرع وتكثر حتى يصبح من المستحب دراستها دراسة مستقلة تبحث في خصائص كل بيئة.

إن ما يهمنا هنا هو التأثير في المعتقد. إن كل بيئة وكل تفاعل معها يخلق تصورات ومعتقدات تختلف إلى حد عمّا يُخلق في بيئات مختلفة. والإنسان إبن البيئة الإجتماعية، وهو أكثر المخلوقات الحية اعتماداً على غيره في مراحل نموه الأولى، لأنه يعتمد طوال سنوات عديدة على خبرات الأجداد وحصيلة تجاربهم المستمدة من تفاعلهم مع البيئة المادية وتعاون بعضهم مع البعض في مؤسسات مختلفة(٩).

فمثلاً نجد الإعتقاد بأن الحُجب والتمائم تفعل فعلها في ردّ الحسد أو تفريق الزوجين أو تقاربهما إذا كانا على خلاف ما، نجد هذا الإعتقاد ينتشر في القرية المتخلفة علمياً وثقافياً، ويقل انتشاره في المدينة، كونها أكثر اقتراباً إلى المدنيّة والثقافة العلمية المنهجية. ومعتقد، كالمتعلق بالحيوانات الليلية المتوحشة كالضبع والذئب يكثر انتشاره في بيئة القرية الغابيّة أو الجبلية أكثر من انتشاره في

بيئات أخرى، حتى ليكاد هذا المعتقد يموت أو يفقد وجوده في بيئة المدينة.

ونرى أيضا المعتقدات ذات الأبعاد الدينية، فهي تختلف من دين إلى دين ومن مذهب إلى مذهب ومن فرقة إلى أخرى، فهي تلقى صدى لدى عائلة ما، وتضعف لدى عائلة أخرى، بسبب مدى قرب الأولى من الدين وبُعد الثانية عنه. وهذا ينطبق كذلك على الفرق الدينية الصوفية، فعند كل فرقة معتقدات ضعيفة الوجود عند غيرها.

ويكثر الإيمان بمعتقدات السحر والشعوذة لدى النساء أكثر من الرجال، لا سيما في البيئة المغلقة والتي ما تزال تحمل بعض المؤثرات المتوارثة من أيام العثمانيين، حيث التخلف والجهل وانتشار الخرافات والسحر والاعتماد على الطب الشعبي وما شابهه من أشياء.

* أهمية دراسة المعتقد على المستوى الحضاري:

بطبيعة الحال، فإن المسألة هنا تتعلق إلى حدّ كبير بالمتوارثات الدينية، وما خلّفته حضارات الشعوب وثقافاتها ودياناتها وأساطيرها. وقد اهتم كثير من الباحثين الأوروبيين بهذه المسألة وأفردوا لها كتباً ومقالات قيّمة نشرت في صحف مختصة ومتفردة(١٠).

وتأخذ أهمية الدراسة للمعتقد على المستوى الحضاري أبعاداً أكبر في منطقتنا، لما فيها من صراعات تراثية بين العرب كأصحاب التراث الحقيقي، واليهود الذين يحاولون بشتى الوسائل إرجاع كل ثقافة رسمية دينية أو شعبية إلى التوراة.

إن المعتقد كغيره من المتوارثات يفصح عن التاريخ الحضاري لكل شعب من الشعوب، وذلك يتعلق بالدرجة الأولى بمدى التصور العقلي والنفسي والوجداني للوجود ولعلاقة الإنسان بالقوى الغيبية أو الطبيعية التي تنشأ بفعل عوامل لم يكن الإنسان ليفهم طبيعتها سوى أنها مظاهر لها من الأسرار ما يجعلها تأخذ حيزاً هاما في معتقداته؛ لا سيما التي ينشأ عنها الخوف. فهذه المعتقدات تفصح عن تلك الحالات، إلى جانب إفصاحها عن حالة العمران المدنى لدى الشعوب،

ونظهر علاقات الناس بعضهم ببعض، ومن ثم علاقاتهم بالقوى الفوقية، بشرية كانت أم غير بشرية. ولنفسر ذلك نرى المعتقدات المتعلقة ببناء بعض الأقوام لبيوتها حفرا في الصخر، كمدينة البتراء ومدائن صالح. وكذلك عدم بناء البيوت السكنية فوق المقابر القديمة، بسبب الإعتقاد بأن أرواح الأموات تضجّ ومن ثم فإنها ستزعج ساكني تلك البيوت وترجمهم بالحجارة.

ومن جانب آخر فإنّ العلاقات الإجتماعية السائدة في أيّ عصر تتحكم فيها مقولات إعتقادية، كعمليات البيع والخسارة وما يلحق بها من بركة أو حسد، إضافة إلى آراء معتقدية حول الألوان والثياب والأكل والشرب.

فاللون الأسود مثلاً يتناسب وحالة الحزن عند بعض الشعوب. وعند بعض الديانات نرى أن موت أيّ عزيز يؤدي وبشكل عفوي إلى ارتداء ملابس ذات لون أسود لا سيما عند النساء، ولو حاولنا تفسير ذلك لوجدنا أن المسألة تختلط فيها الأمور الإعتقادية والنفسية. فقول المرء (قلبي معتم) أو الدنيا مظلمة، هو تعبير عن حالة الشؤم والحزن. والحزن يقبض القلب ويُعتم الدنيا. والليل مخيف أسود. وكل هذه التصورات تناسب حالة الموت، فقدان العزيز، دخوله القبر المعتم. فلباس السواد يتناسب وهذه الحالة.

بينما نجد بعض الشعوب ترتدي الألبسة البيض عند فقدان عزيز وذلك إعتقاداً بأن ذلك يجلب الخير للميت. فالبياض فأل خير، وسيُريح روح الميت، بل تصل الأمور إلى حدّ الإعتقاد بأن الميت سوف يدخل دار النعيم، وهي دار الفرح والنور والسعادة ودار الفسحة الواسعة، ولا يتناسب هذا الإيمان إلا واللون الابيض.

بينما نجد ذلك هنا، نجد أن بعض الديانات ترى أن الميت سيواجه ربه والملائكة، فعليهم أن يلبسوا أجمل ما عنده من ثياب وحلي، وهذا ما نجده في الديانة المسيحية. وعلى الرغم من ذلك فإن أهل الميت يرتدون السواد ويطيلون فترة الحداد.

إن هذه الامور لم تأت بنت ساعتها، بل على مدى أجيال وسنين طويلة صنعها تفكير الإنسان وتفاعله مع الحياة، وكل ذلك من خلال ما صنعه من

حضارة وما خلّفه من علوم وثقافات وديانات ظل يتوارثها جيلاً بعد جيل.

إن كثيراً من المعتقدات التي ما تزال تؤثر إلى الآن في تفكير الشعوب ومسلكية أفرادها، لها جذور عميقة تصل آلاف السنين. ونعتقد أن عملية التواصل الحضاري بين الماضي والحاضر، مسألة مهمة في إثبات حضارة الشعب وجذوره المتأصلة في أعماق التاريخ، إنْ كان ذلك على المستوى الزمني أو المكاني.

وعلى سبيل المثال، نلاحظ أن المعتقد العربي والمنتشر في الأوساط الشعبية والقائل بأن الارض ترتكز على قرنيّ ثور سماوي يسبح في الفضاء، ويريح نفسه بنقل الارض من قرن إلى قرن، مما يسبب الزلازل؛. نلاحظ جذور هذا المعتقد في تصور البابليين والآشوريين والكنعانيين حول طبيعة الخلق الاسطورية. فعلى الرغم من أن طبيعة المعتقد ومضمونه أسطوريان، إلا أنه يُفصح عن معتقدات شعوب المنطقة التي سادت قبل المسيح بمئات السنين. فهذا التواصل الحضاري الذي برز لدى الوسط الشعبي، له أهميته في الإفصاح عن جذور وتسلسل عقلية الإنسان وتصوراته حول الحياة والخلق والوجود.

*** أهمية المعتقد الشعبي على مستوى الصراع التراثي بين العرب واليهود:**

من المعلوم أن الغزاة الصهاينة يدّعون أن تراث المنطقة برمته يعود إلى التراث التوراتي. فالتصورات الدينية والاسطورية والإعتقادية، تعود كما يدّعون إلى المنبع التوراتي. وما من إكتشاف أثري في الوطن العربي، لا سيما مصر وبلاد الشام، إلا ويدّعون أن في ثناياه علاقة ما بالتوراة واليهود، وهذا يحدث باستمرار، منذ تصوُّرهم الاول لغزو فلسطين والوطن العربي.

والمعتقد الشعبي الذي يشكل جزءا هاما من التراث الشعبي العربي، يتصل بجذوره إلى ما قبل وجود العبرانيين على ساحة الوجود. وبعيدا عن التفصيلات نرى أن المعتقد يتصل بالتراث الحضاري لشعوب المنطقة، كالكنعانيين العرب وغيرهم. فاذا ما استطاع الإدّعاء الصهيوني تثبيت (أن المعتقدات هي من التراث اليهودي) استطاع الصهاينة حينئذٍ قطع الصلة ما بين ماضينا وحاضرنا، وهذا ما يجعلهم يخترعون حلقةً مفرغة زمنية ومكانية، تكون فاصلة

بين ماضي الشعب وحاضره، وهذا ما يشكل خطرا ما على علاقة الإنسان العربي بجذوره الحضارية.

من جانب آخر، فإن للمعتقد صلة قوية بطبيعة الأرض، فهي التي أوحت بأكثر المعتقدات. والمعتقدات تتناسب واقعياً ومنطقياً مع طبيعة الأرض وبيئتها الجغرافية والتاريخية. ولذلك أيضاً يحاول الصهاينة باستمرار فك هذا الرباط من خلال إرجاعهم المعتقدات الشعبية إلى التراث التوراتي القديم. إن البحث المتواصل في الكشف عن علاقة المعتقد بالأرض وبالتاريخ القديم، يسهم إلى حدّ كبير في إعادة بناء الهيكل الحضاري للأمة العربية. وقد تنبّه الصهاينةُ إلى هذا الأمر، فسبقوا إلى تزييف الحقائق تزييفاً قوياً. لكن الدراسات الجادة التي جاءت منذ أكثر من ثلاثين عاماً على أيدي الباحثين والمستشرقين المحايدين، أخذت تكشف الزيف والتزييف، وتربط الحقائق بشكل علمي دقيق، وجاء دور الباحثين العرب مكملاً وكاشفاً للأعمال الأثرية السابقة. ولأن الصهيونية تسير حثيثاً في التزييف، فإن البحوث العربية قد كثرت وتصدّت وما تزال، وأخذت تنهار الإدعاءات الصهيونية واحدا بعد الآخر.

غير أنه يبقى أمامنا الكثير من البحوث التي لا بد من طرحها أمام الناس، ومن ثم لا بدّ من توصيلها أو إيصالها لكافة العقول، وتكون معتمدة على دعم الحقائق المثبتة لصلة الماضي بالحاضر.

إنّ إدّعاءات الصهيونية تلك والقائلة بأن التراث في المنطقة يرجع إلى التوراة وغيرها من الشفاهيات العبرية، لا يمكن أن تصمد أمام حقائق البحث العلمي التي كثُرت ودحضت مزاعمهم.

ولا يمكن ترك الأمور كما هي، فلا بدّ من التفصيل والبحث في جزئيات كثيرة من المعتقدات المتعلقة بجذورها والعائدة إلى الكنعانيين العرب، والتي لا صلة لها بالتراث التوراتي المزعوم.

*دور المعتقد في الإفصاح عن الشخصية الفردية والجماعية:

المعتقد ـكما أسلفناـ عبارة عن تصور وإيمان وعلاقة بين الإنسان وما يتصوره في الحياة والوجود، غير أنه من طرف آخر يفصح عن قضايا نفسية

وإجتماعية كثيرة. فهو في البداية يفصح عن الشخصية الجماعية، كونه مسألة تنتشر وتأخذ مساحتها الكبيرة في عقول ووجدانات الناس. وفي البداية نرى أن ناتج المعتقد الشعبي يأتي بالصدفة في سياق الحدث الجماعي أو الفردي، فكثيراً ما نجد أن إيمان الفرد كذات مستقلة عن غيرها، وقناعته بمعتقد ما يدفعه لانتظار النتيجة التي على الغالب لا تكون صحيحةً، وإذا ما أتت مصادفةً فإنها تزيد القناعة لدى الشخص وترسّخ الإيمان لديه بهذا المعتقد أو ذاك.

نرى الحديث الذي يجري بين الناس العاديين وهو يحمل في ثناياه معتقدات، ويتداخل الحديث بها، وفي هذه الحال يظهر تفاوت بالإيمان بالمعتقد بين شخص وآخر، وقد نجد القابل والرافض لبعض المعتقدات. فهو -أي المعتقد- بذلك يفصح عن الشخصية الفردية ومدى تأثرها بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان، إن كانت بيئةً جغرافية أو إجتماعية. وطالما أن تركيب المجتمع من أفراد، رجالاً ونساءً، أطفالاً وشيوخاً، رجال دين وملحدين، فإن المعتقد نفسه يصبح عرضةً للتنقل القوي أو الضعيف بين الأفراد. وبقدرِ كثرةِ المعتقدين يكون انتشار المعتقد قوياً، وبقدر كثرة الرافضين لن يكون انتشاره أضعف. غير أن بعض المعتقدات تأخذ مساحةً عامةً شاملة تقريباً فيؤمن بها الجميع إلا بعض الإستثناءات. وهنا فإن أحاديث الناس وتعاملهم مع بعضهم البعض يفصح عن بعض ما اعتقدوا، وبالتالي فإن المعتقد يفصح عن الشخصية الجمعية الإجتماعية بشكل واضح.

ولنبسط الأمر، نرى مثلاً، أن فلاناً من الناس استيقظ من نومه وفمه معوجّ، أو أن لسانه قد حُبس عن الكلام، وعلى الفور جاء من يقرأ التعاويذ على رأسه التي هي بالطبع جزء من قوةَ المعتقدات، ثم أخذ المريض إلى الطبيب وأعطاه بعض الأدوية، ولم يحلّ المساء إلا والمريض قد شفي. ففي هذه الحالة، يؤمن المجموع أن سبب الشفاء ليس الطبيب، وإنما التعاويذ التي قُرئت فوق رأس المريض. تنتشر هذه القصة أو الحادثة بين الناس، وتصبح لديهم دليلاً قاطعاً على أن القراءات والتعاويذ تشفي المرضى، ويصبح المعتقد في هذه الحال إيماناً جماعياً، ينتشر على مساحة مجتمع بكامله أو بأغلبيته. وهنا يبرز دور الإيمان كزاوية إعتقادية. فهو الذي يجعل التسليم شائعاً لدى الفرد والجماعة. والإيمان

نابع من وجدان متعلق (بالغيب) وقدرة الغيب على فعل ما يرتجيه الإنسان أو المجتمع من تحقيق المصلحة الفردية والإجتماعية. وفي ذلك يقول (إمبل دوركهايم): إن هناك وجودين لا يمكن فصلهما إطلاقاً إلا بالتجريد يبقيان متميزين، أحدهما يتألف من كل الحالات العقلية التي تنطبق فقط على أنفسنا وعلى أحداث حياتنا الشخصية، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الوجود الفردي، أما الآخر فهو نسق الأفكار والعواطف والممارسات التي تعبّر فنياً ليس عن شخصيتنا وحسب ولكن عن الجماعة التي نكون جزءاً منها، وتلك هي المعتقدات الدينية والمعتقدات الأخلاقية والممارسات والتقاليد والآراء الجمعية من كل نوع، ومجموعها يؤلف الكائن الإجتماعي(١١).

وفي بعض الأحيان، يكون المعتقد سلاحاً قمعياً جماعياً ضد بعض الأفراد، فكثيراً ما نجد مجتمعاً متخلفاً يؤمن بمعتقد ما، لا يفسح المجال لأي مثقف كي يعارض إعتقادهم. وهذا ما يجعل الأفراد القليلين والرافضين للمعتقدات الخرافية عرضةً للقسر والقمع النفسي والإجتماعي، مما يضطرهم في أغلب الأحيان إلى السكون خوفاً من السلطة العليا التي هي سلطة المجتمع ورأي المجتمع. أما حينما يُرفض المعتقد من قبل أيّ كان، ويعلن رفضه أمام جمهور قابل للرفض، فإن السرعة إلى رفض المعتقد تكون حادةً لدرجة أن سيادة هذا الرأي الفردي تصبح تعليماً من التعاليم التي حوّلت في عقلية المجتمع تحولاً جذرياً.

ويبرز المعتقد (إجتماعياً) شبيهاً بالرأي العام الإجتماعي. إذ أن الرأي، كما عرّفه (مينار) هو (مجموعة من الإتجاهات والمشاعر التي يكوّنها قطاع كبير من الناس في مسألة هامة وفترة معينة وتحت تأثير الدعاية)(١٢). ونجد لدى الفيلسوف (فيلاند) «أن الرأي العام ليس رأي الشعب كله، بل يصحّ أن نعتبره رأي الطبقة التي لها الغلبة والقوة»(١٣).

إن التراث الثقافي، وحتى الشعبي منه، لأمة من الأمم، يحتل فعالية كبيرة في صياغة التقبل والرفض للمعتقدات، ذلك لأن للتراث دوراً في تكييف الأفراد والجماعات، ويحدد سلوكيتهم وتفاعلهم مع ما يؤمنون به. إضافةً إلى ذلك كله، نجد أن بعض المعتقدات التي يحملها فردٌ ما، وقد نظنها شخصية، إنما هي بسبب تأثير البيئة الإجتماعية. فهي بالأساس تنطلق من منظور جماعي رغم

حالة من حالات الكمون التي تكون فيها المعتقدات مختبئة في الراسب النفسي أو العقلي. والمعتقد، على جميع الأحوال، إفصاح عن روح جماعية، أكثر منه إفصاحاً عن روح فردية، فهو من الرواسب المتوارثة يتم نقله بواسطة أفراد وليس بواسطة فردٍ واحد، وهؤلاء الأفراد هم من يشكلون المجتمع.

*وحدة المعتقد العربي وحدة التراث والحضارة:

لا شك أن المعتقد في فلسطين جزء من المعتقد في الوطن العربي، فلا فصل بين منطقة وأخرى، لأنه لا حدود فاصلة بين فلسطين وبقية أقطار الوطن العربي، ومما لا شك فيه، أن ما نسمعه من معتقدات في سورية ومصر أو في لبنان والعراق، نسمعه في فلسطين، أحياناً بحرفية اللغة، وأحياناً بحرفية المضمون. ومن الأسباب التي تجعلنا نجزم في ذلك:

١ - **وحدة التاريخ**. ففي التاريخ القديم خضعت المنطقة لميثولوجيا واحدة تقريباً، فالآلهة في فلسطين لم تكن منغلقة، بل امتدت إلى لبنان وسورية ومصر والعراق. وبالعكس تماماً فإن الميثولوجيا المصرية والبابلية لم تتقوقع على نفسها، بل امتدّت إلى فلسطين بمعتقداتها، ونتج عن ذلك خليط متجانس من المعتقدات الدينية التي تعتبر أصلاً للمعتقد الشعبي في أكثر أشكاله.

٢ - **وحدة الأرض**. بطبيعة الحال ليس هناك فواصل جغرافية بين هذه الأقطار، فتارةً تمتد حدود الإمبراطورية البابلية لتصل بلاد الشام، ثم تنحسر لتتسع رقعة الإمبراطورية الآشورية أو الفرعونية، ولم تكن المنطقة بمنأى عن التأثير والتأثر، وطالما أن الجذر العربي واحد، فإن العوائق سرعان ما تزول، لا سيما أن اللهجات متقاربة، والتفكير متقارب، وحتى المعتقدات والأساطير في كافة أشكالها متقاربة لحدّ التطابق أحياناً.

نرى من ذلك القبيل توسُّع الممالك الكنعانية وانتشارها في الأرض، لا سيما حين جابت سفنهم البحر المتوسط، وأقاموا على شواطئه المدن، كمدينة قرطاجة ورأس شمرا وصور وصيدا وجبيل وغيرها، ففي التاريخ القديم امتدت بعض الممالك الكنعانية من جنوب الساحل الشامي حتى حدود تركيا الحالية، وخلّفوا متوارثات دينية واعتقادية كبيرة ظلت تأثيراتها واضحةً إلى اليوم.

٣ - الوحدة النفسية والعقلية. ومن أهم العوامل التي تقيم وحدة المعتقد تلك النفسية وتلك العقلية التي تمتع بها شعب المنطقة العربي. وتدوّن النصوص الأثرية المكتشفة ذلك التمازج النفسي بين الكنعانيين وغيرهم من شعوب الحضارات المجاورة والتي كان منبعها جميعها واحداً، ولعل كثيراً من الصفات تنطبق على شعب المنطقة، إن كان ذلك في بلاد كنعان أو آشور أو اليمن وغيرها.

نرى من ذلك تقديم القرابين للآلهة والإستعانة بالقوى الغيبية التي يُعتقد أنها تساعد على النصر أو مباركة الأرض أو السفر وغير ذلك، ولعل ما يدل على ذلك أيضاً التفكير الواحد والعقلية الواحدة والتي تضع بالتالي تصوراً إعتقادياً واحداً ينتشر على مساحة واسعة من الوطن العربي.

* المعتقد الشعبي ودوره في تكوين عقلية الإنسان الفلسطيني:

تتناول هذه المسألة حالةً هامةً من حالات تأثير المعتقد في المشاركة بتكوين شخصية الفرد عقلياً ونفسياً.

لا شك أن الجذور التراثية التي حملها الفلسطيني وتراكمت في عقليته ونفسيته منذ آلاف السنين؛ تفعل فعلها الآن، وتظهر بشكل أو بآخر في صورة تفكير إجتماعي ونفسي وعقلي وغير ذلك من الصور التي تبرز في مجالات الحياة العقلية والنفسية والإجتماعية برمّتها؛ وتبرز تلك الصور من خلال صلة الحياة العقلية المعاصرة بالعقلية الدينية المتوارثة والعقلية التاريخية من ناحية أخرى والتصورات الجغرافية والعرقية من ناحية ثالثة، وإضافة إلى هذه الصلة، تظهر تأثيرات المعتقد في صورة التفكير المسلكي ومن ثم تنفيذه في الحياة السلوكية الإجتماعية والفردية.

ولعل أهم ما يتضح من معتقدات، وتأثيراتها في العقلية الفلسطينية المعاصرة، مسألة القضاء والقدر والتفاؤل السريع، رغم شدة المأساة، ومن ثم فكرة التواصل الوجودي، وحب الإستمرار في الوجود، رغم القناعة الراسخة بأن المجابهة مع العدو قد تؤدي إلى الموت. ففي أي أمرٍ، تجد مسألة الإيمان والقناعة العقلية بالنصيب والتسليم الفوري به، وهذا ما هو إلاّ إعتقاد راسخ جاء

نتيجة المتوارثات الدينية القدرية. وتظهر مسألة النصيب في كثير من القضايا الإجتماعية، كالزواج، والإيمان بأن كل فرد يأخذ نصيبه، وكالموت لا سيما في موتٍ مفاجيء نتيجة حادث سقوط أو قتل أو استشهاد.

والفلسطيني قدري بطبيعته، يقتنع بأن موت أحد الناس لن يؤجله أو يعجله شيء، ولذلك نرى فكرة الإيمان القدري بالموت والنصيب تخفف الحزن لدى أهل الميت، ولعل ذلك ينطبق على فكرة الزواج، فيقولون إن الشاب الذي فشل في الزواج من فلانه ولم يفشل في الزواج من الثانية، كُتب على جبينه منذ أن وُلد أنه سيتزوج فلانه، فيقتنع المرء أن ذلك خارج عن نطاق إرادته، مهما كان مقياس التصميم العقلي قوياً.

والمعتقد بشكل عام يلعب دوره النفسي في حياة كل إنسان، ويبرز ذلك من خلال سلوك إجتماعي. فعلى سبيل المثال: إنكسار وعاء زجاجي حتى لو كان ثميناً لا يحزن الإنسان طالما أن هناك إعتقاداً بأن الشر قد انكسر أو أن القدر يلطف، لأنه يعتقد أن مصيبةً أكبر كانت ستقع، فجاء كسر الوعاء تخفيفاً عن المصيبة الغيبية التي يعتقد المرء أنها كانت ستحل.

وكثير من هذه الأشكال الإعتقادية تلعب دورها النفسي، وتؤدي في كثير من الأحيان إلى تقبل المرء لها دون حزن، رغم أنها تؤدي إلى نتيجة خسران مادي أو معنوي. وسنرى لاحقاً تفسير هذه الظاهرة، حيث المعتقدات تتشعب وبالتالي تحلّ.

* المعتقد الشعبي واللغة:

طبيعي أن لغة المعتقد الشعبي هي لغة العامة الشائعة أو المحكيّة، وطبيعي أيضاً أن لا تكون لغته الفصحى. غير أن هذا التسليم لا يأتي ببساطة، كون المعتقد الشعبي يرجع في أصوله إلى جذور فكرية ودينية واعتقادية قديمة، وهو بالتالي لغة الأجداد القدماء. وإذا سلّمنا أن اللغة الفصحى انتشرت قبل الإسلام بحوالي مائتي عام وعلى مساحة شبه الجزيرة العربية، فإن المعتقد في ذلك الوقت لم يكن يُحكى إلا بالفصحى، إضافة إلى انتشاره بلغات المنطقة، ولكن على نطاق ضيق، لا سيما أن السريانية والآرامية والعربية بوجوهها الجنوبية

والشمالية والنبطية والتدمرية كانت منتشرة في مناطق واسعة أيضاً، وبهذا الصدد لا يمكن إغفال كتابة الإنجيل باللغة السريانية الآرامية، وكتابة التوراة بالعبرية المربعة والكنعانية. وغيرها من اللغات الدارجة ذلك الوقت.

ورغم ذلك كله فإن مسألة التدوين لم تراعَ حتى وقت مبكر من القرن الحالي. وفي منطقتنا العربية تقصّر الدراسات التراثية الشعبية كثيراً، حتى أن تدوين الفولكلور والأساطير العربية والمعتقدات ما زالت في عقلية الناس ووجدانهم، ولم يدون منها إلاّ القليل. وعلى ذلك فإن لغة المعتقد ما زالت أيضاً كما هي، بمعنى أن المعتقد يأتي ضمن اللغة المحكية أو الدارجة كما ورثها الإبن عن أبيه وجدّه.

وحينما يلجأ الباحث إلى دراسة المعتقد يقف حائراً بين أمرين؛ هل يكتب المعتقد بلغته التي يسمعها من الناس، أم أنه يكتبها بالفصحى؟ في الجانب الأول حفاظ على حرفية النص ومصداقيته الشعبية الفولكلورية، لكن ذلك ليس الأفضل طالما يمكن كتابته بلغة سليمة وفصحى، وطالما يعبر تماماً كما لو عبرت «اللغة» العامية، وليس المقصود من تدوين المعتقد الحفاظ على اللهجات المحلية التي يُحكى بواسطتها. إنما المقصود دراسة المعتقد كونه تصوراً عقلياً وجدانياً تاريخياً، وليست العملية تهدف إلى تعليم الناس المعتقدات من خلال تدوينها بلهجاتهم، فهذا الأمر مستبعد في حقل التحقيق العلمي والدراسة الموضوعية الجادة.

ومن هنا أيضاً، فإن المعتقد سيرد بلغة الفصحى المعبرة والتي هي اختصار لشروحات عامية ليس وراءها طائل. فالمعتقد بحدّ ذاته ذو لغة مجازية معبرة لا يحتاج إلى شرح حتى يفهمه السامع، سوى أنه وأثناء الدراسة يحتاج للبحث التاريخي عبر التاريخ، وللجغرافيا عبر الأرض، ومن خلال مدلولاته المتنوعة والمتشعّبة الوجوه.



هوامش الفصل الأول

(١) د. صفوح الأخرس -علم الاجتماع -مطابع مؤسسة الوحدة -دمشق- ١٩٨١م.
(٢) خليل أحمد خليل -سوسيولوجية الثقافة الشعبية -بيروت - ١٩٧٩م.
(٣) نمر سرحان -إحياء التراث الشعبي- دار فيلا ديلفيا- ١٩٧٥م.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.
(٨) خليل أحمد خليل -مصدر سابق.
(٩) د. صفوح الأخرس -مصدر سابق.
(١٠) نمر سرحان -مصدر سابق.
(١١) خليل أحمد خليل -مصدر سابق.
(١٢) المصدر السابق.
(١٣) المصدر السابق.

الفصل الثاني

معتقدات الخلْق

الإله . الشمس . القمر . الكواكب . الأرض . الليل والظلام . الرياح . الزلازل . البرْق . الرعد . الغيوم . قوس قزح . المطر . النار والماء . آدم وحوّاء . قابيل وهابيل . الملائكة . إبليس . الجن . الغول

ترتبط معتقدات الخلق بالجذور الدينية، قديمها وحديثها، وتمتد هذه العلاقة لـتصل الجذور الكنعانية والسامية في المنطقة العربية. ولا شك أن مفهوم الخلق الأسطوري يتداخل مع مفهوم الخلق الديني التوحيدي، وحصيلة هذا التداخل برزت على شكل معتقد شعبي متوارث، ولا يستطيع المرء أن يفصل هذه الحصيلة ـالمعتقد الشعبي، عن المعتقد الديني، إن كان ذلك على مستوى الديانة الوثنية أو التوحيدية. ولعل أكثر ما يدل على ذلك توحّد المعتقد الشعبي لدى الديانة المسيحية والإسلامية وحتى اليهودية، وإن افترق في بعض الأشياء فذلك الإفتراق يكون بسبب مدى التقبل الديني لدى كل ديانة ولدى كل أتباع. وبسبب مدى الإنسجام والتوافق مع طبيعة الغايات لدى كل جماعة دينية أو غيرها.

وإذا لاحظنا اختلاطا ما، بين المعتقد بمفهومه الشعبي والمعتقد بمفهومه الأسطوري، فإن ذلك يدل بشكل أو بآخر على أنه لا يمكن دراسة الموروث الشعبي بمعزل عن جذوره ودلالاته، وبالتالي لا يمكن لنا أن نسمّي المعتقد شعبيا دون ربطه بأصله الأسطوري أو الميثيولوجي، وعلى الرغم من أن ذلك قد يضعف قيمة الموروث شعبياً، فإن عدم العودة إلى الجذور قد يقطع السلسلة

المتصوَّرة من قبل الإنسان لعدد من المفاهيم الخلقية التي سادت زمنا طويلاً وبقيت آثارها موجودة إلى الآن.

لقد مرّ على الإنسان العربي عدد من التصورات الدينية جعلته يحمل مخزوناً هائلاً من التصورات، ولم يستطع التحرر منها طالما هي استعبدته -إيجابياً- وجعلته كتلة كبيرة من المفاهيم المختلطة والمتداخلة مع بعضها. ففي بداية وجوده على مسرح التاريخ بنى الممالك والمدن وأقام الهياكل الإلهية، وخلق تصوراته حول الآلهة وعلاقتها به. وصنع من خلالها معتقداته الدينية والأسطورية. وتأثر بمن حوله من الشعوب والحضارات، وبالتالي أثر هو أيضاً في معتقداتها. وجاءت المسيحية لتصبغ معتقداته بصبغة توحيدية دينية غير عنصرية. وعندما جاء الإسلام، واعتنق العربي مفاهيمه، اكتملت لديه التصورات الدينية والإعتقادية، وأصبح لديه خليط متطور من المعتقدات، امتد منذ الإله الكنعاني إيل حتى ما بعد الديانة الإسلامية التوحيدية. ولعل ذلك ما جعل معتقده الشعبي خليطاً بين التصور التوحيدي لمسألة الخلق والتصور الوثني القديم. فهو يضفي أشياء جديدة ويحرك معتقده حسب المؤثرات الجديدة.

وعلى الرغم من أن المعتقد التوحيدي المسيحي والإسلامي ينفي مسألة الأسطورة والخرافة، إلا أنه (العربي) ما يزال يعتقد إلى الآن بمعتقدات أسطورية خرافية، ويكاد أحياناً يؤمن بها إيماناً مطلقاً نافياً بذلك كل ما رفضته وترفضه ديانتا التوحيد الإسلامية والمسيحية.

ولعل أهم التداخلات بين المعتقد الشعبي والأسطورة الكنعانية حول الخلق تتجلى في ذات الإله الخالقة أو الإله الخالق، وما خلقه بعد استقرار الوجود من مخلوقات وما صنعه في الأرض أو في السماء. وعلى الرغم من أن المعتقد الشعبي حول ذلك يتأثر تأثراً كبيراً بالتصور التوحيدي، إلا أن إيراد التصور الكنعاني يوضح مدى ما ابتدعته المخيلة الكنعانية حول ذلك.

ترى المعتقدات الكنعانية أن الإله الأكبر أراد أن يستقر على عرشه السماوي، فأخذ يصارع القوى المعترضة. ويتبدى التنين (لوتان) كأقوى معارض شرير، فيقتله ومن ثم يتفرغ لخلق الكون؛ يسوق السحاب ويخلق

الشمس والقمر، ويضع نظام الفصول، ويرسل مياه الأمطار في الربيع والخريف، لأن الأرض لا سيما في فلسطين ليست ذات أنهار كبيرة تروي الأرض. ثم يخلق (آدم) من صلصال ـ فخار ـ ثم يصنع المرأة من ضلع آدم، ويسير الكون بحيوية إلى الأمام.

وتقام حول اعتقادات الخلق أساطير كنعانية كثيرة؛ كأسطورة بعل وصراعه مع أعدائه ومن ثم تدخل عناصر إلهية أخرى كالالهة عشتار والإلهة عناة والإله موت وما إلى ذلك.

وما يهمنا هنا أن معتقدات الخلق تتبدى في المعتقد الشعبي على شكل جزئيات تقترب إلى حد ما من المعتقدات التوحيدية. إن العربي، مسلماً كان أم مسيحياً، يبني حول ما ورد في الإنجيل والقرآن بعض تصوراته وشروحاته. فحسب القرآن الكريم ترد آية تقول (ثم استوى على العرش) ورغم الإجتهادات الكثيرة حول تفسير هذه الآية فإن المعتقد الشعبي يرى أن الله تعالى كان فوق بخار البحر ثم ارتفع إلى عرشه في السماء السابعة وبدأ بخلق الأرض والكون والملائكة والجن ومن ثم خلق آدم من صلصال كالفخار.

إن هذا المعتقد، رغم صحة جزئياته أو بعضها حسب الرأي الإسلامي، إلا أنه يتشابه في بعض جزئياته مع ما تصوره الكنعانيون حول الخلق. وفي الكتاب المقدس، نجد الجزئيات نفسها، رغم ما يضفي عليها العهد القديم من تصورلت وأساطير اقتبسها من الثقافات المجاورة، ودوّنها وطرحها لتكوّن تراثاً «مزعوماً» لأتباع الديانة اليهودية. وإذا نظرنا في المعتقدات الشعبية التي ما تزال سائدة في أوساط شعبية كثيرة، نجد بعض الفروق في التصور، وبعض التشابه، وبعض الاقتباسات بين ما يعتقده الشعب في بلاد الشام وبعض ما يعتقده الشعب في بلاد الرافدين ومصر.

وتتبدى معتقدات الخلق في التصور حول خلق الله، والكون، والنجوم، والأرض، وحول خلق آدم وحواء وما يدور حولهما من معتقدات أسطورية ودينية.

وتأتي المعتقدات المتعلقة بالشمس وخلقها في المقام الأول بين المعتقدات المتعلقة بخلق المظاهر الطبيعية. فهي تحتل مكانة مهمة في تفكير الإنسان منذ

أقدم العصور.

كان الناس في الوسط الشعبي يعتقدون بأن ما نراه حاليا من الشمس إنما هو ظهرها وليس وجهها أو بطنها، لذلك فإن المرء يستطيع تحمل حرارتها، أما وجهها فلا يظهر إلا يوم القيامة، حيث يتلظى الناس بحرّها المرتفع الشديد ولا يصبرون عليه.

وكانوا يعتقدون أن الشمس تغطس في البحر عند غروبها. ويعتقدون كذلك بأنها عندما تغيب تدخل في مغارة كبيرة كي ترتاح حتى صباح اليوم التالي حيث تشرق من جديد. وكان الشعراء قديما يظنون أن للشمس «مسكنا تدخل إليه وتخرج منه»[١]. ويروى عن النبي (ص) أن الشمس «تغرب في السماء ثم تُرفع من سماء إلى سماء حتى تُرفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخرُّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها»[٢].

*** الكسوف :**

كان الناس في الوسط الشعبي يفسرون ظاهرة الكسوف بأن الحوت الكبير يريد ابتلاعها. وبشكل عام فإن الكسوف «لا زال مثار قلق بالغ لكثيرين من أبناء القرى والأحياء الشعبية في المدن»[٣] في بعض الأقطار العربية.

وكان العرب، حتى في ظل الإسلام، ينظرون إلى الكسوف نظرة خاصة. وكانوا يعتقدون أن كسوف الشمس يمكن أن يحدث حزنا على رجل عظيم ذي أهمية في قومه. ويقال «إن آدم عندما توفي كسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن»[٤]. وعندما توفي إبراهيم ابن النبي (ص) تصادف أن كسفت الشمس، فظن الناس أنها كسفت لموت ابن النبي. ويروى أن النبي (ص) قال: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموها فصلّوا وادْعوا حتى ينكشف ما بكم»[٥].

وكان الطفل في الوسط الشعبي الفلسطيني، إذا اقتلع أحد أسنانه، يتوجّه صوب الشمس ويلوّح بيده اليمنى، ثم يلقي بالسن ناحية الشمس ويقول: أيتها الشمس خذي سن الحمار وأعطيني سن الغزال»[٦] لكي ينبت سن جميل مكان السن الساقط.

* عبادة الشمس وتقديسها :

نظراً لأن الشمس هي مصدر الحياة والنماء والدفء(٧) ولأنها رمز الخصوبة أيضا والحياة والتجدد(٨) فقد عبدتها جميع الشعوب في منطقة الهلال الخصيب(٩) ؛ فقد عبدها الآشوريون والبابليون تحت اسم (شمش) ، كما عبدها المصريون تحت اسم رع(١٠). وكثيرا ما تنشر كتب التاريخ القديم «صورة لتمثال حمورابي وهو يستلم دستوره قبل نحو من عشرين قرنا قبل الميلاد من الإله الشمس»(١١).

وقد عُرفت عبادة الشمس عند العرب، حيث عبدتها قبائل عربية عديدة في الجزيرة وشخّصوها بصنم. وخصصوا لها هيكلا، كما كثر في بلاد العرب وجود الأسماء التي انتسبت لها، كعبد شمس وامرىء شمس(١٢). ومن المعروف أن أهل سبأ العرب كانوا يعبدون الشمس. وفي القرآن الكريم إشارة واضحة إلى ذلك في قوله تعالى: «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله»(١٣). كما كان العرب يقدمون القرابين للشمس(١٤). ولا عجب في ذلك كله لأن الإنسان القديم كان يتأمل فيما حوله فيرى الشمس تنشر أشعتها فوق كل الكائنات ويستمدون منها الخير والحياة والعطاء ويرونها وهي تتجدد كل يوم. وهذا إبراهيم الخليل عندما كان يمعن النظر فيما حوله باحثاً عن الله تعالى، رأى الشمس ظاناً أنها الله، لكنه انصرف عنها عند غروبها: «فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي»(١٥). وهناك كثير من الممارسات التي تدور حول عبادة الشمس. فحتى وقت متأخر يعود إلى منتصف القرن التاسع عشر اعتاد الناس في (ايرلندا) أن ينثروا زهور الصيف في موضع يسمى «مكان الشمس ويقوموا بعد ذلك ببعض الألعاب الشعبية»(١٦).

وتتبدى المعتقدات الأسطورية المتعلقة بالشمس عند الفراعنة بشكل واضح، فالشمس ليست سوى عجلة من نار تركبها كل يوم روح الشمس عبر السماء لترى العالم، وفي الليل تضع روح الشمس عجلة النار في بهو الظلمات وتأوي إلى فراشها، وفي الصباح التالي تخرج العجلة مرة أخرى لتقوم برحلة ثانية عبر الفضاء(١٧).

نلاحظ هنا تشابها واضحا بين المعتقد الشعبي الذي يقول إن الشمس عندما تغيب تدخل مغارة كبيرة ترتاح فيها حتى الصباح، وبين تصوّر الفراعنة حول وضع روح الشمس عجلة النار في بهو الظلمات والإيواء إلى الفراش.

ونعتقد أن انتقال التصورات بين الشعوب القديمة، نقل هذا التصور الإعتقادي من مصر إلى فلسطين ومن ثم منطقة بلاد الشام بأسرها.

وقد فسّر البعض الآية القرآنية التي تقول: «والشمس تجري لمستقر لها» على أنها تعني هبوط الشمس في مستقر كبير لا يعلمه أحد سوى الله. تمكث فيه لترتاح من تعب النهار. لكن التفسيرات الدينية الموثوقة لم تشر إلى ذلك المعنى لا من قريب ولا من بعيد. لأن الآيات تنص على أن الشمس والقمر والأرض تسير جميعها -كلّ منها في فلك خاص به.

*** القمــر:**

إن كثيرا من الأساطير والمعتقدات الشعبية «كان باعثه القمر، ذلك الجرم السماوي المنير، الذي أثار دوما خيال البشر، بأطواره وتبدُل أشكاله»(١٨). وكان للقمر تأثيره في تشكيل بعض الممارسات الإعتقادية لدى كثير من شعوب العالم. فبعض الشعوب تعتقد أن «ولادة الطفل والقمر باهت، أي في أخريات دورته، أو أثناء الجزر نذير بالمرض، لأن الحياة ينبغي أن تجيء مع المدّ، وتذهب مع الجزر»(١٩). وفي «بعض المعتقدات القديمة، نجد أن النصف الأول من الشهر القمري، أو الأيام التي ينمو فيها القمر، تكون غير سعيدة»(٢٠).

ويعتقد بعض الناس في بعض مناطق العالم «أن القمر عريان، لأنه لا يتلاءم معه أي لباس، نتيجة لتقلّبه بين الزيادة والنقصان»(٢١). وبعضهم يعتقد بأن القمر كان «يلاحق الشمس في غير انقطاع، بمطارحات الحب، حتى غضبت الشمس في النهاية، فلطّخت وجهه المستدير بالرماد لكي يدعها في هدوء. ومنذ ذلك الحين والقمر يحتفظ بتلك البقع السوداء»(٢٢). وفي بعض الأحيان يفسَر هذا السواد على أنه أرنب أو أطفال(٢٣). وكان الناس في العصور الوسطى يفسرون تلك البقع السوداء، بأنها تمثل «صورة قابيل وهو

يحمل تقدمة مؤلفة من حزمة عصي»[٢٤].

في بريطانيا، كان بعض الناس يومئون «برؤوسهم عند رؤية الهلال، ثم يديرون الفضة في جيوبهم»[٢٥]. والإنحناء «للهلال الجديد، وتدوير الخواتم في الأصابع أمر مألوف في سائر أجزاء الجزر البريطانية»[٢٦]. وفي بريطانيا يعتبر من سوء الحظ الذي ليس كمثله شيء أن يشير الإنسان إلى القمر. ومن الممارسات الشائعة عندهم «أن يذكر الإنسان أمنيته عند رؤية الهلال، من غير أن ينبس بكلمة، وبذلك فإن أمنيته سوف تتحقق» !![٢٧].

* الخسـوف:

كان الإنسان القديم يجهل أسباب الخسوف «ولا يعرف السر في انتظام حدوثه، ويملؤه الخوف رعباً وفزعاً منه»[٢٨]. إن التعليل السائد لظاهرة الخسوف، من وجهة نظر المعتقد الشعبي «هو أن الأجرام السماوية تطاردها بعض الوحوش الضارية التي توشك أن تتلفها، ومن المعتقد إذن أنه من واجب الإنسان أن يفزع هذه الوحوش ويطردها، بأن يحدث ضجة جهنمية»[٢٩]. وبعض الناس يقيمون «الإحتفالات الشعبية في ذلك الوقت، والغرض منها مساعدة القمر، وفي بعض الأقطار يأخذ الناس في الصياح وفي تقليد أصوات بعض الحيوانات، ويقوم بعضهم بإطلاق النار في اتجاه القمر، لأنهم كما ذكر بعض الدارسين يعتقدون بأن «غولاً» يمزق القمر إلى قطع صغيرة، وأنه بالتأكيد يودّ أن يفترسه، إذا لم يهبّوا لإنقاذه»[٣٠].

وكان العرب إذا خسف القمر «ضربوا الطست، وقالوا يا ربّ خلّصْهُ»[٣١]. وفي بعض الأقطار العربية، ينظر الناس في الأوساط الشعبية «إلى السماء في خوف، ويسري في الحارة أن «القمر مخنوق»، ويجمع الأولاد الصفائح يضربون بعضها ببعض أو يضربونها بعصي، وهم يغنّون»[٣٢]. وكان العرب المسلمون يعتقدون أحياناً أن القمر يمكن أن يخسف لموت أحد الناس. لذلك فإن النبي (ص) يقول: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولكن الله تعالى يُخَوّفُ بها عباده»[٣٣]. ويذكر أن الجيش الأثيني -جنوده وضباطه- قد شعروا بالخوف من ظاهرة خسوف القمر، عندما كان هذا الجيش

في صقلية[٣٤].

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، كان الناس يفسّرون ظاهرة الخسوف، بأن القمر قد وقع في أزمة، لأن الحوت الكبير يريد ابتلاعه. وإذا كان لون القمر أسود، فسّروا ذلك بأن الحرب قد بانت وشيكة الوقوع، فإذا ما كان القمر أبيض اللون، فسّروا ذلك بأن زعيماً ما سوف يموت.

* عبادة القمر:

من «المتعارف عليه أن العرب من أقدم عبدة القمر»[٣٥]. فلقد كان القمر عند العرب الجنوبيين القدامى هو الإله الذكر الأب[٣٦]. ويشير القرآن الكريم إلى عبادة القمر عند العرب قبل الإسلام، في قوله تعالى: «لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن»[٣٧]. وكم من شخص «بل كم من قبيلة عُرفت باسم الإله الذي كانت تعبده، مثال ذلك أن بني هلال وبدْر وشمس، ينتسبون -ولا شك- إلى تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها قبل الإسلام»[٣٨]. وكان العرب يسمّون «ضوء الشمس «إبن الإلهة» والإلهة الأنثى هنا هي الشمس»[٣٩]. ومن أشهر «أسماء إله القمر عند البابليين والآشوريين «سن»»[٤٠]، وكان له معبد بشكل هرم في مدينة أور. وقد أدخلوه في أسماء الأشخاص كإسم سنحاريب، ومعناه «سن كثّرَ الإخوان»[٤١].

وكانت «الأمم المجاورة لفلسطين يعبدون القمر»[٤٢]. ويرجّح أن عبادة القمر كانت معروفة في فلسطين في تاريخها القديم، حتى أن أريحا المدينة الفلسطينية، كان معناها «مدينة القمر»[٤٣].

وكان السومريون قد اعتبروا القمر في البدء «أعظم الآلهة، فلربما انفعلوا بضيائه في حلّهم وترحالهم ليلاً، وتعاطفوا معه في قضاء حاجاتهم في المراعي»[٤٤]. وكان القمر «من بين معبودات المصريين القدماء»[٤٥]، ولعل اسم مدينة «عين شمس» يوحي بهذه العبادة القديمة.

وفي بلاد اليونان القديمة، كانت «سالينه» هي إلهة القمر عند الإغريق[٤٦]. كما عُرفت لديهم «أرتيميس» كإلهة للقمر[٤٧]، وكان سكان إسبارطه يقدمون لأرتيميس القرابين البشرية، «أما الرومان فقد وحّدوها مع الإلهة ديانا»[٤٨]،

وهي إلهة القمر عندهم، إضافة إلى كونها إلهة للصيد والعذرية(٤٩)، كما كانت لونا إلهة للقمر أيضا عند الرومان(٥٠).

ومن الطبيعي أن الحسّ الأسطوري الخرافي يسيطر على المعتقد القائل بأن الحوت يحاول أن يبتلع القمر فلذلك يصيبه الكسوف. وهذا الحس يسيطر على موضوع هذا المعتقد كونه ينفي أبسط القواعد العلمية والحقائق الموضوعية التي تعرّف عليها الناس حتى قبل التطور العلمي الذي نشاهده اليوم.

إن الحوت يأخذ في المخيلة البشرية الشعبية حجماً كبيراً هائلاً. وكثير من الأطفال والنساء والرجال لم يشاهدوا حوتاً في حياتهم، مما يدل على أن الصورة المتخيلة توحي بالعظمة والكِبَر والرهبة، ولذلك لا يمكن أن يبتلع القمر أو الشمسَ سوى مثل هذا الحوت العظيم.

وقد تفتقر مثل هذه الإعتقادات لأساس أسطوري، إنما يقوم موضوعها على أساس من التخيّل البشري.



* الأرض:

تقوم حول الأرض إعتقادات شعبية كثيرة. ففي الحس الأسطوري الخرافي تقول المعتقدات:

إن الأرض محمّلة على ظهر حوت كبير يسبح في الفضاء. وينتشر هذا المعتقد في أوساط شعبية محدودة، وقد اضمحلّ حتى كاد يذوب. وقد انتشر هذا المعتقد في قرون خلت، لكن تأثيره ظل واضحاً حتى بداية القرن الحالي، ويبدو أن ذلك الإنتشار جاء نتيجة التخلف الديني والعقلي والإجتماعي، إضافة إلى سيطرة الروح المتحجّرة العثمانية في عقول الناس. ونظن أن لهذا المعتقد جذوراً تمتد إلى مسافات زمنية بعيدة، لكن الأساطير التي أضفتْ على تلك التصورات القديمة لوناً خياليا توسعت كثيرا حتى تجاوزت حدود المعتقد لتصل أبعاداً أسطورية واسعة.

وقد كانت أسطورة الخلق القُرشية تقول: «إن الله خلق الأرض على ظهر

حوت، والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة. والصفاة على ظهر ملك. والملك على صخرة. والصخرة في الريح»(٥١)، ويقال إنها هي الصخرة التي ذكرها الحكيم لقمان.

وليست الصخرة في السماء ولا في الأرض. تحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال.

وفي خرافة قرشية متأخرة، كانت لها السيادة في ما بعد، «أن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض، فوسوس إليه وقال له: أتدري ما على ظهرك بالوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها. إنك لو نفضتها أو ألقيتها عن ظهرك لكان ذلك أريح لك».

ويرى رفائيل بتاي «أن العبريين استعاروا أفكارهم عن الحيتان ذات الجثث الهائلة، من العرب الاوائل أو البائدة»(٥٢).

وترى المعتقدات الشعبية أيضاً: أن الأرض محمّلة على قرني ثوري سماوي، فإذا أراد أن يرتاح يبدّل مكان الأرض من قرن إلى آخر، وبذلك تحدث الزلازل.

وفي هذا المعتقد نرى بعض الجزئيات المعتمدة على أساطير كنعانية وبابلية ومصرية قديمة، فالثور كرمز يرد في أسطورة بعل الإله الكنعاني، حيث يرد في تلك الأسطورة أن عناة تنقلب إلى بقرة، فيضاجعها أخوها بعل فتنجب ثوراً برّيا. والثور كرمز أيضاً تبعثه الآلهة ليقاتل جلجامش وإنكيدو، وينتصران عليه ويذبحانه.

والثور بالطبع إله سماوي وعند المصريين تتبدى السماء بقرة كبيرة تعتمد على قوائمها الأرض التي تمثل دعائم السماء فيها قارب يحمل شمس الصباح(٥٣).

أما ما يقوله المعتقد الشعبي، فلم يرد بهذا المعنى في الأساطير القديمة. لكن تقديس الشعوب القديمة لشخص الثور أضفى عليه أهمية ما، مما جعلهم يعتقدون أن الأرض محملة على قرنيه.

* بنـــات نعـش :

يقال في المعتقد الشعبي أن كتلة النجوم الدقيقة التي تشبه الضباب وتظهر بعد منتصف الليل، سُميت بنات نعش لأنها تحمل نعش أخيها المقتول منذ الأزل وتدور باحثة عن قاتله، وطوافها في السماء دائم أبدي.

فهذا المعتقد يرجع بأصوله إلى علاقة الإنسان بمظاهر الكون الكثيرة، فكما تدور حول الشمس والأرض والقمر معتقدات، فإن معتقدات أخرى تدور حول بنات نعش والشهب والكواكب الأخرى.

وإذا كان الإنسان القديم يعتبر القمر والشمس وغيرهما، من الآلهة، فإن بنات نعش تمثل آلهة أخرى، لأنها تتبدى للإنسان في أوقات محددة؛ إليها فيقدسها ويحزن لهدوئها وحملها هذه الكتلة التي تشبه النعش.

وفي الأسطوره الفرعونية نجد أن صراعا يحدث بين الآلهة؛ يُقتل على أثره أوزيريس، فتقوم زوجته بالبحث عنه حتى تجده، وتحمل أجزاء جثته زمناً طويلاً، ثم تدفنها، وبعدها تنتصر على (ست) قاتل أخيها وزوجها. وتطوافها باعتبارها إلهة، يكون بين السماء والأرض.

ويبدو التشابه واضحاً. إلا أن البنات عدد من الآلهة وليست واحدة؛ تلك تحمل نعش أخيها المقتول وتبحث عن القاتل، وتلك تبحث عن القاتل وتحمل جثة أوزيريس أخيها وزوجها.

بنات نعش ما زالت تبحث، وزوجة أوزيريس توقفت. وكأن المعتقد يوحي للإنسان بالثأر من القاتل، حتى لو دام البحث عنه سنوات طوالاً.



الليل والظلام ـ الرياح ـ الزلازل ـ البرق والرعد ـ الغيوم ـ قوس قزح ـ المطر ـ النار والماء.

* الليل:

الليل مخيف بظلامه الحالك، وسواد لونه، وهو ثقيل الوطأة على الناس، وخاصة على ذي الهمّ والحزن، والمريض.

ولأن العربي كان يكره اللون الأسود، فقد «كان يستفزّه ظلام الليل، فيصبح ثقيل الوطأة على نفسه»(٥٤).

والليل لدى بعض الشعوب «وحش مهول يستقر فكه السفلي في الأرض، في حين يصطدم فكه العلوي بالسماء»(٥٥).

ويحكى «أن الشمس كانت تودّ بصفة أساسية أن تشرق على الدوام، عند ذاك كان على الإنسان أن يطلب من الليل مساعدته، أو كان عليه أن يحجب الشمس بالليل»(٥٦). ولليل قيمة «خاصةٌ عند العرب، دفعتهم إلى أن يؤرّخوا به، يقولون: لأربع ليالٍ مضين من رجب»(٥٧).

لقد أرّق «الموتُ الإنسان، وأخافه، والموت يختبىء في رداء الظلمة، رداء الليل»(٥٨). وهناك معتقد قديم «كان يرى أن الموتى يركبون ريح الليل، وينفثون أحقادهم»(٥٩). وفي الليل «تموت الأشياء، وتهيمن روح الصمت على الكائنات»(٦٠).

ويشير القرآن الكريم إلى موت البشر في الليل، في قوله تعالى: «وهو الذي يتوفّاكم بالليل»(٦١). لذلك فإن المرء في الوسط الشعبي، عندما يستيقظ في الصباح يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا»(٦٢).

ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، أن الليل وظلامه هما المسرح المناسب لظهور الأشباح الشريرة، وخاصة الجن، لذلك فإنهم يحذرون العديد من الممارسات عند حلول الظلام، خشية أن ينالهم أذى هذه الكائنات. فهم مثلاً يتورعون عن صفع الأطفال على وجوههم في الليل، لأن ذلك من شأنه أن يعرّضهم لضربات الجن.

وتمتنع المرأة عن كنس أرض المنزل أثناء الليل، لكيلا يغضب ذلك الجن الذين يظهرون في الليل. ويحذّرون الأطفال من الصراخ في الليل، لأن هذا الصراخ يزعج الجن فيؤذون الأطفال.

وهم يعتقدون أن الخِياطة، أو تركيب الملاحف أثناء الليل من شأنه أن يجلب الشر، لذلك فإنهم لا يحبذون ممارسة مثل هذه الأعمال في الليل. ولا تمشط المرأة شعرها ليلاً، لأنهم يعتقدون أن ذلك إذا حدث فإنه نذير شر وفأل سيء. والكثيرون منهم يحرصون على عدم إخراج السلّم الخشبي من البيت عند غروب الشمس، لأنهم يتشاءمون من ذلك، إذ أن السلّم هو أشبه الأشياء بالنعش الذي يُحمل عليه الميت.

كما أنهم لا يقبلون بإخراج الغربال أو المقص من البيت أثناء الليل، لأن ذلك -حسب إعتقادهم- مرتبط بالرزق، مثل القمح والطحين.

ويروى عن النبي (ص) أنه قال: «إذا استجنح الليل، أو كان جنح الليل، فكُفّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ..»(٦٣).

ويشير «الليل مجازاً إلى الموت والخطيئة»(٦٤). كما أن الليل، أو بتعبير أدق، فإن ظلام الليل يعتبر رمزاً للحزن، ويقال إن الظلمة كانت قد غطّت «الأرض عند صلب المسيح» عليه السلام(٦٥).

* الـريـــاح:

أخافت الرياح الإنسان منذ بدء الخليقة، وكان خوفه منها يزداد كلما ازدادت سرعتها عن معدلها الطبيعي. ومبعث هذا الخوف يكمن في جهل الإنسان لماهية الرياح، وأسبابها،. ففي فلسطين، كان الناس في الوسط الشعبي، يعتقدون أن الرياح «تحدث نتيجة صفير أحد الغيلان»(٦٦).

واعتقد الناس في بعض دول أوروبا، أن الرياح والعواصف «يحدثها طائر عملاق يحطّ عند القطب الشمالي أو قريباً منه. ويرفرف بجناحيه، وكأنه الشيطان في جحيم دانتي»(٦٧).

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يفسّرون الرياح الشديدة العاتية،

بأن حرباً ما باتت وشيكة الوقوع». كما أنهم قد يفسرون مثل هذه الرياح، في بعض الأحيان، بأنها غضب من الله، وخاصة إذا كانت تلك الرياح محمّلة بالغبار. ولعل هذا الإعتقاد يعيد إلى الأذهان حوادث الأيام الموغلة في القدم، عندما كانت الرياح تمثل غضب الله تعالى على العصاة من الأقوام الغابرة، وفي القرآن الكريم إشارات واضحة إلى مثل هذا الغضب المزلزل والعقوبة الضاربة، وتوضح الآيات القرآنية التالية ذلك:

«فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم»(٦٨). «بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم»(٦٩). «وفي عادٍ إذْ أرسلنا عليهم الريح العقيم»(٧٠). «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ عاتية»(٧١). «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات»(٧٢). «وإنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً في يوم نحسٍ مستمر»(٧٣).

* الزلازل:

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن الزلازل والهزات الأرضية، يحدثها ثور عملاق يحمل الكرة الارضية على أحد قرنيه، ورغم ضخامته، فإن الثور يتعب من حمْل الأرض على قرن واحد، لذلك فإنه حين يتعب ينقل الأرض إلى القرن الآخر، ليريح قرنه المتعب، وهكذا، وإن انتقال الأرض بهذا الشكل، من قرنٍ إلى آخر، يؤدي إلى حدوث زلزال أو هزة أرضية.

وتروي إحدى «خرافات ذي القرنين التي يوردها وهب بن منبّه: «أن ذا القرنين أتى على جبل قاف، قال: فأخبرْني ما هذه الجبال التي حولك، فقال جبل قاف: هي عروقي، فإذا ما أراد الله أن يزلزل أرضاً أمرني فحركتُ عِرقاً من عروقي فتزلْزلت الأرض المتصلة به»(٧٤).

وفي خرافة قرشية متأخرة، كانت لها السيادة فيما بعد -كما مرّ معنا- «أن إبليس تغلغل في الحوت الذي على ظهره الأرض، فوسوس إليه، وقال له: أتدري ما على ظهرك يالوتيا من الأمم والدواب والشجر والجبال وغيرها، إنك لو نفضتها أو ألقيتها عن ظهرك لكان ذلك أريح لك»(٧٥).

* البرق والرعد :

يروى أن قسما من العرب قد عبد البرق، وهم بنو عديّ، وإنما سُمّوا ببارق لأنهم تبعوا البرق[٧٦]. ويعتقد الناس في جنوب فلسطين أن الرعد الذي يأتي بعد البرق هو ملاك، يأمر المطر بالسقوط.

* الغيــوم :

كانت الغيوم -وفق أسطورة هندية- «في أزمنة سالفة أجنحة» للجبال، وقد توزعتْ الجبال بمساعدتها في كل مكان محدثة اضطرابا فى جميع أنحاء الأرض، وعند ذاك انفصلت السحب عن الجبال. على أنها لم تستطع أن تنسى نسبتها إليها، كما كان الحنين يجذبها دائما إلى القمم»[٧٧].

* قوس قزح :

إن قوس قزح «بألوانه الزاهية وهيئته البهيجة، أثار اهتمام الإنسان القديم، وانتزع إعجابه، وذلك على غرار ما كانت تفعله في نفسه سائر ظواهر الكون.. غير أن قوس قزح بما ينطوي عليه من جمال وبهاء، إلى جانب كونه ظاهرة متألقة في الكون، جدير بأن يولّد في أعماق المرء شعورا خاصا، وأن يبعث في نفسه أضواء الأمل وأنوار التفاؤل، حتى لقد ساد الإعتقاد لدى بعض الأقوام، بأن ظهور قوس قزح ما هو إلا إشارة صادرة من رب السموات إلى خلقه على وجه البسيطة، ينبئهم فيها أن الأرض لن تكون معرّضة مرة أخرى للطوفان»[٧٨].

وكان الفلسطينيون يستدلون من مواعيد ظهور قوس قزح على صحو الطقس، أو الأمطار الغزيرة والبرد الشديد، وهم يعبرون عن ذلك بقولهم: «إنْ قَوستْ باكر خُذْ عصاتك وسافر، وإن قوست مسيّه دوّرْ لك ع مغارة دفيّه».

وقد قيل بأن قوس قزح هو «حول عرش المسيح في السماء»[٧٩]. وفسره بعضهم «بأن الرب خلق قوس القزح بعد الطوفان، وأنه قبل ذلك لم يكن موجودا»[٨٠].

وكان بعض العرب يعتقدون أن «النيران التى كانت توقدها قريش في

المزدلفة إنما كانت نيران الإله قزح المقدسة»[٨١].

ولقد «جاء بالفيروزا بادي، أن قزح إسم ملك موكل بالسحاب»[٨٢]. ومن العرب المسلمين من نهى عن إضافة كلمة «قوس» إلى «قزح» وقد روي عن ابن عباس أنه قال: «لا تقولوا قوس قزح، فإن قزح إسم للشيطان، ولكن قولوا قوس الله»[٨٣].

* المطـــر:

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن المطر «يحدث نتيجة بكاء أحد الملائكة»[٨٤]. وهم يعتقدون أنه إذا هطل المطر في ليلة الزفاف فإن ذلك يعتبر فألاً حسنا ويجلب الحظ، ويقولون عن العروس في هذه الحال «إجرها خضرا» أو «كعبها أخضر».

ولقد كان المطر من بين معبودات الإنسان الأول[٨٥].

* النـــار:

عرف الإنسان «النار بالصدفة عن طريق الصواعق ثم عن طريق احتكاك حجارة الصوان بعضها ببعض. ومنذ ذلك الحين والنار من المواد الأساسية في الكون، بل هي ركن من المثلث الأساسي: الماء والهواء والنار»[٨٦] إن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، كانوا يعتقدون أن النار طاهرة إضافة إلى كونها مطهِّرة. ومن المعتقدات الشائعة لديهم، كيّ الطفل بالنار بين عينيه، حتى يعيش إخوته الذين سيولدون بعده. والنار -في إعتقادهم- تعتبر من الأماكن الرئيسية التي يسكنها الجان ويقيمون فيها، وهم يعشقون النار، لأنهم في الأصل قد خُلقوا منها. وإذا أرادت المرأة أن تطفيء ناراً مشتعلةً فإنها تبسمل قبل إلقاء الماء على النار، وربما قالت: «دستور من خاطركم»، وذلك كي يغادر الجان النارَ، ولكي لا يؤذوا من يريد إطفاءها.

وكانوا يحذِّرون أطفالهم من اللعب بالنار، كي لا يتعرضَ هؤلاء لأذى الجن الذين يعيشون بداخلها. والنار المشتعلة إذا أحدثت صوتاً، فإنهم يفسرون ذلك الصوت بأن هناك شخصاً ما يغتاب الحاضرين. وللنار عندهم قدسية من نوع

ما، إذاً إن الكثيرين منهم يحلفون ويقسمون بها. وتحمل النار عددا من الرموز المتنوعة، فهي «في الرموز الشعبية والصوفية وفي الأساطير والأحلام، رمز لبعث قوى نفسية، ولتجديد طاقات، ولإعادة الحيوية المفقودة أو الضعيفة أو الكامنة»(٨٧).

وكانت هناك «في اليمن، فيما يزعم أهل اليمن، نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم»(٨٨).

* عبـادة النـار:

يقال إنه «لما قتل قابيل أخاه هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن، أتاه إبليس، فقال له: إن هابيل إنّما قُبل قربانه وأكلته النار، لأنه كان يخدم النار ويعبدها، فانصبْ أنت نارا تكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها»(٨٩).

ولقد نشأ الإنسان الأول يعبد اشياء كثيرة، ومنها النار. «وكان الوثنيون يعبدون النار من جملة ما عبدوا من مظاهر الطبيعة. ولا تزال عبادة النار معروفة في الهند إلى اليوم، كما كانوا يحرقون أبناءهم على النار تقدمة لبعض الآلهة الوثنية»(٩٠).

وكانت النار عند البابليين عنصرا مقدسا وطاهرا(٩١). ويذكر أن العرب كان لديهم نيران عديدة، منها «نار الإستسقاء، ونار التحالف، ونار الحرّتين. كانوا يشعلون مواد نباتية سريعة الإحتراق، يعلقونها بأذناب البقر بعد أن يصعدوا بها إلى جبل وعر. وكان هذا العمل، في زعمهم، سببا من أسباب نزول الغيث. هذه هي نار الإستسقاء، التي كانت تصطحب بضجيج من الأدعية والتضرع. وأما الثانية، وهي نار التحالف، فكانوا لا يعقدون حلفهم إلا عليها. يطرحون فيها الكبريت والملح. ومما جاء في «أيمان العرب في الجاهلية»، قال أبو عبيدة: «كانوا في الجاهلية الأولى إذا تحالفوا وتعاهدوا، أوقدوا نارا ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم، وعدّوا منافع النار، ودعوا على ناقض تلك اليمين، والناكث لذلك العهد، بحرمان تلك المنافع، ويتصافحون عندها، ويقولون: الدم الدم والهدم الهدم، والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدْمنا هدْمكم، والهدم اسم البناء المهدوم، أي فما هُدم لكم

من بناء أو شأن فقد هُدم لنا، وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا......

غير أن نيران الحرتين التي أطفأها خالد بن سنان، كانت على ما يظن أحفلَ نيران العرب كلها بالخرافات. وهي في بلاد عبس. زعموا أنه كان يخرج منها عنق فسيح مسافة ثلاثة أو أربعة أميال، لا تمر بشيء إلاّ أحرقته.. إلى أن كان من أمر خالد بن سنان ما كان، حيث أخَذ من كل بطن من بني عبس رجلاً وخرج بهم نحوها، وقد خرج منها عنق كأنه عنق بعير، وأحاط بهم فقالوا: هلكت والله أشياخ بني عبس آخر الدهر. فقال خالد كلا! وجعل يضرب ذلك العنق ويقول: «بَدّاً بَدّاً، كل هدي الله يؤدّى! أنا عبد الله خالد بن سنان» فما زال يضربه حتى رجع وهو يتبعه والقوم معه كأنه ثعبان يتملك حجارة الحرّة، حتى انتهى إلى قليب، فانساب فيه فدخل عليه خالد... إلخ»(٩٢). وعُرفت عند العرب نيران تدعى «نيران المزدلفة». ويعتقد Smith أن «النيران التي كانت توقدها قريش في المزدلفة، إنما كانت نيران الإله قزح المقدسة»(٩٣). وربما انتقلت عبادة النار إلى العرب من الفرس والمجوس(٩٤).

*** المـــاء:**

يلعب الماء «وموتيفاته الدور الجوهري الأول في مجمل أساطير وفولكلور بلداننا العربية، بلا استثناء»(٩٥).

وكان الساميون بعامة يقدسون موارد المياه، واعتبروها مهبط عرش الله(٩٦). والماء عندهم هو مهبط عرش جميع آلهتهم، وخاصة «إيل ـأو كبير الآلهة كرونس- القاسم المشترك الأعظم لكل آلهة الشعوب السامية»(٩٧). كذلك فإن القرآن الكريم يشير إلى أن عرش الله تعالى كان على الماء: «وكان عرشه على الماء..»(٩٨) وللماء بعد ذلك أهمية بالغة، لأنه أصل كل الأحياء «وجعلنا من الماء كل شيء حيّ»(٩٩) ـ«والله خلق كل دابة من ماء»(١٠٠) ـ«وهو الذي خلق من الماء بشراً»(١٠١) ـ«فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق»(١٠٢). إن فكرة الميلاد المائي، كانت موجودة «في الأساطير البابلية التي تحكي عن ولادة الكون من المياه الأولى «تعامة» المقابلة لـ«نمو» السومرية. وفي

الأسطورة السورية نجد «يم» المياه الأولى، وقد انتصر عليه الإله بعل، وشرع بعد انتصاره بتنظيم العالم. وفي الأسطورة المصرية كان «رع» أول إله يخرج من المياه الأولى، وهو الذي أنجب فيما بعد بقية الآلهة. وفي الأسطورة الإغريقية نجد «أوقيانوس» هو المياه الأولى، والإله البدئي الذي نشأ عنه الكون..»(١٠٣).

كذلك فإن الماء هو مصدر رزق الإنسان وطعامه: «ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحبّ الحصيد»(١٠٤).

إن الماء يعتبر في الأصل طاهرا، ومطهّرا: «وأنزلنا من السماء ماء طهورا»(١٠٥) ـ«وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به»(١٠٦). والتطهر بالماء ـعند المسلمين- يشير إلى رموز ومدلولات عديدة، إذ أن التطهر بالماء يعيد الحياة إلى النقاوة، «فوظيفته هي التخليص من الأرجاس، وإزالة النجاسة، وغسل الذنب، والإعداد للحياة الأفضل، وللمرحلة الأرفع. وهو في المسيحية أيضا ذو وظائف مماثلة: به يتم التعميد، أي النقل إلى حياة أفضل»(١٠٧). ولدى المسلمين، كما هو معروف، لا يجوز دفن الميت ـعدا الشهيد- بدون غسل، وغسله بالماء «الطهور بالماء توكيدا للنشور»(١٠٨). إذ أن غسل الميت هنا بالماء يرمز إلى أن هذا الميت قد انتقل إلى مرحلة جديدة، من حياة إلى حياة أخرى.

وربما جاءت من الجذر «ماء» (م،و،ي)، ربما جاءت كلمة «يوم»، «أي النور والنهار والحياة؛ والكلمة أمّ، أي الرامزة للدلالة عينها. والأم نبع، وأصل، ومصدر الأشياء؛ إنها نظير الماء؛ بل الأم والماء، في الميثولوجيا، رمزان لشيء واحد»(١٠٩).

وفي رأينا أن طوفان نوح نفسه، الذي كان الماء مادته، يعتبر رمزاً للانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى جديدة.

ويدخل الماء كعنصر هام من العناصر المستخدمة في الممارسات الإعتقادية في الوسط الشعبي الفلسطيني، «ففي دورا(١١٠) تعبُر العروس إلى البيت بعد أن تقفز عن سيف ووعاء من الماء موضوعين على العتبة، فالسيف يقطع الشر،

والماء يغرقه، فلا يدخل مع العروس إلى بيتها الجديد»(١١١). وهم يصبّون «الماء أمام العروس وخلفها، فالماء رمز الخصب، وبصبّه تتم ممارسة سحرية تهدف إلى إدخال الخير والبركة مع العروس»(١١٢). وفي الصباح الذي يلي ليلة الدخلة تذهب العروس إلى نبع القرية لتملأ جرّة الماء، وهذه ممارسة سحرية تشير إلى الرغبة في أن تمتلىء هي نفسها، أي تحمل جنينا، فالماء الذي تحمله يحمل القدرة على منح الحياة لطفل جديد»(١١٣).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني أيضا، يُعتبر الماء عدواً لدوداً، وسلاحاً ماحقاً للجان، فإذا ما وقع الطفل على عتبة البيت، فإنهم يلقون الماء البارد على العتبة، ليبعدوا الجان الذين يسكنون عتبات البيوت -حسب المعتقد- لكي لا يؤذوا الطفل. والماء هنا يطفىء النار التي خُلق منها الجان، أو يبعدهم ويطردهم. كذلك فإنهم يعتقدون أن الماء الساخن يثير الجان، أو يزيد غضبهم، لذلك، إذا ألقت المرأة ماء ساخنا على الأرض، لا سيما في الليل، فإنها قبل ذلك «تَدسْتِرْ» أي تقول: «دستور من خاطركم»، أي إنني أستأذنكم في إلقاء الماء، فتنحَوْا جانباً كي لا يؤذيكم الماء الساخن.

وكان الماء يلعب دورا هاما عند البابليين في التغلب على الأرواح الشريرة، باعتباره مضاداً لهذه الأرواح(١١٤).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، إذا رأى أحدُهم ماء في الحلم، فإن ذلك حسب إعتقادهم دليل خير قادم لصاحب الحلم. وكان العرب يعتبرون رؤية الماء في الأحلام شيئا مباركا(١١٥). أما الأشوريون، فكانوا يعتقدون، أن من شرب الماء في الحلم يعني أن صاحب الحلم سيعيش عمرا مديدا(١١٦).

وكان الفلسطينيون في الوسط الشعبي، يتخوّفون من التراشق بالماء، لاعتقادهم أنه إذا رش شخص شخصا آخر بالماء، فإن هذا ربما كان مصيره الموت، وهم يعبّرون عن ذلك بقولهم: «الميّه فراق»(١١٧).

وكان العربي، إذا «رش على وجه إنسان» ماء قبّل يده وقال: حتى لا أبغضه»(١١٨).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، إذا اندلق الإناء، يقولون: «انكبّ الشرّ»

لإعتقادهم أنَّ ما في الإناء يعتبر شرا كامناً لأحد أفراد الأسرة، كان يمكن أن يحلَ بأحدهم، إلاّ أن هذا الشر قد اندلق باندلاق الإناء.



* ادم والإنسان:

* التسمية:

يرى البعض أن «لفظة آدم تعني أديم الأرض، كما أنها تعني الإنسان ـ الأديم ـ القديم ـ وارتباطها باستمرار الحياة يعني الحاجة إلى الطعام أو الأدام»(١١٩). وربما كانت تسمية آدم «نسبة إلى أرض أدوم التي اكتشفتها منذ سنوات قليلة، البعثات الحفرية العامة في الأردن وبادية الشام»(١٢٠). ويقال بأن دمشق هي «أرض أدوم» التي جاءت منها تسمية آدم، بمعنى أديم الارض أو القدم»(١٢١). ويبدو أن تسمية أدوم كانت تشمل جزءاً من الصحراء الادومية، بادية الشام والأردن»(١٢٢).

وهناك من يرى أن «أدم» جذر سامي مشترك يفيد الإحمرار والسمرة. ومن هذا الجذر اشتُق اسم «آدم» بمعنى تراب أحمر، إشارة إلى أصله الذي أخذ منه. ويقول بعض الثقاة إن كلمة «آدم» جاءت في الأصل الاكادي أو الآشوري «آدامو» بمعنى «يعمل» و «ينتج»(١٢٣).

* خلق الإنسان:

يشير المعتقد الشعبي الفلسطيني إلى أن «ابن آدم» خُلق من تربة سهل بالقرب من الخليل، وتلك التربة حمراء. ويقال إن عزرائيل، ملك الموت، هو الذي أحضر لله التربة التي خلق منها ابن آدم، وقد جمع التربة من أطراف العالم الأربعة، وكانت من ألوان شتى، وذلك في رأي الناس في الوسط الشعبي يفسر اختلاف ألوان العناصر البشرية»(١٢٤).

ويشير المعتقد الشعبي الفلسطيني إلى أنه «بينما خلق الله الملائكة من حجر كريم، وخلق الجن من النار، فإنه خلق الإنسان من الطين»(١٢٥). وفي المعتقد

الشعبي الفلسطيني أيضاً أن التراب الذي يخلق منه الإنسان، تحضره الملائكة «من ثلاثة أماكن، من المكان الذي خلق منه، والمكان الذي سيولد فيه، والمكان الذي سيموت فيه. ويكون الملائكة حاضرين عند الإتصال الجنسي، ويحضرون التراب ويعجنونه، ثم يضعونه في رحم المرأة»[١٢٦]. ثم يحدد المعتقد الشعبي الفلسطيني ملاكا بعينه (جبريل) كي يقوم بهذه المهمة، فإذا أراد الله «أن يطعم امرأة طفلاً، يذهب جبريل فيملأ يده بالتراب من المكان الذي سيموت فيه الطفل، ويعجنه ويلقيه عند فوهة رحم المرأة وبعد ذلك يخلق الله ويلوّن...»[١٢٧].

وهذا المعتقد -في رأينا- هو أصلٌ لمعتقد شعبي فلسطيني آخر، مؤداه أن الإنسان لا بد أن يأتيه الموت فوق بقعة الأرض التي خُلق من ترابها، وبالتالي لا يمكن أن يموت في أرض سواها، فحيثما وُجد هذا الإنسان، وأتاه الموت، فإنه يغادر مكانه ميمّما شطر المكان الذي خلق من ترابه، حيث يموت هناك، وكثيرا ما يموت المرء في أرض بعيدة عن وطنه ومسقط رأسه، ولم يسبق له أن ذهب إليها أو رآها أو سمع بها في حياته، وهم يعبّرون عن ذلك بقولهم: «ترابانه أخذوه»، أي أن التراب الذي كان قد خلق منه، قد دعاه إليه ليموت عنده، فلبّى النداء.

يتحدث الطبري[١٢٨] عن خلق الإنسان الاول «آدم» بقوله إن الله بعث «ملك الموت.. فأخذ من وجه الأرض وخلط، فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبلّ التراب حتى عاد طينا لازبا، واللازب هو الذي يلتصق بعضه ببعض، ثم تُرك حتى تغيّرَ وأنتن». وعن «ابن عباس قال بعث رب العزة عز وجل إبليس فأخذ من أديم الأرض، من عذبها وملحها، فخلق منه آدم، ومن ثم سمّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، ومن ثم قال إبليس أأسجد لمن خلقت طينا، أي هذه الطينة أنا جئت بها»[١٢٩]. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال «إن آدم خلق من أديم الأرض، فيه الطيّب والصالح والرديء، فكل ذلك أنت راء في ولده الصالح والرديء»[١٣٠]. وروي عن النبي (ص) «أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم

الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب، ثم بُلّت طينته حتى صارت طيناً لازباً ثم تُركتْ حتى صارت حمأً مسنوناً ثم تُركت حتى صارت صلصالاً»(١٣١). وقيل كذلك: «خمَّر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً، ثم جمعه بيده فخرجت طيبةً بيمينه، وخبيثةً بشماله، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى، فخلط بعضه ببعض، فمن ثم يخرج الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب»(١٣٢). ويقول الثعلبي: «خلق رأسَ آدم وجبهته من تراب الكعبة، وصدره وظهره من بيت المقدس، وفخذيه من أرض اليمن، وساقيه من أرض مصر، وقدميه من أرض الحجاز، ويده من أرض المشرق، ويده اليسرى من أرض المغرب، ثم ألقاه على باب الجنة، فلما مرّ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته، ولم يكونوا قبل رأوا شيئاً يشبهه من الصور»(١٣٣).

ولقد كان «الإعتقاد السائد في بلاد الشرق القديم أن الإنسان الأول، قد خُلق من طين ومن دم إله مقتول»(١٣٤). والأسطورة السومرية المتعلقة بخلق الإنسان، هي أول أسطورة خطّتها يد الإنسان عن هذا الموضوع، وعلى منوالها جرت أساطير المنطقة، والمناطق المجاورة، التي استمدت منها عناصرها الأساسية، وخصوصاً فكرة تكوين الإنسان من طين، وفكرة تصوير الإنسان على صورة الآلهة»(١٣٥).

وفي الأسطورة البابلية أنه «عندما آن الأوان، توجّه الخمسون من كبار الأرباب إلى الربّة الأم مامي طالبين: «إصنعي لنا بشراً يقومون بكافة الأعمال». أومأت الربة الأم برأسها موافقة وقالت: اقتلوا أحد الأرباب، فالإنسان يجب أن يتكون من طين ودم أحد الأرباب. طرحت الأرباب أوراق الحظ وقتلوا الإله الذي وقع عليه النصيب ثم جلبوا دمه إلى مامي أم الأرباب. عجن أربعة عشر إلهاً الدم مع طينة من تراب وتولّت مامي تجزئة العجين إلى أربع عشرة قطعة ثم صنعت من الطين الممزوج بدم أحد الأرباب سبعة رجال وسبع نساء ونفخت فيهم نفَس الحياة، وهكذا خلقت مامي نسل البشر من سبعة أزواج نصفهم ذكور والنصف الآخر إناث»(١٣٦).

وفي الأساطير المصرية أن «رع» خلق الإنسان «من دمع عيونه ثم وضعه

على الأرض»(١٣٧). وفي الأساطير اليونانية يشار إلى ظهور «أول إنسان على يد المارد بروميثيوس، الذي صنعه من صلصال»(١٣٨)، فقد قام بروميثيوس «بخلق الإنسان من تراب وماء، وعندما استوى الإنسان قائماً نفخت الإلهة أثينا فيه الروح»(١٣٩).

وفي الكتاب المقدس: «وقد جبله الله من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة»(١٤٠).

وتقول أسطورة أفريقية: «إن الإله الخالق قد أخذ حفنةً من طين على هيئة إنسان، ثم تركها في بركة مليئة بماء البحر سبعة أيام، وفي اليوم الثامن رفعها فكانت بشراً سوياً»(١٤١). وفي أسطورة هندية أمريكية «نجد أيضاً التكوين الطيني ونفخة الحياة التي تهب الشكل الجامد روحه وحركته»(١٤٢).

وفي القرآن الكريم إشارات كثيرةٍ إلى أن الإنسان خُلق من تراب وطين وصلصال: «يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب»(١٤٣) ـ «أكفرت بالذي خلقك من تراب»(١٤٤) ـ «ومن آياته أن خلقكم من تراب»(١٤٥) ـ «هو الذي خلقكم من تراب»(١٤٦) ـ «هو الذي خلقكم من طين»(١٤٧) ـ «الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلْقَ الإنسان من طين»(١٤٨) ـ «إنا خلقناكم من طين لازب»(١٤٩) ـ «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين»(١٥٠) ـ «ولقد خلقنا الإنسانَ من صلصال من حمأ مسنون»(١٥١) ـ «خلق الإنسان من صلصال كالفخار»(١٥٢).

وتنتشر فكرة خلق آدم من تراب في الموروث البابلي والمصري والكنعاني. ففي الأسطورة البابلية يطلّ (مردوخ) أو (مردوك) الإله الأكبر وهو يفكر. لقد كانت الآلهة بحاجة لمن يصلي لها ويعبدها. وإذاً فلتكن المعجزة هي خلق الإنسان. انحنى مردوخ على الأرض وشرع يعجن التراب بدمائه ويصنع من الطين ناساً تقوم على خدمة الآلهة والصلاة لهم وعبادتهم. وهكذا خلقت البشرية(١٥٣).

وفي المعتقدات الأسطورية المصرية يظهر الإله ـخنوم ـ وهو يشكل أول رجل وأول امرأة على دولاب من فخار(١٥٤).

هذا ولا يزودنا العلم الحديث بنظرية أو حقيقة تثبت علاقة جسم الإنسان بتراب الأرض، ولكنه يقول لنا إن العناصر المكونة لجسم الإنسان هي نفس العناصر الموجودة في التراب(١٥٥).

ويقال «إن آدم خلق يوم الجمعة»(١٥٦). ويروى عن النبي (ص) أنه قال: «..وخُلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة»(١٥٧). وربما كان هذا أحد الأسباب التي تجعل ليوم الجمعة مكانة وقدسية هامتين لدى عامة المسلمين.

وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني «أن آدم كان رجلاً طويلاً، وكان أطول من أي شجرة نخل «لاحظ أن التشبيه الشعبي هنا لم يجعل آدم أطول من شجرة الحور أو الصنوبر، مما يوحي بأن جذور هذا المعتقد هي عربية صحراوية»(١٥٨). ويروى عن النبي (ص) أنه قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً»(١٥٩). كما يروى أنه «نفرت من طوله دواب البرّ فصارت وحشا من يومئذٍ»(١٦٠).

وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني، أن شعر آدم «كان طويلا وأن (خلفه) أي نسله كانوا أربعين ألف شخص»(١٦١)، وبأن الله تعالى كان «قد أرى آدم كل الرجال الذين سيولدون منذ ذلك اليوم إلى يوم القيامة»، وكانت طريقة ذلك بأن ملس الله على ظهر آدم (من حيث ستولد البشرية)، فخرجت آلاف بل عشرات آلاف الرجال من هناك. لا بد من الإشارة هنا إلى أن الناس في الوسط الشعبي يعتقدون بأن أبناء الرجل الذين سيولدون هم كائنات كامنة في ظهره. ويقولون: فلان في سنة كذا كان «في ظهر أبوه»، بمعنى أنه لم يكن قد ولد بعد(١٦٢)، كما يقولون كذلك: «وَلَدْ مِنْ ظهر أبوه» للإشادة بشخص ما وللدلالة على شجاعته وخصاله الكريمة التي ورثها عن أبيه. ولهذا المعتقد في رأينا جذور دينية إسلامية، لعلّ مردها بالتحديد قوله تعالى: «وإذْ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم»(١٦٣).

* آدم في الجنة:

وبعد أن خلق الله تعالى آدم وضعه في الجنة، ويقال «كان مكثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة وهو خمسمائة سنة من يوم كان مقداره اثنتي عشرة

ساعة، واليوم ألف سنة مما يعدّ أهل الدنيا ... »(١٦٤).

وفي القرآن الكريم: «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً»(١٦٥) ـ وقوله تعالى: «ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما»(١٦٦). وبعد أن أسكنه الله الجنة سمح له بأن يأكل من حيث يشاء، إلا شجرة واحدة بعينها، لكن «إبليس» أقنعه بفكرة تناول ثمار هذه «الشجرة المحرمة»: «وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى»(١٦٧) ـ «فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما»(١٦٨) ـ «فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما»(١٦٩)، وبذلك يكون آدم وحواء قد ارتكبا المعصية: «وعصى آدم ربه فغوى»(١٧٠) و «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجدْ له عزماً»(١٧١).

ويرمز الكتاب المقدس إلى «الشجرة المحرمة» بأنها «شجرة معرفة الخير والشر»، وبأن الله أمر آدم «أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر لئلا يموت موتاً،... ولكنه تعدى الأمر فحق عليه حكم الموت ولُعنت الأرض بسببه وحُكم عليه أن يأكل منها بالتعب كل أيام حياته وطرد من جنة عدن»(١٧٢).

والمعروف أن المفسرين ورجال الدين وشرّاح الكتب المقدسة (مسيحية وإسلامية) لم يتفقوا على تحديد تلك الثمرة أو نوع الشجرة المقصودة(١٧٣).

وكانت العقوبة التي وقعت على آدم عظيمة، إذ إنها قضت بخروجه من الجنة: «يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة»(١٧٤). إذن فقد «خرج آدم من الجنة بسبب ارتكاب خطيئة واحدة وهي أنه أكل من الشجرة المحرمة»(١٧٥).

* الهبوط إلى الأرض:

وهكذا أخرج آدم من الجنة، وأهبط إلى الأرض. وقد «اعتُبرتْ مدن الشام وقراها، مسرحاً لما لحق الخطيئة الأولى... فيقال: «إن آدم لما أخرجه الله من الجنة (نعيم عدن) سكن جبل حرمون ـ جبل الشيخ ـ وأن ولديه ـ قابيل وهابيل، أقاما طويلاً شرقي الفردوس في سهل البقاع. ويُستدل على صحة هذا التقليد اليوم من قبور هابيل وقابيل وشيث المقامة في المحل المشار إليه»(١٧٦).

ولقد أورد «زكريا القزويني» حكاية غريبة بسهل عكا في أطراف لبنان، فقال إن «بها عين البقر، وهي بالقرب من عكا، يزورها المسلمون واليهود والنصارى، ويعتقدون أن البقر الذي ظهر لآدم فحرث عليه لأول مرة، أخرج من هذه العين» وهي نفس العين التي سماها الفرنسيون بعد ذلك في القرن السابع عشر بـ«عين العذراء مريم»»(١٧٧). وذُكر «أن الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام ذروته من أقرب ذرى جبال الأرض إلى السماء، وأن آدم حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه في السماء»(١٧٨).

ويقال: «أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض، وكان مهبطه بأرض «الهند»»(١٧٩). وعن علي رضي الله عنه: «أطيب أرض في الأرض ريحاً أرض الهند، أهبط بها آدم، فعلق شجرها من ريح الجنة»(١٨٠). وقيل «أهبط آدم بالهند وحواء بجدّة، فجاء في طلبها حتى اجتمعا، فازدلفت إليه حواء، فلذلك سميت المزدلفة، وتعارفا بعرفات، فلذلك سمي عرفات»(١٨١). ويقال بأن آدم قد أهبط «على جبل بالهند يقال له بوذ»(١٨٢). وقيل إنه أهبط من الجنة في يوم الجمعة(١٨٣)، وبأن عمره عند هبوطه كان «ثلاثاً وأربعين سنة من سنينا وأربعة أشهر»(١٨٤)، وبأن الله تعالى عندما رأى عري آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل من الجنة، فأخذ كبشاً فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه هو وحواء، فنسج آدم جبة لنفسه، وجعل لحواء درعاً وخماراً، فلبسا ذلك»(١٨٥). وقيل «صنع الله أقمصة من جلد لآدم وحواء قبل طردهما من الجنة»(١٨٦).

ومما يذكر، أنه في المنطقة الوسطى من جزيرة «سيلان» جبل يقال إنه الجبل الذي أهبط عليه آدم من السماء. وهذا الجبل يُقَدَّس من جميع الديانات «البوذية والهندوكية والإسلام والمسيحية» في سيلان. وفي معجم البلدان «٣/٢١٦» أن في الجبل المذكور أثر قدم آدم عليه السلام، وهي قدم واحدة مغموسة في الحجر، طولها نحو سبعين ذراعاً»(١٨٧).

ومن الطريف أن نذكر أن أهالي جزيرة «ياب» في الفيليبين، يعتقدون أن العالم بدأ في «ياب»، وأنهم نسل آدم وحواء مباشرة(١٨٨). وقد ذُكر «أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة، فلما صار إلى

الأرض، ويبس الإكليل تحاتّ ورقه فنبت منه أنواع الطيب»[١٨٩]، وأنه «خرج من الجنة ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر... منها عشرة لها قشر وعشرة لثمرها نوى، وعشرة ليس لها قشر ولا نوى....»[١٩٠]. . «وبظاهر نابلس جبل، ذكروا أن آدم عليه السلام، سجد فيه»[١٩١].

وبخروج آدم من الجنة، وهبوطه إلى الأرض، تبدأ البشرية رحلة التعب والمعاناة، وفي الأسطورة الفلسطينية أن «رجلاً عمل سنوات طويلة في قطع الحطب، وعانى من هذا الشقاء الشيء الكثير، وبلغ به السخط على واقعه حداً جعله يقرر الإنتقام من آدم الذي أنجبه وتركه يعاني من متاعب الحياة. فأخذ يجمع الحطب ليحرق عظام آدم. وأرسل الله له ملكا نقله من حياته الشقيّة إلى بستان يشبه الجنة، واشترط عليه ألا يعترض على شيء، ولكن الرجل يخرق ذلك التابو ويعترض، فيعود الشقاء، ثم يلحّ في الرجاء ليعود إلى البستان، ويتكرر ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرةٍ يخرق الإنسان التابو. وعندما يرجو هذا الإنسان أن يُعاد إلى البستان للمرة الرابعة يقول له الملَك: «أبوك آدم أخطأ خطيئة واحدة، وأنت خطيّة في خطيّة، ظلك في هالهيش تاتموت»[١٩٢].

* موت آدم:

يروى عن النبي (ص) أنه قال: «فأكمل لآدم ألف سنة»[١٩٣]، وقيل إن عمره كله «كان تسعمائة سنة وثلاثين سنة»[١٩٤]، وقيل أيضاً إنه عاش «تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة»[١٩٥]. وفي رأي آخر أنه عاش تسعمائة وأربعين سنة[١٩٦]. وقال بعضهم «لم يمت آدم حتى بلغ ولده أربعين ألفا»[١٩٧]. ويروى أنه «مرض قبل موته أحد عشر يوما»[١٩٨]. وعن الطبري[١٩٩]: «لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفي الرحمن، فقبرته الملائكة وشيث وإخوته في مشارق الفردوس عند قرية، هي أول قرية كانت في الأرض. وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام ولياليهن.

ويقال إنه مات في يوم الجمعة[٢٠٠]. وفي أسطورة فلسطينية «أنه عندما كان

آدم على سرير الموت أرسل ابنه شيث إلى الجنة ليحضر له فرعاً من شجرة الحياة. وأحضر شيث الفرع ولكنه عندما عاد وجد أباه قد مات فزرع الفرع عند قبره. وذات ليلة حلم لوطٌ عليه السلام بأن الملاك يأتيه ويأمره بأن يأخذ جرة ويملأها بالماء ويسقي شجرة الحياة. وفي الصباح التالي ذهب لوط وحمل جرة ملأها بالماء، وأسرع إلى مكان الشجرة، فلقيه في الطريق حاج هندي مستلقياً على حافة الطريق وهو في الرمق الأخير، وتوقف لوط ليسقي الحاج الهندي جرعة من الماء، ودهش لوط عندما لاحظ أن الحاج الذي هو إبليس في الحقيقة شرب الماء كله. وعاود لوط الكرّة، فملأ الجرة بالماء، وللمرة الثانية لقيه حاج وقد تلف من العطش، وشرب الماء كله، وفي المرة الثالثة حصل الشيء نفسه، ولم يستطع لوط أن يسقي شجرة الحياة، وسقط لوط متعباً ونام»(٢٠١).

يروي الثعلبي أن جثمان آدم حُمل بعد الطوفان إلى بيت المقدس، متبعا في ذلك رواية نصرانية تقول إنه حمل من فلك نوح إلى الجلجلة (جلجثة) قلب الارض، حيث يقوم «معبد آدم» في كنيسة القبر المقدس(٢٠٢). وزعم بعضهم «أن آدم عليه السلام دُفن بمسجد الحنيف بمنى في الحجاز، وزعم آخرون أنه دفن في البيت المقدس»(٢٠٣).

ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني «أن قبر آدم موجود في الخليل، وهناك من يقول إن جثمانه مدفون ابتداءً من القدس حيث يوجد رأسه، وأما قدماه فهما في الخليل، وهناك من يعتقد العكس»(٢٠٤). ويقال بأن «آدم استيقظ عندما سقطت على جثته نقطة من دم المسيح عند صلبه»(٢٠٥).

إن آدم «يختص في العقلية الشعبية بكافة مظاهر التكريم والعظمة، وهو بطبيعة الحال يختص بطائفة من الأوليات، حيث كان أول من فعل كذا وكذا من الأشياء»(٢٠٦). ومن «مظاهر تكريم آدم -في رأي المعتقد الشعبي- أنه هو الذي بنى الكعبة. وهو الذي وضع الحجر الأسود في مكانه، وهو أول البشر في أداء فريضة الحج»(٢٠٧).

وبالرغم من أنه «يتبين من المأثورات الشعبية أن «أبونا آدم» كان مواطنا فلسطينياً(٢٠٨)، فإن عدداً كبيراً من الشعوب تعتقد بأن آدم مرتبط بأرضها ولادة

أو نشأة أو مماتا.

★ ★ ★

*حـــوّاء:

إن الإعتقاد الشائع في معظم الاوساط الشعبية، حول خلق حواء، يشير إلى أنها قد «خُلقت من ضلع آدم، وهي أنيسه الاول، فقد كان آدم يحسّ الوحشة عندما كان يمشي وحيدا في الجنة»(٢٠٩) ويقال إن حواء قد خاطبتْ خالقها عز وجل قائلة: «إلهي خلقْتني من ضلع أعوج، وجعلتني ناقصة العقل والدين والشهادة والميراث، وضربتني بالنجاسة، وحرمتني الجمعة والجماعات. وذكرتُ مشقة الحمل والولادة، فأسألك أن تعطيني مثل ما أعطيتهم، فقيل لها: قد وهبتُ لكِ الحياء والانس والرحمة، وكتبتُ لكِ من ثواب الحبل (!) والولادة ما لوْ رأيته لقرَّتْ به عيناك، فأيّ امرأةٍ ماتتْ في ولادتها، حشرْتُها في زمرة الشهداء. قالت: حسْبي يا رب»(٢١٠).

ومن الطريف «أن خلق حواء من ضلع آدم لم يسبب له أدنى ألم ولمْ يحس هو بذلك. ويعلق الثعلبي: «لوْ أولم آدم من ذلك لما عطف رجلٌ على امرأة»(٢١١). ويروى عن النبي (ص) أنه قال: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلقتْ من ضلع، وإنّ أعوَجَ شيء في الضلع أعلاه..»(٢١٢).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، كان الناس يعتقدون بأن حواء قد خُلقت من ضلع ادم الاخير. كما كان بعضهم يعتقد بأن حواء قد خرجت من فخذ آدم الايمن.

ويشير اسم حواء إلى الحياة والحيوات..(٢١٣). وربما سميت بذلك «لأنها أم كل حيّ»(٢١٤).

ويقال إنه «عندما غرّر إبليس بحواء فجعلها تأكل من الشجرة، فغرّرت هي بآدم، فأكل منها، قيل إن الله تعالى «قال: يا حواء أنت التي غرّرْتِ عبدي، فإنك لا تحملين حملاً إلا حملتِه كرْها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموتِ مرارا»(٢١٥).

ويقال بأن حواء عندما أكلت من الشجرة المحرّمة تسببتْ في إدماء تلك الشجرة[٢١٦]، وقيل بأن ذلك كان سبباً في معاقبتها بإدمائها هي الأخرى مرةً في كل شهر، من خلال دم الطمث (العادة الشهرية)[٢١٧].

توفيت حواء بعد آدم بسنة، كما يقول الطبري[٢١٨]، وبأنها دُفنت في بيت المقدس إلى جانب قبر آدم[٢١٩].



* هابيل وقابيل:

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، أن الله تعالى أراد «لحواء أن تنجب أطفالاً لها، أزواجاً، بحيث تلد في المرة الواحدة توأمين: إبناً وابنةً. وكان محظورا على التوأم الذكر أن يتزوج توأمه الانثى، بل كان يسمح له أن يتزوج من التوأم الانثى لأخيه، وكذلك كحد أدنى من القيود الإجتماعية في مسألة الزواج. وكان قايين وهابيل أول ولدين وُلدا لآدم وحواء مع أختيهما. وقد أمر آدم بوحي من الله، ابنه قايين أن يتزوج من أخت هابيل، ولكن هذا رفض أمر والده، لان أخته كانت أجمل من أخت هابيل. وأحس بالخسارة إذ يتزوج هو فتاة أقل جمالا من الفتاة التي يجب أن يتركها تتزوج أخاه. وهكذا قتل قايين أخاه هابيل. ومن أجل أن يتلافى الناس مثل هذه الاخطار والخصام العنيف حول امرأة، كان على كل النساء بعد تلك الحادثة أن يتحجّبن عندما يصلن سن البلوغ»[٢٢٠]. من هنا يتبين سبب الخلاف بين قابيل وهابيل، وبالتالي وقوع جريمة القتل الأولى. إلا أن المعتقد الشعبي الفلسطيني يحدد سبباً آخر لهذا النزاع، إذ «نرى آدم وقد طلب من ابنيه أن يقدما تقدمات لله، فقدم قايين ضمّة من أسوأ ما لديه من القمح، بينما قدم هابيل حَمَلاً من أفضل الحملان من ماشيته. وقد قبل الله تقدمة هابيل ولم يقبل تقدمة قايين. وغضب قايين فقتل أخاه»[٢٢١]. إن هذا المعتقد -كما هو واضح- يستند إلى أرضية دينية إسلامية، ففي القرآن الكريم ما يشير إلى أسباب القتل، في قوله تعالى: «واتْل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذْ قرّبا قرباناً فتُقُبـِّلَ من أحدهما ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر، قال لأقتلنّك، قال إنما يتقبل الله من المتقين»[٢٢٢].

وتقول «المرويات إن قايين لم يكن ليعرف الطريقة التي ينفذ بها جريمته. وتبرّع إبليس بالمهمة، والذي ظهر لقايين بشكل بشري، وأراه كيف يسحق رأس طير بين حجرين، وبعد ذلك ارتكب قايين جريمته. وبعد ذلك حمل قايين أخاه القتيل على ظهره وسار دون أن يدري ما يفعل بالجثة. وبعث الله غرابين، قتل أحدهما الآخر ودفنه بعد أن حفر له حفرة في التراب. وقلّد قايين العملية»(٢٢٣).

وتقول «أسطورة أخرى أن قايين ذُبح على يد Lamech بسهْم، عندما كان الأخير يصطاد في تل الكيمون قَرب كيشون في المنحدر الشمالي لجبل الكرمل»(٢٢٤).

ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن «قابيل» عندما قتل أخاه «هابيل» حمله على ظهره أربعين عاماً، لا يدري ما يفعل به، إلى أن رأى الغرابين اللذين قتل أحدهما الآخر، ثم دفنه في التراب.

ويروى أن المكان الذي قدم فيه هابيل وقابيل قربانهما، يقع في دمشق، حيث ينسب القزويني «لإحدى صخور دمشق الكبيرة، أنها كانت المكان الذي قدما عليه قربانهما إلى الربّ»(٢٢٥). وينتشر «بين سكان جبل قاسيون، شمال دمشق، إعتقاد بأن جريمة «القتل الأولى وقعت في أعلى قمم الجبل» وهناك حجر عليه مثل آثار الدم، اعتقد الدمشقيون القدماء في أنه الحجر الذي هشّم عليه الأخ أخاه، لذا سميت المغارة المجاورة لهذا الحجر «مغارة الدم»»(٢٢٦). وقيل إن دمشق بنيت «في نفس الحقل الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل»(٢٢٧).



* الملائكـــة:

الملائكة مخلوقات نورانية، كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون بأنهم قد خُلقوا من حجر كريم.

ويؤثر «عن عائشة، أن النبي (ص) قال: «خُلقت الملائكة من النور..» وكذلك ابن عباس، يرى أن الملائكة خلقت من نور وأسكنت السماء»(٢٢٨).

وقيل إن الملائكة خلقت يوم الجمعة، وقيل كذلك إنهم خلقوا يوم الأربعاء(٢٢٩)

وقد اتّسمت الملائكة بجمالها. وقد أشار القرآن الكريم إلى جمال الملائكة الذي يفوق جمال البشر بكثير، ففي حديث النسوة عن العلاقة التي كانت بين يوسف عليه السلام، وامرأة العزيز، عندما راودته عن نفسه «فاستعصم»، ما يشير إلى هذا الجمال الخلّاب: «فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعْتدت لهن متكأً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرْنه وقطّعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلاّ مَلَكٌ كريم»(٢٣٠).

والكثير من الملائكة «جميل الصورة جداً، حتى لا يستطيع الإنسان أو الملائكة الأخرى أن تنظر إلى نور حسنه الأخّاذ، فيضع برقعاً، أو يخفي وجهه بأحد الأجنحة لهذا الغرض»(٢٣١).

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن من الملائكة «من هو في السماء الأولى، وأشكالهم كأشكال البقر، ومنهم من يسكن السماء الثانية وأشكالهم كأشكال الصقور، ومنهم من يسكن السماء الثالثة وأشكالهم كأشكال النسور، ومنهم من يسكنون في السماء الرابعة وأشكالهم كأشكال الخيل... إلخ»(٢٣٢).

وهم يعتقدون أن الملائكة قادرون على التشكل بأشكال مختلفة، وإذا رأى أحدهم شيئاً غريباً فإنه يقرأ ما تيسر من القرآن الكريم، فإن ذهب هذا الشيء الغريب وتلاشى فإنه يفسر ذلك بأنه جنّي، فإن ظلّ في مكانه ولم يذهب فإنه من الملائكة، لأن الجان يهربون فوراً عند تلاوة آيات الذكر الحكيم، أما الملائكة فإنهم يحضرون أصلاً لسماع تلك التلاوة، ولا يغادرون المكان إلاّ عند إنتهائها.

ويروى أن جبريل تمثّل للنبي (ص) «بصورة دحية الكلبي، كذلك كان قد أتى مريم من قبله في صورة آدمي شاب وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلقة، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً»(٢٣٣). وقيل أيضاً «إن جبريل تمثل لأبي جهل بفحل من الإبل»(٢٣٤).

• علاقتهم بالبشـــر:

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني بأن هناك ملاكين لعيني كل إنسان، يحرسانهما من الأذى والضرر ويحميانهما من كل مكروه، وهم يقولون: «إلعين عليها ملك» أي لكل عين ملاكاً يحرسها ويدافع عنها ويردّ عنها الأذى،

فإذا ما تعرضت العين لضربة مباشرة، اتقاها هذا الملاك الحارس وردّها، وجَنَّب العين الضرر.

والفلسطينيون في الوسط الشعبي المسلم، يعتقدون، «بأنه في أول يوم من محرّم يقوم ملك طيب بزيارة كل بيت، ويكشف قِدْر الطبخ، وإذا وجد فيه شيئاً، يباركه بقوله: «إبقَ طوال العام»، لذلك يحاول كل شخص أن يطبخ أكلاً شهياً في ذلك اليوم»(٢٣٥).

وكانت الملائكة تمدّ المسلمين بالعون في بعض حروبهم ضد المشركين، ففي «حنين وبدر ظهرت الملائكة في صور مختلفة، تحارب مع المسلمين»(٢٣٦). وفي القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك: «ألن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين»(٢٣٧) ـ «ويمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين»(٢٣٨)، وفي آية أخرى: «فاستجاب لكم أني ممدّكم بألف من الملائكة مردفين»(٢٣٩).

ويمكن للملائكة أن تتنزّل على الناس، فلقد أشارت إلى ذلك بعض الآيات القرآنية: «ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده»(٢٤٠) ـ «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة»(٢٤١). والملائكة يتحدثون إلى البشر، ويخاطبونهم: «إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهّركِ»(٢٤٢) ـ «إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشركِ بكلمة منه»(٢٤٣).

وكان العرب في الجاهلية، يعتقدون بأن الملائكة كانت قد عشقت بنات قابيل بعد أن قام بقتل أخيه هابيل، «وأباحوا المعاصي والمحرمات، وتنسب الميثولوجيا العربية للقبائل العربية البائدة، أنها جاءت إلى الوجود بعد أن تزاوج الملائكة وبنات آدم»(٢٤٤). ويقول الجاحظ «وذكروا أن جرهماً كان من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم، وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل، كما صنع بهاروت وماروت»(٢٤٥). ومن هنا يتبين أن العرب كانوا أحياناً يعتقدون بذكورة الملائكة. إلاّ أنهم كذلك ـ وعلى الأغلب ـ كانوا يعتقدون بأنوثتهم، وفي القرآن الكريم بعض الإشارات الواضحة في هذا المجال: «وجعلوا الملائكةَ الذين هم عباد الرحمن إناثاً»(٢٤٦) و «إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الأنثى»(٢٤٧). كما اعتقدوا بأن

«الملائكة نساء مجنّحات»(٢٤٨).

وبعد ظهور الدعوة الإسلامية «نسمع عن سعيد بن المسيب وغيره «أنّ الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث، ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون»(٢٤٩).

كان العرب في جاهليتهم يعبدون الملائكة، وأحد الشواهد على ذلك «قولْ قرشي للرسول (ص): «نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله»(٢٥٠). وفي القرآن الكريم أيضاً ما يشير إلى ذلك: «ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون»(٢٥١).

ومن أبرز الملائكة المعروفين في الوسط الشعبي الفلسطيني، عزرائيل /ملك الموت، المكلف بقبض أرواح العباد. ويشكل مجرد ذكر اسمه نوعاً من الخوف في النفوس، لارتباطه بالموت وفراق الأهل والأحبة، ويتخيله الناس بصورة رجل ضخم الجثة طويل القامة، يظهر للإنسان المحتضر بصورة مخيفة جدا ترتعد لها فرائصه. ويقال بأن عزرائيل هو الذي أحضر التراب الذي خُلق منه الإنسان، وبأنه كوفىء على ذلك «بأن جعله الله ملاك الموت يقبض أرواح كل المخلوقات»(٢٥٢). ولعزرائيل «أعوان بعدد من يموت. وهو رفيق بأهل التوحيد، يقبضهم بيمينه فى حريرة بيضاء مغموسة فى المسك. وأما أهل الكفر فبشماله، في سربال من قطران»(٢٥٣). وتشير بعض آيات القرآن الكريم إلى أن لعزرائيل أعوانا من الملائكة، تساعده في مهمته: «إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم»(٢٥٤) و «ولو نرى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم»(٢٥٥) و «والذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم»(٢٥٦).

إلا أن قبض الأرواح نفسه، كان قد كُفِلَ به عزرائيل بالذات: «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِلَ بكم»(٢٥٧).

ويعتبر جبريل من أبرز وأهم الملائكة، وقد قيل «بأن له ستمائة جناح»(٢٥٨). وربما كان كل الملائكة مجنّحين، ودليلنا على ذلك قوله تعالى: «الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع»(٢٥٩).

وجبريل في الأساطير الرومانية «هو أحد الملائكة السبعة الذين يتقدمون عرش الربّ»[٢٦٠]. ويظهر جبريل «في الفولكلور الإنكليزي مسبوقاً بكلاب شرسة تسمى «كلاب صيد جبريل»، ومهمتها أن تعض وتؤذي الأرواح الشريرة في صعودها خلال السماء»[٢٦١].

ومن الملائكة البارزين في الذهنية الشعبية الفلسطينية، منكر ونكير، اللذان يسميهما الناس: «ناكر ونُكير»، وهما مكلّفان بسؤال الأموات في القبور، حيث يعتقدون أن هذين الملكين يظهران للميت بأبشع الصور وأفظعها، لا سيما إذا كان الميت من الفاسقين الكفّار.

وكان العرب المسلمون يصفون هذين الملكين بأنهما: «أزرقان أفرقان، لهما أنياب وأشكال مزعجة، وأصوات مفزعة»[٢٦٢].



* الجن: (الجان):

تعني كلمة «جان»، «كل شيء لا يُرى ولا يُلمس»[٢٦٣]. والجني في اللغة نسبة إلى «الجن» أو إلى «الجِنّة»، والجان اسم جمعٍ للجن. وتسمى «الأرواح الشريرة أو الأرواح القذرة في العهد الجديد بالجان... إنها أعداء الله. ولكونها لا تستطيع أن تفعل لله شيئاً، لذلك فهي تحاول دائماً الإساءة إلى الإنسان الذي خُلق حسب إرادة الله»[٢٦٤].

ويروى أن هناك «قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وسُمّوا الجن لأنهم خُزّان الجنة»[٢٦٥].

والجني «كما هو واضح من الإشتقاق اللغوي، حارس الجنة، ومنه يتواتر الجنون. وهو عادة ما يسكن كشيطان شطآن البحار والمستنقعات وآبار الماء، بل والرأس، مسببا الجنون»[٢٦٦].

وحسب المعتقدات الشعبية، فإن الجن، بشكل عام «مؤذية شريرة، تجلب النحس والمرض والفشل وتنشر الرعب»[٢٦٧]. ويمكن «أن نعتبرها جميعاً نوعاً واحدا من حيث هي مخلوقات غيبية، غير مادية، من طبقة غير طبقة البشر،

وغير طبقة الملائكة، وأنها على خلاف الملائكة مثلاً ـ التي تحيا في تسبيح ربها وتنفيذ أوامره ـ ذات صلة أوثق بحياة الناس، ورابطة أقوى بجوانب حياتهم المختلفة»(٢٦٨). ويُعتقد بوجود «نوع من الجان قلما يؤذي الناس، وهم إذا خَطفوا الأطفال، فإنهم لا يمسّونهم بأذى، وإذا أسيئت معاملتهم، فإنهم يغضبون ويُتلفون الزروع ويحرقون الدور، ويميلون بطبعهم إلى المرح والمداعبة ويحلبون البقر ويعدّون الطعام. ومنهم فئة تعطف على الفقير فتحمل له الطعام وتملأ كيسه بالدراهم وتعطي اللعب والهدايا للأطفال وتفسد السحر الضار وتقضي على ما دبَّر الساحر»(٢٦٩).

رجح بعض الدارسين «أن هذه الكائنات ربما كانت امتداداً للخيال الشعبي من أرواح الموتى أو الموتى أنفسهم، ذلك لأنها توجد في باطن الأرض عادةً، ولأنها تضطر إلى العودة إلى مقرها ذاك عند طلوع الفجر»(٢٧٠).

والجان «كائنات غير منظورة، موجودة في المعتقدات السابقة للأديان، تتشكّل وتتزيّا حسب الظروف، أي أنها تكبر فتبلغ عنان السماء، وتصغر فتحصر نفسها في نقطة ماء أو نقطة حرف، تتجسّد في فأرة أو في فيل...»(٢٧١).

ووفق المعتقدات الشعبية، فإن الجن «ثلاثة أنواع: نوع على الأرض وآخر في البحر، والثالث في السماء»(٢٧٢).

والجن في المعتقد «البابلي والآشوري.. عبارة عن كائنات وسيطة بين مستوى الآلهة الرفيع ومستوى البشر. وهي كائنات غامضة تحوطها الأسرار ويصعب وصفها وصفاً دقيقاً. ومن هنا نجد أنها لا تظهر في الغالب بصورة مشخَّصة بقدر ما تظهر بما تحدثه من مؤثرات ملموسة للبشر. وتعتبر هذه الأرواح في بعض الأحيان أبناءً للإله أنو Ano وأحياناً أخرى تنسب إلى إيا Ea، وأحياناً إلى نيرجال Nergal ولكنها في الغالب أياً كان نسبها أو قرابتها الروحية، عبارة عن رسل الآلهة»(٢٧٣).

وفي الأساطير اليونانية تعتبر الأرواح «كائنات جنيّة خفية ومؤثرة، وتُعدّ ذات طبيعة إلهية سرّية جاءت من العالم الآخر، وذات تأثير حسن أو سيء على

سلوك البشر »[٢٧٤].

والجن عند أهل الكلام والعلم عند العرب «منزلون على مراتب، فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جني، فإذا أرادوا أنه ممّن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عمّار. فإذا كان ممّن يعرض للصبيان قالوا أرواح، فإن خبُث وتعزّم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا عفريت، والجمع عفاريت»[٢٧٥].

ويروى عن ابن كثير، «أن الجان خلقوا من النار وهم كبني آدم، يأكلون ويشربون ويتناسلون»[٢٧٦].

وينسبون إلى النبي (ص) «أحاديث يؤخذ منها أن الجن أصناف: منها ما هو كالريح يطير في الهواء وبأجنحة، ومنها حيوانات كالحيات والعقارب وخشاش الارض، ومنها ما يحلّ ويظعن كالآدميين، وعليهم الحساب والعقاب»[٢٧٧].

والجن، كما جاء في الأخبار «هم سكان الارض قبل النوع البشري، أربعون فرقة، كل فرقة ستمائة ألف،.... أكثروا في الارض فسادا وثاروا على الآلهة، فلاحقتهم الملائكة وحاربتهم، ثم شتتتهم وطردتهم إلى أطراف الجزائر في البحور بعد أن أسرت منهم الكثير. كل ذلك وآدم لم يُخلق بعد، ولم يسكن الارض»[٢٧٨].

وفي بعض الاقطار العربية هناك إشارة «الى ملك الجن الاحمر، أو «الاحمر» فقط، الذي يعد أحد ملوك الجن السبعة، والذي يأتمر بأمره نفر كبير من **الجن الحمر** الذين يعدّون أشر أنواع الجن، وأكثرهم أذى، وأشدّهم خطرا»[٢٧٩].

وعن وهب بن منبه «حين سئل عن الجن ما هم؟ وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتوالدون؟ فقال: هم أجناس: «خالص الجن ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون، وجنس يأكلون ويشربون ويتناكحون، منهم السعالى والغول والقطرب وغيرهم»[٢٨٠]. وفي القرآن الكريم ما يشير الى أن الجن هم مخلوقات شفافة، يرون الناس، لكن الناس لا يستطيعون رؤيتهم: «إنه

يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم»(٢٨١). كما يشير القرآن الكريم إلى أن الجن يمارسون الجنس كالبشر: «فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان»(٢٨٢).

تؤكد المؤلفة البريطانية «مارغريت موراي» وجود الجان وحقيقتهم الإنسانية فتقول: «إن هؤلاء الجان ليسوا أولئك الأقزام الصغار أصحاب أجنحة نسيج العنكبوت التي تمتلىء بهم حكايات الأطفال، بل إنهم مخلوقات من لحم ودم، وأقعوا الكثير من الخوف والرعب في أوساط الطبقة الغنية من سكان الريف»(٢٨٣). وتقول هذه المؤلفة: «ليس من النادر العثور في وثائق العصور الوسطى أو ما بعدها بقليل، على أوصاف للجان تعتمد على شهادة الرؤية بالعين، ففي إيرشايد -مثلاً- رأت بيسي دنلوب ثمانٍ من نسائهم وأربعةً من رجالهم، وكان الرجال يرتدون ملابس محترمة، أما النساء فكن يلتحفن بخرق بالية، وأما تصرفاتهن فكانت غير محترمة»(٢٨٤).

وفي المعتقدات الشعبية «إذا تعثر الإنسان في الظلام فالسبب يعزى إلى مشْيِهِ فوق جني» مما يشير -وفق المعتقدات- إلى حقيقة وجود هذه المخلوقات. وعلى العموم فإن «هذه الكائنات، يعتقد الناس بوجودها في العالم القديم: آسيا أفريقيا وأوروبا، وفي العالم الجديد في الأمريكيتين. ويبدو أن الإعتقاد بوجودها ثمرةٌ ثقافية لها حظها من الرقيّ»(٢٨٥).

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن من الإنس المنبوذين من الجنة جزءاً أصلهم جان(٢٨٦). كما كان بعضهم يعتقد «أن قسماً كبيراً من «الجان» هم أولاد حواء، ولذلك هم إخوان الإنس، ويقال إن حواء كانت تلد كل مرةٍ أربعين طفلاً، ولخجلها لأنها لا تستطيع أن ترضع الجميع، كانت ترمي نصفهم. وعندما كان آدم يسألها: كم طفلاً وهبك إلهك، أجابت: عشرين، وأنكرت الآخرين. ولأن آدم لم يصدّق أقوالها، فقد ابتهل إلى خالقه أن يسمح للآخرين بأن يسكنوا الأرض، وأن يظهروا في الليل عندما ينام إخوتهم على ظهر الأرض. وإذا اعتمدنا هذه المعتقدات، نستطيع أن نجيب على بعض الإستفهامات حول خطر الليل وظهور الجان يوم الجمعة. لأن حواء تشتاق

لأطفالها المرميين وتزورهم بين الحين والآخر. لأنها لم تجرؤ أن تناديهم في الأيام العادية خوفاً من آدم الذي اكتشف كذبها، كانت تناديهم يوم الجمعة، في تلك الجمعة التي كان فيها زوجها يصلي لربه ويرجع لبيته بعد الظهر»[٢٨٧].

ووفق المعتقد الشعبي الفلسطيني، فإن الجن قد خلقوا من النار،. ويستند هذا المعتقد كما يبدو إلى أرضية دينية إسلامية، حيث تشير بعض الآيات القرآنية الكريمة إلى مصدر خلق الجان: «والجان خلقناه من قبل من نار السموم»[٢٨٨] و «وخلق الجان من مارج من نار»[٢٨٩]. كما يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، إن الجن قد خلقوا من «نار بلا دخان»، ويدعي المفسرون، أنه يعنيٰ بذلك لهيب النار، وألسنة النار التي تدخل خلال مسامات الجلد. وهذا الإعتقاد الذي ينسب للعرب، يوضح أن الله خلق الناس من طين والملائكة من النور والجان من النار»[٢٩٠]. والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، كانوا يعتقدون «أن الجن مخلوقة من نار السموم، وهي نار تنقصها الحرارة كما ينقصها الدخان»[٢٩١].

وكان العرب في الجاهلية يعتقدون أن «المواد التي خُلق منها الجن هي النار، والدخان، والتراب»[٢٩٢]. كما أن الجن في «العقيدة الجاهلية خُلق من بيضة كما قال المسعودي»[٢٩٣].

وحسب المعتقدات الإسلامية، يتكون قسم من «الجان» من ملائكة منبوذة كانت في البداية في خدمة الله. بعدما خلق الله آدم، تكلم إلى الملائكة وقال: «ارموا أنفسكم أمام آدم» رفض «إبليس» أن يطيع وقال: «أنا أحسن منه»، لقد خلقتني من نار وخلقته من طين. عندها طرده الله من الجنة ولعنه في العذاب الأبدي. وهذا التطور الفكري موجود أيضاً في العهد الجديد.. يلاحق «إبليس» وخلفَه الإنس ليُلحقوا بهم الضرر لأنهم كانوا سبب اللعنة»[٢٩٤].

وفي المعتقدات الشعبية أن للجن قدرات خارقة، فهم يستطيعون القيام بأعمال، لا قدرة للإنسان على بلوغها. ويعتقد المرء في الوسط الشعبي الفلسطيني «أن كل حدث لا يستطيع تفسيره بحواسه الخمس، لا بد وأن يكون مستحدثاً من قوى فوق طبيعية. ويستطيع في الأحوال القليلة رؤية هذه القوى السرّية، وفي

الأحوال الأقل يحسّ بها، ولكنه في كثير من الأحوال يسمع صوتها»(٢٩٥).

ويزعم العرب «أن الجن تفعل كثيراً مما يفعله الناس، فمثلاً نسبوا إليها أنها بنت «تدمر»»(٢٩٦).

وفي القرآن الكريم ما يشير إلى القدرات الخارقة التي يتمتع بها الجان: «قال أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقوي أمين»(٢٩٧). وهناك من أفراد الجن من هو أقوى من هذا وأقدر وأسرع: «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»(٢٩٨). وكان العرب يعتقدون «أن كل شيء مخيف أو صوت غريب، أو بناء عظيم يستلفت الأنظار، كان متعلقاً بالجن»(٢٩٩).

وبشكل عام، فإذا «استوطن الناس بلاداً جديدة، ووجدوا فيها آثاراً شاهقةً بناها أهلها الأقدمون، عزوا هذه الآثار -من تلقاء أنفسهم- إلى الخوارق، أو ردّوها إلى الجبابرة العتاة، أو نسبوها إلى الشياطين والمردة، أو عزاها أهل الشرق إلى الجان»(٣٠٠).

ويعتقد فلاحو مصر المحدثون أن الأهرامات هي من عمل الجن(٣٠١)، «وأن أطلال محارق الجير الرومانيّة في رأي الفلاحين الألمان هي من صنع الشياطين»(٣٠٢).

من المعروف من وجهة نظر المعتقد الشعبي، أن الجن «تستطيع إخفاء نفسها عن أنظار البشر عندما تريد»(٣٠٣)، وأن من خصائص الجن «القدرة على قطع المسافات الطويلة في زمن قصير، هذا علاوة على عدد لا يكاد يقع تحت حصر من الصفات»(٣٠٤).

ويستطيع الجان التشكل بأشكال عديدة متنوعة ومختلفة. ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن الجنيّ «له أشكال عدّة، ويستطيع أن يتخذ أو يتقمص صوراً لمخلوقات عديدة، كالإنسان والحيوان والجماد، فيأخذ شكل إنسان يؤدي عمل إنسان، وشكل حيوان كالخروف أو الحمار. ويأخذ شكل وعاء زيت قديم يقال له «عكه» وغير ذلك. أما الصورة الواضحة لهم فهي التي يظهرون

فيها بصورة إنسان»[٣٠٥]. وهم يعتقدون كذلك، أن الجان الشريرين «يظهرون بأشكال مختلفة، فالبعض لهم شكل الحيوانات كالماعز والديك والدجاجة والفرخة والكلب والجمل والغزال والحمار والغنم والفأر والقرد أو الثعبان، والبعض يتخذ شكل الزنج أو الزنجيات، والبعض يظهر في شكل الغول أو الغولة أو المارد»[٣٠٦]. ويعتقدون أن «الأرواح التي تظهر على شكل حيوانات فهي غير ضارة بالضرورة، فقد لا يلتفتون إلى الناس، أو قد يكونون طيبين، فإذا ظهرت الأرواح باللون الأبيض فهي خيّرة ما عدا الجمل الذي يمثل الشؤم في تفسير الأحلام عند الفلاحين، أما الأرواح السوداء فهي ضارة ومؤذية للغاية»[٣٠٧]. وهناك «نوع وسط، وهو النساء اللاتي يظهرن على شكل عرائس، وهذه العرائس تكون في كامل زينتها وفي منتهى الجمال، ولها مظهر جذاب للغاية، وغالباً ما يجلسْنَ على حافة بئر أو ينبوع، فيسرّحن شعرهن المتدلي على الصدر أو الكتفين، ولهذه الإناث ميل خاص نحو الناس، فيتبعنهم راجين العيش معهم، فيعذِن الرجال بالراحة والمال، أمّا نحو النسوة فهنّ فظّات الطبع غليظات»[٣٠٨].

ومن وجهة نظر المعتقد الشعبي، فإن الجان كثيراً ما يتّخذون «هيئة الحيوان، وخاصة القطط والكلاب. وما يزال المعتقد الشعبي في كثير من الأقطار العربية وخاصة في فلسطين ومصر، ينظر بعين الريبة إلى هذين النوعين من الحيوان، خاصة إذا صادفها الشخص وهو يسير ليلاً بمفرده أو إذا بدرت منها تصرفات غريبة أو إيماءات أو إشارات غير معهودة»[٣٠٩] ويتعزّز خوف المرء في الوسط الشعبي الفلسطيني من القطط والكلاب ليلاً إذا كانت سوداء اللون، لاعتقاده بأن الجان يتخذون تلك الهيئة، ويظهرون لبني البشر بصورة كلب أسود أو قط أسود، لذلك فإنهم يتورّعون عن ضرب هكذا حيوانات أو إيذائها كي لا يتعرضوا هم لأذاها، لا سيما إذا كانت من الجان الكافرين الشريرينأو المجوس الذين يمتازون بالأذى وإلحاق الضرر البالغ بالآدميين. «لأن السواد في رأي صاحب آكام المرجان: «أجمع للقوى الشيطانية من غيره»»[٣١٠].

إن أشهر الصور «التي تظهر بها الجن في الثقافة العربية الجاهلية هي

صورة الثعابين. ويصل الامر إلى حدّ أننا نجد الثعبان نفسه يمكن ان يسمى «الجان» أو «الغول»»(٣١١). وقد يبدو الجني أحياناً «في هيئة إنسان يتميز بعيون من نار، تلمع متوهجة في الظلام»(٣١٢).

وفي المعتقدات الشعبية لدى البابليين والآشوريين، نجد أن «أشهر الصور التي تتشكل فيها هي صور: الثيران، والفهود، والحيات، والعقارب، وبعض أنواع الطيور»(٣١٣). «ومن العناصر التي تفصح عن أصلها الفارسي بشكل مؤكد تصوير الجان الإناث في صورة حوريات. إذ نفاجأ بأن الجنيات لم يعدْن أرواحا شريرة مشوهة الشكل قبيحة الخلقة، وإنما هي حوريات حسناوات ساحرة الجمال تأخذ بلبّ الرجال. كما يلفت النظر أن العفاريت الإناث هي جان خيرة طيبة دائما، تظهر في صورة نساء جميلات، في حين أن الجان الذكور هم الأرواح الشريرة المؤذية، فقط»(٣١٤).

تصف بعض المعتقدات الشعبية الجان بأنهم «سود، حفاة، مشققو الأعقاب، وينبت على أجسادهم شعر طويل»(٣١٥).

وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني، «أن عيون الجن مشقوقة طولانيا «بعكس وضع عيون الإنسان، وهذه من العلامات المميزة لهم. أما أقدامهم فتشبه حوافر الحيوانات، خاصة الحمير، وتظهر لمعانا في الليل... ويقال أيضا أن أجسامهم مكسوّة بالشعر الغزير الذي يشبه شعر الغنم والذي يكسو أجسام الجن الذكور والإناث»(٣١٦). كما أن عيون «الجن ذات بؤبؤ عمودي وليس أفقيا كما هو الحال عند البشر»(٣١٧) ومن طبائع الجن «أنهم يشغفون بأن يجذبوا الأحياء إلى أسفل، حيث توجد مساكنهم المظلمة»(٣١٨).

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن الجان مغرمون «بموسيقى اليرغول»(٣١٩)، وبأنهم يعشقون كذلك صوت الصفير، حيث يجتمعون إليه، لا سيما في الليل. لذلك فإنهم يمنعون أولادهم من إحداث الصفير ليلا، لإعتقادهم أن الجان في هذه الحال يؤذونهم عند حضورهم لسماع الصفير. كما يعتقدون أن نساء الجان تحبل «وتلد، وتقوم امرأة بمساعدة المرأة الوالدة، وتقوم القابلة بتكحيل عيني المولود والوالدة بعد الولادة، وتجتمع النساء ساعة الولادة حول المرأة التي يجيئها المخاض، تماما كما يحصل في حياة

الفلاحين»(٣٢٠). وهم يعتقدون أيضا «أن قشرة البصل هي ذهب الجن وقشرة الثوم فضتهم»(٣٢١). وفي إعتقادهم أن الأرواح الطيبة من الجان لا تدخل بيتا فيه كلاب أو أجراس أو صور.

والجان -حسب المعتقدات الشعبية- يسترق بعضها السمع على ما يدور في السماء «لكي تعرف ما يحدث للبشر في مستقبلهم وما سيكون أمر العالم» وهي في محاولتها هذه تقابل بمحاربة عنيفة من الملائكة الذين يحرسون السماء، فيدفعونها بعيدا عن السماء بقذفها بالحجارة أو الشهب»(٣٢٢). وكان الناس يعتقدون أن عددا من الجان «يُقتلون بالشهب التي ترجمها بها السماء، ولذلك فإن العرب عندما يرون شهابا منقضّاً، غالبا ما يهتفون: «اللهم ارجمْ أعداء الدين» »(٣٢٣).

وفي القرآن الكريم ما يشير إلى الجان الذين يسترقون السمع: «إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين»(٣٢٤) و«إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب»(٣٢٥) -«فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا»(٣٢٦) و«وأنا لمسْنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشُهبا»(٣٢٧).

تشير المعتقدات الشعبية إلى أن طعام الجان هو من نوع خاص وبأن «المخلوق الذي يتناول طعام هذه الكائنات لا يستطيع البقاء في عالم الأحياء»(٣٢٨). ويذهب الباحثون من «مقارنة نماذج قديمة من حكايات الجان إلى أن أقدم الأطعمة المعروفة عند الإنسان والتي يتناولها الجان إنما كانت التفاح والأنبذة»(٣٢٩). ومن المألوف «إلى الآن أن بعض الأسر تترك فضلة من طعامها في المطبخ أو في مكان آخر تعيّنه، للجان، ويجب أن يخلو هذا الطعام من عنصر الملح، لأن الجان يكرهونه»(٣٣٠). وتقترض «الجنيات بعض الطعام من الإنسيات، وهنّ يحرصْن على ردّ ما اقترضْن، دائما. وإذا امتنعت إنسية عن إقراض جنّية ما تطلبه من طعام، فمعنى ذلك الخصومة والعداء، ولها عواقب وخيمة في جميع الأحوال. ولا يزال الفلاحون وبعض سكان المدن يتحرّجون من استعادة الطعام الذي يسقط على الأرض»(٣٣١). وفي مصر فإن «بعض الفلاحين يترك القطرات الأولى من لبن البقر أو الجاموس أو الماعز، تتساقط على الأرض، لتكون من نصيب الجان»(٣٣٢). وكان البابليون

يعتقدون، أن الطعام المفضل لهذه الكائنات، هو الدم وخاصة الدم البشري[٣٣٣].

أما عن لغات الجان، فهناك «كثير من الشواهد على أنهم يتكلمون لغات غير مفهومة، أو معروفة لنا، ومع ذلك تنقل لنا كتب التراث عنهم كلاما وحوارا كثيراً باللغة العربية»[٣٣٤].

كان الناس قديماً يعتقدون «أن ثروات العصور الغابرة مخبأة كلها تحت الأرض وأنها محفوظة بصنيغ سحرية معينة، ويقوم على حراستها حُرّاس أشدّاء (من الجن والمردة)، وأنه من الممكن الحصول على تلك الكنوز بمجرد معرفة الأسرار (السحرية) التي تحفظها، وكشفها، وكيفية السيطرة على الحارس عليها»[٣٣٥]. يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن للجان كحُلاً، إذا اكتحل الإنسان بشيء منه «فإنه يقدر على رؤية «أهل الأرض»»[٣٣٦].

ومن المعتقد أن للجان ديانات مختلفة، فمنهم المسلمون «الرحمانيون»[٣٣٧] ومنهم المجوس، ومنهم الكفار. وكان منهم من يعادي الأنبياء والرسل: «وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شياطين الإنس والجن»[٣٣٨]. وكان الله تعالى يبعث برسل من الجان إلى قومهم الجان، تماماً كالبشر: «يا معشر الجن والإنس ألمْ يأتكمْ رسل منكم يقصون عليكم آياتي»[٣٣٩]. وهناك من يقول «إن نبيا اسمه يوسف قد أرسل إلى الجن، وآخرون يقولون بل لديهم فقط وُعَاظ ومنذرون، وقالوا أيضاً إن سبعين نبياً قبل محمد (ص) قد أرسلوا إلى الجن والإنس على السواء»[٣٤٠]. فالمؤمنون منهم يدخلون الجنة، والكافرون إلى النار: «قال ادخلوا في أمم قد خَلَتْ من قبلكم من الجن والإنس في النار»[٣٤١]. وفي عهد النبي (ص)، آمن به العديد من الجان، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم: «إنا سمعنا قرآناً عجباً، يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً»[٣٤٢]. إذن فمن الجن من آمن ومنهم من كفر، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك: «وأنّا مِنّا الصالحون ومنا دون ذلك كُنّا طرائق قدداً»[٣٤٣]. والجن المؤمنون «الصالحون يؤدون ما عليهم من فروض دينية، وبخاصة إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام خلال شهر رمضان، والحج إلى مكة وصعود جبل عرفات، إلا أنهم في أداء هذه الواجبات لا يظهرون للبشر،

فهم غير مرئيين»(٣٤٤).

وكان «الكلدانيون فلاسفة وكهنة حرّان يقولون بأن للجن إلهاً، يضحّون له بنحر الخرفان»(٣٤٥).

يصنف الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، الجان من الناحية الدينية وفقاً للملابس التي يرتديها أفراد الجان، «فالذين يرتدون اللباس الأحمر هم كفار، والذين يرتدون اللباس الأخضر مؤمنون، أما من ظهروا بلباس أبيض فهم من المتديّنين والصالحين»(٣٤٦). وهم يعتقدون أن الجان «المؤمنين لا يضرّون بني الإنسان، أما الكفار فلا يهمهم ذلك»(٣٤٧). ويستند المعتقد الشعبي في ذلك إلى القرآن الكريم الذي يشير إلى «أن بعضاً من الجن قد دخل الإسلام: هذا يعني أنها أصبحت أرواحاً طيبة ومؤمنة. وتسمى الأرواح الطيبة بـ«الأرواح السماوية» أو «الأرواح العلوية» و«الأرواح الرحمانية» وتدل كل هذه التسميات على مصدرها السماوي. فهي خدم الله لتنفذ ليس أوامره فقط، بل لتحفظ الناس كذلك من كل سوء، وتعطي لكل طفل ملكاً طيباً يرافقه منذ ولادته ليحميه من العفاريت الشريرة»(٣٤٨).

وكان «هناك إعتقاد أكيد في أن «طينة» الجن أرفع منزلة من تلك التي صيغ منها الإنسان القديم، وعلى هذا فقد عبدوا الجن، وأحلّوهم محل الآلهة منذ فترات مبكرة جداً»(٣٤٩). وقد عُرفت عبادة الجن عند العرب، فهناك «بعض الأفراد وبعض القبائل التي كانت تعبد الجن»(٣٥٠). كذلك فقد «كانت بنو مليح من خزاعة -وهم رهط طلحة الطلحات- يعبدون الجن»(٣٥١). وهناك إشارات عديدة في القرآن الكريم، إلى أن عبادة الجن كانت معروفة في المجتمع العربي الجاهلي، منها قوله تعالى: «قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن»(٣٥٢) وقوله تعالى: «وجعلوا لله شركاء الجن»(٣٥٣).

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني كانوا يعتقدون أن الجان قد خُلقوا قبل آدم(٣٥٤). وفي المعتقد الشعبي الإسلامي ما يؤيد ذلك، حيث يقال «إنهم خُلقوا قبل آدم ببضعة آلاف من السنين»(٣٥٥). كما تشير بعض المعتقدات الشعبية الإسلامية إلى أن الجن قد خُلقوا يوم الخميس(٣٥٦). لذلك فلا عجب من أن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني كانوا يحذرون من صفع الأطفال على

وجوههم يوم الخميس ليلة الجمعة، لاعتقادهم أن الجان يكثرون في تلك الليلة

* علاقة الجن بالبشر:

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن للجان علاقة وطيدة ببني البشر، فمنهم من يساعد الناس ويمدّ لهم يد العون، ومنهم من يؤذي البشر ويلحق بهم الأضرار البالغة، وهم كذلك يخطفون الآدميين، ويروي «هانوور قصة ولدٍ من العيسوية(٣٥٧) اختطفه الجان عندما كان ذاهباً للمساهمة في جني المحصول، إلى الشمال من جبل الزيتون. وظل عندهم مدة تسع سنوات، وساهم في كل غزواتهم وسرقاتهم. وذات يوم كان يقف بالقرب من نبات الفجيم عندما صرخ به الجن لا تملأ يدك من هذا النبات، ولكنه رغبةً منه في الخلاص من الجن ملأ يده من هذا النبات، وحين ذلك اختفى كل الجن، وتمكن من العودة إلى أهله»(٣٥٨).

وقد تتطور العلاقة ما بين الإنسي والجني إلى علاقة أخوّة، ونتيجة لهذه العلاقة، فإن الجني -وفق المعتقد الشعبي الفلسطيني- يحقق لأخيه الإنسي عدداً من المطالب، ويمدّه بالعون، وقد تكون هذه المساعدة متبادلة. ويترتب على علاقة المؤاخاة بين الإنسي والجني أن يحلّ الجني في جسم الإنسي، لذلك فإن الشخص «المخاوي» تعتريه حالات عصبية وحركات لا إرادية مفاجئة، تشير للناس بأن هذا الشخص «مخاوي». والشخص المخاوي قد يكون رجلاً أو امرأة. وقد أورد بعض الباحثين أن «مِمَّن تُرَدُّ شهادته في مذهب الشافعي ولا تسلم عدالته مَنْ زَعَمَ أنه يرى الجن عياناً، ويدّعي أن له منه إخواناً»(٣٥٩).

وفي الذهنية الشعبية الفلسطينية «أن الجان يسعون باستمرار لمشاركة الإنسان في رزقه ومعيشته، فهم يشاركونه طعامه كلما جلس إلى طعام، ويأخذون جزءاً من حبوبه وطحينه وغلاله.. إلخ. ولا يحدث هذا إلا إذا نسي المرء البسملة قبل أن يبدأ بتناول الطعام، أو إذا نسيها قبل اغتراف الطحين أو الحبوب، وفي هذه الحالات، فإن الطعام ينقص وبالتالي فإن المرء لا يشبع، وكذلك فإن الطحين ينقص والحبوب.. ومن أجل ذلك كله، يحرص الإنسان في الوسط الشعبي الفلسطيني على البسملة، أي أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم،

كلما جلس إلى طعام وكلما اغترف من حبوب أو طحين.. إلخ».

والجني قد يضرب الإنسان على وجهه (فيقلب له نيعه)، لذلك فإن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يفسّرون اللّقوة التي تصيب وجه الإنسان فتسبب له ارتخاء عضلات الوجه، بأنها ربما كانت من تأثير ضربة من ضربات أحد أفراد الجن. وقد يصل إيذاء الجان للبشر -في المعتقد الشعبي الفلسطيني- إلى درجة المسخ، حيث يعتقدون أن الجان يمكن أن «تمسخ البشر أحياناً إلى كلاب»(٣٦٠). كذلك فهم يخشون «أفرادَ الجن لأمر آخر غير المسخ واللّمس، وهو تبديل الأطفال، فهم يتحدثون أن المواليد الصغار إذا كانوا على حالٍ من الوسامة، فإنهم يُزَيِّنون في عيون الجنيات، فتأتي الجنّيات بأبنائهن ذوي المناظر القبيحة، ويضعنهم مكان أطفال الإنس، ويأخذْن هؤلاء الأطفال»(٣٦١).

وقد تكون العلاقة بين الجان وبني البشر من نوع آخر، ففي بعض الحالات تكون هذه العلاقة من نوع الممارسة الجنسية بين جني وإنسيّة، أو بين إنسي وجنّية، إذ أنه وفقاً للتصور الشعبي الفلسطيني لهذه الحالة، فإن بعض «بني الإنسان كانوا يسقطون على الأرض ويغمى عليهم، ويتحركون بصورة تدل على قيامهم بعملية جنسية، وبعدها يتبين أن جنّية كانت تركبه»(٣٦٢). وقد تكون هذه الحالة في حقيقتها إحدى نوبات الصرَع التي تصيب البعض. وربما فسّروها بأن صاحب هذه الحالة قد «وقع بالساعة».

إن الرجل «المركوب» من قبل الجنّية -في المعتقد الشعبي الفلسطيني- هو الذي تلَبَّسَتْهُ امرأة جنية فتزوجته.. والعكس يقال في حال المرأة التي يتلبّسها رجل من الجان فيتزوجها.

وقد زعم العرب «أن للجن علاقةً بالإنس، فقد يعشق الجني امرأةً وقد تعشق جنّية رجلاً، وأنهم قد يتزاوجون وينجبون»(٣٦٣). وكانوا يعتقدون أن «الجنّيات إنما يعرضْن لصرْع الرجال من الإنس على جهة العشق لهم وطلب السّفاد، وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم»(٣٦٤). ويقال إن «ممن تزوج بالجن من العرب عمر بن يربوع بن حنظلة التميمي، وجذع بن سنان، وعمرو ذي الأذعار بن أبرهـة ذي المنار، وأُمُّهُ الجنّية العيوف ابنة الرائع»(٣٦٥).

وكان بعض العرب يزعم «أنه يهوى امرأةً من الجن، وأنه يسكن إليها في الهواء وتتراءى له»(٣٦٦). وهناك بعض الأساطير «من منطقة جنوب الجزيرة العربية تحكي عن زواج أحد الملوك، بإحدى الجنيات. وهي الزيجة التي أثمرت ملكة سبأ»(٣٦٧). ويقال بأن «الجن كانت «تستهوي الإنس وتخطفهم. وقد سَبَتْ رجلاً من الأنصار وأبقتْهُ عندها أعواماً»(٣٦٨). وفي القرآن الكريم ما يشير إلى هذا الإستهواء: «كالذي استهوته الشياطين في الأرض..»(٣٦٩).

ويُسْتَدَلُ «من قصة ذكرها الجاحظ، أن الصرع نفسه (وهو لا يقع إلا للإنس رجالاً كانوا أم نساءً) إنما هو نتيجة لهذا الحب، وهو ليس عندهم إلاّ على جهة ما يعرفون من الضجاع»(٣٧٠). وقد يؤيد تلك الحالات الآية القرآنية الكريمة: «وشاركهم في الأموال والأولاد»(٣٧١).

وقد سُئل «مالك بن أنس رضي الله عنه، فقيل انّ هٰهُنا رجلاً من الجن يخطب إلينا جاريةً، يزعم أنه يريد الحلال! فقال: ما أرى بذلك بأساً في الدين، ولكنْ أكرهُ إذا وُجدتْ امرأةَ حامل، قيل لها من زوجك؟ قالت من الجن، فيكثر الفساد في الإسلام بذلك»(٣٧٢).

وفي حديث «أنّ النبي (ص) نهى عن نكاح الجن»(٣٧٣). وقد ورد: «في آكام المرجان، أن أحد أبوي بلقيس كان جنياً؛. كان أبوها من عظماء ملوك اليمن؛ تزوج امرأةً من الجن يقال لها رِيحانة بنت السكن؛ فولدت له بلقيس، وتُسمى بلقمة، ويقال إن مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة»(٣٧٤). وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون بأن شعر ساقي بلقيس كان كشعر الماعز.

ويُنسب لإيل (الإله السامي العربي الأعظم)، أنه كان أول من تزوج بجنّية مائية إسمها «عين عبريت» أو عفريت، وأنجب منها ولداً وحيداً»(٣٧٥).

وفي بعض المعتقدات الشعبية الأوروبية، قد يجعل الجنّي «إنسيةً تحمل منه، وتلد أطفالاً من الجان، حين يفاجئها وهي على شاطىء النهر»(٣٧٦).

ويقال «إن هناك فئات معينة من الناس أكثر عرضةً للجن من غيرهم وهم: الأطفال الحديثو الولادة، والمرأة النفساء، والعريس وعروسه»(٣٧٧)، ففي المعتقد الشعبي الفلسطيني، أن الجنّية (التابعة) تتولى قتل الأطفال الصغار بشكل عام، وتقضي على الأجنّة في أرحام الأمهات.

وشياطين الجن -كما كان العرب يعتقدون- «تقول الشعر وتلقيه على ألسنة الشعراء، كما كانت تلقّن القيانُ هوميروس فصيح الأشعار ... وزعمت الأعراب أن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً من هذه الشياطين»[٣٧٨]. ولم يكن «لشعراء الجاهلية شياطينهم، فحسب، وإنما كان لشعراء الإسلام أيضاً، كالفرزدق وجرير وبشّار، وغيرهم من الفحول»[٣٧٩]. لذلك يمكن القول إن الشعراء والمنجّمين، كانوا «من أكثر الناس الذين تربطهم علاقات طيبة بالجن»[٣٨٠].

ومن جملة علاقات الجن مع البشر، يُذكر أنهم كانوا يساعدون بعض الناس في كثير من الأحيان، ويمدّون لهم يد العون في كثير من أمور حياتهم. وقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تشير إلى «أن سليمان كان يستخدم الجن»[٣٨١]. ويسخّرهم في أعمال كثيرة: «فحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون»[٣٨٢]، و«ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه»[٣٨٣]. وكان بعض الناس يستجيرون بالجن ويستمدّون منهم الحماية: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهَقا»[٣٨٤].

إلاّ أن الجن كانوا -وفق المعتقد العربي الجاهلي- يقاتلون البشر في أحيان أخرى، ويروى «أن حروباً طويلةً داميةً وقعت بين قبائل الجن وقبائل الإنس من العرب، منها حروب بني سهم، الذين كانوا قد قتلوا ابن امرأةٍ من الجن، عقب حجّه وطوافه بالبيت، فوقعت الوقيعة بين قبيلتي الجني المتوفى وبني سهم، وقتل الجن من بني سهم خلقاً كثيرين، وكان أن نهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها، وركبوا رؤوس الجبال وشعابها، فما تركوا حيةً ولا عقرباً ولا عضاةً ولا خنفساء ولا هامةً تدب على الأرض، إلا قتلوها، حتى ضجّت الجن، فصاح صائحهم يطلب وساطة قريش بينهم وبين بني سهم، فتوسطت قريش وانتهى النزاع بين بني سهم والجن. وكان كلما أوقعت الجنّ ببشري بعد ذلك، خاطبها قائلاً: «يا معشر الجن، أنا رجل من بني سهم، وبيننا وبينكم عهد وميثاق. فتعرفه الجن وتهابه»[٣٨٥].

ويذكر أن حرب بن أمية، ومرداس بن أبي عامر السلمي، قد قتلتهما الجن لإحراقهما شجرة القرية»[٣٨٦]. كذلك فإنهم «كثيراً ما يروون أن الإنس يقتلون

الجن، وهذا تأبط شراً يحمل إلى قومه رأس الغول، وذاك عمر بن الخطاب يصرع جنياً. وذلك عمار بن ياسر يقاتل مع النبي (ص) الإنسَ والجن»[٣٨٧]. ويروى أن الجن كانوا يقاتلون بعضهم البعض. «قال (سمث) أن الزوابع في كثير من الأساطير العربية، عبارة عن الظواهر المرئية لمعركة بين عشيرتين من الجن»[٣٨٨].

* عالم الجن:

تصور الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني «عالم الجن وقد ضمّ أفراداً وملوكاً وممالك» كما تصور الناس حياة الجن وكأنها حياة بشر، وليس هناك ما يختلف بين حياة الناس وحياة الجن، سوى قدرة الأخيرة على تحقيق معجزات النقل السريع وبناء القصور فوراً والوصول إلى الكنوز بكل سهولة ويسر»[٣٨٩]. واعتقد الناس أن هذه الكائنات «تأكل وتشرب، وتحمل، وتلد كالبشر، بل إنها تموت، لكن بعد حياة بضع مئات من السنين»[٣٩٠].

وتذهب «بعض الجماعات إلى أن الحلقات الخضراء القاتمة، التي تظهر وسط الحشائش في الحقول أو المراعي، ما هي إلا حلبات رقص للعفاريت، ومن الخطأ الفادح أن يقتحم امرؤ إحدى هذه الحلقات البرية التي لم يتدخل الإنسان في تهيئتها، خشية أن يصاب بأذى جسيم»[٣٩١].

* مسكن الجان في المعتقد الشعبي:

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، بأن مساكن الجان هي «تحت الأرض، وفوق شجر الخروب، وفي الأماكن المهجورة. وكذلك يقال إن الذهب في الزمن القديم بعضه مرصود من قبل جان في صورة بذر خروب»[٣٩٢]. ويعتقدون كذلك «أن الجان تقيم وراء جبل قاف، والذي هو عبارة عن سلسلة مرتفعات تحيط بالأرض. وربما كانت سلسلة جبال قاف هي سلسلة جبال القوقاز»[٣٩٣].

وإذا وقع طفل صغير على العتبة، فإنهم يرشون الماء البارد فوق العتبة، حيث وقع، ويرشون الملح، وذلك لإعتقادهم بأن الجن خلقوا من نار، وإن الماء

يطفيء النار وبالتالي تهديء من روْع الجن فلا يؤذون الطفل، ويترافق رش الماء مع البسملة وبقولهم: «دستور من خاطركم». وبما أن الأرواح تأتي من العالم الأرضي -حسب المعتقد الشعبي الفلسطيني- فإنه يمكن مقابلتها «بالأماكن ذات العلاقة المباشرة بالأماكن المنخفضة في داخل الأرض: مثل الأشجار التي تخترق جذورُها أعماق الأرض، وكذلك في شقوق الأرض والمغُر والينابيع والآبار، التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة في أصل العفاريت»(٣٩٤). كما يعتقدون بأن الجان يفضلون سكنى أشجار التين ذات الثمار السوداء»(٣٩٥). وكانوا يعتقدون كذلك «أن أول جن خلقه الله اسمه «ماريغ»، ومنه خلق الله زوجته «مارغة»، ويسكن جانُ هذه المجموعة النار بصفة دائمة، لأنه حسب اعتقاد سائد في فلسطين، لا يجوز أن تُطفأ نارٌ مشتعلة أو فحم، بالماء قبل أن تُنْذَرَ الأرواح التي تسكن فيها. وتؤكد الأقوال مثل: «بعد السماح يا ساكني النار» أو «بعد السماح تفرَقوا حتى لا تحترقوا»، صِدْقَ هذه الأفكار»(٣٩٦). ويعتقدون أنه «إذا قفز أطفالٌ أو صبيانٌ فوق نار مشتعلة فإنهم يمرضون، وإذا وقع أطفال في النار فإنهم يصابون بالصراع»(٣٩٧).

وهناك معتقد شعبي، يشير إلى أن العفاريت تسكن «في الشموع المشتعلة والفوانيس» لذلك فإن الناس في بعض الأقطار العربية كسورية وفلسطين «لا ينامون مع الشموع والفوانيس المشتعلة، لخوفهم أن ينجبوا أطفالاً مصروعين».. كذلك فإن الأفران تعتبر مسكناً للجن»(٣٩٨).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقد الناس أن «هناك أرضاً مسكونةً (أي يسكنها الجن) فلا يرغبون في بناء بيوتهم فيها، وإذا بُني فيها البيت، وتبيَن له وللناس أنها مسكونة (حسب إعتقادهم)، فإن الناس لا يُقبلون على شرائها إذا أراد بيعها»(٣٩٩). وهم يقولون عن البيت (الذي يسكنه الجان): «بيت مسكون»، «وإذا مات للأسرة أكثر من واحد، قيل: هذا البيت «مسكون»، أخرجُوا منه»(٤٠٠).

وفي فلسطين ينابيع عديدة، كان الناس في الوسط الشعبي، يعتقدون أنها مسكونة من قبل أفراد الجان. ويناقش الدكتور كنعان.. مسألة وجود «الينابيع المسكونة والتي مؤداها أن ينابيع معينة تسكنها أرواح خيّرة أو أرواح شريرة. ولا

تظهر هذه الأرواح إلا لشخص وحيد في النهار أو في ساعات الليل. ومن أهم الأسباب التي تجعل الناس يعتقدون أن نبعاً معيناً مسكوناً، هي أن يكون النبع في مكان مهجور أو في غابة أو دغل كثيف الأشجار، وأنْ لا تصل أشعة الشمس إلى مصدر النبع، ويتحقق ذلك الإنعزال بوجود كهف أو شق من الصخور أو قنال قديم يكون مدخل النبع. وتبدو هذه الظروف مواتية ومحببةٌ للأرواح، وتكون على إتصال بداخل الأرض»(٤٠١). وكانوا يعتقدون أن العين الدوريّة(٤٠٢)، تسكنها اثنتان من الأرواح: الأولى روح بيضاء والثانية روح سوداء. وكلا الروحين في صراع سرمدي دائم. وعندما تنتصر الروح الحرة تفسح المجال أمام الماء لينساب لمنفعة البشرية العطشى. ولكن سرعان ما تنهض الروح المستعبَدة السوداء وتَستأنف المعركة، وعندما تنهزم الروح الحرة يُغْلَقُ منفذُ الماء»(٤٠٣).

ووفقاً للمعتقد الشعبي الفلسطيني، يقول الدكتور توفيق كنعان: «هناك عدد كبير من الأرواح تسخن المياه باستمرار قبل أن تنفذ إلى سطح الأرض. ويُسْتَحْضَر الوقود من مسافة بعيدة. لقد أمر الملك سليمان الجن أن يقوموا بهذا العمل ليمنحوا سكان فلسطين حماماً طبيعياً ساخناً، وبما أن الأرواح عمياء طرشاء ولا تعلم بموت سيدها الملك، فقد ظلّت تخشى عقابه واستمرت تقوم بعملها»(٤٠٤).

يرى البعض «أن الينابيع التي يُعتقد الآن بأنها مسكونة بالأرواح، كانت في الماضي ينابيع مقدسة ومكرَّسة لعبادة الآلهة المتعددة في فلسطين. وأن أرواح الآلهة لا تزال تزور هذه الينابيع -على حد المعتقد الشعبي- وإن تغيرت أشكالها»(٤٠٥).

إن ملاحظات «الدكتور كنعان حول الآبار المسكونة بأرواح خيّرة وشريرة، تدور حول الخوف من الأرواح... وبشكل خاص «الأرواح الشريرة التي يمكن أن تصادف شخصاً ما فتتعبه وتصيبه بالمرض والضعف وحتى الموت. ويمكن أن تقوم هذه الأرواح بتجفيف مياه هذه الينابيع، وخاصة إذا اقتربت منها امرأة غير طاهرة. وفي جفنا(٤٠٦) فإن القسّيس يذهب إلى البئر الجاف فيتلو الدعاء ويحرق البخور ليسترضي الجنّية أو يجبرها على إطلاق سبيل الماء»(٤٠٧).

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن هناك جنّية تسكن في بير أو سهيل «تستطيع معرفة مستقبل أهل القرية، فإن سمعوها تبكي، فهي دلالة على الموت المحتوم لأحد أفراد القرية، وإذا كانت تغنّي فلا بدّ من وقوع حدث سعيد في القريةِ»(٤٠٨). وهم يعتقدون «أن نبع أريحا تسكنه روح يأتيها الحيض من ١٠-١٢ ساعة، فتحمرّ المياه ليلاً، وتعود عاديةً في النهار..»(٤٠٩). كما يعتقدون أن «عين سلوان(٤١٠) كانت تسكنها روح على شكل جمل، فمات الجمل، وسكنت مكانه دجاجة بصيصانها»(٤١١). ويعتقدون أنه «إذا تبَول شخص في بئر أو عين، فإنه يصاب بمرضٍ في مجرى البول»(٤١٢). «وتسمى الأرواح التي تسكن مصادر المياه عامةً (بالعفاريت)، ولا تقع أسماء القديسين والأولياء تحت جماعة العفاريت»(٤١٣). وفي بعض مناطق فلسطين عينٌ تُعرف باسم «عين الحصر». ويفهم «الفلاح من هذا التعبير أن الشمس لا تصل إلى النبع في أوقات النهار على مدار السنة، وتستخدم هذه المياه لإزالة حصر البول. ولكي تحتفظ هذه المياه بقيمتها العلاجية فيجب أن لا تصل إليها أشعة الشمس، ولهذا فهم يقومون بإحضارها بعد الغروب. وإذا كان المكان الذي يراد نقل الماء إليه بعيداً ولا يمكن وصوله في يوم واحد، فإن الوعاء يُخبأ في النهار في مكان معتم، وحالما تغرب الشمس تُستأنَف الرحلة من جديد»(٤١٤). وهم يعتقدون أن «الآبار التي تكون تحت المنازل ولا تصل إليها أشعة الشمس فإنها تكون ذات صبغة علاجية أكثر من غيرها من الآبار. ويُعتقد أن مثل هذه الآبار تسكنها الجن أكثر من غيرها، ومن هذه المجموعة من الآبار «بئر السحر» شمال دير طريف»(٤١٥)، و«عين أبو نياق» في دير غسانة(٤١٦)، و«عين الوهرة» في كفر توت(٤١٧) و«عين صوبا»(٤١٨)»(٤١٩).

ويعتقدون أن جنيات الآبار والينابيع تظهر على شكل عرائس حسناوات. ولهذه الجنيات «حيل وألاعيب.. لاصطياد الرجال، ففي حالة عين الجوز(٤٢٠)، يشاهد المارة معزة سوداء، وإذا حاول الرجل إمساكها، فإنها تقفز من مكان لآخر، حتى تجرّه إلى مكان مهجور، حيث تتحول إلى عروس تجذبه وتستولي عليه»(٤٢١)، ويعتبر الرجل الذي يرتكب الزّنا مع تلك الجنيات من الخاسرين»(٤٢٢).

وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني «هناك شرطان لسكن الأرواح لمصدر المياه، ويكفي أحد هذين الشرطين لاجتذاب الجن. الشرط الأول: أن يكون منبع الماء مكاناً مهجوراً أو في أية شجرة. الشرط الثاني: أن أشعة الشمس لا تصل إلى مصدر الماء، ويتحقق هذا الشرط عندما تكون مغارة صغيرة أو شق كبير أو قناة قديمة مدخلاً للنبع. إن الشروط لمذكورة أعلاه، بالإضافة إلى العزلة والأماكن المهجورة والظلام والشقوق والمغُر والقنوات والشجر، تؤكد سكن الجن. وكل شيء في هذا الوضع يكون عرضةً ومكاناً مفضلاً لسكن الأرواح، ما دام لهذه الأماكن صلة مباشرة بالأرض من الداخل»(٤٢٣). وربما كان المصدر القديم لتلك المعتقدات الشعبية التي تدور حول الينابيع، وتلك الأفكار التي تحيط بها، «أن الساميين بعامة قدّسوا موارد المياه، واعتبروها مهبط عرش الله»(٤٢٤)، وينسب إلى إيل -كما رأينا- أنه كان أول من تزوج بجنية مائية.

ونلاحظ في المعتقدات الشعبية الصينية، أن أشباح النهر الاصفر الذي كثيراً ما تسبب فيضاناته أضراراً بالغةً، تتطلب بصفة خاصة عبادة شاقة وتضحية تلو التضحية، فهي لا تعرف الرحمة، وهي تظهر في شكل حيوان يسيطر على الماء»(٤٢٥).

ونجد في الأساطير الرومانية أن «الحوريات» وهنّ إلهات ثانويات للطبيعة، يعتبرن بنات زيوس والسماء. ويقال إن المطر الذي يتغلغل في الأرض يلدْن عن طريق الينابيع.. وكنّ يُعبدْن، حيث يعتقد بوجودهن، وقد أنشأ الرومان لهنّ معابد على الينابيع بشكل خاص، وزيّنوها بالأعمدة والتماثيل والنوافير»(٤٢٦).

وقديماً كان الناس يعتقدون «أن العفاريت تسكن الصحراء الأدومية بسوريا، مخلّفة الرعب والبجع والبوم والغربان وأبناء آوى والحيات والحدّاءات، والنعام»(٤٢٧).

إن المفهوم الذي حظي بإجماع سائر المعتقدات الشعبية في العالم، هو أن الجان «يتخذون مساكنهم في باطن الأرض -شأن الموتى»(٤٢٨)، كذلك فإن هناك إجماعاً في المعتقدات الشعبية -على أن الجان يسكنون كذلك في الأماكن القريبة من باطن الأرض، كالآبار والينابيع، وفي الأماكن الخربة والمهجورة،

والمنعزلة.

وتؤثر المعتقدات الدينية في تصور مسكن الجن وأماكن تواجده، لكن تصورات الناس زادت على ما حملوه من موروثات. فطالمَا أن الجن مخلوق من نار فإنه قادر على الإختفاء في أية لحظة، ومن ثم فهو قادر على تغيير هيئته وصورته، وهو خبير بالتنكر والتزييف. وهو بذلك يعيش بين ظهراني الناس. لكن تطور الحالة الثقافية والعلمية لدى الناس يؤدي إلى استبعاد هذا المعتقد القائل بوجود الجن بين الناس. وهنا يفرق الناس بين شيئين مختلفين، إبليس الشيطان، والجن. فبسبب المؤثر الديني فإن إبليس / الشيطان هو عدو الإنسان منذ وجود آدم في جنة الخلد ويصل الإعتقاد حدّ القول إن لكل إنسان شيطاناً يغويه ويسلك به طريق الشر. ويرى البعض أن إبليس أو الشيطان يسكن في نفس الإنسان، وهو الذي يوجهه نحو الأعمال المنافية للدين والقانون والسلوك، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن إبليس منذ قصته مع آدم إلى آخر ما لَه من تأثير في سلوك الإنسان.

أما الجن فهي مخلوقات نارية تعيش حسب المعتقدات -كما رأينا- إما فوق الأرض في الأماكن الخربة، أو تحت الأرض. وحسب القرآن الكريم، فإن الجان ينقسمون إلى من أسلم وآمن واستمع إلى القرآن الكريم، ومنهم من يدين بديانات أخرى. وتختلط المعتقدات الشعبية ببعضها، وأحياناً تتناقض، فمنها ما يقول بأن الجن ليس له سلطان على بني البشر، ولا يتعدى عليهم ومنها ما يقول عكس ذلك. وترجع أكثر معتقداتنا عن الجن ومواطنهم إلى العرب المتعربة البائدة، حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد، وبشكل أخص سكان الجنوب اليمنى، القحطانيين، نظراً لتيسُّر إتصالهم المبكر بالفرس المجوس في إيران[٤٢٩].

وتكثر نصوص المعتقدات الشعبية الفلسطينية عن مسكن الجن، وأكثرها يتناسب مضمونه مع واقع البيئة الفلسطينية. وبشكل عام فإن تلك المعتقدات تمزج بين ما توارثته الأجيال وبين ما يصنعه الخيال الإنساني وتصوره حول بيئته.

أما المعتقدات المتعلقة بسكن الجن فتقول:

١ - سكن الجن البيوت الخربة القديمة والخرائب المتطرفة.
٢ - سكن الجن بين الأشجار الكثيفة والأماكن الرطبة.
٣ - سكن الجن في المقابر القديمة.
٤ - سكن الجن قرب أشجار الخروب والتين.
٥ - سكن الجن الحمامات الشعبية المنتشرة في المدن.

أما المعتقد القائل بأن الجن يسكن الأماكن الخربة المهجورة، فإنه يستقي فكرته من موروثات قديمة، فالعرب القدماء، حرّموا السير والعمل في أماكن واسعة، إعتقاداً منهم أن هذه الأماكن هي موطن الأسلاف من الجن، مثل وادي برهوت ويبرين وصيهد، وهي أماكن تواجد قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعماليق. ومن هنا جاءت فكرة إعتبار القبور والأماكن المهجورة والخرَب بعامة مواطن للجن والعفاريت. وإن تحية العربي القديم لساكني القبور من الجن والعفاريت، كانت إتقاءً لشرورهم، وتلك التحية هي «عموا ظلاماً» والتي أصبحت اليوم (مسيكم بالخير)، ومنها إجابة الجني للإنسي (لولا سلامك غلب، أو سبق كلامك، لخليت جبال الأرض تسمع قَرط عظامك).

وفي التراث البابلي نعثر على جزئيات تتحدث عن سكن الجن. وتقول إحدى هذه الجزئيات «منذ قديم الزمان كانت شجرة الصفصاف مغروسة على شاطىء الفرات، ثم أخذتها الآلهة أنانا إلى مدينتها الوركاء وغرستها في بستانها المقدس، وعندما كبرت الشجرة أرادت الإلهة أنانا قطعها لتصنع من خشبها سريراً، أعجزتها حية شيطانية اسمها (ليليث) اتخذت منها مسكنها، إلى أن جاء البطل الإلهي جلجامش، فقطع الشجرة وذبح الحية، وفرّت الشيطانة ليليث إلى الأماكن الخربة المهجورة»(٤٣٠).

ويرى الباحثون أن ليليث تعني أنثى العفريت، ومن ثم تحولت ليليث إلى ليل، وهي ما أصبحت تظهر ليلاً، وعرفت بالجنية ليل، تسكن الأماكن الخربة وموارد المياه، وتظهر كخارقة، يغطي الشعر كل جسدها العاري(٤٣١).

ومن حيث البيئة، فإن الإنسان بطبيعته يكتسب بعض المتوارثات الإجتماعية التي تتناسب مع طبيعة البيئة التي يعيشها ويحيا فيها. فالأماكن الخربة والقديمة

تنتشر في كافة أنحاء فلسطين، وتتنوع وتتعدد، فمنها ما يقال عنه (الخرْبة) ومنها المقابر القديمة، ومنها الكهوف الأثرية في الجبال، ومنها الأماكن الغابية ذات الكثافة العالية بالأشجار البرية كالصنوبر والسرّيس والسنديان وغيرها. وجميع هذه الأماكن توحي بالرهبة والخوف والإيحاءات الوهمية والتخيّل، إضافة إلى ذلك، ما يحمله الإنسان من متوارثات تشير بشكل أو بآخر إلى سكن الجن وموطن وجودهم، لا سيما في هذه البيئة الطبيعية أو تلك.

أما عن سكن الجن في الحمامات الشعبية، فذلك معتقد يتعلق بما حمله الإنسان من موروثات في زمن إنتشار تلك الحمامات لا سيما في العصرين الأيوبي والمملوكي. ولأن الحّمام الشعبي مكان يُهجر في الليل، فإن الإعتقاد السائد يرى أنه مكان مفضل لسكن الجن، لا سيما في الليل. وتُروى حكايات شعبية كثيرة عن الحمامات وساكنيها من الجن، وما زالت تُتناقل شفاهاً على ألسنة الناس في مجالسهم.

* متى يظهر الجان:

وفقاً للمعتقد الشعبي الفلسطيني، فإن الجان لا يظهرون إلا في الليل، ابتداءً من غروب الشمس. لذلك فإن «المرأة تحجم عن فتح جرّة الزيت بعد مغرب الشمس، فإن ذلك يقلّل من بركة الزيت، كما أنها لا تعمد إلى فتح الجرّة إلا بعد أن تذكر اسم الله، فتقول: بسم الله وبركة ألله، وإيد ألله قبل إيدي، إذ تعتقد أن الزيت يفقد بركته إذا لم تسمّ اسم الجلالة»(٤٣٢). وهم يعتقدون أن هذه الكائنات «تظهر لفرد واحد فقط، ولا تحب أن تواجه عدداً كبيراً من الناس»(٤٣٣). كما يعتقدون «أن الشمس ضد الجن وتعاكسُ أفعالهم الشريرة»(٤٣٤)، وأن الجن يعشقون الظلام والليل، لذلك تحذر المرأة من كنس أرض البيت أثناء الليل، لكيلا يزعج ذلك الجان الذين يظهرون في ذلك الوقت. كما يُحذِّر الآباء والأمهات من ضرب الأولاد ليلة الجمعة، لكيلا «يلمسهم» أفراد الجان، أي حتى لا يصيبهم مسّ من الجنّ، أو الجنون. ويحذّرون المرء كذلك ـ لا سيما الأطفال ـ من النظر في المرآة ليلاً، خشية أن تؤذيهم الجان. ولا يحبذون صراخ الأطفال أثناء الليل، لأن ذلك من شأنه أن يزعج الجان فيؤذون الأطفال. وبشكل عام فإن

هناك إعتقاداً «بأن الأشباح والجنيّات، تستأنف نشاطها عند منتصف الليل، ففي الساعة تموت الأشياء، وتهيْمن روح الصمت على الكائنات»[٤٣٥]. ويروى عن النبي (ص) أنه قال: «إذا استجنح الليل، أو كان جُنح الليل، فكُفّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ..»[٤٣٦].

* الجن وشهر رمضان:

يعتقد الناس في الوسط الشعبي المسلم في فلسطين، أن الجن لا يظهرون طوال شهر رمضان، وذلك إكراماً من الله تعالى لهذا الشهر المبارك، حيث يتم حبس الجان الشريرين في هذا الشهر. لذلك فإنه بعد «أن يؤذّن المؤذن معلناً إنتهاء شهر الصوم، تقوم بعض النساء برشّ الكرسنّه، وذلك إعتقاداً منهن، أن الشياطين تتزحلق فيها عند قدومها»[٤٣٧]. وفي بعض الأقطار العربية، يرشون «الملح في ليلة العيد (والليالي الأخيرة من رمضان) داخل غرف البيت، للحيلولة بين الجان وبين رجوعهم إلى المنزل»[٤٣٨]. ويروى عن النبي (ص) أنه قال: «إذا دخل رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب جهنم، وسُلْسِلَت الشياطين»[٤٣٩].

* إسترضاء الجن:

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يلجؤون إلى جملة من الإجراءات، ويستخدمون بعض الجمل والعبارات، لاسترضاء الجن، كي لا يلحقوا الأذى ببني البشر. فمثلاً إذا أرادت المرأة أن تلقي الماء الساخن في مكان ما، ولا سيما في الليل، فإنها قبل ذلك تقول: «دستور» أو «دستور من خاطركم». وإذا أرادت المرأة أن تطفيء ناراً مشتعلة أو فحماً مشتعلاً، فإنها تقول قبل أن ترش عليها الماء: «بعد السماح يا ساكني الدار» أو «بعد السماح تفرقوا حتى لا تحترقوا». إن عبارة «حتى لا تحترقوا» هنا، يُقصد بها مخاطبة الجن الذين «يحترقون» بالماء إذا سُكبتْ فوقهم، لأنهم خُلقوا من نار، والماء «يحرق» النار ويطفئها، والمرأة في هذه الحال، تستأذن الجن الذين في قلب النار كي يتفرقوا قبل أن ترش الماء فتؤذيهم، وبالتالي يؤذونها.

وكان عرب الجاهلية يسترضون الجان بعبارات خاصة، «وإنّ تحية العربي القديم لساكني المقابر من الجن والعفاريت، والتي كانت إتقاءً لشرورهم، هي «عموا ظلاماً»، وهي ما أصبحت اليوم «مسيكم بالخير»، ومرادفاتها المختلفة»(٤٤٠). وكان بعض العرب يعتقدون في أنه ينبغي أن تراق على الأرض أول قطرة من اللبن أو من الخمر، وقد يكون مردّ هذا الإعتقاد هو ترضية الجنيات، والشاعر العربي يقول: «وللأرض من كأسِ الكرامِ نصيبُ»(٤٤١).

كما كان عرب الجاهلية يقدمون الأضاحي للجن عند بناء بيت جديد أو حفر بئر جديدة، وهكذا»(٤٤٢). ويستفاد من بعض الأخبار، أن هذه العادة، أو هذا الخوف من الجن قد استمر حتى بعد أن نهى النبي عن ذبائح الجن، وعن أكل ما ذُبح لهم وعلى اسمهم. وقيل إن بعض الخلفاء قد ذبح للجن حين استنبط عيناً، وذلك خوفاً من أن يُغوِّروا ماءها»(٤٤٣).

* منفِرات الجن:

حرص الناس في الأوساط الشعبية، وعلى مرّ العصور ومختلف مناطق الكرة الأرضية، على استخدام طرق عديدة ومتنوعة، من شأنها أن تنفـّر الجن وتطردهم وتبعدهم عن المكان لئلا يُؤذوا البشر. ويقال بأن «القرآن الكريم هو الحاجز بين الإنس والجن، إنهم يستطيعون أن يَروا الإنس ويستمعوا لكلامهم ويراقبوهم، ولكن ذكر اسم الله يبعدهم، إنه نار بالنسبة لهم، تحرقهم وتذّلهم»(٤٤٤).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، فإنَّ ذكر «اسم الله عند دخول بيت مظلم، أو عند سكب الماء في الليل على الأرض، جرى مجرى العادة.. إعتقاداً منهم أنّ ذكر اسم الله يُذهب الجن ويبعدهم، وكذلك عند الأكل يُذكر اسم الله لكي يطرد الجن الذين يأكلون معهم إذا لم يذكروا اسم الله. ولذلك يفسر عدم شبع الشخص من الأكل، بعدم ذكر اسم الله»(٤٤٥). ويقال عن الشخص الذي يأكل كثيراً فلا يشبع: «بوكل بِسَمّيشْ» أيِ إنه لا يسمّي؛ لا يبسمل. وكما مر معنا من قبل، فإن المرأة في الوسط الشعبي الفلسطيني، إذا أرادت أن تفتح جرّة

الزيت بعد مغرب الشمس، فإنها تذكر اسم الله قبل ذلك فتقول: «بسم الله، وبركة ألله، وإيد ألله قبل إيدي»، لأنها تعتقد أن الزيت يفقد بركته إنْ لم تسمّ اسم الجلالة.

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن رزق الجن موجود في المدن، لأن الناس هناك لا يذكرون اسم الله(٤٤٦). كما يعتقدون «أن الجن يمكن أن يَسرقوا أشياءنا إذا لم نذكر اسم الله عند استعمالها، فالمرأة التي تمدّ يدها للحبوب أو الطحين أو الزيت دون أن تذكر اسم الله، تخسر جزءاً كبيراً من أشيائها هذه ويسرقها الجن»(٤٤٧). والجان يحبون أن يعامَلوا باحترام «فعندما يدخل شخص ما مستودعاً أو كهفاً، أو حتى إذا كان يكنس غرفة مضى عليها وقت وهي خالية، فيجب عليه أن يقول: «دستور يا مباركين» أو يقول: «دستور من خاطركم». وإذا «كان الشخص يحمل ناراً، أو ماءً، فإن عليه أن يذكر اسم الله، حتى لا تسقط النار أو الماء على الجن»(٤٤٨). وعندما «يحتك الإنس بالجن، فإن أول ما يوصيه الجني للإنسي هو ألاّ يذكر اسم الله، لأنه لو فعل ذلك فإن الجن ستقضي عليه»(٤٤٩).

إذن، فإن البسملة -وفق المعتقد الشعبي الفلسطيني- تعتبر من أنجع الوسائل في إتقاء أذى الجن أو لإبعادهم عن المكان. يروى عن الأوزاعي أنه قال: «تخيّل لي خيال في الليل، فجزعتُ منه فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال لي: لقد استعذتَ بعظيم، وانصرفَ عني»(٤٥٠).

والناس في أماكن شتى من العالم يعتقدون «أن هناك من الوسائل ما يحول بين الجان وبين اختطاف أطفالهم، وهم يستعينون لذلك ببعض الأدوات، كالمدى والمقصات والمسامير، وأنواع من النبات، كالثوم والبصل، وبعض حبات القمح، والملح، إلى جانب تحصينهم بالكتب المقدسة والتعاويذ والأحجبة»(٤٥١).

ومن منفرات الجن في الوسط الشعبي الفلسطيني، نبات «الفيجن»، ونعتقد أن هذه الكلمة، مركبة من لفظين هما «فَيّ» بمعنى ظِلّ، و«جن» أو جان، لأنها تلفظ أحياناً «فيجان». وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، وقبل ليلة رأس السنة الهجرية، يغرس الفلاح في شقوق بابه الخشبي عروقاً من نبات الفيجن

الشديد الرائحة، حتى تطرد رائحته الشياطين تلك الليلة، فلا تدخلُ بيتَه»(٤٥٢). ولقد مرّ معنا كيف صرخ الجن بالولد الذي خطفوه من قرية العيسوية، وقالوا له بأن لا يملأ يده من نبات الفيجن، وكيف تخلّص هذا الولد من الجن عندما ملّا يده من هذا النبات. ولهذا السبب، فإن كثيراً من الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، كانوا يحرصون على زراعة هذا النبات في بيوتهم. وبعضهم كان يرش «أدراج البيوت بحبّات الكرسنّة، حتى تتدحرج الشياطين ولا تدخل البيوت»(٤٥٣).

ومن المنفرات التي كانوا يستخدمونها كذلك، الوشم، وذلك «لطرد الشياطين والعفاريت من جسم الإنسان، لما يتمتع به من خصائص سحرية»(٤٥٤). وهم يعتقدون «بأن الجن تتخذ صورة حيوان، وتُسمى باسمه، ولذلك فمن الخطر أن يخاطب أحد حيواناً أو أيّ مخلوق مهما صغر، إلا إذا أشار إليه، لأنه ربما إنتهز الجن الفرصة واعتبر نفسه المقصود بالدعوة»(٤٥٥).

ومن منفرات الجن عند العرب الجاهليين «استعمال عظام الموتى أو خرق الحيض، أو إعتقادهم في سن الثعالب، وحلْق الرأس بالموسى»(٤٥٦).

كما كان عرب الجاهلية يتحوّطون من الجن بالرقى والأحجية(٤٥٧). وكان العرب إذا سار أحدهم في تيه من الأرض، وخاف الجن، يقول رافعاً صوته: أنا مستجير بسيد هذا الوادي. ويصير له بذلك خفارة»(٤٥٨).

وكان من منَفرات الجان عند الكلدانيين «أنهم يعلقون الجناح الأيسر للفراخ على صدور الأطفال والحوامل، لاتقاء اللِيليث والجن»(٤٥٩). ومن هذه المنَفرات عند البابليين، الماء، الذي كان يلعب دوراً خاصاً عندهم(٤٦٠). ويذكر «المؤرّخ (بليني)، أن الرومان اعتقدوا في قدرة الحديد على طرد الشياطين. كما ذكر «الأخوان جريم» «أن الجرمان، كانوا مؤمنين بالدم والحديد في طرد الأرواح الشريرة»(٤٦١). وقيل «إن صهيل الخيل يخيف الجن»(٤٦٢)، لذلك، فإنه يعتبر من منفرات الجن.

والمعتقد الشعبي يفرد بعض منفرات الجن مثل:

١ ـ حرقُ البخور يوم الخميس ليلة الجمعة، يهرِّبُ الجن والشياطين ويجلب

الملائكة.

٢ ـ إذا رأى رجلٌ شكلاً معيناً واعتقد أنه جني، فعليه أن يقرأ القرآن فإذا هرب الشيء، تأكد أنه جني، وإذا لم يهرب فإنه من الملائكة.

٣ ـ رائحة نبتة الفيجام تهرِّبُ الشياطين والجن، ويحبَّذ أن تزرع هذه النبتة في البيوت.

٤ ـ إحراق الميرمية والملح والشعير يهرِّب الجن والشياطين.

إن هذه المعتقدات التي تمارَس كعادات، قد تكون امتداداً لعادات قديمة. فحرق البخور لتهريب الأبالسة والأرواح الشريرة أمر تعارف عليه القدماء، من فراعنة وكنعانيين، لا سيما أن العبادات الوثنية والتي تتعدد فيها الآلهة وتقام لها التماثيل، تقرّ حرق البخور وبعض الأشياء المشابهة، وذلك لخلق هالة من العبادة والعبودية على المكان التي تتواجد فيه.

ويرتبط حرق البخور أيضاً بمسائل السحر والشعوذة أحياناً، فالمشعوذ أو الساحر أو كاتب الحُجب يحرق البخور لعمل ما، وهو بذلك، إما ليطرد الشياطين المتلبسة روح إنسان مريض يأتيه للعلاج والاستطباب، وإما لكي يجلب بعض الأرواح الخفية لتساعده في «شفاء» المريض، أو «تعطيه» بعض الإيحاءات المتعلقة بالمرض أو بحالته المرضية. وبالطبع، فإن حرق البخور ليلة الجمعة عادةٌ يدخل فيها المعتقد دخولاً كلياً، فلأن يوم الجمعة مقدس لدى المسلمين، فإن ليلته تكون مقدسة، وتقام الموالد الدينية غالباً فيها. إن حرق البخور في ذلك الوقت يكون بهدف طرد الجان الذين يكثر ظهورهم ـوفق المعتقدـ يوم الخميس، ليلة الجمعة.

وفي بعض المعتقدات الأخرى المتعلقة بالجن، تظهر عملية الترغيب والترهيب، ولكي تكون الرهبة قوية، فإن المعتقد يُدخل عنصر الجن، كقوى غيبية مؤثرة. فالتنبيه بعدم الصفير في الليل من قبل الأطفال، يدخل فيه باب الترهيب أكثر من كونه معتقداً شعبياً. لأن الطفل بطبيعته يكتسب دافع الخوف من خلال تربية أهله. وهذا الخوف يكبر حجمه إذا كان عنصر الترهيب غيبياً، كالجن مثلاً.

واستناداً على بعض المعتقدات العربية القديمة، والقائلة بأن الجنّية -ليليث تعشق الأطفال وتقتلهم، جاء المعتقد الشعبي ليقول بأن المرأة التي تسقط جنينها قبل تمام الحمل، عليها أن تضع سواراً (إسوارة) في يدها، مقروء عليها بعض التعاويذ، كي تمنع الجنية من إجهاضها. فإذا ماتت تلك المرأة، وما تزال (الإسوارة) في يدها، فإن مفعولها ينتهي بموت المرأة، أما إذا أعطت تلك المرأة (إسوارتها) لامرأة أخرى، قبل الموت، فإنها ستردّ عنها الجنّية.

وبالطبع، فإن هذا المعتقد، يضم في ثناياه أكثر من جانب معتقدي، فإلى جانب كون الجنية تقتل الجنين، فإن (الإسوارة) التي قرئت عليها التعاويذ، تدخل ضمن المعتقد القائل بقوة التعاويذ وقدرتها على طرد الشر والجن. ونلاحظ في جانب إعتقادي آخر، أن الموت الذي يحدث للمرأة، يُفقد التمائم والتعاويذ قيمتها وقوة تأثيرها، وكأن موت المرأة مرتبط بموت قوة الكلام المكتوب على (الإسوارة). ونلاحظ جانب الإيمان بهذه القوة، من خلال إقناع امرأة عاقر وترغيبها بوضع (الإسوارة) في يدها. وليست كل (إسوارة) تمتلك تلك القدرة والقوة والتأثير، بل إنها (إسوارة) بعينها قد تجلبها النساء من بلد إلى آخر، ويتوارثنها جيلاً بعد جيل. لذلك تكتسب تلك (الإسوارة) قدسية من نوع ما، وتصبح كالتابو -المحرم- فتحذر النساء من لمسها وهن غير طاهرات، وينبغي حفظها في أماكن طاهرة أمينة، عندما لا يراد استخدامها، إلى حين.

* الغـــول

لعل أبرز أشكال الجن هو الغول. وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يتناقل الناس الكثير من القصص والحكايات حول الغولة التي «تسكن» في الطرقات، تنتظر بائعات اللبن الذاهبات من القرى إلى المدن، وأن تلك الغولة كانت تشرب اللبن كله، أو تقفز لتركب الدابة التي يمتطيها أحد الرجال في الليل. مسافراً من منطقة إلى أخرى.

والغول كما يقول الجاحظ(٤٦٣) هو «كل شيء من الجن يتعرض للسفّار، ويكون في ضروب الصور والثياب». والغول والغيلان في الأصل دابة أو نوع من الشياطين ومردة الجن، كانت العرب تزعم أنها تظهر للناس في الفلاء

والخلاء، فتتلون لهم في صور شتى وتغولهم، أي تضلّلهم وتهلكهم»[٤٦٤].

والغول في اللغة هو «كل ما اغتال الإنسانَ فأهلكه فهو غول. والعرب تسمي كل داهية غولاً، على التهويل والتعظيم»[٤٦٥]. وقال بعضهم: الغول نوع من الجن كان يغتال الناس بغتة، بحيث لا يُعرف له مكان»[٤٦٦]. وهو لا يعدو كونه «وحشاً أو كائناً مفترساً، أبعد ما يكون عن أن يتصرّف بصفات شخصية»[٤٦٧]. ويقال إن «الغول نوع من الجن الشرير، يظهر في العادة في صورة حيوان أو وحش رهيب»[٤٦٨].

وكلمة «الغول» تطلق على الذكر والأنثى معاً «إلاّ أن الأكثر على أنه أنثى»[٤٦٩].

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني تطلق كلمة «الغول» على المذكّر منه، أما أنثاه فهي «الغولة». والغول هو «أشهر المتشيطنة في رأي القزويني. وهو كما زعموا «حيوان مشوَّه لم تحكمْه الطبيعة، وأنه لما خرج مفرداً لم يستأنس وتوحَّش، وطلب القفار، وهو يناسب الإنسان والبهيمةَ، وأنه يتراءى لمن يسافر في وحدة الليالي وأوقات الفلوات، فيتوهم أنه إنسان، فيصدّ المسافر عن الطريق»[٤٧٠].

ولقد «قرنه بعض الباحثين عندنا بمصاصي الدماء عند الأوروبيين»[٤٧١]. ومما يجدر ذكره «أن كتب التراث الأدبي التي تناولت الغيلان بالحديث، ساقت عنها صفات نراها اليوم تنطبق على ما في أذهان العامة عن الضباع»[٤٧٢].

والغيلان في الذهنية الشعبية الفلسطينية «هي كائنات بشرية تَصوَّرها الراوية الشعبي، وتصورها الناس على شاكلة البشر، ورسم ملامح عواطفها وبنيانها الجسدي على نحو ما عرفه البشر في بني البشر. ولكنهم أضافوا للصورة الرتوش الضرورية التي تجعل الغول نموذجاً لما يخيف ويؤذي»[٤٧٣]. والمشهور عن الغول «أن الشرر يتطاير من عينيه إذا حدّق في الإنسان»[٤٧٤].

وهو في الذهنية الشعبية الفلسطينية «يأكل مقادير ضخمة من المأكولات»[٤٧٥]. وفي بعض الأقطار العربية «يقال للرجل غول إذا كان شرهاً

نهماً أكولاً»(٤٧٦)، كما يطلقون اسم الغولة على المرأة «إذا كانت شحيحةً نهمةً أكولةً شبقة»(٤٧٧).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يوصف الرجل القوي الجبار بأنه «غول»، وتوصف المرأة القوية ذات الشعر الأشعث والهندام السيء، بأنها مثل «الغولة».

وفي حكايات الغيلان، الفلسطينية، فإن «الغول هو رمز ذلك الكائن الذي تجمّعت حوله الكراهية الشعبية، فهو الذي يحجز الكنوز ويمنع الناس من ارتياد المراعي والينابيع، ويحجز الأميرة الجميلة رغماً عنها، وهو الذي يباعد بين الإنسان وبين سرّ الخلود، هذا فضلاً عن أنه يحقد على العنصر البشري، لدرجة أنه يأكل الإنسان بلحمه ودمه لمجرد احتكاكه به»(٤٧٨).

وتصور الذهنية الشعبية الفلسطينية «الغيلان على هيئة بشرية موحشة، فبينما يتصورها تأكل وتتكلم، وتحب وتكره، وتحارب، فإنه يرسم لها وجوهاً مرعبةً وشعراً كثيفاً يكاد يحجب عنها الرؤية، وأظافر غاية في الطول (قد تكون مغروزة في الأرض أمامها)، وحجم ضخم، وعيون لامعة، وقدرة حركية عالية، وصوت أجشّ، وذكاء كبير (أحياناً)، ودهاء بالغ، ومعرفة غير محدودة»(٤٧٩).

كما يتخيّلونه بأنه «ينام نوماً عميقاً»(٤٨٠)، وبأن عينيه «على عكس عيون البشر، تقفان بالطول. الظاهر من جهاز أنثاه التناسلي بالعرض، بخلاف سائر الحيوانات. أثداء الأنثى طويلة رخوة متدلية، تلقي بها إلى الوراء عند اللزوم. أصابع الرجلين كالمخلب، وهي ثلاثة، واحد متقدم عن الإثنين الآخرين. لحم الإنسان إليه أشهى من أيّ لحم آخر، وعند الإفتراس يمتص أولاً دم الفريسة ثم يلتهم جثتها. على عموده الفقري شعر قصير من رقبته إلى مؤخرته»(٤٨١).

وفي بعض الأوساط العربية، يتصور الناس ضخامة الأعضاء التناسلية للغول وضخامة رأسه(٤٨٢). وبعض الناس يتصورون الغولة على «أنها عجوز شمطاء، شعثاء، قذرة، رائحتها نتنة، طويلة الأظافر كالمخالب، رجلاها كظلفي حمار، حاسرة الرأس، ملابسها سوداء اللون، صوتها أجشّ أبحّ

مرعب، أسنانها طويلة، يداها طويلتان قويتان، تبدو في المخيلة جالسةً القرفصاء أو واقفةً أو متكئة إلى مسند، تقترب من البيوت وتتجسّس أخبارها، تأكل الأطفال والماشية، وتتمثل بأشياء أخرى، كالبيض والأغنام والكلاب والوحوش والطيور والحشرات، بل ربّما قطاً أو ثعلباً»(٤٨٣).

وكان العرب يزعمون أن رجليّ الغول هما «رجلا عير، فكانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون فيقولون: يا رجْل عير إنهقي نهيقاً لن نترك السبسب والطريقا»(٤٨٤).

تسكن الغيلان -في المخيلات الشعبية- «المقابر وغيرها من الأماكن المنعزلة، وتملؤها بالرعب والفزع، وهي تأكل الجثث، كما تهاجم المارة في مثل هذه الأماكن بهدف أكلهم أيضاً. ومن ثم يمكن أن يعتبر اسم الغول في حقيقة الأمر مرادفاً لآكل لحوم البشر»(٤٨٥).

وفي الذهنية الشعبية الفلسطينية، أن الغيلان تكثر «في الأماكن الخالية والخرب المهجورة وبالقرب من المقابر والأماكن التي يُقتل فيها الآدميون»(٤٨٦). «وفي النطاق المحلي الضيق يعتقد الناس في الوسط الشعبي أنه إذا مات ابن آدم، أحَسَّ الأحياء بغولته تعود لتزور الأحياء أو تعترض طريقهم، وخاصةً إذا كان القتل والقتل العمد هو سبب الوفاة»(٤٨٧). وكان العرب يعتقدون أن الغول «تسكن في الأماكن الخربة والكهوف وبعض الأماكن التي إعتادتها منذ القدم، وهي ترحل إذا أحسَّت بكثرة الناس، وإذا وجدت أنْ لا طاقة لها بهم لقوتهم وكثرتهم»(٤٨٨).

وفي الذهنيات الشعبية أن الغول «يتصف بالتلون والتقلّب، فهو تارةً كلب، وأخرى إنسان، ثم عنز أو ثور»(٤٨٩).

وكان العرب يزعمون أن الغيلان يمكن أن «تتحول في جميع صور المرأة ولباسها، إلاّ رجليها، فلا بد أن يكونا رجلي حمار»(٤٩٠).

وللعرب «في الغيلان والتغوّل أخبار طريفة، لأنهم يزعمون أن الغول تتلون لهم عند الخلوات، وأنها تظهر لخواصهم في أنواع الصور، يخاطبونها، وربما باضعوها، وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم»(٤٩١). فلقد أخبرنا «الشاعر

الجاهلي تأبط شرا (المتوفى ٥٩٠م) أنه راود غولاً عن نفسها فامتنعت فقتلها»(٤٩٢). «ولعل ثابت بن جابر أو تأبط شراً، أشهر من قال الشعر في الغيلان من الأعراب، حتى أنه اشتق اسمه من كونه يلاقي الغيلان ويقتلها ويتأبط رؤوسها ويأتي بها إلى الحي!!، ولقد كان «تأبط شراً يعدو على رجليه، وكان فاتكاً شديداً، يأتي ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحى بطان -في بلاد هذيل- فلقيتُه الغول، فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها، فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء أصحابه، فقالوا لقد تأبطت شراً»(٤٩٣).

وتنسب «لعلي كرم الله وجهه، مقاتلةَ الغول. وهناك أماكن تسمى بالغول، كبطن الغول جنوب الأردن»(٤٩٤).

كان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون «أنه إذا شربت امرأة ماءً ملوثاً ببول الغيلان، فإنها تلد طفلاً له صفات الغول»(٤٩٥). وبعض الناس كانوا يعتقدون أن الغول «تعمّر طويلاً، ربما مئات السنين، لذلك فإنها نادراً ما تتوالد»(٤٩٦). وكانوا يعتقدون أن الغيلان «تحفظ أرواحها على شكل نحلات صغيرة محفوظة في داخل علب صغيرة جداً أو زجاجات مخبوءة في حرز مكين، فلا يُقضى على هذه المخلوقات إلاّ بعد قتْل هذه النحلات»(٤٩٧).

وهناك معتقد شعبي واسع الإنتشار، مؤداه «أن المرء إذا كان يحمل سلاحاً وضرب به الغول، فإنه يقتله، فإذا ضربه ثانيةً فإن الغول يحيا»(٤٩٨). ويروى أن تأبط شراً، عندما ضرب الغولة بسيفه ضربةً واحدةً قتلها، وأن الغولة طلبت إليه أن يضربها ثانية، لكنه رفض»(٤٩٩). لذلك فقد أشار أحد الشعراء بقوله:

«فثنّيْتُ والمقدار يحرس أهله فليت يميني قبل ذلك شُلَّت»(٥٠٠)

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، كان الناس يعتقدون أن الغول يمكن أن «يموت بسيف خشبي، أو باقتلاع شعرة من مكان معين من جسده أو بقتل كائن حيّ آخر تحل روح الغول فيه»(٥٠١). وأن من يتصدى للغول يريد قتله، عليه أن يضربه ضربةً واحدة قاصمةً قاتلة، وأن لا يكرّر هذه الضربة، لأن الضربة الأولى تقتل الغول، لكن الثانية تحييه، لذلك فإن الغول يطلب إلى قاتله أن يضربه الضربة الثانية، قائلاً: «ثنّي» أي اضربني ثانية، إلاّ أن البطل يرفض

ذلك في معظم الأحيان، قائلاً: «ما علمْتنيش أمّي».

وهناك بعض المنفّرات التي كان يستخدمها الناس لإبعاد الغيلان أو التخلص منها، وأخوف ما تخافه الغول «ذِكْر الله سبحانه وتعالى، والقرآن الكريم، لذلك يُعلَّق حرزٌ فيه ذكر الله، أو القرآن الكريم، في حقيبة نظيفة، وذلك لطرد الغولة والشياطين والجن»[٥٠٢].

ويرى الناس في بعض الأوساط العربية، أن السلحفاة تعتبر مصدر رعب للغولة، لذلك فهم يعلقون هيكل السلحفاة في إسطبلات الخيول كي تحميها من الغولة[٥٠٣].

لقد كان الغول يملأ الأسماع، ويعتبر مصدر رعب للناس في الأوساط الشعبية في سائر مناطق العالم، بالرغم من أنه لا وجود له إلاّ في أذهانهم، حتى أن الشعراء العرب قد صنّفوه إلى جانب المستحيلات. قال الشاعر:

«أقسمتُ أن المستحيل ثلاثةٌ   الغول والعنقاء والخل الوفي»[٥٠٤]

وبالرغم من ذلك فقد «ذكر جماعة من الصحابة أنهم رأوا الغول في أسفارهم، منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الذي رأى الغول في سفره إلى الشام قبيل الإسلام، فضربه بالسيف»[٥٠٥]. والرسول (ص) كان قد أنكر وجود الغول، لقوله: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول»[٥٠٦]. وقد ورد في الأغاني[٥٠٧] ما يلي: «وجن علينا الليل فسرْنا لنقطعها، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق إبلنا وتحدو في آثارنا، فإذا هي الغول، فلما لاح الفجر عدلتْ عنا، وأخذنا عرضاً».

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقد الناس أن الغول يظهر أثناء الليل، «ويتلاشى عندما «يطلع النهار»، وينطفىء كما ينطفىء السراج. وربما كان ذلك تأكيداً لاعتبار الغول مجرد وهْم عند بعض الفئات الشعبية، يصنعه الخائفين تحت جنح الظلام»[٥٠٨].

إذن، فإن وجود الغول «مبعثه الخوف من المجهول ومن الظلام ومن الليل»[٥٠٩].

ولا يزال الإعتقاد بالغيلان «حياً إلى اليوم، وهو في الأماكن الموحشة

والصحارى والقفار -كما كان سابقاً- أكثر منه في المساكن العامرة المأهولة»(٥١٠).

* إبليـــس :

ترتبط صورة إبليس والجن بخلق آدم. وتلك العلاقة نشأت منذ وُجد آدم في جنة الخلد، ومن ثم هبوطه مع حواء إلى الأرض.

والمعتقدات المتعلقة بالجن وإبليس تنقسم إلى قسمين، الأول يتعلق بإبليس بالذات، أي الذي أغوى آدم وحواء، وبسببه هبطا إلى الأرض. أما الثاني فيتعلق بالجن وعلاقته بالإنسان، وتدخله بالحياة الإنسانية.

وحسب المعتقد الشعبي العربي، فإن إبليس ذو شكل مخيف. فيراه المعتقد شكلاً محيّراً، إذ أن قدماه تنتهيان بحوافر أشبه بحوافر الحمار. وله قرنان وشعر على جسمه. وعيناه مشقوقتان بشكل طولاني مرعب، وله جناحان مرعبان. وباستطاعته الإختفاء والظهور بأشكال بشرية وغير بشريةَ.

* إبليس في المعتقدات الكنعانية :

يرتبط إبليس في المعتقد الكنعاني بالإله المدمّر -بعل- وتصور النصوص الكنعانية قوة التدمير التي تظهر للأبالسة. بعل يأمر الشياطين، وهم يُذكرون دوماً بأعداد كبيرة كالجيش ويدمرون كل شيء. ورئيس الشياطين المباشر هو حارس الأموات ودليل المتوفين. إنَّ بإمكانه إطلاق قوى الغيب من عقالها والسيطرة على العدو بأياد خفية(٥١١).

وترتبط بعض العادات الكنعانية بمعتقدات تجعل من إبليس جزءاً من مضمونها. مثلاً عادة دق الطبول من أجل طرد الشياطين، فيقول نص من اللآلىء: وليجعل الطبل يدق إذا ما التقى بهم وكمثل ألف إبليس(٥١٢).

وتظهر الأبالسة في نصوص كنعانية كثيرة لكنها في مجملها تختلط بالأساطير. فالإله بعل يعاونه أولئك الأبالسة، وهم دوماً يساعدونه، كما أنهم كثيرون، ومحاربون في الجيش. إنهم يجتاحون البلاد كما يجتاحون مدينةً أو

قصراً، وزعيمهم المباشر هو حارس الاموات ودليل المتوفين؛ إنه سفير بعل، ويمكن أن يكون نجيّ العاهل (الملك) ومستشاره. دعوته إلى المائدة ممكنة، كما بالإمكان تقديم الذبائح له، وتكريمه والتذلّل إليه كما لو كان إلهاً. أما وجهه فهو قاسٍ بصورة عامة، وباستطاعته التنكر ليبدو بمظهر الصديق، ولكن سرعان ما يفصح عن نفسه في الوقت المناسب، وعندئذٍ يجلس إلى يمين مضيفه. واللعنة لا تؤثر في هذا الإبليس، وهو إذا ما دعا سيده فلا يصبح من الممكن تغيير شيء من سير الأحداث، وإذا ما أسدى النصح فيجب العمل بعكس ما ينصح، لأنه كاذب حتى في النصح. ولحارس الأموات طقس خاص به يمتاز بخاصية المكر المؤدّي إلى تدنيس المقدسات، وهو يفرح للخزي ويضحك ممن يتخبط في سبيل التخلص منه(٥١٣).

ويعتقد الكنعانيون، أن الشياطين تجلب الأمراض، وهذا الإعتقاد مقتبس من معتقدات أهل ما بين النهرين. فالشيطان الذي يعمي البصيرة هو الذي يوقع بالمرض(٥١٤).

إن هذه المعتقدات الكنعانية الدائرة حول إبليس، ترتبط إلى حدّ كبير بمفهوم الشر، فدوماً يقف إبليس إلى جانب قوى الشر ضد الإنسان، حتى أن معتقداتهم تقرن إبليس بالآلهة الشريرة العنيدة والمدمرة، والتي هي ضد مصلحة الشعب واستقراره. وسنرى أن هذه المعتقدات ظلت تؤثر في النفسية الفلسطينية منذ تلك العصور وحتى الآن. وبسبب تأكيد الإنجيل والقرآن الكريم على طبيعة إبليس الشريرة، ظلت المعتقدات قوية متوارثةً في العقلية الفلسطينية ونفسيتها، وإنْ تكونت صور جديدة أو تفصيلية عن أعماله الخفية والظاهرة، وإيقاع اللوم دوماً على وسْوسته وخيانته ووقوفه إلى جانب المسلكية السيئة والأعمال المنافية للعرف والقانون والسلوك الإنساني برمّته.

فلا شك أن الأسطورة المتعلقة بإبليس هي «أسطورة قديمة، ولا يختص بها شعب من الشعوب، وتمثل بداية وعي الإنسان في فجر الحضارة الإنسانية إلى قضية الخير والشر»(٥١٥).

* من هو إبليس؟

يقول الطبري[٥١٦]، إن إبليس كان «من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلةً، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان على الدنيا، وكان له سلطان على الأرض».

إن هذا يشير إلى أن إبليس كان من الملائكة. إلاّ أن البعض كان يرى أن إبليس كان من الجن، يقول البيضاوي «على أن الملك لا يعصي، وإنما عصى إبليس لأنه جني في أصله»[٥١٧].

وربما استند الطبري في رأيه على الآية الكريمة: «وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس»[٥١٨]، حيث استدل منها أن إبليس كان واحداً من الملائكة الذي أمروا بالسجود لآدم، إلا أنه عصى أمر الخالق عزّ وجل. أما البيضاوي، ومن يرى رأيه، فربما استدلوا على أن إبليس كان من الجن، من قوله تعالى: «فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»[٥١٩].

ويؤكد الدميري[٥٢٠] على ما أورده البيضاوي من أن إبليس كان من الجن ولم يكن ملَكاً، فيقول «واعلم أن المشهور، أن جميع الجن من ذرّيّة إبليس، وبذلك يُستدل على أنه ليس من الملائكة، لأن الملائكة لا يتناسلون لأنهم ليس فيهم إناث»

وفي أسطورة «لوسيفر» في التعاليم المسيحية نرى كيف أن لوسيفر قد «تحول من سيد الملائكة إلى إبليس سيد الشياطين»[٥٢١]. وترى هذه التعاليم أن «بين الملائكة التي خلقها الله، كان هناك ملاك فائق الجمال اسمه «لوسيفر»، أي حامل الضياء. وكان من صف الملائكة المقربين الذين يعكسون مجد الله وعظمته. ولما خلق الله آدم شعر لوسيفر بالمكانة الخاصة التي أفرد بها الله هذا المخلوق الجديد، وأمعن النظر في صميم الثالوث المقدس. وعرف أن الله يعدّ لهذا المخلوق مكانة أعلى فأعلى، تُهدِّد مكانة لوسيفر نفسه الذي يعتقد بأنه الأعلى بين جميع المخلوقات، قطعة «فريدة» من صنع الخالق»[٥٢٢].

ويقال إن إبليس قد خلق من نار السموم، وذلك مثله مثل الجن الذين خلقوا من هذه المادة[٥٢٣].

*سبب التسمية:

يرى الطبري[٥٢٤] أن إبليس عندما أبى «أن يسجد أبْلَسَهُ الله تعالى، أيأسه من الخير كله». وفي اللغة أبلس بمعنى يئس وتحير، ومنه إبليس»[٥٢٥]. وأصل اسم «إبليس» في اللغة اليونانية «ديابولس» ومعناها «المشتكي زوراً» أو «الثالب». والكلمة «ديابوليس» في العهد الجديد باللغة اليونانية، تُرجمت في العربية في معظم الأماكن بكلمة «إبليس»، وفي مواضع قليلة ترجمت «بالشيطان» أو «الثالب». وهو «روح شريرة» أو «شيطان» وقد استخدمت هذه الكلمات كمرادفات...»[٥٢٦].

*سبب اللعنة:

يقول الطبري[٥٢٧] إن إبليس استكبر «على ربه، وادّعى الربوبية، ودعا من كان تحت يده، فيما ذُكر، إلى عبادته، فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيماً، وشَوَّهَ خَلْقَه وسلبه ما كان خَوَّلَه، ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه وشيعته في الآخرة نار جهنم».

ويشير القرآن الكريم بوضوح، إلى سبب اللعنة التي حلت بإبليس، في قوله تعالى: «فسجد الملائكة كلهم أجمعين. إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين. قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين. قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون. قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين»[٥٢٨].

وفي التعاليم المسيحية، أنه بالرغم من أن «لوسيفر يعرف تماماً اللعنة الأبدية التي ستحيق به نتيجة الثورة على الإله، فقد فضّل أن يتمرد ويتمرد إلى آخر الزمن على أن يتخلى عن كبريائه وكرامته الملائكية السامية، وذلك بتأدية فروض الولاء لمن هو أقل منه شأناً وسمواً. وقد استخدم لوسيفر إرادته الحرّة التي منحه الله إياها، كاملةً غير منقوصة، وأظهر العصيان، بأن رفض إظهار

الإحترام لآدم كما أمر الله جميع الملائكة»[٥٢٩].

وتركيز «الميثولوجيا السامية، بشكل عام، على خطيئة إبليس الأولى، تَمَثَّل في استكباره للمادة التي خلق منها، وهي النار، على المادة التي خُلق منها آدم، وهي الطين أو التراب»[٥٣٠].

* أشـــكال إبليـــس:

يظهر كثير من المعتقدات الشعبية أن إبليس يستطيع أن يتشكل بأشكال عديدة. ففي «بعض الحكايات الشعبية يظهر الشيطان في هيئة غراب، وفي بعض الأحيان نراه يحرس كنزاً، ويقال إن بعض هذه الغربان تقوم بمهمة رسول. «إبليس»»[٥٣١].

* حياة إبليس وموتـه:

يُنسب إلى النبي (ص)، أنه قال: «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتَني وجعلتني رجيماً، فاجعل لي بيتاً، قال: الحمّام.. قال: فاجعل لي مجلساً، قال: الأسواق ومجامع الطرق.. قال: فاجعل لي طعاماً، قال: ما لم يُذكر اسم الله عليه.. قال: فاجعل لي شراباً، قال: كل مسكر.. قال: فاجعل لي مؤذّناً، قال: المزامير.. قال: فاجعل لي قرآنا، قال: الشّعْر .. قال: فاجعل لي خطّاً، قال: الوشم.. قال: فاجعل لي حديثاً، قال: الكذب.. قال: فاجعل لي مصايد، قال: النساء..»[٥٣٢].

وحول موت إبليس، يروى «عن زرعة بن ضمرة، قال: قال رجل لابن عباس، أيموت الجن؟ قال: نعم، غير إبليس»[٥٣٣]. وقالوا بأن «الشياطين ذكور وإناث، ويتوالدون ولا يموتون حتى يموت إبليس»[٥٣٤].

«ومن الطريف قولهم أن في إبليس وحده أعضاء الذكورة والأنوثة معاً، وذلك في فخذيه.. وبذلك يتوالد، فيخرج له كل يوم عشر بيضات، في كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة»[٥٣٥].

ويقال إن إبليس أو الشيطان، يعيش مع كل إنسان، ويروى عن النبي (ص)

أنه قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم...»(٥٣٦). وروي أن «عائشة شعرت بالغيرة، لأن النبي (ص) خرج من عندها ليلاً، فلما سألها: مالك يا عائشة أغِرْتِ؟ فقلتُ: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: أوَ قد جاءك شيطانك، قلتُ: يا رسول الله أوَ معي شيطان؟ قال: نعم، قلتُ: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلتُ ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكنّ ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم»(٥٣٧).

ويروون أن «الله قال لإبليس: لا أخلق لآدم ذريةً إلا ذرأتُ لك مثلها، فليس من ولد آدم أحدٌ إلاّ وله شيطان قد قُرن به»(٥٣٨).

* إبليـــس والغـوايـــة:

قيل «إن عدو الله، إبليس، عرض نفسهُ على دواب الأرض، أيّها يحمله حتى يدخل به الجنة حتى يكلّم آدم وزوجته، فكل الدواب أبى ذلك عليه، حتى كلّم الحيةَ، فقال لها: أمنعك من بني آدم فأنتِ في ذمتي إن أنتِ أدخلتِني الجنة، فجعلتْهُ بين نابين من أنيابها، ثم دخلتْ به، فكلّمهما من فمها، وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها»(٥٣٩). وهناك، في الجنة، وسوس لآدم وحوّاء، كي يأكلا من الشجرة المحرّمة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: «قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد وملْك لا يَبلى»(٥٤٠)، وقوله تعالى: «فأزلّهما الشيطان عنها، فأخرجهما ممّا كانا فيه»(٥٤١). ثم تسبب في إخراجهما من الجنة: «يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما أُخرج أبويكم من الجنة»(٥٤٢). وورد في القرآن الكريم، ما يشير إلى أن إبليس عندما حلّت عليه اللعنة وأخرج من الجنة، قد توعَّد الناسَ وهدَّدهم بالغواية: «قال ربِّ بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين»(٥٤٣). وعلى الأرض ابتدأ إغواء إبليس للبشر؛ فبدأ بقابيل. ويحدثنا القرطبي «بأن قابيل لما رأى أنه قد تُقُبِّل قربان أخيه دون قربانه، سوّلتْ له نفسه قتل أخيه. «..فجهل كيف يقتله، فجاء إبليس بطائر -أو بحيوان غيره- فجعل يشرخ رأسه بين حجرين، ليقتدي به قابيل، ففعل...»(٥٤٤). وعندما بنى نوح سفينته

«اختبأ إبليس تحت ذيل الحمار في شكل ذبابة، ولكن الحمار كَرِهِ أن يكون واسطة لنقل ذلك الشرير، كما قام نوح بطرده بضربات قاسية»(٥٤٥). ويقال بأن زوجة نوح قد مكّنت الشيطان من تخريب الفلك ثلاث مرات، وكذلك فقد تسلل الشيطان إلى الفُلْك خلال الطوفان عن طريق زوجة نوح، عقب زواجه منها»(٥٤٦).

وفي أحد النصوص الإيرلندية «أن بناء فُلك نوح استغرق ٨١ عاماً، إذْ أن الشيطان كان يدمّره مرةً كل سبع سنوات، مستعيناً بالزوجة»(٥٤٧).

وتروي أسطورة فلسطينية، أنه بعد أن هرب الخليل من النمرود، ذهب ليبني الكعبة في مكة، وأراد إبليس أن يخلق متاعب بين إبراهيم وهاجر زوجته، وأغراها لتقنع زوجها بعدم بناء الكعبة، فتناولت حجراً ورجمته به، ومن هذا الحادث حصل إبليس على لقب الشيطان الرجيم»(٥٤٨). كذلك فإن الشيطان «هو الذي وَسْوَسَ لامرأة لوط، حين هجر لوط قومه، وفرَّ مهاجراً ومعه أهل بيته، فأرسل العذاب على مدينة «سادوم» وقراها الخمس».. حين سمعت المرأة أصوات خراب المدينة، فصرختْ: واقوْماه، «وكان أن تحولت إلى عمود ملح»(٥٤٩). واستخدم إبليس غوايته مع رحمة، زوجة أيوب، عندما ذهب مالُه: قال لها إبليس: «اسجدي لي لأردّ مالكم إليكم، فاستأذنتْ أيوبَ، فغضب، وحلف ليضربها مائة..»(٥٥٠).

ويقال إن الشيطان كان قد أتى «قريشاً في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم، لمّا أرادوا الخروج إلى بدر: «وكما يروى أنه تصور في صورة شيخ نجدي لمّا اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهل يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه»(٥٥١).

وقد يصيب الشيطان الإنسانَ بالمسّ. ويروى عن أبي هريرة قوله: «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: إني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم»(٥٥٢)»(٥٥٣).

والشيطان هو صانع الأحلام، إذ يروى عن النبي (ص) أنه قال: «الرؤيا

الصالحة من الله، والحلُم من الشيطان»[٥٥٤].

في الوسط الشعبي الفلسطيني كان الناس يعتقدون أن الطعام الذي يسقط إلى الأرض يعتبر من نصيب إبليس، ويقولون عن هذا الطعام «شَمُّه إبليس». وهم يعتقدون أن أموال الرجل البخيل ستؤول في النهاية إلى إبليس، ويعبرون عن ذلك بقولهم: رزق الخسيس لإبليس. ويعتقدون أن الأشياء المستعارة يمكن أن يتلفها إبليس بعد استعارتها، لذلك فإن من يستعير أشياء الناس، يحرص عليها حرصاً شديداً لأن «غرَض الناس مْوَكّْل فيه إبليس». وهم ينسبون الغضب إلى إبليس، لذلك فإنه إذا غضب أحدهم وهمَّ بضرب شخص ما في فورة الغضب، يقولون له: «إخزِ الشيطان» أي خيِّبْ ظن الشيطان ولا تتصرف وأنت غاضب، لأن الغضب من صنع الشيطان. وإذا غضب أحدهم، وخالجه شعور بإلحاق الأذى بالآخرين، أو شتمهم، فإنه ربما قال: «ألله يلعن الشيطان الملعون»، لإعتقادهم بأن الشيطان هو الذي يُسوِّل للناس ويزين لهم الأعمال الشريرة. وإذا كان أحدهم يعبث ببندقية، حتى وإن كانت غير محشوّة بالرصاص، فإنهم يحذرونه من ذلك، بقولهم: «إسَّه بعمِرّها إبليس»، أي إن إبليس يستطيع أن يحشوها بالرصاص، فيؤدّي العبث بها إلى قتل شخص ما.

وهم يعتقدون بأن على الزوج أن يبسْمل قبل أن يباشر زوجته، لأنه إن لم يسمّ (يبسمل)، فإن المولود سيكون (ابن إبليس) أي يأتي بمثابة (ابن حرام)، حيث أن البسملة تُذهب الشيطان، ويفرّ هارباً منها، والطفل الشرير، الذي يولد (من غير بسملة أبيه)، يصفونه بقولهم أن «أبوه كان مش مْسمي».



هوامش الفصل الثاني

(١) قاموس الكتاب المقدس ـ مكتبة المشعل ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ـ ١٩٨١ م ـ ص ٥١٩ .
(٢) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٢ م ـ ص ٣٣ .
(٣) الدكتور إبراهيم بدران والدكتورة سلوى الخماش ـ دراسات في العقلية العربية ـ (الخرافة) ـ دار الحقيقة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٣٠٠ .
(٤) الدكتور محمد الجوهري ـ علم الفولكلور ـ الجزء الثاني ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠ م ـ ص ٥٥٣ .
(٥) صحيح البخاري ـ المجلد الأول ـ الجزء الثاني ـ ص ٢٤ .
(٦) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦ م ـ ص ٢٣ .
(٧) فراس السواح ـ مغامرة العقل الأولى ـ دار الكلمة ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٢ م ـ ص ١٠ ـ ١١ .
(٨) الدكتور علي زيعور ـ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٧ م ـ ص ٢٧٧ .
(٩) أنظر : هـ . ي ديل ميديكو ـ اللآلىء من النصوص الكنعانية ـ تعريب مفيد عرنوق ـ منشورات مجلة « فكر » ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠ م ـ ص ١٦٢ .
(١٠) أنظر : قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٥١٩ .
(١١) محمود سليم الحوت ـ في طريق الميثولوجيا عند العرب ـ دار النهار ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٣ م ـ ٩٢ .
(١٢) المصدر السابق ـ نقلاً عن Enc of Rel ـ المجلد الاول ـ ص ٦٦ .
(١٣) القرآن الكريم ـ سورة النمل ـ الآية / ٢٤ .
(١٤) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٥٤٨ .
(١٥) القرآن الكريم ـ سورة الأنعام ـ الآية / ٧٨ .
(١٦) فوزي العنتيل ـ الفولكلور ما هو؟ ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٥ م ـ ص ١٢٤ .
(١٧) سليمان مظهر ـ قصة الديانات .
(١٨) فراس السواح ـ مصدر سابق ـ ص ١٠ ـ ١١ .
(١٩) (٢٠) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٨ م ـ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .
(٢١) (٢٢)(٢٣) فردريش فون ديرلاين ـ الحكاية الخرافية ـ ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ـ دار القلم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٣ م ـ ص ٩٣ .
(٢٤) جريدة تشرين السورية ـ عدد ٥ /شباط/ ١٩٨٣ م .
(٢٥) (٢٦)(٢٧) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٦ .

(٢٨) (٢٩) ألكزاندر هجرتي كراب ـ علم الفولكلور ـ ترجمة رشدي صالح ـ وزارة الثقافة ـ مؤسسة التأليف والنشر ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ م ـ ص ٣٣٢ .

(٣٠) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٦ .

(٣١) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ـ ١٩٨٠ م ـ ص ٦٤ .

(٣٢) الدكتور إبراهيم بدران ـ مصدر سابق ـ ص ٣٠٠ .

(٣٣) صحيح البخاري ـ المجلد الأول ـ الجزء الثاني ـ ص ٢٦ .

(٣٤) أنظر : ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٣٢ .

(٣٥) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٧٠ .

(٣٦) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٩٥ .

(٣٧) القرآن الكريم ـ سورة فصلت ـ الآية / ٣٧ .

(٣٨) الدكتور محمد عبد المعيد خان ـ الأساطير والخرافات عند العرب ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠ م ـ ص ٧٨ .

(٣٩) مصدر سابق ـ ونفس الصفحة .

(٤٠) سين ، أو « سين » .

(٤١) (٤٢)(٤٣) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٧٤٣ وص ٥٨ .

(٤٤) هـ . ي ديل ميديكو ـ مصدر سابق ـ ص ١٦١ .

(٤٥) أنظر : شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٥١ .

(٤٦) ك . ك . راثفين ـ الأسطورة ـ ترجمة جعفر صادق الخليلي ـ منشورات عويدات ـ بيروت ـ باريس ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨١ م ـ ص ١٤٣ .

(٤٧) أنظر : مصدر سابق ـ ص ١٤٢ .

(٤٨) معجم الأساطير اليونانية والرومانية ـ إعداد سـهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٨٢ م ـ ص ٣٩ .

(٤٩) (٥٠) أنظر : ك . ك . راثفين ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٥١) (٥٢) شوقي عبد الحكيم ـ الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق .

(٥٣) سليمان مظهر ـ مصدر سابق .

(٥٤) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الثاني ـ ١٩٨٠ م ـ ص ١١٣ .

(٥٥) (٥٦) فردريش فون ديرلاين ـ مصدر سابق ـ ص ٩٤ و ٩٣ .

(٥٧) (٥٨) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ـ ١٩٨٠ م ـ ص ١٩ .

(٥٩) الكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٣ .

(٦٠) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٠ .

(٦١) القرآن الكريم ـ سورة الأنعام ـ الآيتان / ٦٠ و ٧٦ .

(٦٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الثاني ـ مصدر سابق ـ ص ١٩ .

(٦٣) صحيح البخاري ـ المجلد الثاني ـ الجزء الرابع ـ ص ٩٣ .

(٦٤) (٦٥) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٨٢٨ وص ٥٨٧ .

(٦٦) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد السابع ـ ١٩٧٥ م ـ ص ١١٥ .

(٦٧) الكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٣٣ .

(٦٨) القرآن الكريم ـ سورة الإسراء ـ الآية / ٦٩ .
(٦٩) القرآن الكريم ـ سورة الأحقاف ـ الآية / ٢٤ .
(٧٠) القرآن الكريم ـ سورة الذاريات ـ الآية / ٤١ .
(٧١) القرآن الكريم ـ سورة الحاقة ـ الآية / ٦ .
(٧٢) القرآن الكريم ـ سورة فصلت ـ الآية / ١٦ .
(٧٣) القرآن الكريم ـ سورة القمر ـ الآية / ١٩ .
(٧٤) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٤ ـ عن التيجان ـ ص ٣١١ .
(٧٥) مصدر سابق ـ ص ١٤٤ .
(٧٦) أنظر : محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٥ ـ عن السيرة لابن هشام ـ ص ٦٧ .
(٧٧) فردريش فون ديرلاين ـ مصدر سابق ـ ص ٩١ .
(٧٨) مجلة « العربي » الكويتية ـ العدد رقم ٣٠٢ ـ يناير ١٩٨٤ م ـ ص ١٥٨ .
(٧٩) (٨٠) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٧٤٧ .
(٨١) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٦ ـ ويراجع معجم البلدان ـ الجزء الرابع ـ ص ٨٥ و Enc of Rel ـ الجزء الرابع ـ ص ٦٦٩ .
(٨٢) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٦ ـ عن القاموس للفيروزابادي ـ الجزء الأول ـ ص ٢٦٤ .
(٨٣) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٦ ـ عن معجم البلدان ـ الجزء الرابع ـ ص ٨٦ ـ ونهاية الأرب للنويري ـ الجزء الأول ـ ص ٩٠ .
(٨٤) مجلة الفنون الشعبية الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ١١٥ .
(٨٥) الدكتور محمد عبد المعيد خان ـ مصدر سابق ـ ص ٩٩ .
(٨٦) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق .
(٨٧) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٥ .
(٨٨) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٥ ـ عن السيرة لابن هشام ـ ص ١٧ .
(٨٩) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ـ الجزء الأول ـ ص ٨٢ .
(٩٠) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٩٨٤ .
(٩١) أنظر : الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٦٩ .
(٩٢) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٧ ـ ١١٨ ـ عن أيمان العرب في الجاهلية ـ ص ٢٩ ـ ٣١ ـ والحيوان للجاحظ ج ٣ ـ ص ٦ والكامل في التاريخ ج ١ ـ ص ٢٧٠ ـ ومعجم البلدان ج ٣ ـ ص ١٩٣ ـ ومحاضرات الادباء للراغب الأصفهاني ج ٢ ـ ص ٢٧٨ .
(٩٣) (٩٤) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ .
(٩٥) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ ص ٤٨٨ .
(٩٦) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٣٣ .
(٩٧) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٦٠١ .
(٩٨) القرآن الكريم ـ سورة هود ـ الآية / ٧ .
(٩٩) القرآن الكريم ـ سورة الأنبياء ـ الآية / ٣٠ .
(١٠٠) القرآن الكريم ـ سورة النور ـ الآية / ٤٥ .

(١٠١) القرآن الكريم - سورة الفرقان - الآية / ٥٤ .
(١٠٢) القرآن الكريم - سورة الطارق - الآية / ٦ .
(١٠٣) فراس السوّاح - مصدر سابق - ص ٢٩ .
(١٠٤) القرآن الكريم - سورة ق - الآية / ٩ .
(١٠٥) القرآن الكريم - سورة الفرقان - الآية / ٤٨ .
(١٠٦) القرآن الكريم - سورة الأنفال - الآية / ٥٣ .
(١٠٧) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ١٧٦ .
(١٠٨) أنظر : د. خليل أحمد خليل - نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية - دار الحداثة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧٩م - ص ٢٣٤ .
(١٠٩) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ١٧٦ .
(١١٠) دورا : قرية فلسطينية من قرى مدينة الخليل .
(١١١) (١١٢)(١١٣) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٨٩ .
(١١٤) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٣٦٩ .
(١١٥) أنظر : مجلة «المورد» العراقية - المجلد الثامن - ع ٤ - ١٩٧٩م - ص ٥٩٢ .
(١١٦) أنظر : الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٢٨٥ .
(١١٧) الميّه : الماء، المياه .
(١١٨) مجلة «التراث الشعبي» العراقية - العدد الخامس - مصدر سابق - ص ٦٤ .
(١١٩) شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق - ص ٢٠٨ .
(١٢٠) (١٢١)(١٢٢) المصدر السابق - ص ٢٠٨ وص ٦٦ وص ٢٩٢ .
(١٢٣) مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين - الجزء الأول - القسم الأول - منشورات دار الطليعة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٣م - ص ٢٣٣ .
(١٢٤) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الأول - الطبعة الأولى - عمان - ١٩٧٧م - ص ١٠ .
(١٢٥) (١٢٦)(١٢٧) المصدر السابق - ص ١١ .
(١٢٨) (١٢٩)(١٣٠)(١٣١)(١٣٢) الطبري - مصدر سابق - ص ٤٥ وص ٤٦ وص ٤٧ .
(١٣٣) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٥٥٣ .
(١٣٤) هاينز كرايسيك - حكايات وأساطير من عالم الشرق القديم - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق - ١٩٨٣م - ص ٥٥ - ٥٦ .
(١٣٥) فراس السواح - مصدر سابق - ص ٣٦ - ٣٧ .
(١٣٦) (١٣٧) هاينز كرايسيك - مصدر سابق - ص ٧٣ وص ٢٢٦ .
(١٣٨) معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق - ص ٢٥١ .
(١٣٩) فراس السواح - مصدر سابق - ص ٣٨ .
(١٤٠) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق - ص ٣ .
(١٤١) (١٤٢) فراس السوّاح - مصدر سابق - ص ٣٩ .
(١٤٣) القرآن الكريم - سورة الحج - الآية / ٥ .
(١٤٤) القرآن الكريم - سورة الكهف - الآية / ٣٧ .

(١٤٥) القرآن الكريم ـ سورة الروم ـ الآية / ٢٠ .
(١٤٦) القرآن الكريم ـ سورة غافر ـ الآية / ٦٧ .
(١٤٧) القرآن الكريم ـ سورة الأنعام ـ الآية / ٣٠ .
(١٤٨) القرآن الكريم ـ سورة السجدة ـ الآية / ٧ .
(١٤٩) القرآن الكريم ـ سورة الصافات ـ الآية / ١١ .
(١٥٠) القرآن الكريم ـ سورة صٓ ـ الآية / ٧١ .
(١٥١) القرآن الكريم ـ سورة الحجر ـ الآية / ٢٦ .
(١٥٢) (١٥٣) سليمان مظهر ـ مصدر سابق .
(١٥٤) القرآن الكريم ـ سورة الرحمن ـ الآية / ١٤ .
(١٥٥) فراس السواح ـ مصدر سابق ـ ص ٣٩ .
(١٥٦) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ١٢ .
(١٥٧) المصدر السابق ـ ص ١٢ .
(١٥٨) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الأول ـ مصدر سابق ـ ص ١٥ .
(١٥٩) صحيح البخاري ـ ص ١٠٢ .
(١٦٠) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ٦٣ .
(١٦١) (١٦٢) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ج ١ ـ مصدر سابق ـ ص ١٥ .
(١٦٣) القرآن الكريم ـ سورة الأعراف ـ الآية / ١٧٢ .
(١٦٤) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ٦٠ .
(١٦٥) القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ الآية / ٣٥ .
(١٦٦) القرآن الكريم ـ سورة الأعراف ـ الآية / ١٩ .
(١٦٧) القرآن الكريم ـ سورة طه ـ الآية / ١٢٠ .
(١٦٨) القرآن الكريم ـ سورة الأعراف ـ الآية / ٢٢ .
(١٦٩) القرآن الكريم ـ سورة طه ـ الآية / ١٢١ .
(١٧٠) القرآن الكريم ـ سورة طه ـ الآية / ١٢١ .
(١٧١) القرآن الكريم ـ سورة طه ـ الآية / ١١٥ .
(١٧٢) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٣ .
(١٧٣) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤ .
(١٧٤) القرآن الكريم ـ سورة الأعراف ـ الآية / ٢٧ .
(١٧٥) نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ـ ص ١١٠ .
(١٧٦) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٦٦ نقلاً عن البطريرك أسطفان الدويهي في تاريخه .
(١٧٧) مصدر سابق .
(١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ٦٠ ـ ٦١ .
(١٨٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .
(١٨٣) أنظر المصدر السابق ـ ص ٥٦ .
(١٨٤) (١٨٥) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩ و ٦١ .

(١٨٦) قاموس الكتاب المقدس -مصدر سابق -ص ٢٦٤ .
(١٨٧) (١٨٨) مصطفى مراد الدباغ -مصدر سابق -ص ٢٣٣ .
(١٨٩) الطبري -مصدر سابق -ص ٦٢ .
(١٩٠) الدكتور محمد الجوهري -مصدر سابق .
(١٩١) مصطفى مراد الدباغ -مصدر سابق -ص ١١٥ .
(١٩٢) نمر سرحان -الحكاية الشعبية الفلسطينية -مصدر سابق -ص ١١١ .
(١٩٣) (١٩٤)(١٩٥) الطبري -مصدر سابق -ص ٧٨-٧٩ .
(١٩٦) أنظر : المصدر السابق -ص ٧٦ .
(١٩٧) (١٩٨)(١٩٩)(٢٠٠) الطبري -مصدر سابق -ص ٨٤ و ٧٨ و ٨٠ و ٥٦ .
(٢٠١) نمر سرحان -الحكاية الشعبية الفلسطينية -ص ١١٠ .
(٢٠٢) مصطفى مراد الدباغ -بلادنا فلسطين -الجزء العاشر -القسم الثاني -الطبعة الأولى -١٩٧٦م -ص ٣٤٦ .
(٢٠٣) مصطفى مراد الدباغ -بلادنا فلسطين -الجزء الأول -مصدر سابق -ص ٢٣٣ .
(٢٠٤) نمر سرحان -موسوعة الفولكلور الفلسطيني -الجزء الأول -مصدر سابق -ص ١٧ .
(٢٠٥) مصدر سابق -ص ١٧ .
(٢٠٦) (٢٠٧) الدكتور محمد الجوهري -مصدر سابق -ص ٥٥٣ .
(٢٠٨) نمر سرحان -موسوعة الفولكلور الفلسطيني -الجزء الأول -مصدر سابق -ص ١٧ .
(٢٠٩) الدكتور محمد الجوهري -مصدر سابق -ص ٥٥٤ .
(٢١٠) (٢١١) المصدر السابق -ص ٥٥٤ .
(٢١٢) صحيح البخاري -المجلد الثاني -الجزء الرابع -ص ١٠٣ .
(٢١٣) أنظر : شوقي عبد الحكيم -موسوعة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق -ص ٢٥٩ .
(٢١٤) قاموس الكتاب المقدس -مكتبة المشعل -مصدر سابق -ص ٣٢٨ .
(٢١٥) الطبري -مصدر سابق -ص ٥٤ .
(٢١٦) (٢١٧)(٢١٨) أنظر : المصدر السابق -ص ٥٤-٥٥ و ٨١ .
(٢١٩) المصدر السابق -ص ٨٠ .
(٢٢٠) (٢٢١) نمر سرحان -الحكاية الشعبية الفلسطينية -مصدر سابق -ص ١٠٩ .
(٢٢٢) القرآن الكريم -سورة المائدة -الآية / ٢٦ .
(٢٢٣) (٢٢٤) نمر سرحان -الحكاية الشعبية الفلسطينية -مصدر سابق -ص ١٠٩ .
(٢٢٥) شوقي عبد الحكيم -مدخل لدارسة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق -ص ٢٩٣ .
(٢٢٦) (٢٢٧) شوقي عبد الحكيم -موسوعة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق -ص ٦٦ .
(٢٢٨) محمود سليم الحوت -مصدر سابق -ص ٢٠١ -نقلاً عن أنوار التنزيل للبيضاوي -الجزء الأول -ص ٥٢ .
(٢٢٩) أنظر : الطبري -مصدر سابق -ص ١٢ و ٤٣ .
(٢٣٠) القرآن الكريم -سورة يوسف -الآية / ٣١ .
(٢٣١) محمود سليم الحوت -مصدر سابق -ص ٢٠٢ -نقلاً عن Asiatic Mythology ص ٤٩ .
(٢٣٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية -العدد الأول -كانون الثاني -١٩٧٤م -ص ٤٠ .

(٢٣٣) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٤ ـ عن الكشاف ـ الجزء الرابع ـ ص ٤ .
(٢٣٤) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٤ ـ عن السيرة لابن هشام ـ ص ١٩١ و ٢٥٨ .
(٢٣٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الرابع ـ تشرين أول ـ ١٩٧٤م ـ ص ١١٢ ـ ١١٣ .
(٢٣٦) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٤ ـ عن السيرة لابن هشام ـ ص ٤٥٠ ، ٤٦١ و ٥١٦ ـ ٥١٧ و ٨٤٩ .
(٢٣٧) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ الآية / ١٢٤ .
(٢٣٨) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ الآية / ١٢٥ .
(٢٣٩) القرآن الكريم ـ سورة الأنفال ـ الآية / ٩ .
(٢٤٠) القرآن الكريم ـ سورة النحل ـ الآية / ٢ .
(٢٤١) القرآن الكريم ـ سورة فصلت ـ الآية / ٣٠ .
(٢٤٢) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ الآية / ٤٢ .
(٢٤٣) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ الآية / ٤٥ .
(٢٤٤) (٢٤٥) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ ص ٥١ .
(٢٤٦) القرآن الكريم ـ سورة الزخرف ـ الآية / ١٩ .
(٢٤٧) القرآن الكريم ـ سورة النجم ـ الآية / ٢٧ .
(٢٤٨) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٣ .
(٢٤٩) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٩٠ .
(٢٥٠) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٥ ـ عن السيرة لابن هشام ـ ص ١٨٩ و ٢٣٦ .
(٢٥١) القرآن الكريم ـ سورة سبأ ـ الآية / ٤٠ .
(٢٥٢) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧٩ .
(٢٥٣) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٤ .
(٢٥٤) القرآن الكريم ـ سورة النساء ـ الآية / ٩٧ .
(٢٥٥) القرآن الكريم ـ سورة الأنفال ـ الآية / ٥٠ .
(٢٥٦) القرآن الكريم ـ سورة النحل ـ الآية / ٣٢ .
(٢٥٧) القرآن الكريم ـ سورة السجدة ـ الآية / ١١ .
(٢٥٨) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٣ .
(٢٥٩) القرآن الكريم ـ سورة فاطر ـ الآية / ١ .
(٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٢٦ .
(٢٦٣) (٢٦٤) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الرابع ـ تشرين أول ـ ١٩٧٤م ـ ص ١١٤ .
(٢٦٥) (٢٦٦) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٦ و ٢٠٩ .
(٢٦٧) الدكتور إبراهيم بدران ـ مصدر سابق ـ ص ٣١ .
(٢٦٨) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٦٣ .
(٢٦٩) (٢٧٠) د. عبد الحميد يونس ـ الحكاية الشعبية ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ دار الكاتب العربي ـ ١٩٦٨م ـ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٢٧١) د. علي زيعور .مصدر سابق .ص ٢٦٣ .

(٢٧٢) مجلة «المورد» العراقية .المجلد الثامن .العدد الرابع .١٩٧٩م ص ٥٩٦ .

(٢٧٣) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٦٤ .

(٢٧٤) معجم الأساطير اليونانية والرومانية .مصدر سابق .ص ٤٣ .

(٢٧٥) محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢١٧ .عن الشبلي .ص ٨ .

(٢٧٦) المصدر السابق .ص ٢١٧ .عن البداية والنهاية .ص ٥٦ .الجزء الأول .

(٢٧٧) .مصدر سابق .ص ٢١٧ .عن الدميري ص ١٨٥ .الجزء الأول .والشبلي ص ١٧ ـ ١٨ .

(٢٧٨) محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢١٠ .عن تفسير الطبري ص ١٥٣ .الجزء الأول .والقزويني ص ٣٦٨ والشبلي ص ٩ ـ ١٠ و Langdon ص ٣٥٢ .

(٢٧٩) (٢٨٠) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٧٥ و ٣٩٠ ـ ٣٩١ .

(٢٨١) القرآن الكريم .سورة الأعراف .الآية / ٢٧ .

(٢٨٢) القرآن الكريم .سورة الرحمن .الآية / ٥٦ .

(٢٨٣) (٢٨٤) مجلة «التراث الشعبي» العراقية .العدد الرابع .كانون أول ـ ١٩٦٩م .ص ١٤٥ ـ ١٤٦ وص ١٤٤ .

(٢٨٥) د. عبد الحميد يونس .مصدر سابق .ص ٤٥ .

(٢٨٦) (٢٨٧) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الرابع .تشرين الأول ـ ١٩٧٤م .ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢٨٨) القرآن الكريم .سورة الحجر .الآية / ٢٧ .

(٢٨٩) القرآن الكريم .سورة الرحمن .الآية / ١٥ .

(٢٩٠) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الرابع .تشرين الأول ـ ١٩٧٤م .ص ١١٦ .

(٢٩١) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الأول .كانون ثاني ـ ١٩٧٤م .ص ٤٠ .

(٢٩٢) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٨٤ .

(٢٩٣) الدكتور محمد عبد المعيد خان .مصدر سابق .ص ٨٠ .عن مروج الذهب .ص ٣٢٠ .

(٢٩٤) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الرابع .مصدر سابق .ص ١١٨ .

(٢٩٥) المصدر السابق .ص ١٠٩ .

(٢٩٦) الدكتور إبراهيم بدران .مصدر سابق .ص ٢٥ .

(٢٩٧) القرآن الكريم .سورة النمل .الآيتان ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢٩٨) القرآن الكريم .سورة النمل .الآية / ٤٠ .

(٢٩٩) الدكتور محمد عبد المعيد خان .مصدر سابق .ص ٨٥ .عن الإكليل .

(٣٠٠) ألكزاندر هجرتي كراب .مصدر سابق .ص ١٣٦ .

(٣٠١) (٣٠٢) المصدر السابق .ونفس الصفحة .

(٣٠٣) (٣٠٤) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٦٢ .

(٣٠٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الرابع .مصدر سابق .ص ٩٠ .

(٣٠٦) (٣٠٧)(٣٠٨) مجلة «التراث والمجتمع» .العدد الثاني .١٩٧٨م .ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٣٠٩) (٣١٠)(٣١١)(٣١٢)(٣١٣)(٣١٤)(٣١٥) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٧٧ ، ٤١٣ ، ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، ٤١٤ ، ٣٦٨ ، ٣٨٧ ، ٤١٢ ـ ٤١٣ .

(٣١٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الرابع .مصدر سابق .ص ٩٠ .

(٣١٧) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ٤٥ .
(٣١٨) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ١٥٦ .
(٣١٩) (٣٢٠) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٤٥ .
(٣٢١) مجلة «التراث والمجتمع» ـ العدد الخامس ـ ١٩٧٦م ـ جمعية إنعاش الأسرة ـ البيرة ـ ٧٥ .
(٣٢٢) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٨١ .
(٣٢٣) مجلة «المورد» العراقية ـ م ٨ ع ٤ ـ ١٩٧٩م ـ ص ٥٩٦ .
(٣٢٤) القرآن الكريم ـ سورة الحجر ـ الآية / ١٨ .
(٣٢٥) القرآن الكريم ـ سورة الصافات ـ الآية / ١٠ .
(٣٢٦) (٣٢٧) القرآن الكريم ـ سورة الجن ـ الآيتان / ٩ و ٨ .
(٣٢٨) (٣٢٩)(٣٣٠)(٣٣١)(٣٣٢) د . عبد الحميد يونس ـ مصدر سابق ـ ص ٤٧ ، ٥٣ ـ ٥٤ .
(٣٣٣) أنظر : الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٦٨ .
(٣٣٤) (٣٣٥) المصدر السابق ـ ص ٣٦٢ ، ٢٨٥ .
(٣٣٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٤٥ .
(٣٣٧) الرحمانيون : ـ نسبة إلى الرحمن .
(٣٣٨) القرآن الكريم ـ سورة الأنعام ـ الآيتان / ١١٢ ، ١٣٠ .
(٣٣٩)
(٣٤٠) مجلة «المورد» العراقية ـ م ٨ ـ ع ٤ ـ ١٩٧٩م ـ ص ٥٩٥ .
(٣٤١) القرآن الكريم ـ سورة الأعراف ـ الآية / ٣٨ .
(٣٤٢) (٣٤٣) القرآن الكريم ـ سورة الجن ـ الآيات ١ ، ٢ ، ١١ .
(٣٤٤) مجلة «المورد» العراقية ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩٨ .
(٣٤٥) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٠ .
(٣٤٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الرابع ـ مصدر سابق ـ ص ٨٨ .
(٣٤٧) (٣٤٨) المصدر السابق ـ ص ٩٢ ، ١١٢ .
(٣٤٩) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٦ .
(٣٥٠) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٨٦ .
(٣٥١) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٤ ـ عن كتاب الأصنام ـ ص ٣٤ .
(٣٥٢) (٣٥٣) القرآن الكريم ـ سورة سبأ ـ الآية / ٤١ وسورة الأنعام ـ الآية / ١٠ .
(٣٥٤) أنظر : مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٤٠ .
(٣٥٥) مجلة «المورد» العراقية ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥ .
(٣٥٦) أنظر : الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ٤٣ .
(٣٥٧) العيسوية : قرية فلسطينية من قرى القدس .
(٣٥٨) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢ .
(٣٥٩) (٣٦٠)(٣٦١) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠م ـ هامش ص ٢٥٤ وص ٢٥٨ .
(٣٦٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الرابع ـ مصدر سابق ـ ص ٩٤ .

(٣٦٣) الدكتور إبراهيم بدران .مصدر سابق .ص ٢٥ .
(٣٦٤) المصدر السابق .ص ٢٧ .عن الثعالبي .فقه اللغة .ص ١١٨ .
(٣٦٥) شوقي عبد الحكيم .مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية .مصدر سابق .ص ١٤١ .
(٣٦٦) الأغاني .لأبي الفرج الأصفهاني .٩ / ١٠٠ .
(٣٦٧) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٨٥ .
(٣٦٨) محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢٢٦ .عن محاضرات الأدباء .ص ٢٨١ .الجزء الثاني . والدميري ج ١ .ص ١٨٧ .
(٣٦٩) القرآن الكريم .سورة الأنعام .الآية / ٧١ .
(٣٧٠) محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢٢٧.٢٢٨ .عن البيان والتبين .الجزء السادس .ص ٨١ ، ٨٧ .
(٣٧١) القرآن الكريم .سورة الإسراء .الآية / ٦٤ .
(٣٧٢) محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢٢٩ .عن الشبلي .ص ٦٩ .
(٣٧٣) محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢٢٩ .عن الدميري .الجزء الأول .ص ١٩٤ .
(٣٧٤) المصدر السابق .ص ٢٣٠ .عن الشبلي .ص ٧٠ .
(٣٧٥) شوقي عبد الحكيم .موسوعة الفولكلور والأساطير العربية .مصدر سابق .ص ٧٩ .
(٣٧٦) ألكزاندر هجرتي كراب .مصدر سابق .ص ٣٧٤ .
(٣٧٧) الدكتور إبراهيم بدران .مصدر سابق .ص ٣١ .
(٣٧٨) (٣٧٩) محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢٧٨ . ٢٧٩ و ٢٨١ .
(٣٨٠) (٣٨١) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٨٥ . ٣٨٦ و ٣٨١ .
(٣٨٢) القرآن الكريم .سورة النمل .الآية / ١٧ .
(٣٨٣) القرآن الكريم .سورة سبأ .الآية / ١٢ .
(٣٨٤) القرآن الكريم .سورة الجن .الآية / ٦ .
(٣٨٥) شوقي عبد الحكيم .مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية .مصدر سابق .ص ١٤٢ . ١٤٣ .عن الأزرقي . ٢ / ١١ وما بعدها .
(٣٨٦) (٣٨٧) أنظر : محمود سليم الحوت .مصدر سابق .ص ٢٢٧ .عن : Smith : Rel of the semites .ص ١٣٣ . ومحاضرات الأدباء ج ٢ .ص ٢٨٠ .
(٣٨٨) المصدر السابق .ص ٢٢٥ .
(٣٨٩) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الأول .مصدر سابق .ص ٤٤ .
(٣٩٠) الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق .ص ٣٦٢ .
(٣٩١) د. عبد الحميد يونس .مصدر سابق .ص ٥٤ .
(٣٩٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الرابع .مصدر سابق .ص ٩٥ .
(٣٩٣) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الأول .مصدر سابق .ص ٤٠ . ٤١ . ٤٢ .
(٣٩٤) مجلة «التراث والمجتمع» .م ٣ .ع ٢ . ١٩٧٨م .ص ٢١٣ .
(٣٩٥) مجلة «التراث والمجتمع» .العدد الخامس . ١٩٧٦م .ص ٧٥ .
(٣٩٦) (٣٩٧)(٣٩٨) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية . ع ٤ .مصدر سابق .ص ١١٦ .
(٣٩٩) ترمسعيا .مركز الأبحاث في م.ت.ف. وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الكويت . ١٩٧٣م

-ص ١٠٦ .

(٤٠٠) د. عمر عبد الرحمن الساريسي -مصدر سابق -ص ٢٥٧

(٤٠١) نمر سرحان -إحياء التراث الشعبي -ص ٩٧-٩٨ .

(٤٠٢) العين الدورية : هي التي تفيض بالماء تارة ويفيض ماؤها تارة أخرى .

(٤٠٣) (٤٠٤)(٤٠٥) نمر سرحان -إحياء التراث الشعبي -مصدر سابق -ص ٩٨-٩٩ .

(٤٠٦) جفنا (جفنه) : قرية فلسطينية ، من قرى رام الله .

(٤٠٧) نمر سرحان -إحياء التراث الشعبي -مصدر سابق -ص ٩٩-١٠٠ .

(٤٠٨) (٤٠٩) مجلة «التراث والمجتمع» -م ٣ -ع ٢ -مصدر سابق -ص ٢٢١-٢٢٢ .

(٤١٠) عين سلوان : نبع ماء بالقرب من قرية سلوان الفلسطينية في منطقة القدس .

(٤١١) (٤١٢)(٤١٣)(٤١٤) مجلة «التراث والمجتمع» -م ٣ -ع ٢ -مصدر سابق -ص ٢٢٣-٢٢٤ و ٢١٧ .

(٤١٥) دير طريف : قرية فلسطينية من قرى مدينة الرملة .

(٤١٦) دير غسانة : قرية فلسطينية من قرى مدينة رام الله .

(٤١٧) كفر توت : خرْبة فلسطينية (كانت من قبل قرية عامرة) بين جبال نابلس ومدينة رام الله .

(٤١٨) عين صوبا : نبع ماء بالقرب من قرية «صوبا» الفلسطينية وهي من قرى مدينة القدس .

(٤١٩) مجلة «التراث والمجتمع» -م ٣ -ع ٢ -مصدر سابق -ص ٢١٨ .

(٤٢٠) عين الجوز : نبع ماء في منطقة القدس .

(٤٢١) مجلة «التراث والمجتمع» -م ٣ -ع ٢ -ص ٢٢٠ .

(٤٢٢) أنظر : المصدر السابق -ونفس الصفحة .

(٤٢٣) المصدر السابق -ص ٢١٥ .

(٤٢٤) شوقي عبد الحكيم -مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق -ص ٣٣ .

(٤٢٥) فردريش فون ديرلاين -مصدر سابق -ص ٢٠٨ .

(٤٢٦) معجم الأساطير اليونانية والرومانية -مصدر سابق -ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(٤٢٧) شوقي عبد الحكيم -مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق -ص ١٣٨ .

(٤٢٨) ألكزاندر هجرتي كراب -مصدر سابق -ص ١٥٦ .

(٤٢٩) (٤٣٠)(٤٣١) شوقي عبد الحكيم -مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق .

(٤٣٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية -العدد ١٢ -تشرين ثاني -١٩٧٦م -ص ٢٢ .

(٤٣٣) (٤٣٤) مجلة «التراث والمجتمع» -م ٣ -ع ٢ -مصدر سابق -ص ٢٢٢ و ٢١٧ .

(٤٣٥) فوزي العنتيل -مصدر سابق -ص ١٢٠ .

(٤٣٦) صحيح البخاري -م ٢ -ج ٤ -ص ٩٣ .

(٤٣٧) ترمسعيا -مصدر سابق -ص ١٤٩ .

(٤٣٨) الدكتور محمد الجوهري -مصدر سابق -ص ٤٠٠ .

(٤٣٩) صحيح البخاري -م ١ -ج ١ -ص ٩٢ .

(٤٤٠) شوقي عبد الحكيم -مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق -ص ١٣١ .

(٤٤١) فوزي العنتيل -مصدر سابق -ص ١٣٤ .

(٤٤٢) الدكتور محمد الجوهري -مصدر سابق -ص ٣٨٥ .

(٤٤٣) محمود سليم الحوت -مصدر سابق -ص ٢٢٦ -عن الدميري ص ١٩٦ -ج ١ والشبلي ص ٧٨ .

(٤٤٤) (٤٤٥) مجلة «الفنون الشعبية » الاردنية ـ العدد الرابع ـ مصدر سابق ـ ص ٩٠ ـ ٩٢ ، ٨٩ .
(٤٤٦) أنظر : المصدر السابق ـ ص ٩٥ .
(٤٤٧) (٤٤٨) مجلة «الفنون الشعبية » الاردنية ـ العدد الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢ .
(٤٤٩) المصدر السابق ـ ونفس الصفحة .
(٤٥٠) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٨ .
(٤٥١) د . عبد الحميد يونس ـ مصدر سابق ـ ص ٥٣ .
(٤٥٢) مجلة «الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الرابع ـ مصدر سابق ـ ص ٣٩ .
(٤٥٣) المصدر السابق ـ ص ٣٩ .
(٤٥٤) (٤٥٥) مجلة «الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٥٥ و ٤٤ .
(٤٥٦) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٠ .
(٤٥٧) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٨٥ .
(٤٥٨) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٥ ـ عن الراغب الاصبهاني ـ محاضرات الادباء ـ ج ٢ ـ ص ٢٨٠ .
(٤٥٩) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٠ .
(٤٦٠) أنظر : الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٣٦٩ .
(٤٦١) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٠ .
(٤٦٢) الدكتور إبراهيم بدران ـ مصدر سابق ـ ص ٣٢ .
(٤٦٣) (٤٦٤)(٤٦٥)(٤٦٦) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـ العدد الخامس ـ مصدر سابق ـ ص ٨١ ، ٧٣ .
(٤٦٧) (٤٦٨) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢٢ ، ٤٢٦ .
(٤٦٩) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢١ ـ عن الجاحظ ـ البيان والتبين ـ ص ٤٨ ـ ج ٦ .
(٤٧٠) المصدر السابق ـ ص ٢٢١ ـ عن القزويني ـ ص ٣٦٨ .
(٤٧١) (٤٧٢) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .
(٤٧٣) مجلة «الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الأول ـ كانون ثاني ـ ١٩٧٤ م ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(٤٧٤) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢٦ .
(٤٧٥) مجلة «الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٣٩ .
(٤٧٦) (٤٧٧) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـ ع ٥ ـ ١٩٨٠ م ـ ص ٧٥ .
(٤٧٨) (٤٧٩)(٤٨٠) مجلة «الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الأول ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(٤٨١) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦١ .
(٤٨٢) (٤٨٣) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـ ع ٥ ـ مصدر سابق ـ ص ٧٦ ـ ٧٧ .
(٤٨٤) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٢ ـ عن الدميري ـ ج ٢ ـ ص ١٦٧ .
(٤٨٥) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢٦ .
(٤٨٦) (٤٨٧) مجلة «الفنون الشعبية » الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ٣٢ ، ٣١ ـ ٣٢ .
(٤٨٨) (٤٨٩) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـ ع ٥ ـ مصدر سابق ـ ص ٧٨ ، ٧٦ .
(٤٩٠) (٤٩١) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ٢٢٣ وص ٢٢١ ـ عن البيان والتبين ـ ج ٦ ـ ص ٦٨ ـ ومروج الذهب ـ ج ٣ ـ ص ٣١٤ .

(٤٩٢) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـع ٥ ـمصدر سابق ـص ٨١ .
(٤٩٣) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢٧٤ ـعن الأغاني ـج ١٨ ـص ٢١٠ .
(٤٩٤) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـع ٥ ـمصدر سابق ـص ٧٩ .
(٤٩٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـالعدد الأول ـمصدر سابق ـص ٣٨ .
(٤٩٦) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـع ٥ ـمصدر سابق ـص ٧٨ .
(٤٩٧) د. عمر عبد الرحمن الساريسي ـمصدر سابق ـص ٦٨ .
(٤٩٨) الدكتور محمد الجوهري ـمصدر سابق ـص ٤٢٦ .
(٤٩٩) أنظر : شوقي عبد الحكيم ـمدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـمصدر سابق ـص ١٤١ .
(٥٠٠) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢٢٢ ـعن البيان والتبين ـج ٦ ص ٧٢ .
(٥٠١) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـالعدد الأول ـمصدر سابق ـص ٣٨ .
(٥٠٢) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـالعدد الخامس ـمصدر سابق ـص ٧٨ .
(٥٠٣) أنظر : المصدر السابق ـونفس الصفحة .
(٥٠٤) (٥٠٥)(٥٠٦) المصدر السابق ـص ٧٣، ٨١، ٧٣ .
(٥٠٧) الأغاني ـلأبي الفرج الأصفهاني ـ٩/٤٥ .
(٥٠٨) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـالعدد الأول ـمصدر سابق ـص ٣٢ .
(٥٠٩) د. عمر عبد الرحمن الساريسي ـمصدر سابق ـص ٢٦٠ .
(٥١٠) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢٧٥ .
(٥١١) (٥١٢)(٥١٣)(٥١٤) هـ. ي ـميديكو ـمصدر سابق .
(٥١٥) الدكتور إبراهيم بدران ـمصدر سابق ـص ٧٤ .
(٥١٦) الطبري ـمصدر سابق ـص ٤١ .
(٥١٧) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢١٨ ـعن أنوار التنزيل ـج ١ ـص ٥٦٥ .
(٥١٨) القرآن الكريم ـسورة الإسراء ـالآية / ٦١ . وسورة الكهف ـالآية / ٥٠ . وسورة طه ـالآية / ١١٦ . ـوانظر : سورة الأعراف ـالآية / ١١ .
(٥١٩) القرآن الكريم ـسورة الكهف ـالآية / ٥٠ .
(٥٢٠) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢١٨ ـعن الدميري ـج ١ ـص ١٩١ .
(٥٢١) (٥٢٢) فراس السواح ـمصدر سابق ـص ٢٣٢ـ٢٣٣ .
(٥٢٣) أنظر : الطبري ـمصدر سابق ـص ٤٢ .
(٥٢٤) المصدر السابق ـص ٤٨ .
(٥٢٥) أنظر : القاموس المحيط.
(٥٢٦) قاموس الكتاب المقدس ـمصدر سابق ـص ١٥ .
(٥٢٧) الطبري ـمصدر سابق ـص ٤١ .
(٥٢٨) القرآن الكريم ـسورة الحجر ـالآية / ٢٨ وما بعدها .
(٥٢٩) فراس السواح ـمصدر سابق ـص ٢٣٣ .
(٥٣٠) شوقي عبد الحكيم ـمدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـمصدر سابق ـص ١٤٦ .
(٥٣١) فوزي العنتيل ـمصدر سابق ـص ١٠٧ .
(٥٣٢) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢٢٠ـ ٢٢١ ـعن القزويني ـص ٣٦٨ .

(٥٣٣) (٥٣٤) الدكتور محمد الجوهري ـمصدر سابق ـص ٣٩ .
(٥٣٥) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢٢٤ ـعن الدميري ـالجزء الأول ـص ١٩٢ .
(٥٣٦) صحيح البخاري ـالمجلد الثاني ـالجزء الرابع ـص ٩٣ .
(٥٣٧) الدكتور إبراهيم بدران ـمصدر سابق ـص ٨٩ـ ٩٠ ـعن إبن الجوزي ـتلبيس إبليس ـ ٤٥ .
(٥٣٨) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢٢٤ ـعن الدميري ـص ١٩٢ ـج ١ .
(٥٣٩) الطبري ـمصدر سابق ـص ٥٤ .
(٥٤٠) (٥٤١)(٥٤٢)(٥٤٣) القرآن الكريم ـسورة طه ـالآية / ١٢٠ . وسورة البقرة ـالآية / ٣٦ . وسورة الأعراف ـالآية / ٢٧ . وسورة الحجر ـالآية / ٤٠ .
(٥٤٤) فوزي العنتيل ـمصدر سابق ـص ١٠٨ .
(٥٤٥) نمر سرحان ـالحكاية الشعبية الفلسطينية ـمصدر سابق ـص ١١١ ـ ١١٢ .
(٥٤٦) (٥٤٧) شوقي عبد الحكيم ـمدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـمصدر سابق ـص ١٣٤ .
(٥٤٨) نمر سرحان ـالحكاية الشعبية الفلسطينية ـمصدر سابق ـص ١١٦ ـ ١١٧ .
(٥٤٩) شوقي عبد الحكيم ـمدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـمصدر سابق ـص ١٣٤ ـعن بداية القدماء ـص ٢٠ .
(٥٥٠) المصدر السابق ـص ١٣٤ ـ ١٣٥ .
(٥٥١) محمود سليم الحوت ـمصدر سابق ـص ٢٢٣ ـعن الشبلي ـص ١٨ ـ ١٩ .
(٥٥٢) القرآن الكريم ـسورة آل عمران ـالآية / ٣٦ .
(٥٥٣) صحيح البخاري ـالمجلد الثاني ـج ٤ ـص ١٣٨ ، ٩٥ .



الفصل الثالث

المعتقدات المتعلقة بالإنسان منذ ما قبل ولادته ، وحتى ما بعد موته

«الزواج . الحملْ والإنجاب . الموت »

* الــزواج :

اقترنت مراسيم الزواج في فلسطين، بالعديد من الممارسات والطقوس الإعتقادية التي يمارسها كل من العروسين، أو تمارَس عليهما من قبل الآخرين ليلة الزفاف. وتهدف هذه الممارسات الإعتقادية في مجملها إلى حماية العروسين، وردّ الشر ودفع الأذى عنهما.

كانت العروس في الوسط الشعبي الفلسطيني، -أحياناً- ترتدي ثوباً أزرق، لاعتقادهم أن هذا الثوب (بلونه الأزرق)، يردّ عن العروس شر العين الحاسدة، ويحميها من ضرر أي عمل سحري يمكن أن يلجأ إليه الآخرون ممن يريدون إلحاق الضرر بها في تلك المناسبة الحساسة في تاريخ حياتها، لأن هذه المناسبة تشكل بالنسبة للعروس منعطفاً هاماً ذا أهمية بالغة. وقد جرت العادة في فلسطين «أن يمتنع الناس عن تشبيك أصابعهم في عقد القران، حتى لا تتشابك أمور الزواج وتنتهي إلى الفشل»(١). وعند عقد القران كذلك «لا بدّ وأن يتم إطفاء النار والسجاير والأراجيل، كما يتوقف صبّ القهوة والماء وتحريك أصابع اليدين وإبهام القدم، ويسود صمت سرمدي، كما يجب مراعاة طقوس أخرى، وإلا أصيب العريس بالرّباط، أي عدم القدرة على مباشرة واجباته الزوجية كرجل»(٢).

كما يخشى عند عقد القران أن «ينثر عدو العريس الطحين «ليربط» قواه الجنسية»(٣). ويعود هذا المعتقد في رأينا إلى فكرة مؤدّاها أنّ الطحين المتناثر هنا وهناك، في تلك الحالة، يؤدّي بدوره إلى تناثر وتبعثر رجولة العريس، وتَشَتُّتِ وضياعِ فحولتِه وقوتِه الجنسية، تماماً كما تتناثرُ وتتبعثر ذرات الطحين.

وقد يقوم بعض أعداء العريس وخصومه بعقد (ربط) خيط أثناء عقد القران، كي يتم بذلك (ربط) القوى الجنسية للعريس، ومن ثم لكي يكون فاشلاً في زواجه. لذلك «وفي أثناء الإكليل في الناصرة، كانت تشاهَدُ امرأة تقف خلف العريس، تخيط ثيابه بإبرة، وخيط غير معقود، وفي إعتقادهم أن هذا الإجراء يفكّ السحر أو «الربْط» الذي ربما يكون أحد الأقرباء أو الأصدقاء قد فعله بالعريس ليمنعه من ممارسة واجباته الجنسية. ويحدث «الربط» هذا في عرفهم، عند قول كلمات الصلاة: «نؤمن بإله واحد» بالمقلوب»(٤).

وهم يعتقدون أنه ينبغي على العروس أن لا تلتفت إلى الخلف إذا هي خرجت من بيتها باتجاه بيت الزوجية، لأنها -حسب المعتقد- إذا هي التفتت، فإنها ستعود ثانية إلى بيت أبيها، نتيجة حدوث حَرَد أو طلاق، بسبب الخلافات التي ستنشب حينئذٍ بينها وبين زوجها وأهله.

وقد جرت العادة لدى الناس في الوسط الشعبي المسيحي، في فلسطين، في منطقة القدس، عند إجراءات الإكليل في الكنيسة أن «تقف العروس أمام الهيكل، ويقف الرجال إلى جهتها اليمنى، والنساء إلى اليسرى، أمّا الأشابين فعلى الجوانب. عند دورة الإكليل يُرَشّ الملَبس والأرز فوق رؤوسهم، كفأل حسن»(٥).

كما جرت العادة عند بعضهم، أن «ينثر الناس، عند مرور موكب العروس من أو إلى الكنيسة، الفاكهةَ الحلوة، كالزبيب أو التين، تفاؤلاً بمستقبل حسن لذلك الزواج»(٦). وشبيه بذلك «عملية نثر الملح والشعير على رؤوس الحاضرين أثناء زفة العريس، وتقوم بهذه العملية أم العريس، لتحفظ العريس من العين الصائبة»(٧).

وفي الكنيسة، وبعد «إتمام مراسيم الإكليل، يرفع الإشبين العريس، ويخبطه في الأرض ثلاث مرات.. يعني بذلك، أنه نفض عنه الجهل وعدم المسؤولية اللذين كانا يلازمانه في حياة العزوبية»(٨). وتسمى هذه العملية بـ«خبطة العريس».

وفي مدينة الناصرة بفلسطين، جرت العادة «عند دخول العروس بيت عريسها، يُطلب منها أن تدوس أكواز رمّان وُضعت خصيصاً لهذه الغاية، فَحَبُّ الرمّان المتناثر، في إعتقاد الأهلين حينذاك يرمز إلى تكاثر الذرّية»(٩)، بمعنى أن العروس ستنجب أولاداً بعدد حبات الرمان المتناثرة، «فضلاً عن أن هذه الممارسة تحمل الإيحاء بوفرة الطعام والشراب في البيت الذي تدخله العروس، أو هي ترمز إلى الثراء والخير والبركة الذي سيملأ البيت بمقدم العروس»(١٠).

وإذا كان العريس وحيد أهله، فإن الناس -في مدينة الناصرة- كانوا يأتون «بخروف ويُمَدَّدُ أمام العروس، وعليها أن تدوس على رقبته عند ذبحه، ومن ثم أن تخطو فوقه»(١١).

وتمتاز العروس «في يافا، أنها تلقَّم بعد غمس يدها بالخميرة قبل دخولها غرفتها، قطعة من السكر، على أن تضعها بدورها في فم عريسها، لتختلط الحلاوة في فميهما، أملاً ببدء حياة تقطر حلاوةً كالسكر»(١٢).

وكان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعمدون إلى «إدخال حمار على العروس «يوم الدخلة» قبل العريس، ويقولون: هذه عروستك يا حمار. وهم يعتقدون أنه إذا حصل «قشر»(١٣)، فإن الموت يكون من نصيب الحمار»(١٤).

ومن الممارسات الإعتقادية الشعبية الفلسطينية، أنه كان «يتوجب على العريس أن لا يسمح لأحد بالدخول عليه وعلى عروسه وتخطّي عتبة بيت الزوجية في صباح اليوم الأول الذي يلي ليلة الدخلة، ولذلك يستيقظ العروسان عند الفجر ويخرجان من باب البيت ثم يدخلان إليه ثلاثاً، حتى لا يأتي أحد عليهما و«يكبس العروس»، أي يسبب لها ضرراً سحرياً يترتب عليه حرمانها من إنجاب الأطفال»(١٥).

وتوصي «أم العريس ابنها بأن لا يسمح لأحد بأن «يسمك به» وهو ما يزال في السرير، وإذا حصل ذلك، أمكن تلاشي الضرر، بأن تستحم العروس بماء فيه كُرات فضية صغيرة، أو حجارة كريمة وقديمة، وهناك علاج آخر، وهو فتحُ رأس خروف مذبوح للتوّ على رأس العروس، بواسطة امرأة عجوز لا تأتيها العادة الشهرية»(١٦).

ومن الطقوس الإعتقادية التي كانت شائعة في الوسط الشعبي الفلسطيني «خميرة العروس» حيث «تعمد العروس يوم زفافها عند دخولها بيت زوجها، إلى إلصاق قطعة عجين على باب البيت، وتفسير ذلك، أن الخميرة هي آخر ما يبقى من العجين، وبها تستمر هذه المادة المقدسة. وهي تفعل ذلك لتصبح كهذه الخميرة سبباً في استمرار الحياة والبقاء»(١٧). وفي أحيانٍ أخرى «جرت العادة أن تعلّق عائلة العريس قطعةً من العجين مع عرقٍ أخضر، فوق باب غرفة العروسين. وعندما تصل العروس إلى الباب، تضع كفَّها على هذه العجينة، ثم يأتي العريس فيغمد يده اليمنى ويضرب بها يد العروس ثلاث ضربات»(١٨). وأما فيما «يختص بالمرأة التي تعجن العجينة التي توضع فوق باب العروس، فمن الضروري أن يكون زوجها حيّاً يرزق»(١٩).

وكانت العادة في بعض مناطق فلسطين، «أن يكلّف أهلُ العريس عروستهم، صبيحة اليوم الثاني من زفافها، القيام بعجن وجبة من الخبز، باعتبار أن ذلك يُدخل الرزق والبركة إلى بيت زوجها..»(٢٠). وكانوا في بعض الأحيان يضعون رغيفاً من الخبز فوق رأس العروس في ليلة الدخلة، لاعتقادهم أن ذلك من شأنه أن يجعل العروس تعيش مع زوجها عيشةً راضية، فلا يفكر في طلاقها.

وكانوا يعتقدون، أنه إذا تصادف وانكسر وعاء زجاجي لحظةَ وصول العروس إلى بيت عريسها، فإنهم يفسّرون ذلك، بأن هذه العروس «خرّابة بيوت»، ووجهها نحس، لذلك يتشاءمون منها عندئذٍ.

وإذا دخلت «العروس، وتطورت أمور الزواج إلى الأفضل، قال الناس: كعبها أخضر، والعكس بالعكس. ولهذا يقول الناس: نواصي وعْتاب وحوافر واكعاب. ويعني ذلك أن دخول النساء والخيل للبيت قد يكون ذا فأل حسن أو

سيء، والمسألة مسألة حظ. وقد يُنصح الرجل الذي تسوء أحواله بعد الزواج، بتغيير عتبة بيته، وقد يعني ذلك تغيير الزوجة»(٢١).

وهم يعتقدون أن سقوط المطر عند دخول العروس إلى بيت زوجها، يعتبر فألاً حسناً، وهم يقولون عن العروس في هذه الحال إن «إجرْها خضرا» أو «كعبها أخضر».

ولقد اعتَبرتْ «ديانات كثيرة أن سقوط المطر يوم العرس نبوءةً سيئةً، على حين اعتبرتْه ديانات أخرى بشيراً ينبىء عن الخصوبة»(٢٢).

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، لا يحبّذون الزواج بين عيدي الفطر والأضحى، لاعتقادهم أن ذلك إذا حدث، فإن الزواج سيؤدي إلى جلب الخلاف بين الزوجين فيما بعد، وربما أدى إلى عقمهما معاً، أو إلى فشل الزواج.

ويعتقدون أن «على الرجل أن يسمَي قبل أنْ يجامع زوجته، لاعتقادهم أن المولود الذي لم يسمِ والدُه عند جماع أمه به، يكون إبن إبليس»(٢٣)، أي يأتي المولود سيئاً، ويصبح في المستقبل شريراً، فظاً، قاسي القلب، يؤذي الآخرين. لذلك فهم يصفون الصبيَّ الشرير المشاغب بقولهم: «أبوه كاين مش مْسَمّي». وكثير منهم يعتقدون. أن الممارسة الجنسية مفضلة ليلة الجمعة، وبعكس ذلك يأتي المولود «بَزْق إبليس»، أي أن إبليس يسبق الزوج في عملية الجنس، فيأتي المولود سيئاً، وعندما يكبر يصبح شريراً. كما يعتقدون، أن الممارسة الجنسية في الأيام المستقرضات غير مستحبة(٢٤).

وتدور حول قضايا الزواج، إعتقادات تؤثر كثيراً في المسلكية الفردية والاجتماعية، فنرى أنه إذا كبرت البنت ولم تتزوج (عنْست)، وتجاوزت في عمرها سن الفتوة، وأرادت أن تتزوج، فإنها تأتي بقطعة صابون مطيَّبة (ممسّكة)، وتغرز في أطرافها مجموعة من الدبابيس والإبر، ثم تشير على أمها بالعريس الذي تريده، فتذهب الأم إلى بيت ذلك الشاب الذي أشارت به الفتاة العانس، حيث تضع قطعة الصابون في أحد زوايا ذلك البيت دون أن يشعر أحد من أصحاب البيت. ونظن أن وضع الدبابيس والإبر في قطعة الصابون، هو الأساس في المعتقد. حيث تعتقد الفتاة وأمها أن هذه الدبابيس وتلك الإبر سوف (تنخز) جسم الشاب، ولأن قطعة الصابون قد لمستها الفتاة من قبل، فإن هوى

الشاب سيتعلق بتلك الفتاة. ونرى هنا أن عاملين اثنين قد اشتركا في «جلب» الشاب لخطبة الفتاة، العامل الأول: الإبر والدبابيس و (نخزها)، والعامل الثاني قطعة الصابون ولمسها. ونرى أن ذلك لا يخلو من حسٍ سحري غيبي يعتمد على جملة من المعارف التي لا تتفق والمنطق العلمي.

وتدخل في المعتقد الشعبي حاسة النقد الاجتماعي، فتتبين أحيانا سمات الفتاة التي ينبغي الزواج منها، وميزات الفتاة التي يجب الإبتعاد عنها،. ونتيجة للمتوارثات الاجتماعية المتراكمة، يصبح النقد نوعا من القاعدة، أي نوعا من المعتقد العام الشامل.

يرى المعتقد الشعبي أن الفتاة ذات الكعبين البارزين غير جديرة بالزواج فهي (منحوسة) وغير جالبة للرزق، ويجب الابتعاد عنها، وعدم الإقدام على خطبتها. أما لماذا ذات الكعبين البارزين بالذات، فهذا ما لا تفسّره الأمور، غير أن الظن يقرّب الفكرة إلى الأذهان، حيث يرى أن حادثةً ما وقعت وكانت بطلتها فتاة ذات كعبين بارزين، وكانت نتيجتها سيئة على عريسها، وفي هذه الحالة تنتشر الحادثة بين الناس، وتتناقلها الألسن، ومن ثم يبني المجتمع البسيط عليها معتقدا يتوارثه الناس، جيلاً من بعد جيل.

ويحدث أحياناً أن شاباً يريد خطبة فتاة، فيذهب أهله إلى بيت ذويها، وقد يحدث أن هؤلاء لا يرغبون في تزويج ابنتهم لهذا الشاب، فعندما يجلس أهله، يأخذ بعض أهل الفتاة خيطاً، وكلما تحدث أهل الشاب بكلمة عقد من معه الخيط عقدةً، لاعتقادهم أن ذلك يعقّد الامور فلا تتم الخطوبة. ويرى المعتقد، أنه لإبطال مفعول العقد والتعقيد، يقوم واحد من أهل الشاب ويضع حذاءً مقلوباً ثم يجلس عليه، والأمر هنا قريب من الشعوذة والممارسة السحرية، لا سيما وأن المنجمين يستخدمون عقد الخيط لفعل أمور مشابهة. أما قلْب الحذاء والجلوس عليه، فيعطي دلالتين إعتقاديتين، ترى الأولى أن قلب الحذاء على «وجهه» عمل يرضي الشيطان. لكن الجلوس عليه لا سيما بثقل الجسم كله، من شأنه أن «يخنق» نية الشر التي تنبع من الشيطان نفسه. والدلالة الثانية، التي ترتبط بالأولى، ترى أن التعقيد الذي يتقصده أهل البيت هو عمل شيطاني ليس فيه نفع ولا خير، فإذا ما اختنق عمل الشيطان ونيّته، عن طريق الجلوس على الحذاء

المقلوب، فإن قوته (الشيطان) تضعف وتتلاشى، «وتصبح» غير قادرة على تعقيد الأمور.

وترى المعتقدات كذلك، أنه ينبغي على العريس الداخل على عروسه وهي (مصمودة)، أن يدير لها ظهره، إعتقاداً بأن مقابلة وجهه لوجهها ستصدمه وتدهشه، مما «يؤثّر» على مقدرته الجنسية، فيفشل في زواجه، منذ ليلة «الدخلة».

إن هذا المعتقد مرتبط بكون الشاب في المجتمع الشعبي العربي، لا يلتقي بعروسه، والمرأة بالنسبة له، تابو ـمحرم ـ وغالباً ما يبتعد الشاب عن مجتمع النساء. فحينما يدخل الغرفة أو المكان الذي تُصمد فيه العروس، تكون النساء قد استعددن للغناء وهن محتشدات، وبكامل زينتهن، فيخجل الشاب لهذا الموقف الذي لم يعتد عليه، والخجل غالباً ما يحبط عزيمة الشاب، ودرءاً لمخاطر مثل هذا الموقف، يُطلب إلى العريس عدم النظر إلى عروسه، وبالتالي فإنه يدير لها ظهره.

وتدخل المعتقدات مع العريس وعروسه إلى مخدعهما الجديد. وتتدخل التصورات الاجتماعية والعادات والتقاليد. فالرجل في المجتمع القروي أو البدوي هو سيد بيته، وحتى يسود ويُخضع زوجته لمشيئته، فإنه يقوم بأعمال، قد تكون منافية للمنطق والعقل، لكن التراكم الاجتماعي يجعله منفذاً مطيعاً للعادات والتقاليد التي استنّها المجتمع. فمثلاً:

١) يرى المعتقد، أنه عند دخول العريس والعروس إلى مخدع الزوجية، فعلى العريس الإسراع بوضع قدمه فوق قدم العروس، إعتقاداً منه أنها بذلك ستكون مطيعة، وبأنه قد أخضعها، فإذا ما حدث العكس، وداست العروس على قدم عريسها، فإنه يضطر لإغضابها. إذ أن المفهوم الاجتماعي لديه، يقول بأن على العريس أن يدوس قدم عروسه، وليس العكس.

٢) وعند دخولهما البيت الجديد، تمسك أم العريس أيدي العروسين، بينما تكون يدا أحدهما فوق يدي الآخر، ثم تجلس على هذه الأيدي برهة قصيرة، إعتقاداً أن ذلك سيؤدي إلى جعلهما مطيعيْن لها، خاضعين لرغباتها ومشيئتها.

نرى في المعتقد الأول سيادة العادات الاجتماعية التي عاشت طويلاً في المجتمع الفلسطيني، والعربي بشكل عام. فدوْس القدم هنا يعني القدرة والقوة والإخضاع، ونحن كثيراً ما نسمع، أثناء الشتائم الاجتماعية، التي تحدث بين شخصين أو أكثر، شتيمة تقول: «رايح أدعس على راسك» و«بدي أمعسك بإجري»، وفي معرض الإعتداد بالنفس يقول البعض: «أنا، ما حدا بقدر يدوس لي على طرف» وكأن القدم والدوْس به يرمز إلى القوة والإخضاع. وطالما أن تصور المجتمع الشعبي ينطلق من كون الرجل هو السيد، فلا بأس إذن أن يُظهر قوته على عروسه التي ستعيش معه أكثر من غيرها، وذلك بوضع قدمه فوق قدمها عند الدخول إلى مخدع الزوجية. ويرى هذا المعتقد، المنطلق من العادات والمفاهيم الاجتماعية المتخلفة، أن العروس التي ديست قدمها، ستظل خاضعة لعريسها، أو كما يقولون، ستظل «عينها مكسورة»، فلا تستطيع أن (ترفع رأسها) بحضور الزوج، ولا أن تردّ له طلباً، أو أن تخالف له رأياً، حتى وإن كان على خطأ، وكلما حاولت ردّه، ذكّرها بأنه (دعس على إجرها) ذات يوم، فتسكت.

ونعتقد بأن هذه الممارسة الاعتقادية، لا تأبه لأخلاقيات الدين السامية التي جعلت من المرأة إنسانة لها كرامتها، وساوت بينها وبين الرجل. كما نعتقد بأن هذا المعتقد الاجتماعي لا وجود له في التراث العربي، بل هو طارىء، وقد نتج عن التخلف الذي عانى منه الوطن العربي، خلال العصور المتأخرة، ولقرون طويلة.

وفي المعتقد الثاني لا تبتعد الدلالات عما هي عليه في المعتقد الأول، لكنها هنا تأخذ منحى آخر. إذ أنه من المعروف أن الأم يخامرها شعور بأن العروس هي التي ستسرق منها ابنها، أو تشاركها في حبها له: «إيديَّ رَبيّن، وبنات الكلب عَنّي تْبَدّين». ومن المعروف أيضاً، أن أكثر الخلافات الأسرية تحصل بسبب النزاع بين الحماة وكنتها، فمنذ البداية تحاول الحماة إيهام ابنها وعروسه، أنها بالجلوس على أيديهما، سوف تخضعهما، فإن لم يكن ذلك للإيهام، فسيكون عملاً مقصوداً من قبلها، كي تفرض إرادتها عليهما منذ البداية.

وهناك العديد من المعتقدات الشعبية التي تدور حول الأرملة والزواج منها. إذ

أن كثيراً من الرجال، كانوا يتشاءمون من الزواج بالأرملة، باعتبارها «قشره» (تقشر زوجها) أي تميته. ويعتقدون أن الزواج من الأرامل يقصر الأعمار، بسبب فقدان البهجة من هكذا زواج. ويعتقدون أن البيت والمرأة لهما آثار حسنة أو سيئة على الرجل، فالأرملة تأخذ تصوراً خاصاً في تفكير الرجل، إذ يعتقد أن زوجها قد مات بسبب نحسها.

ولكن، لماذا يتشاءم بعض الناس من الزواج بالأرملة؟!. إن الإنعكاس الاجتماعي الذي يفضل الزواج من البنت البكر، ويكره الزواج من الأرملة، يقلل من أهميتها، كونها قد عاشرت زوجاً سابقاً، ولما كان ذلك الزوج قد عاشرها كزوجة، فإن تلك المعاشرة لم تحرّم عليه شيئاً من الجسد والروح والنفس. وهنا ينظر الناس إليها كزهرة قد امتُصَّ رحيقها وذبلت ومات رونقها ولم يبق منها سوى الشكل. ولذلك أيضاً ينظر الرجال إليها نظرة إنتقاص، ولهذا السبب كذلك، فإن مهر الأرملة يكون نصف مهر البكر، وتكاليف عرسها نصف تكاليف البنت البكر، ولهذه الأسباب يُنظر إلى الأرملة كآلة عتيقة بالية مستعملة، لا يُهتم بها كثيراً. ولما كانت التراكمات الاجتماعية التقليدية تنتقص من قيمتها، فإن ذلك ينعكس عليها شخصياً، فتشعر بالنقص أمام سواها، وترضى بأيّ مهر وبأيّ كلفة، وربما بأيّ رجل، وقد يصل حدّ التشاؤم عندها إلى درجة الظن أن فألها سيء على الرجال، فقد مات زوجها، وقد يموت الثاني، بسبب هذا الفأل السيء.

وبالطبع، فإن حدّة هذه النظرة قد خفّتْ وفتَرتْ بعد أن طرأ تطور ملحوظ على المجتمع العربي، لا سيما ذلك الذي ينبذ مثل هذه التصورات ويؤمن بالعلاقات الزوجية السليمة التي لا تميز أو تفاضِل بين الفتاة البكر والأرملة.

إن مختلف هذه التصورات لا تعود إلى معتقدات حقيقية ذات منشأ ديني أو أسطوري، وهي بالتالي لا تشكل معتقداً بالمعنى الصحيح. إنما هي تشكل تصوراً محدوداً، ونعتقد أنه لا ينتشر على مساحة واسعة من البلاد ولا على مساحة واسعة من العقول.

ونحن نرى أن التشاؤم والتفاؤل يدخلان ضمن الأحاسيس الإنسانية التي تعتقد بدور المعتقد في تحديد الفتاة التي يتم اختيارها كي تكون شريكة حياة. وكما هي

المعتقدات الأخرى فإن المتوارثات الاجتماعية، من عادات وتقاليد وظنون تلعب دوراً مهماً في خاصية التشاؤم والتفاؤل. فالمعتقد يرى أن النساء منهن أعتاب ومنهن نواصٍ، منهن من «تجلب» الرزق ومنهن من تجلب النحس والفقر وقطع الأرزاق.

إن هذا المعتقد لا يأخذ مجراه في حياة الزوج إلاّ بعد زواجه، لأن فقره أو زيادة رزقه «تحدده» الزوجة، التي تحمل على وجهها الرزق أو عدمه. وكثيراً ما يسبب ذلك تعلق الزوج بزوجته، أو التشاؤم منها وكرهها. ونرى أن هذا المعتقد يخالف أبسط أعراف الدين والمنطق الاجتماعي السليم، فالرزق أو عدمه، لن يحدده شخص، ولا يتحدد ذلك بالتفاؤل والتشاؤم من هذا الشخص أو ذاك.

* الحمل والولادة :

المعتقدات المتعلقة بالحمل والولادة كثيرة جداً، حتى ليصعب على المرء حصرها. وتأتي الصعوبة في هذه المعتقدات، من كونها تنبع من خلال إحساس فجائي أو من خلال قفز الصور المتوارثة من اللا شعور. وعلى الغالب، فإن هذا النوع من المعتقدات يرجع بأصوله إلى جذور أسطورية وأخرى دينية.

فلقد كان الكنعانيون يعتقدون أن إنجاب الأولاد يعيد إلى البلاد ازدهارها. وبالمقابل فإن قتل الفتيان والإخوة الصغار والأولاد يعتبر عملاً مهدماً لكل أمل في التجدد(٢٥). ولا يخفى على المرء مالأهمية الأولاد في العامل الاقتصادي والعسكري لا سيما لدى الشعوب القديمة، التي كانت تعيش حياة حروب مستمرة مع الشعوب الأخرى الطامعة أو الغازية. فالأقطار العربية، ومنها فلسطين، زراعية بالدرجة الأولى، والأرض تحتاج إلى الأيدي العاملة، وللحفاظ على ملكية الأرض واستثمارها ينظر المرء إلى الإكثار من الأولاد على أنه العامل الحاسم في الإنتاج والحفاظ على الأرض، وينظر الإنسان في الوطن العربي إلى الربط بين الإنجاب الكثير ومسألة البركة. فنجد أن الزواج المبكر سمة من سمات مجتمعنا العربي بشكل عام، وهدف هذا الزواج المبكر إنجاب أكبر عدد ممكن من الأولاد، ويلح الرجال على الإنجاب، مما قد يؤدي إحياناً إلى الزواج

ثانية وثالثة. ولا يترك الرجل مجالاً في الطب أو السحر أو الشعوذة إلا ويطرقه، كي يداوي زوجته إذا كانت عاقراً، أو إذا كانت تسقط جنينها قبل تمام الحمل.

وللأسباب ذاتها، نرى أن الكنعانيين، منذ تصوراتهم الأولى للحياة والموت، يركزون على الإنجاب بدافع البقاء، أو بدافع إرضاء النفس وإقناعها. وهم يبالغون في ذلك أحياناً، حتى أنهم تصوروا أنه يمكن للميت أن يعقد خطوبته في العالم السفلي على فتاة ما، ومن ثم إنجاب ذرية، لكنّها من طبيعة ذلك العالم(٢٦).

وتأخذ المعتقدات في هذا الجانب أشكالاً عدة، فهي لا تترك جانباً من جوانب الحمل والإنجاب إلا وتطرقه، وقد تأخذه كجانب طبي يعالج بعض الأمور أو الحالات. ففي حالة زواج أية فتاة، ومن ثم اكتشافها لنفسها أنها عاقر، فإنها تلجأ إلى المعتقد كحالة من حالات اللجوء إلى وسيلة من وسائل «شفائها» ومن ثم «حملها» وإنجابها. وتأخذ المعتقدات دلالات عدّة، ويعود بعضها إلى جذور عميقة، وتنتشر لتشمل مساحات واسعة من الأرض والناس.

تأخذ المرأة الحامل مكانة مقدسة بالنسبة للرجل، فهي التي تحمل في رحمها أملاً يُنتظر زمناً. وقد أدت هذه القدسية إلى خلق تصورات واعتقادات، من شأنها جميعاً تقديس المرأة ومعاملتها معاملة خاصة. وتظهر هذه القدسية لدى الكنعانيين بشكل واضح. فهم يرون أنه يجب الامتناع عن مشاجرة امرأة حامل.

إن مثل ذلك خليق بمن حُكم عليه بنهاية العز وبألم الآلام. يجب الإنتظار بصبرٍ ساعةَ الخلاص. وإفهام الرجل العنيف المتباهي بجرأته، أن الآلهة وحدها هي التي تهيء النضج لما لا يعدو مرحلة أمل الإزهار. فالآلهة تخلق كما تشاء، وهي وحدها تحدد جنس المولود، كما تحدد يوم ولادته(٢٧).

وترى بعض التصورات الكنعانية أنه علينا أن نتهيّب ساعة الولادة، وعلى الذين أرعبوا المرأة أن يهربوا. إن المرأة التي تعذّب أثناء الحمل، يمكن أن تلد قبل الأوان في الشهر السابع، أو تتأخر ساعة الخلاص. فمن أحسّ بأنه ارتكب مثل هذه المعصيات يكون غير جدير بالعودة إلى بيته(٢٨).

الشعب الذي لا يتكاثر هو شعب فارغ أشبه ما يكون بالرجل المطرود خارج

البيت، وعلى العكس يجب فتح الأبواب أمام من ينجب. ورغم ذلك يجب أن نعطف على العاقر لأنها دون إرادتها لم تنجب أولاداً.

إن مثل هذه التصورات، تنتقل من الكنعانيين إلى أحفادهم، فنرى أن الإنسان يحترم الحامل، كونها ستلد أمل الإزهار، أي الطفل المنتظر -بفارغ الصبر.

وترى المعتقدات الشعبية التي ما تزال تأثيراتها مستمرة إلى الآن، أن المرأة الحامل لها حقوق كثيرة، ويجب أن تحاط برعاية مميزة، ولذلك تكثر حولها الإعتقادات، حتى لتكاد تخلق خلقاً، لما لها من الأهمية. يرى الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني «أن اليوم المناسب للحمل بعد العادة الشهرية هو اليوم السابع للعادة»[٢٩].

ويحرص أهل الزوج أشدّ الحرص على أن تمر فترة الحمل خاليةً من المتاعب التي يمكن أن تلحق بالزوجة، لا سيما المتاعب الجسدية، وذلك خشيةً على الجنين. ومن وصاياهم للمرأة الحامل، أنه ينبغي عليها عند النوم أن «لا تقلب جسمها، بل تجلس، ثم تغير اتجاه نومها، لاعتقادهم أنها إذا تقلّبت كثيراً في نومها (دون الجلوس)، فإن أمعاءها تلْتفّ حول عنق الجنين، ممّا قد يؤدي إلى اختناقه»[٣٠].

والمرأة الحامل، تمرّ في بداية حملها بفترة (الوحام). وفي هذه الفترة، يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني «أن الحامل إذا اشتهت شيئاً، ولم تأكل منه، وحكّت في مكان ما من جسمها، فإن الشيء الذي تشتهيه، يظهر في مولودها، في المكان الذي حكّت فيه»[٣١]. لذلك فإن الزوج أو أهله، يحرصون على تأمين ما تشتهيه المرأة الحامل في فترة وحامها، كي لا تظهر صورة وشكل ما تشتهيه على جسد مولودها، بما يسمّونه عادةً «وَحْمه»، أو «شَهْوه».

وفي فترة الوحام هذه قد تبصق المرأة الحامل، إذا رأت منظراً قبيحاً، أو إذا شاهدت طفلاً قبيح المنظر شاذ الخِلْقة، لكي لا يولد طفلها مشوّهاً قبيحاً، لأن البصاق في هذه الحالة -كما يتعقدون- وفي حالات أخرى عديدة، من شأنه أن يردّ الأذى عن الإنسان.

وقد «تتوحَّم» المرأة الحامل على عيني طفل ولون بشرته، فتلد طفلاً يشبهه، في لون عينيه أو في لون بشرته، أو في بعض ملامحه، فيأتي مختلفاً في الشكل عن إخوته، فيقولون في ذلك «توحَّمَتْ على أولاد الناس». وهذا، حسب الإعتقاد يحسّن شكل الطفل أو يشوّهه، تبعاً لجمال الطفل الذي «توحّمت» عليه المرأة، أو قبحه. إلاّ أن الذي يحدث أحياناً، أن الزوج يسيطر عليه نوع من الشك تجاه زوجته، فيكاد يتهمها بالخيانة الزوجية، نتيجة لهذا الإختلاف بين الأولاد، والولد الجديد. وقد يزداد الشك وتستفحل أموره، لتنشأ عنه بعض المشاكل الاجتماعية المعقدة.

ولنتصور، أن امرأة تخون زوجها فعلاً، لسبب من الاسباب، فتحمل طفلاً ممّن اقترفت معه الخيانة، ثم تنجب ذلك الطفل الذي يحمل بعض الصفات الوراثية للرجل الغريب، فبالطبع أن ذلك يجعل الزوج يشك في زوجته والطفل، لكنها تحاول إقناعه أن ذلك بسبب «الوحام»، فتخفف عندئذٍ وطأة الشك لدى الزوج.

وفي كلا هاتين الحالتين، فإن الإعتقاد بمسألة «الوحام» تؤثر سلباً في كثير من الأحيان، إن كان على الوجه الأول أو كان على الوجه الثاني. ففي الأول يؤثر على الزوجة «المتوحّمة» وهي مخلصة، وفي الوجه الثاني يؤثر على الزوج الذي قد يصدّق «الوحام» فتضيع من بين يديه معالم جريمة الخيانة.

وهناك مؤشرات، يعتقدون أنها ترشدهم إلى معرفة نوع الجنين، أذكر هو أم أنثى. فهناك إعتقاد بأنه إذا كان امتداد الجنين ما بين الخواصر فإنه سيكون ذكراً. «وإذا كان في أسفل السرّة، فإن المولود أنثى»(٣٢). ويعتقدون «أن حركة الولد بسيطة وخفيفة، بينما حركة البنت قوية (فشّ)»(٣٣). كما يعتقدون بأن الجنين إذا تحرك في بطن أمه، وأحسّت هي بحركته (النَّقْفَة) في الجانب الأيمن، فإن المولود سيكون ذكراً، وإذا تحرك وكانت تلك (النقفة) في الجانب الأيسر، فسَّر ذلك بأن المولود سيكون أنثى.

وإذا ما شاهدت النساء بطن امرأةٍ حاملٍ، وكان بحجم أكبر من المألوف، فإنهن يفسّرن ذلك، بأن المرأة حامل (بثوم) أي توأمين، أو أنها حامل بأنثى، ويقولون في تلك الحال بأن «بطنها فاقِس».

وعندما «تنظر المرأة إلى بطن الحامل في الشهر التاسع وتراه ممتلئاً «عارماً» ، فإنها تقول: «إنتِ فيكِ ذكَر» ، وإذا رأته متدلّياً فاقساً ، فإنها تقول: الجنين أنثى، وتتحاشى أية امرأة أن تقول ذلك للمرأة الحامل، بعكس الجزء الأول، حيث تقول لها: «البشارة إلي، إنتِ فيكِ وَلَد»(٣٤). وقد تملأ المرأة الحامل «كأساً بالماء، ثم تنقط بداخله نقطة من حليبها، فإذا رسبتْ فالجنين ذكر، وإذا طفتْ فالجنين أنثى» ويكون هذا الإجراء «في أواخر أيام الحمْل»(٣٥).

وقد تضع المرأة الحامل «عدة نقاط من حليبها على خيْط من الحرير، ثم ترميه على باب بيتِ نملٍ، فإذا جَرَّ النمل الخيط إلى داخل البيت، يكون الجنين ذكراً، وإذا لم يقترب منه النمل، فالجنين أنثى»(٣٦).

وإذا كان «ظهر المرأة الحامل (أي قفاها) عريضاً، فإن الناس يقولون أنها حامل بأنثى، وإذا كان عادياً فإن الجنين ذكر»(٣٧). وهم يعتقدون «أن حركة الجنين إذا كان ذكراً، تكون ناعمةً بشكل إنسيابي، من جهة إلى أخرى داخل البطن، أما حركة الجنين إذا كان أنثى، فإنها تكون على شكل دقات أو نقرات أو انتفاضات، وهذه تكون في أواسط فترة الحمل»(٣٨).

وقد تحمي المرأة سكيناً، «وتنقط عليه نقطةً من حليبها، فإذا انبسطت النقطة، تعتقد أن الجنين أنثى، وإذا بقيت كما هي، فالجنين ذكر. وهذه تكون عادةً في آخر أيام الحمل»(٣٩).

ويعتقدون، أن المرأة الحامل، إذا رأت في منامها، أنها ستلد طفلاً ذكراً، فإن هذا الحلم يعني أن مصيبة ما ستحل بها، فإذا رأت أنها قد ولدتْ بنتاً، فإنهم يعتبرون ذلك حياةً جديدةً ستُمنح لتلك المرأة.

وهناك احتمال بأن تُسقط المرأةُ الحامل جنينها قبل تمام الحمل. وقد تتكرر لديها هذه الحالة. وهم يفسّرون هذا الإسقاط المستمر، بأن امرأة جنّيةً يسمونها (التابعة)، هي التي تسقط ذلك الحمل. لذلك فإن المرأة التي تطرح جنينها (تسقطه قبل تمام الحمل)، تلبس «إسوارة» أي سواراً، مقروءاً عليها، لتمنع بذلك الجنية (التابعة) من إسقاطها، كما مرّ معنا من قبل. وقد تلبس المرأة الحامل «أساورها وذهبها في يديها قبل الولادة، لأن ذلك يحفظها، ويمنع النساء

اللواتي يَدخُلن عليها من كبْسها»[٤٠].

وإذا مرَّت المرأة الحامل بفترة مخاض صعبة وعصيبة، وتعسّرت ولادتها، فإن النساء كُنَّ في بعض الأحيان «يطلبن من زوجها أن يغسل كعبه بماء، تشربه المرأة، خصوصاً إذا كان بينهما سوء تفاهم»[٤١].

وكانوا ينصحون المرأة عند ولادتها «بأكل السمك، حتى يتكاثر نسلها كتكاثُر السمك»[٤٢]. وكانت المرأة، بعد الولادة مباشرةً «تلبس خرزة كبسة فوراً، خوفاً من أن تكبسها النساء»[٤٣]. وهم يحذّرون من «كَبِّ دم النفاس خارج البيت، بل في مكان في البيت لا يراه الناس ولا يخطون عنه: يُحفر مكان ويُكَبُّ فيه»[٤٤].

والمرأة النفساء، إذا كان مولودها «ذكراً، فمن العادة أن يُذبح لها ديك، يطعمونها بيضاته، حتى تأتي بصبيان بعده، أما إذا كان المولود أنثى، فإنهم يطعمونها لحم عجل، حتى تُغَيِّر من بناتٍ لذكور»[٤٥].

وفي بعض الأقطار العربية، «إذا اتضح أن الطفل بطيء النمو، أو وزنه قليل قياساً إلى أمثاله، أو مَن في عمره من الأطفال، فإن هذا الطفل أصبح «مكبوساً» والمكبوس إصطلاح تعرفه النساء، ينمّ عن شر حدث للطفل عند ولادته أو عندما كانت أمه حاملاً به»[٤٦].

ومن المعروف في الوسط الشعبي الفلسطيني «أنه لا يُرغب في أن يُرى الطفل في أيامه الأولى، خوفاً عليه من الحسد»[٤٧]. والطفل عند ولادته «يُغطى بملابس والده، فيقال إنها تحفظه من الحسد»[٤٨]. كما أنه «لا يُستحب كثرة النظر إلى الطفل من قبل الناس، مخافةَ أن يسبب له بعضهم الحسد»[٤٩]. وهم يعتقدون بأن هناك علاقةً ما بين الولادة والأيام السبعة (المستقرضات)، وهي أربعة أيام من شباط وثلاثة من آذار. فإذا وُلد طفل في هذه الأيام، فإنه يظل معتل الصحة[٥٠].

* خلاص المولود:

يُطلق اسم الخلاص على «المشيمة». وكثير من الناس يعتقدون أن المشيمة

كائن إنساني، وهي الأخت التوأم أو الأخ التوأم للطفل الذي يولد قبل نزولها بفترة قصيرة(٥١).

وإذا ظل الخلاص داخل الرحم بعد مولد الطفل، فإن المرأة ستموت بالتأكيد، وتبقى المرأة معلقة بين الحياة والموت، حتى يتم إخراج المشيمة (الخلاص)، ولهذا السبب، أطلقوا عليها اسم «الخلاص»، لأن في خروجها خلاصاً للمرأة من الموت والخطر.

ومن الملاحظ «أنَ الخلاص يرتبط عند كافة شعوب الأرض تقريباً (المتخلف منها والمتحضر على السواء) ارتباطاً وثيقاً بروح وحياة وموت وصحة وطباع ونجاح أو فشل الشخص الذي يولد فيه. ولذلك نجده يرتبط بالإعتقاد الإنساني الراسخ الجذور في الروح الخارجية أو الروح التي لا تنفصل عن الجسد»(٥٢). وبشكل عام، فإنه يُعتقد بأن الخلاص «يحوي روح الطفل الوليد، أو يضم روحه الحارس، أو هو أخوه أو توأمه، أو نظيره الحقيقي، أو إنه مرتبط به ارتباطاً غامضاً ووثيقاً. فالتصرف فيه أو بمصيره سوف يحدّدان مهارات الطفل، وحظه، ومصيره في الحياة»(٥٣).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، جرت العادة لدى كثير من الناس، أن «توضع المشيمة في مزبلة أو مرحاض، حتى لا يأكل منها قط أو كلب، حتى لا تُكبس الأم أو الطفل أو أن تصبح المرأة عاقراً»(٥٤). وأحياناً، ولأسباب كثيرة يتحرك الخلاص عائداً إلى الوراء، فيضغط على الحجاب الحاجز ومنه على القلب مما يؤدي إلى الوفاة.

كما يعتقدون أن الخلاص، إذا أكل من قبل حيوان ما، كالكلب والقط، فإن الطفل الذي كان في داخل هذا الخلاص سيموت، وربما أصيب بالجنون.

وإذا «كان المولود في (برنس)، والبرنس غلاف لحمي رقيق يكون فيه المولود قبل ولادته، يُملّح البرنس، ويحفظ في الدار كحِرْز، وإنْ حمله أحدٌ، فهو يحمي، وحرز وميسِّر للخير، ومانع للشر»(٥٥). وبعضهم يأخذ هذا البرنس ويجففّه ثم يطويه حتى يصبح بحجم إصبعين، ثم يوضع في قطعة قماش طاهرة ويخاط عليه، فيصبح كالحجاب، ويعتقدون أنه يحمي من العين.

ويقول المعتقد، إن قيمة البرنس تأتي من كونه قد كُتبتْ عليه بعض الآيات القرآنية (عند المسلمين)، وبعض النصوص من الإنجيل (عند المسيحيين).

وتدور حول البرنس أحاديث كثيرة، منها أن الناس يستعيرونه من بعضهم، ويقولون إن من يحمله يستطيع أن يدخل أي مكان دون خوف، وبه تُيسَّرُ الأمور وتُحل المشاكل، ويقولون إنه مبارك، وأن الطفل الذي وُلد وعليه هذا البرنس، سيكون ذا وجه جميل يجلب الخير، أو أنه سيكون ذا شأن بين الناس. وقد يُحتفظ بهذا البرنس لكي يتوارثه الأحفاد والأبناء وتتناقله الأيدي على مدى أجيال.

* الحبْل السُّرّي:

وهو قطعة لحيمة، تصل ما بين الجنين (عن طريق سرّته) وجسد أمه، أثناء الحمْل. ويسقط الحبل السرّي بعد الولادة ببضعة أيام.

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، أن الحبل السري، وبعد إنفصاله عن جسد الطفل، ينبغي أن يُلَفّ بخرقة طاهرة. وأنْ يلقى في باحة مدرسة، كي يصبح الطفل ذكياً، أو متعلماً، أو يُلقى في مسجد، كي يصبح الطفل متديّناً تقياً ورعاً، أو يلقونه في سوق الصاغة، أو في «خُرُج» أحد الباعة المتجولين، كي يعمّ الخير والثراء هذا الطفل عندما يكبر. وربما ألقاه بعضهم في نهرٍ جارٍ، ربما كي تصبح أمور الطفل ميسَّرةً، سائرةً دون توقف، كما مياه النهر، أو لكي يستمر فيه دفق الحياة كما تستمر مياه النهر في التدفق. وقد يلجأ بعضهم إلى وضع الحبل السرّي في جدار من حجر، وسط الزغاريد، لاعتقادهم أنه إذا ضاع الحبل السري، وأخذته إحدى النساء، فإن المولود مصيره المرض فالموت(٥٦).

وهم يعتقدون أن الحبل السري إذا احتوى على «حبيْبات كروية، فإن المرأة ستلد ذكَراً في المرة القادمة، أما إذا كانت الحبيبات غير كروية، فتلد أنثى»(٥٧).

اعتاد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، على تنقيط الماء المالح في عيني الطفل بعد ولادته، لاعتقادهم أن هذا الإجراء كفيل بأن لا يصبح الطفل معه وقحاً، لذلك فإنهم يصفون الطفل الوقح بقولهم: «عينُه مش مْمَلّحَه».

وهم يعتقدون أنه لا ينبغي للأم أن ترضع وليدها وهي نائمة، لأنها «إذا كررت إرضاع مولودها وهي نائمة، يسبب ذلك اصفرار الوجه»(٥٨).

وهم يحبذون أن يُختن المولود الذكر مبكّراً. كما يفضلون أن يكون الختان في أيام الوتر (المفردة)، كاليوم الثالث أو السابع. ولقد كان الناس قديماً يعتقدون «في أن (الطهور) هو الحماية الحقيقية للطفل من العفاريت»(٥٩).

وكان الختان «شائعاً ومعروفاً بين المصريين القدماء، وغيرهم من الشعوب»(٦٠). وإن «ختان الذكر يرمز إلى هذا الذبح الأصغر /الفداء، كما يرمز الكبش المذبوح بدلاً من إسماعيل، إلى ذبح آخر. بينما يكون عيد «الأضحى» مقروناً بنحر ضحية يوم الوقوف على جبل عرفات، يكون «الختان» مقروناً بهذا الذبح المباشر لعضو الذكر»(٦١).

إن «الختان /الذبح الأصغر للعضو التناسلي/، هو بمعنى طهور بالدم، وبمعنى آخر تَطَهُّر من الدم»(٦٢). لذلك، فإن الرجل لا يعتبر طاهراً ـ في الأوساط الإسلامية ـ إلاّ إذا أجريت له عملية الختان، التي تسمى أيضاً «الطهور» بمعنى «التطهُّر».

وكان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، ينقشون وجه المولود عند ختانه «بنيلةٍ زرقاء، خوفاً من العين»(٦٣). وهم يحرصون على «عدم إخراج الطفل قبل الأربعين، وإن أخرجوه من بيته، فإنهم يضعون رغيفاً على صدره، لاعتقادهم بأنه إنْ خرج بلا رغيف، يخرُّ النجم في ظهره»(٦٤). وكانت الأم الفلسطينية في الوسط الشعبي «لا تقص أظافر طفلها إلاّ بعد شهرين أو ثلاثة، لاعتقادهم أن الطفل يبقى في سرير فاطمة بنت النبي (ص) حتى تُقص أظافره، أو يضعوا الحنَّة في يديه، فعندها يخرج من هذا السرير»(٦٥).

وهم يحرصون على «جمع غسيل الطفل قبل طلوع النجم، لاعتقادهم أنه إذا طلع النجم والغسيل منشور، فيصاب الطفل بألم في ظهره»(٦٦).

ويعتقدون أنه إذا ضاع شيء من ملابس الطفل الصغير، وأخذته امرأة، وعرفت لمن هو، ولم ترجعه، فإن الولد يمرض»(٦٧).

وبعضهم يعمد إلى تعصيب رأس الطفل، لاعتقادهم أن هذه العصبة

«العصابة» تمنع اتّساع الصنديحة (الجبهة)[٦٨].

وعندما تظهر أسنان الطفل، تسلق أمه قمحاً «وتجلسه في فناء الدار، وترش هذه السليقة حوله، ويأتي الدجاج لِيأكل منها، وهي تصنع ذلك ليرزق ابنها الثروة الكثيرة التي تفيض حوله على الآخرين الذين يلتفّون حوله كالدجاج، يرْجون خيره ويشكرون برّه وإحسانه»[٦٩].

وهم يتشاءمون من تقبيل ما بين عيني الطفل، لأن ذلك في إعتقادهم قد يؤدّي إلى موته، وهم يعبّرون عن ذلك بقولهم: «إن كان بدّك تستعجل عليه، بوسُه من بين عِينه».

كما كانوا يتشاءمون من تخطّي الطفل وهو مُمَدَّد على الأرض، فإذا تخطاه أحدهم أو قفز من فوقه، أمروه بأن يعيد «فشقته»[٧٠] بالاتجاه المعاكس، كي لا يحدث تأثير مؤذٍ للطفل. ويبلغ التشاؤم أشدّه في هذه الحال إذا حدث ذلك من قبل شخص أعزب أو جُنُب، كما ينطبق هذا على المرأة في فترة الحيض، لأنها إنْ مرّتْ من فوق الطفل في فترة طمثها، أدى ذلك إلى ظهور «حَبّ»[٧١] في جسم الطفل، وهم يقولون في ذلك: «فَشْقِة الحيّة، ولا فشقة البنيّة».

وإذا حبا الطفل الكبير الذي يمشي، فإن حَبْوه هذا يُفسَّر، بأن أصحاب البيت سيأتيهم ضيوف عمّا قريب.

وعلى العموم، فإن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني «يعتقدون بطهارة الأطفال»[٧٢]، كما يعتقدون بصفائهم ونقائهم وبراءتهم وصدقهم، فإذا تصادف أنْ عطس طفل صغير أثناء حديث أحدهم، استدلّوا بذلك على صدق حديثه، فيقولون: «هاي بعطْسة طفل».

ومما يجدر ذكره، أنه لا بدّ لكل مولود من أنْ يتّخذ إسماً، فيسمّيه أحدُ أفراد عائلته (جده. أمه. أبوه... إلخ). وللإسم أهمية عظمى، إذْ إنه «يمثّل في جميع الثقافات التقليدية قوةً خاصةً، وهو مرتبط بشخصية صاحبه، بواسطة قوة روحية. وقد لعبت هذه الخاصية السحرية للإسم -ولا زالت تلعب- دوراً هاماً للغاية في الحياة الروحية لجميع الشعوب وفي جميع العصور»[٧٣].

ونجد بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، كانوا يسمون أولادهم

بأسماء غريبة وغير مألوفة، أو بأسماء بعض الوحوش والحيوانات. إذْ كان الإعتقاد القديم «بأن المرض أو الموت هو بمثابة كائن حيّ يصارع الإنسان، وإنَّ حَمْل الإنسان لاسم وحش كاسر يعينه على مصارعة الموت»، فإذا سُمي الطفل باسم أحد الوحوش الضارية، فإن معنى ذلك أن روح الوحش قد إنتقلت إلى ذلك الطفل، وبالتالي فإنه في هذه الحال يستطيع مصارعة الموت، أو المرض والتغلب عليهما»(٧٤)، وهذا ما يسمى بالمنفِـرّات، التي تنفّر الجن أو الوحوش... إلخ وتمنع أذاهم.

يذكر الجاحظ أنَّ «العرب، إنما كانت تُسمى بكلب وحمار وحجر، وجعل وحنظلة، وقرد، جلباً للتفاؤل وطيلة العمر»(٧٥).

وفي فلسطين، كان الناس في الوسط الشعبي، إذا استمر الطفل في البكاء دون انقطاع، وبدون سبب ظاهر، فإنهم يعتقدون بأن اسمه غير ملائم له، لذلك يعمدون في كثير من الحالات إلى تغيير اسمه باسم آخر، وربما كان الإسم الجديد يحمل اسم أحد الوحوش الضارية، لتهدئتها، وبالتالي لتهدئة الطفل وإبعاد الأذى عنه، ومصارعة الضرر والشر، فُهم قد يسمّون الطفل في هذه الحال بـ(وحش. ذيب. ذياب. إلخ) وذلك كنوع من المنفّرات التي تنفّر الأرواح الشريرة. كما كانوا يلجؤون إلى التسمية الغريبة بهذه الطريقة، إذا كان أطفالهم يموتون في سن مبكّرة، فإذا جاءهم بعد ذلك مولود، أسموْه باسم غريب أو باسم وحش ما، كي يعيش هذا المولود، ويستطيع الصمود في مواجهة الموت.

وكان العرب في الجاهلية يستخدمون بعض المنفّرات للجنّ، كي لا تؤذي الإنسان وتلحق به الضرر، ومن هذه المنفرات «تغيير الأسماء، فيُذكر عن أعرابي أنه قال: «لمّا وُلدتُ قيل لأبي: نَفـِّرْ عنه، فسمّاني قنفذاً، وكنّاني أبا العلاء»(٧٦).

ونظراً لما للإسم من قوة سحرية، فإن الرجل في الوسط الشعبي الفلسطيني، كان يعمد أحياناً إلى تغيير اسم زوجته «إذا حصلتْ مشاكل بينها وبين زوجها، ويعتقدون أن نجم مثل هذه الزوجة لا يطابق نجم زوجها»(٧٧).

وفي الوسط الشعبي المسلم في فلسطين، معتقدٌ مؤداه أنَّ «تسمية الولد باسم

محمد، تحمي المولود من الموت»(٧٨). كذلك، فإن للناس في الوسط الشعبي المسيحي في فلسطين معتقداً مشابهاً، «يذكر القس أسعد منصور، في كتابه: تاريخ الناصرة، أنّ العادة في التسمية عند المسيحيين، هي أن يأتي الخوري في اليوم الثالث لولادة المولود، فيسمّيه باسم نبيّ أو قدّيس»(٧٩).

وقد درج معظم الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، على تسمية الإبن على اسم جدّه أو أبيه، إذا كان هذان متوفيين. وكانوا يتحاشون «تسمية الإبن على اسم جدّه وهو حيّ، لأن ذلك يعتبر فألاً سيئاً ينذر بموت الجدّ»(٨٠). كما أنهم لا يسمّون الولد «باسم أبيه، إلاّ إذا كان الأب قد توفي قبيل أو فور ولادة الإبن، وفي ذلك ما يواسي الناسَ، بأن رجلاً حَلَّ محلَ رجل»(٨١).

وترتبط تسمية الطفل باسم أحد الوحوش، بالمعتقد القائل إن الجنية /الليليث/ تقتل الأولاد الحديثي السّن، لكن تسميتهم بأسماء الوحوش يجعلها تهرب أو تبتعد عنهم. وهذا يذكّرنا أيضاً بالمعتقد الذي يقول إن حواء كانت تلد أطفالاً فيموتون، فأشار عليها الشيطان متخفّياً على هيئة مخلوق بشري، أن تسمّي الأطفال بأسماء خشنة قاسيةَ، فإنهم لا يموتون، وتلد حواء، فتسمّي ابنها كما أشار عليها الشيطان، فلم يمت طفلها، وكان الإسم الذي أطلقته على طفلها من أسماء إبليس نفسه»(٨٢).

وتسمية الطفل بأحد أسماء الوحوش، يقوي ثقة الأم بنفسها. إن هذا الإسم سيقوّي من عزيمة الطفل ويصمد أمام خطف الموت له، كما ورد سابقاً، أو أنه سيحتمل الكثير مما سيتعرض له، وسيتلقى الأمور والكوارث بقوة وصلابة.

ويدخل في هذا المجال، ما يقال من معتقدات حول المرأة العاقر، والعقم. ويُنظر إلى المرأة العاقر نظرة ألم وشفقة، كونها محرومة من نعمة الأولاد، وتظل العاقر خائفةً من مصير الطلاق، لأن الرجال في الأوساط الشعبية العربية يعتبرون الطفل هو النتيجة الصحيحة للزواج. ولهذا تلجأ المرأة العاقر إلى أمور كثيرة، طبية وغير طبية، ومن هنا أيضاً فإن كثيراً من المعتقدات تدور حول أساليب العلاجِ، فيقولون مثلاً، إن المرأة العاقر إذا أخذت سرّة جنينٍ بعد قطعها مباشرة، وجففتها، ووضعتها في قطعة قماش، وخاطتها، ووضعتها على شكل حجاب أو تميمة على بطنها، أو في إحدى زوايا ثوبها، فإنها سوف تحمل

وتنجب.

ويحيط بهذا المعنى نوع من التفاؤل، أو حالة نفسية معينة، فالطفل عندما يولد تقوم الولّادة /الداية (القابلة)، بقطع الأمعاء الخارجية المتصلة (بالخلاص) والواصلة إلى بطن الطفل، ثم تضع عليها الملح، والحكل الأسود، بعد قطعها. والمرأة العاقر تأخذ جزءاً مما يتصل بجسم الوليد تفاؤلاً بأنها ستنجب. والمقصود من ذلك كله، أن من تلد الطفل، ستنقل بالعدوى الحمْل إلى العاقر، وتتم هذه (العدوى)، بوضع جزء من لحم وليدها في قطعة قماش، ومن ثم تقوم المرأة العاقر بحملها، وكأن وضع هذه القطعة من جسم الوليد مع المرأة العاقر سيساعد على خلق طفل في رحم أمه.

ولو تساءلنا، لماذا جزء من السرة، وليس جزءاً آخر من جسم الوليد؟.

المعروف أن السرّة هي الجزء المغذي لجسم الطفل عن طريق الخلاص الذي يأخذه بدوره من جسم الأم. إذن فهو جزء مهمّ جداً لحياة الجنين في رحم أمه، بل هو أهم ما في وجوده، ولعل ذلك (سيجعل) العاقر تحمل وتغذي جنيناً مثل هذا الجنين ومن ثم الطفل.

ويرى المعتقد، أنه على العاقر إذا أرادت الإنجاب، أن تجلب كومةً طحين (حفنة)، ومن ثم تذهب إلى مقام (مزار) أحد الأولياء، وتضعها فيه، مساءً حتى الصباح، حيث تعود إلى المقام، فإذا وجدتْ على كومة الطحين نملاً، فإنها تفسّر ذلك بأنها ستحمل، وإلاّ فإنها لن تحمل.

والدقيق (الطحين) هو العيش كما يسميه الناس. فالجود به عملٌ يرضي النفس ويريح الروح، ووضْعه في مقام الولي، وتواجد النمل عليه، يعني تكريم ما خلق الله، والمعروف أن أهم أنواع الغذاء لدى النمل هو القمح والدقيق، والمعروف أيضاً أن مقامات الأولياء القديمة تكثر فيها الثقوب والحشرات الصغيرة. كونها ذات صلة بالقديم، حجارتها، وطينها، وشكلها.

هناك وسائل عديدة، يستخدمها الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، لعلاج (الكبسة) التي تعرّضنا لذكرها من قبل. فقد رأى التصور الشعبي طرقاً لعلاج الطفل من الأمراض المفاجئة التي تنتج عن هذه (الكبسة)، ومن هذه الطرق العلاجية، قيامهم بحرق حبات من الشعير والملح على النار. ومن ذلك أيضاً

جلب عدة حبات من نبات الثوم ويتم تقشيرها، ثم يؤتى بإبرة فيها خيط حيث تُنظم حبات الثوم، الواحدة تلو الأخرى، بالخيط، بحيث تصبح كالقلادة، وتوضع هذه حول عنق الطفل المصاب، وريثما تجف الحبات، يكون الطفل قد شفي من مرضه.

ونعتقد أن هناك علاقةً طبيةً ما، بين رائحة الثوم النفّاذة والشفاء من بعض الأمراض، لأن كثيراً من الوصفات الطبية ترى أن رائحة الثوم. أو تناوله كغذاء مع الأكل، يطرد الديدان وغيرها، من الجراثيم في جسم الإنسان.

ونعتقد أن المعتقد الدائر حول الكبسة، يرجع في أصوله إلى جذور دينية إسلامية. فالرجس أو النجاسة من شأنهما إثارة الإشمئزاز لدى الناس. ودم الحائض مكروه، ويحمل من القذارات الكثير، لأنه حسب الرأي الطبي هو خلاصة كثير من الأوساخ الدموية، التي تخرج من المرأة كل شهر. إضافة إلى ذلك فإن المرأة الجُنُب تحمل على جسدها خلاصة إفرازات الجسم للسموم والأملاح المعدنية التي يطرحها الجسم أثناء ممارسة الجنس. وكل ذلك قد يؤدي إلى المرض، إن لم تكن المرأة مدركة لأبعاد نظافتها وأثرها على غيرها من الناس، لا سيما الأطفال. وقد حثّ الدين الإسلامي على عدم خروج المرأة أو الرجل من البيت إلا بعد الإغتسال من الجنابة. وقد يتعرض الطفل المولود لحمله من قبل امرأة جنب أو في فترة طمثها، مما قد يؤدي إلى تلوّثه بتلك الجراثيم أو الأوساخ التي أشرنا إليها، فيؤدي ذلك إلى مرضه. ولذلك، فقد حث المعتقد الشعبي بدوره على عدم دخول المرأة ـ في هكذا حالة ـ على الطفل إلا بعد الإغتسال، أو الطهارة.

وترى المعتقدات الشعبية، أنه لا يُحبذ (تحفيض) الطفل بقطعة قماش تستعملها المرأة التي (عليها العادة الشهرية) أي الدورة الشهرية، إعتقاداً أن ذلك لوْ تمّ فإنه سيؤدي إلى مرض الطفل أو موته. وهذا المعتقد يستند إلى نظرتين، إحداهما دينية والأخرى طبّية، فمن خلال النظرة الثانية، يدرك الناس أن قطعة القماش ستنقل الجراثيم العالقة بها إلى الطفل. ونرى أن مثل هذا الاستخدام لا يحدث إلاّ في أضيق الحدود، وأندر الحالات.



* المـــوت :

للموت شأن مهم في تصورات الشعوب القديمة، والحديثة، على السواء. ففي التصور الكنعاني مثلاً يعتبر الموت مسألة مهمة كباقي المسائل التي يعيشها الناس؛ يدخل في حياتهم الماديّة وتصوراتهم الأسطورية ومعتقداتهم الدينية والخرافية، وهو عقاب، سواء كان بمشيئة إله أم شيطان، وهو على نحو آخر استراحة نهائية ينشدها الإنسان بعد حياة مليئة بالآلام. والإنسان يضطجع ولا يقوم، ولا يستيقظون حتى لا تبقى السموات ولا ينتبهون من نومهم(٨٣).

إن الإنسان عندما يموت، يذهب ليستريح قرب حبيبته الأرض، حيث تتوقف روحه عن الضوضاء. وثمة شكل آخر للروح، يعيش حياة بطيئة في عمق البحر، في مملكة بعل، وهناك جميع الأموات يكونون شهوداً على تحركاته وأفعاله، لا يعلمون ولا يفهمون، في الظلمة يتمشّون، تتزعزع كل أسس الأرض(٨٤).

وفي هذا العالم الآخر، يكون حراس الأموات رفقاءه، كما أن دليل المتوفَين يعطيه تعاليم الحكمة الجديدة(٨٥). ولما كانت الأبالسة دوماً إلى جانبه، فيمكن للميت أن يعقد خطوبته هناك، وإنجاب ذريته من طبيعة العالم الآخر، والفرد فيها كالجهيض لا يرى نور النهار أبداً(٨٦).

وتشمل عبادةُ الكنعانيين عبادة الأموات. وقد تكون من أصل أيوني. وبموجبها يسكن الميت تحت التراب في ضنك الصلّ (اسم الحية)(٨٧).

وكان من المفضل أن يخصص ضريح للميت، وتقدم بعض القرابين (من خبز وطحين وخمور) إلى آلهة الأرض من جهة، ولإطعام الميت من جهة أخرى(٨٨). ومن جانب آخر، كانت عملية استحضار أرواح الموتى جزءاً من الديانة الرسمية. فكانوا يعملون على إيقاظ روح الميت(٨٩).

والإنسان بعد الموت، يصبح ظلاً أي روحاً، لأن الجسد يفنى في التراب. والظلال الموجودة في الجحيم، لها صفة العتمة، فهي ليست نورانية(٩٠).

ويأخذ الموت في التراث العربي الإسلامي والمسيحي قدراً كبيراً من

الأهمية، كونه يشكل أهم حدثٍ في حياة الإنسان كفرد وفي حياة الناس كمجتمع. وهو كالولادة، بل أكثر أهميةً، كون الولادة قدوماً إلى الحياة، والموت وداعٌ لها وفراق أبدي. ولهذا السبب كثرت الأحاديث عن الموت والقبر ورهبة الدفن وألم خروج النعش، ثم التصورات حول الآخرة والعذاب والنعيم. وقد نجد هذه الأهمية في التراث الفرعوني والبابلي، ولدى كافة الشعوب والحضارات القديمة والحديثة.

وفي التراث الشعبي بشكل عام، يُعتبر الموت العادي فاجعةً للناس قاطعاً لحبل الرباط بين الإنسان وأهله وأصدقائه. ونظراً لما له من الأهمية، فقد كثرت حوله المعتقدات، منذ اللحظة الأولى التي يشعر الناس فيها بأمر الموت وحتى ما بعد الدفن بأيام وأسابيع وسنين.

وتتنوع المعتقدات المتعلقة بالموت، في مضمونها، فنرى منها ما يدخل في باب التشاؤم، ومنها ما يدخل ضمن دائرة الأحاسيس الإنسانية، وبعضها يدخل ضمن دائرة التصورات الميتافيزيقية، دينية وغير دينية.

* ظاهرة الموت كمشكلة بشرية:

حَيَّرت ظاهرة الموت الإنسانَ منذ بدء الخليقة، فوقف حيالها مشدوهاً خائفاً، فهي من الظواهر الخفية الغيبية التي عجز الإنسان عن معرفة كنهها، فأصبحت جزءاً من العالم الآخر المجهول، والمجهول بطبيعته يسبب الهلع والفزع للمرء، الذي لا يعرف موعد موته: «وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجلاً»[٩١]. والمرء كذلك لا يعلم المكان الذي سيفارق فيه هذا العالم: «وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت»[٩٢].

إن الخوف من الموت «لم يكن أبداً خوفاً من العدم، بل كان خوفاً من المجهول، من مغادرة وضع نعرفه إلى آخر نحن به جاهلون»[٩٣].

لقد لعبت فكرة الموت في أساطير المنطقة «دوراً هاماً، خصوصاً في ديانات الخصب، التي تقوم أساساً على فكرة موت الطبيعة وبعثها المتكرر، الذي هو انعكاس لموت الإله وانبعاثه من جديد. إلاّ أن الأمر يتغير إذا انتقلنا بفكرة الموت

من مستواها الكوني إلى مستوى الإنسان الفرد. فالفرد لا يحيا إلاّ مرة واحدة على هذه الأرض، ينتقل بعدها إلى عالم الأموات، وهو ليس كالطبيعة المتجددة التي تكرر حياتها وبعثها كل عام»(٩٤).

* علامـــات المـــوت:

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، أن للموت علامات وأمارات ومؤشرات، قد تبدو على وجه الإنسان، فيقولون إن فلاناً «غبرَة الموت على وجهه»، حيث يكون شاحب الوجه، خائر القوى، فاتر الهمّة، ساكناً. وربما بدت هذه المؤشرات على تصرفات الإنسان، التي يفسرها الناس بعد موته مباشرة، فيقولون، إنه قبل موته مباشرة قد وَدَّع أهله، أو تصرف بسلوك يوحي لهم بذلك، أو أنه أكل ـرغم مرضه ـ بشراهة لم يعهدوها به.. إلخ.

* الإحتضـــــار:

عندما يبدأ المرء بالاحتضار (النزع الأخير) ـفإنه في الغالب يغيب عن الوعي، كلياً أو جزئياً، فيعرف من حوله أنه يحتضر (بِنازِع). وقد يمر المحتضر بآلام رهيبة أثناء فترة الاحتضار، ومَنْ كانتْ هذه حالُه، ويُخرِجُ «حشرجات صوتية، ومضايقات أثناء المنازعة، يكون من أحبّاء الدنيا، ولذلك فإنّ آخرته لا تُحمد»(٩٥)، وفق المعتقد الشعبي الفلسطيني.

وهم يعتقدون كذلك «أن الشخص الذي لا يلاقي عناءً كبيراً، ولا يبذل جهداً كبيراً في المنازعة (في الصراع مع روحه)، سيكون مرتاحاً في عالمه الآخر»(٩٦). وبشكل عام، فإن سكرات الموت، لا بدّ أن يعانيها كل إنسان محتضر: «وجاءت سكرة الموت بالحق..»(٩٧)، حيث يكون المرء خلالها معلقاً «بين الحياة والموت». وهم يقولون في وصف المحتضر أن «نجمهُ غاطس»، وهذا القول يرتكز إلى معتقد قديم مفاده أن لكل إنسانٍ نجماً في السماء يخصّه، فإنْ أفل هذا النجم أفل (مات) صاحبه، وعند احتضاره يكون «نجمه غاطساً» يوشك أن يغيب، فإذا مات الشخص قالوا: «سقطت ورقته»، ولهذا القول مدلول إعتقادي، إذ أنه يعود في جذوره إلى معتقد قديم، عندما كان الناس

يعتقدون أن شجرة العرش، وهي الشجرة التي على يمين عرش الله تعالى، ذات الأغصان الكثيفة، والأوراق الخضراء الزاهية، وهي تضم كل أسماء البشر، فإذا وُلد المرء ظهرت ورقته (التي تحمل اسمه وتخصّه) على تلك الشجرة، فإذا مرض مال لونها إلى الإصفرار، وتعود خضراء إذا ما شفي من مرضه واستعاد صحته، فإذا أوشك على الموت واحتضر اصفرّت ورقته وجفّت، فإذا مات «سقطت ورقته» وغادرت شجرتها الأم.

وهم يعتقدون أن أصعب الأيام على الإنسان المحتضر هو يوم الجمعة(٩٨). والمتحضر، قبل أن «يلفظ النفس الأخير، يُؤتى بوعاء به ماء، ويُنقِّط في حلقه آخر نقطة من ماء الدنيا»(٩٩). وكأنهم بذلك يريدون للميت أن يودع الحياة الدنيا الوداع الأخير، من خلال قطرات مائها الأخيرة، التي كانت مصدر حياته وسببها في الحياة الدنيا. وهم يشيرون إلى عملية الاحتضار تلك، بقولهم في وصف المحتضر إنهم «بنقّطوا له»، أي ينقطون الماء في فمه. بمعنى أنه يحتضر. كما يقولون عندما يلفظ المحتضر نفسه الأخير: «انقطعوا ميّاته»(١٠٠)، أو «خلصوا ميّاته»، أيْ إنه لم يعدْ له أيُّ نصيب من ماء الدنيا.

وفي المنطقة «الواقعة بين المعتقدات الخرافية والتجارب النفسية، نجد المعتقد الذائع، وهو أن الرجل الذي يحتضر، يوهَبُ القدرة على التنبؤ ومعرفة الغيب»(١٠١)، فنجد مثلاً، أن تنّين «طيبة المحتضر يتنبأ لقاتله كادموس بنهايته المحتومة»(١٠٢)، كما أننا نذكر «أن هيكتور المحتضر، في الإلياذة، يتنبأ بموت غالبه»(١٠٣).

وفي فلسطين نجد بعض الناس يحضرون عند احتضار شخص ما، ويطلبون إليه أن ينقل سلامهم وتحياتهم إلى قريبهم المتوفى منذ زمن، فيقول بعضهم مخاطباً المحتضر: «سَلِّمْ لي على فلان، أو على فلانه، أو على أبو فلان»، لاعتقادهم أن المحتضر قد أصبح في برزخ بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، بل إنه أقرب إلى العالم الآخر، وأن المحتضر «يكون أشبه من يكون في عالم الأموات فعلاً، حيث يتاح له رؤية الأموات والتحادث معهم»(١٠٤).

* مـــلاك المـــوت:

بالإضافة إلى أن عزرائيل هو الملاك الموكَّل بقبض أرواح البشر، فإن

الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، كانوا يعتقدون أن «أبو مزراق» «هو الموكّل بأرواح الحيوانات، وعادةً يصيب أبو مزراق البغال، فيأخذ أرواحها، ولذا عندما تبدأ بغلة بالمنازعة، يؤتى بكلب مسعور ليهاجم أبو مزراق، ويقال إن البغلة تشفى وتُجنَّبُ شر أبو مزراق»(١٠٥).

وهم يعتقدون أن بعض الحيوانات تستطيع رؤية ملاك الموت عند قدومه، ومن هذه الحيوانات الكلب والحصان، فالكلب عندما يحسّ بقدوم ملاك الموت ويراه، فإنه ينبح بطريقة غريبة شاذة (يجوح)، يتشاءم الناس منها، كما أن الحصان يضرب بقائمتيه الأماميتين الأرض عند رؤيته لملاك الموت، وقد يتوقف الحصان فجأة عن السير إذا رأى ملاكَ الموت قادماً.

* الميت قبل الغسل:

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن على أهل الميت أنْ يحرسوه في البيت، لاعتقادهم أنهم إنْ لم يفعلوا ذلك، فربما جاءت القطط والتهمتْ عينيه.

وإذا «بات» الميت ليلةً في بيته، فإنهم يعتقدون أن هذه الليلة هي من «طول العمر»، أي إنها زائدة على عمره، نتيجة الإستجابة لدعاء بعض الناس له بطول العمر، بقولهم: «الله يطوّل عمرك»، وذلك عندما كان حياً يرزق.

وهم يراعون عند الوفاة «عدم سقوط الدموع على وجنتي المتوفى، لأن ذلك حرامٌ ومكروه»(١٠٦). ويعتقدون أن الدموع التي تتساقط على وجنتي الميت تتسبب في إحراقه.

ويعتقدون، أنه عندما يموت المرء، ويبيت ليلة في بيته، ينبغي أن توضع على بطنه سكّين ملفوفة بقطعة من القماش، إعتقاداً بأن ذلك يمنع إنتفاخ البطن. وبالطبع فإن المسألة قد تتجاوز المعتقد إلى واقعية الحدث، فوضْع السكين على بطن الميت ثم ربطها بقطعة قماشية، يَمنعُ فعلاً إنتفاخ البطن.. وغالباً ما يحدث هذا الإنتفاخ أيام الصيف أو الحر الشديد، ونادراً ما يحدث هذا أيامَ الشتاء.

* غســـل الميت :

وغسل الميت لا غنى عنه في الوسط الشعبي المسلم، لأنه ينبغي «أن يكون طاهراً من الحدثيْن، الأكبر والأصغر، ولذلك يسخَنون الماء، ويُبرِّدُ حتى تصبح حرارته معتدلة، لاعتقادهم أن الميت يُحسّ»(١٠٧)، وقد يؤتى «بأغصانٍ من شجرة الخروب أو الزيتون، وتوضع تحت رأسه أثناء عملية التغسيل، لكونه أحلّ في منظور المعتقد الشعبي»(١٠٨).

ويُغسل الميت عادةً على «المغتسل»، وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني، أنه يجب إخراج المغتسل من البيت بعد الإنتهاء من عملية الغسل والتكفين، وقبل خروج النعش، لأنه إذا لم يتقيد بذلك، فإن هذا يعني أن شخصاً آخر من الأسرة سوف يموت.

وبعد أن يجري تكفين الميت، يجري وداعه من قبل أهله وأصحابه، وهم يعتقدون أن «من يودِّع الميتَ لا يراه في الحلم»(١٠٩).

* النعـــش :

وهم إذا شاهدوا نعش الميت يهتزّ، فإنهم يفسّرون هذه الحركة، بأن الميت سوف يجرّ خلفه أناساً آخرين بعده إلى الموت، لذلك فإنهم يتشاءمون من اهتزاز النعش، ويحذّرون من ذلك.

كذلك فإنهم يحرصون على إبعاد الأطفال عند موت أحد أفراد الأسرة، ولا سيما عند خروج النعش من البيت، لاعتقادهم بأن الميت يصرخ حزناً على فراق أهله وبيته، وبأنه لا يَسمع صراخه سوى الأطفال، فإذا سمعوه صرخوا خوفاً وهلعاً. والمعروف أن الأطفال الصغار الذين لم تتجاوز أعمارهم العام الأول يعتبرون في الوسط الشعبي كالملائكة والمخلوقات الروحية، وبأن الطفل، لذلك، يشعر بما لا يشعر به سواه.

ويقال إن النعش الثقيل الذي يصعب حمله، دليل على ثقل أعمال الميت السيئة. ويقال إن بعض النعوش «تحاول» الرجوع إلى الوراء، وكأن المعتقد هنا يريد أن يقول إن صاحب النعش لا يحب ـ في هذه الحالة ـ مغادرة الدنيا أو

مفارقة الاهل، وهو بذلك من أحبّاء الدنيا، ويذهب إلى الدفن مجبراً، ولذلك يرى حاملوه «صعوبة» في حمل نعشه والتقدم به سريعاً.

ويعتقدون بأن النعش إذا أخرج من البيت، فينبغي عدم العودة به ثانية، لسبب أوْ لآخر، لأنّ ذلك وفْق المعتقد يعني الموت لشخص آخر من أفراد الأسرة.

ويعتقدون أن نعش الميت إذا لامَسَ جسدَ المرأة، فإن هذه المرأة سوف تموت.

* القَبْــر:

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، «أنّ من يكون قبره سهل الحفْر، فإنّ آخرته على خير، ومن يكون قبره واسعاً أيضاً. أما من يكون قبره صعب الحفْر، فتكون آخرته سيئة»(١١٠).

وأكثرهم يحرص -عند بناء القبر- على إحداث حفرة صغيرة عند الشاهدة، ويضعون فيها بعض الماء عند زيارة القبر، إعتقاداً أن هذا يخَفف من حرّ النار التي قد تعذب الميت، الذي أذنب في حياته أو أساء، أو لاعتقادهم بأن طيراً ما يمكن أن يشرب من هذا الماء، وبذلك يخَفف الله تعالى من عذاب صاحب القبر (بحسنة هذا الطير).

ومنهم من يعتقد أن هذا الماء يمكن أن «يبلّ» ريق الميت الذي يعاني من اليباس والجفاف. إن هذا المعتقد ذو أصول كنعانية، حيث كان الكنعانيون يضعون مع الميت بعض المياه والأكل وغير ذلك، إعتقاداً أن الميت انتقل إلى حياة أخرى ولا بدّ له من تموين يساعده على متابعة حياته الأخرى(١١١). وكذلك نجد بعض الممارسات المشابهة، في الموروث الديني الفرعوني. حيث مملكة الموتى وتحنيط الجثث، ووضع ما يلزم من أكل وشرب للميت الذي سوف ينتقل إلى حياة أخرى(١١٢). وهم يضعون الآس والورود وبعض أغصان الشجر على القبور عند زيارتها، إعتقاداً أنها تخَفف من عذاب الميت. ونرى هنا الموروث الديني واضحاً جداً، فقد ورد في الديانتين الإسلامية والمسيحية ما

يشير إلى أن وضع الأغصان الخضر على القبور يخَفف من عذاب القبر.

ويعتقدون أن القبر «يضاء على المتوفى، وتكون حياته أشبه بحياته في الدنيا. أو إذا كان قد توفي على خير، يُسأل في نفس الليلة، أما إذا كان قد توفي على شرّ، وكانت أعماله سيئة، فلا يُسأل إلا بعد الليلة الثالثة.. ويبقى القبر عليه مظلما»(١١٣).

ويحرص الكثيرون منهم على زيارة القبر في الأسبوع الأول من موت الشخص، حيث «تُشرب على قبره القهوة، وتقرأ له الفاتحة، وتوزع الحلويات، كل هذا حسب إعتقادهم رحمة للميت، ودفع بلاء عن الاحياء من أهله وعياله»(١١٤). وهم يذهبون «لزيارة القبور قبل طلوع الشمس، وذلك عائدٌ لاعتقادهم بأن أرواح الموتى تختفي بعد الشروق»(١١٥).

ويعتقدون أنه «عند فتح مقبرة جديدة بكبير، فسوف تُسدُّ المقبرة بموت طفل، وبالعكس»(١١٦). كما يعتقدون بأن المنزل الذي يُشيّد فوق مقبرة قديمة، أو فوق قبر قديم، فإن الجنّية ستظهر في هذا البيت، وربما ظهرت روح الميت أو أرواح الأموات.

وإذا ذهبوا لزيارة المقبرة صباح العيد، كي يزوروا قبور موتاهم، فإنه لا يجوز كنس البيوت في ذلك الوقت، لاعتقادهم أنه إذا حدث ذلك، فإنه سيؤدي إلى موت أحد أفراد الأسرة.

ويعتقدون أن زيارة القبر في الصباح الباكر من اليوم الذي يلي الوفاة، من شأنها أن تُسلّي الميّت وتؤنس وحدته.

* مكـــان الـوفـــاة:

أما المكان الذي يُتوفى فيه الإنسان فقد كان «قد تقرّر في علم الغيب منذ ولادة الإنسان، ذلك أن حفنة التراب التي خُلق منها الإنسان، تُحضر من مكان الولادة ومن مكان الوفاة، وعندما يتوفى إنسان في مكان بعيد جداً عن مكان ولادته، يقول الناس: «سبحان الله.. اتراباته أخذته» أي أن هذا الإنسان قادته منيتَه ليموت في المكان الذي أخذت منه تلك الحفنة من التراب التي خُلق منها، والتي يبدو

أنها أخذت من ذلك المكان البعيد»(١١٧).

وهناك معتقد، يشير إلى نجاسة ووساخة الموتى، فإذا «مات أناس تحت أنقاض بيت أو في نبع ماء، أو تحت الحجارة، فإن أرواحهم تظهر كل سنة في يوم موتهم؛ لهذه الأسباب كان يُعتقد ولا زال الاعتقاد سائداً، أن الأموات وسخون»(١١٨). وتتعلق النجاسة ذاتها بممتلكات الميت وأشيائه الخاصة، وبثيابه، على نحو أخص، وقد أدى هذا الظن إلى تدمير ممتلكاته بعد موته أو إهلاكها.. ولا يزال الأوروبيون والأمريكيون إلى يومنا هذا، لا يقبلون فكرة ارتداء ثياب الموتى»(١١٩).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، يخشى أهل الميت ارتداء ملابسه، لذلك فهم يتصدقون بها على الفقراء، وحتى هؤلاء الفقراء، فإن كثيراً منهم لا يقبل بتلك الثياب إذا ما عرف أنها لإنسان متوفى.

وكثيرون منهم يحبّذون غسل فراش الميت وملابسه بعد وفاته مباشرة، ظناً منهم أن روحه ما تزال عالقةً بالفراش والملابس. وكثيرون منهم كذلك، لا يحبّذون أكل أي طعام يقدم عن روح الميت (طبيخ أموات)، ومردّ ذلك، لاعتقادهم أن الميت قد لمس الطعام بروحه، أو أكل منه.

* استرضاء الموتى:

ساد في العصور القديمة إعتقاد بأنه «ينبغي استرضاء الموتى.. وينبغي أن نعتبر من طقوس الإسترضاء تناول الطعام عند قبر الميت.. وهناك عادة وثيقة الإتصال بهذه الممارسات، ونعني بها عادة إعطاء الميت قطعة من النقود، أو وضع هذه القطعة في فمه.. كانت تلك العادة شائعة في بلاد البحر الأبيض المتوسط أثناء عصرها القديم»(١٢٠).

وكان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يضعون في يد الميت قطعةً من النقود الفضية أثناء تكفينه. ونعتقد أن هذه الممارسة هي بقايا تلك الممارسة القديمة التي تحدثنا عنها، إلاّ أنها أصبحت إلى وقت ليس بعيداً، تُبرَّر لدى الناس في الوسط الشعبي، بأن قطعة النقد الفضية تجلب (الفَضا)، أي

الفضاء والنُّور والضياء، للميت في قبره. ونلاحظ هنا أثر الإشتقاق اللغوي في هذه الممارسة، فالفضة تجلب (الفضا)، علاوة على أن الفضة بطبيعتها ذات لون أبيض (بلون الضياء).، وكان «أهل بعض القرى والمدن الصغيرة في مصر -إلى سبعين أو ثمانين سنة خلت- يضعون قطعة نقود في يد الميت»(١٢١). كذلك فمن الملاحظ عند الإغريق أنهم كانوا يضعون «بعض قطع النقود في أفواه الموتى» إتاوةً لابن «إلهي الليل والظلمات وملاّح العالم السفلي الذي ينقل بزورقه أرواح الموتى عبر نهر ستيكس إلى العالم الآخر»(١٢٢).

وكان السومريون يقدمون الطعام والشراب والكساء للميت بعد دفنه «عن طريق التقدمات المختلفة، وتقديم القرابين لآلهة العالم الأسفل، لتكون رفيقةً به»(١٢٣).

ومن العادات التي كانت متبعةً لدى كثير من الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، عادةُ «إسقاط الصلاة عن الميت»، وهي «أن يقوم أهل الميت بوضع ذهب في صرّة، بما يتناسب وعدد الصلوات التي لم يؤدّها الميت، حيث توهَب للشيخ أولاً، ثم يوهبها للحاضرين فرداً فرداً، قائلاً عند هبتها لكل منهم: «قبلت مني هذه الصرّة هدية إسقاط الصلاة عن روح فلان»، فيقول: «قبلت»، ثم الشخص يهبها إلى الشيخ مرةً أخرى، وهكذا، ثم تُعاد لأهل الميت»(١٢٤).

وهم يعتقدون أن «الأطفال الموتى هم طيور الجنة في الآخرة، وهم المستقبلون الأوائل لأهلهم، حيث يقومون بتقديم الماء لهم من ماء الجنة، ولذلك فهم يقولون: «نيّال من إلُه قطعة لحم في التراب» يقصدون الأطفال»(١٢٥). إن هذا المعتقد -في رأينا- ذو جذر ديني إسلامي، حيث يروى «عن أبي حسّان، قال قلتُ لأبي هريرة: إنه قد مات لي إبنان، فما أنت مُحدّثي عن رسول الله (ص) بحيث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال نعم، قال: صغارهم دعاميص الجنة «جراء، جمع جرو»، يتلقّى أحدهم أباه، أوْ قال لأبويه، فيأخذ بثوبه، وقال بيده، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال ينتهي، حتى يدخله الله الجنة. رواه مسلم»(١٢٦). كما يروى عن النبي (ص) أنه قال: «من مات له

ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث، كان له حجاباً من النار، أو دخل الجنة»(١٢٧). وهم يعتقدون أن لحم الشهيد «لا يبلى، ويبقى كما هو لفترة ما دون أن يُخدش»(١٢٨).

ويعتقدون أن الشخص إذا مات فإنه يَمنح عمره كله للأحياء من بعده، ويعبّرون عن ذلك بقولهم عند الإخبار عن وفاة شخص ما: «أعطاكم عمره».

وهناك معتقد قديم، مؤداه أن الأشجار التي تنمو فوق القبور، إنما تنبت من أجساد الموتى مباشرة. ونرى بقايا هذا المعتقد في الذهنية الشعبية الفلسطينية، حيث يقوم الناس بسقاية الأشجار والنباتات التي تنمو على القبور. وربما نسي الناس أصل هذه الممارسة بتقادم الزمن، إذ «قد تعيش الممارسة بعد اندثار المعتقد الذي أنشأها، ومعنى ذلك أنه قد يستمر الطقس، أو الممارسة، بفضل روح المحافظة الغريزية في الإنسان، بينما يُنسى السبب أو الغرض الأصلي لهذا الطقس أو تلك الممارسة، وكثيراً ما يُخترعُ سبب جديد، وتُبَرَّر به هذه الممارسة»(١٢٩).

في فلسطين، وفي «النطاق المحلي الضيق، يعتقد الناس في الوسط الشعبي، أنه إذا مات ابن آدم أحسّ الأحياء بغولته تعود لتزور الأحياء أو تعترض طريقهم، وخاصة إذا كان القتل والقتل العمد هو سبب الوفاة»(١٣٠). والبعض يطلق على غولة القتيل «القرينة» أو «القرين»، و«الهامة» و«الخيالة».

ومن المفاهيم الشعبية المتعارف عليها، والمتفق على صحتها في المعتقد الشعبي، أن الشخص الذي يلقى حتفه في مكان ما، يبقى قرينه في ذلك المكان»(١٣١).

ويعتقد القرويون في فلسطين «بأن لكل قتيل هامة (يسمونها خيالة)، تخرج في المساء، وتبدأ تصيح بصوتٍ عالٍ، مردّدةً كل الكلمات التي نطقها القتيل ساعة قتله»(١٣٢).

وكان العرب يقولون «ليس من ميت يموت أو قتيل يُقتل إلاّ وخرج من رأسه هامة، فإذا كان قُتل ولم يؤخذ بثأره، نادت الهامة على قبره: إسقوني فإني صديّة»(١٣٣). وقد اعتبروا البومةَ «الهامة التي تخرج من رأس القتيل، تحجل

بلا توقف على قبره، في طلب الثأر والدم»[١٣٤].

وفي مصر يعتقد الناس أنه إذا «مات إنسان في حادث، نشأ «من دمه» عفريت»[١٣٥]، وبأن «عفاريت الناس الذين ماتوا في حوادث، تحوم قريباً من المكان الذي وقعت فيه الوفاة»[١٣٦]. والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون، أن من يَشْتُم إنساناً ميتاً، فإن جزءاً من ذنوب الميت تنتقل لتضاف إلى ذنوب الحي الذي شتم الميت، ويعبرون عن ذلك بقولهم: «تخليناش نتحمل ذنوبه»، إذا أراد أحدهم شتم أحد الأموات. ولعل هذا المعتقد ذو أرضية دينية إسلامية، إذْ يروى عن النبي (ص) أنه قال: «لا تسبّوا الأموات فإنهم قد أفضوْا إلى ما قَدَّموا»[١٣٧].

كذلك فإنهم يعبرون عن ذلك بقولهم: «الضرب في الميّت حرام». وهم يعتقدون أنه إذا تم نقل الكراسي المستخدمة لجلوس المعزّين، من بيت العزاء، إلى بيت آخر، فإنّ ذلك مدعاة إلى جلب الموت لأحد سكان هذا البيت.

وكانوا يوزّعون المأكولات والأطعمة للفقراء بعد وفاة شخص ما، وذلك «عن روحه»، وكانوا يعتقدون «أن الطعام الذي يصل إلى الفقراء يصل إلى أرواح الموتى»[١٣٨].

ويعتقدون أن روح الإنسان، إنما هي أمانة ووديعة لديه، وصاحبها هو الله تعالى وحده، لذلك فإنه عندما يموت الإنسان، فإن الخالق عز وجل يسترد تلك الأمانة، ويستعيد تلك الوديعة. وهم يعبرون عن ذلك بقولهم: «ألله أخذ وداعتُه» وبقولهم: «صاحب الأمانة أخذ أمانته».

وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني «أن أرواح الموتى تنطلق أيام الجمع وهي تحمل «ظروف» الماء لتملأها من الينابيع»[١٣٩]. كذلك فإنهم يعتقدون «أن روح الميت تأتيه كل يوم خميس، ولذا توجد عادةُ توزيع الحلويات يوم الخميس، ولذا تسمى «خميسية»، وتُوزَّع النقود على الصغار رحمةً عن روح الفقيد»[١٤٠]، ولهذا السبب أيضاً يحبذ الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني زيارة القبور في أيام الخميس. وهم يعتقدون أن روح الميت قد تزور بيته على شكل ذبابة كبيرة، لا سيما عند الغروب. وقد تتحول روح الميت «إلى نحلة برية كبيرة

الحجم نوعاً، تحوم حول أقاربه عند القيلولة لتذكّرهم به»(١٤١).

إنّ الروح التي تنطلق على شكل ذبابة كبيرة لها طنين، فكرة مستمدة من الأساطير الفرعونية التي تصوِّر الحياة الأخرى في مملكة الموت. وإن لدى الكنعانيين ما يشبه هذا المعتقد، حيث تقول المعتقدات لدى الكنعانيين إنّ الإنسان بعد الموت يصبح ظلاً أي روحاً، يتجلّى بشكل حيوانات أو حشرات أو ما شابه(١٤٢). والطنين حسب المعتقد الشعبي هي أصوات الروح التي لا يفهمها الأحياء، ودوران الذبابة هذه في البيت أو داخل غرفة، دليلُ تفقد الميت أو روحه لبيته وأفراد أسرته، وليرى من كان حزيناً منهم حتى يباركه، أو يغضب على مَن بدا عليه الفرح.

وفي الأوساط الشعبية العربية، يعتقد معظم الناس «أن الفراشة التي تطير في البيت، ما هي إلاّ روح من الأقرباء تحوم فيه، فيجب العطف عليها وعدم إيذائها»(١٤٣).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كان الناس يعتقدون «أن روح القتيل تظهر في الليل غالباً على شكل طائر يصيح بنفس كلماته الأخيرة عند الحادث»(١٤٤). من ذلك «في حكاياتنا أن تحولت روح الأخ القتيل إلى طائر يهتف، في حكاية الطوير الأخضر: مرت أبوي ذبحتني، أختي الحنونة دفنتني، أبوي أكل من لحمي»(١٤٥).

ومن العرب من كان يعتقد أن الروح «طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا هو مات أو قتل، لم يزل مطيفاً به، متصوراً له في صورة الطائر، يصدح على قبره»(١٤٦).

وكان الجاهلي يرمز «إلى روح الميت، في حالات معينة بالهامة (طير)، أو بالصدى»(١٤٧). وفي الوسط الشعبي المصري، نرى أن أرواح الموتى «تدخل في الحياة متخذةً صورة عفريت، وذلك لتأدية مهمة معينة»(١٤٨). وفي السويد يعتقد الناس، بأن أرواح الموتى الذين قُتلوا «ولم يقدر لهم أن يدفنوا في ظل الطقوس المسيحية» تتحول إلى غربان(١٤٩). وفي ألمانيا يعتقد الناس أن الأرواح التي تحل عليها اللعنة تتحول إلى غربان(١٥٠). وفي المعتقدات الشعبية

الصينية «يتحول الموتى إلى كائنات شيطانية على هيئة ثعلب»(١٥١).

وبشكل عام «يمكن أن تتحول أرواح الموتى حسب تطورها أثناء الحياة، إلى أرواح طيبة أو شريرة»(١٥٢). ولقد كان الرجل الشرقي يعتقد «أن الأرواح حتى بعد الموت تكون مرتبطةً في الجسم أو بعض أجزاء الجسم، لذلك فإن أضرحة القديسين يحافَظ عليها بإجلال، كذلك فإن الناس تتجنب المقابر، وتلك الأماكن التي سال فيها دم إنسان»(١٥٣).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني إذا ذَكر الناسُ شخصاً متوفى، وجاء ذكره بشكل عرضي، فإنهم في هذه الحالة يعتبرون أن روح الميت تحتاج إلى الرحمة، وهي تطلبها من الأحياء، فيقولون: «روحه طلبت الرحمة»، ثم هم «يترحّمون عليه» بقولهم «ألله يرحمه» أو «رحمة الله عليه» أو «ألله يرحم عيونه» و «ألله يرحم تراباتُه». وهم يعتقدون أنّ على الأرملة التي توفي زوجها حديثاً أن تكون متواجدة في منزلها قبل غروب الشمس، لأن روح زوجها ستزور البيت عند الغروب. كما يعتقدون أن أرواح الموتى تجتمع كلها في بئر واحدة، وهذه البئر موجودة في اليمن أو في القدس، وأنّ بعض الصراخ كان يُسمع من هناك. ونعتقد أن هذا المعتقد وارد في معتقدات العرب القدماء في الجاهلية، الذين قالوا بأن الأرواح تجتمع في بئر في القدس، ويقال أن الناس يسمعون صياح بعضها، ويستدلون بهذا الصياح على العذاب الذي تناله وتتعرض له بعض تلك الأرواح. ويرد في بعض المأثورات العربية القديمة أن البئر موجودة في اليمن، وقد رُويت شفاهيات عن أهل سبأ تقول بذلك. وفي المتوارثات الفرعونية أنّ سنو زيريس أمسك بيد أبيه وقاده إلى جبل ممفيس حيث هبطا معاً فجوةً ضيقة بين الصخر. ما كادا يهبطان حتى وجدا نفسيهما في قاعة ثم أخرى.. حيث جماعة مزدحمة من الناس، فيها الفقير والغني، الوضيع والرفيع(١٥٤).



هوامش الفصل الثالث

(١) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد السادس ـ أيار ـ ١٩٧٥م ـ ص ١١٨ .
(٢) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ ص ٩٠ .
(٣) مجلة «التراث والمجتمع» ـ العدد الخامس ـ ١٩٧٦م ـ جمعية إنعاش الأسرة ـ البيرة ـ ص ٨٧ .
(٤) (٥) يسرى جوهرية عرنيطة ـ الفنون الشعبية في فلسطين ـ مركز الأبحاث في م.ت.ف. ـ ١٩٦٨م ص ١٥٨ ـ ١٥٩ و ص ١٣٧ .
(٦) (٧) مجلة «التراث والمجتمع» ـ مصدر سابق ـ ص ٨٦ و ٩٢ ـ ٩٣ .
(٨) (٩) يسرى جوهرية عرنيطة ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٧ و ١٥٨ .
(١٠) نمر سرحان ـ مصدر سابق ـ ص ٩٠ .
(١١) (١٢) يسرى جوهرية عرنيطة ـ مصدر سابق ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ .
(١٣) قشر : موّت .
(١٤) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ عمان ـ ١٩٧٧م ـ ص ٢٣ .
(١٥) (١٦) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ مصدر سابق ـ ص ٩٠ .
(١٧) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ١١٩ .
(١٨) (١٩)(٢٠) يسرى جوهرية عرنيطة ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٨ ، ١٥٩ ، ١٣٩ .
(٢١) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ مصدر سابق ـ ص ٩٠ .
(٢٢) ألكزاندر هجرتي كراب ـ علم الفولكلور ـ ترجمة رشدي صالح ـ وزارة الثقافة ـ مؤسسة التأليف والنشر ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٧م ـ ص ٣٥٣ .
(٢٣) ترمسعيا ـ مركز الأبحاث في م.ت.ف ، وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الكويت ـ ١٩٧٣م ـ ص ٤٥١ .
(٢٤) أنظر : نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ مصدر سابق ـ ص ١٧ .
(٢٥) (٢٦)(٢٧)(٢٨) هـ. ي ديل ميديكو ـ اللآلىء من النصوص الكنعانية ـ تعريب مفيد عرنوق ـ منشورات مجلة فكر ـ الطبعه الاولى ـ ١٩٨٠م .
(٢٩) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد العاشر ـ أيار ـ ١٩٧٦م ـ ص ١٢٤ .

(٣٠) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٤٦ .
(٣١) (٣٢)(٣٣) مجلة « الفنون الشعبية » الاردنية ـ العدد العاشر ـ أيار ـ ١٩٧٦ م ـ ص ١٢٥ و ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٣٤) (٣٥)(٣٦)(٣٧)(٣٨)(٣٩) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٤٩ .
(٤٠) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد العاشر ـ ص ١٢٧ .
(٤١) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٥١ .
(٤٢) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد السادس ـ ١٩٧٥ م ـ ص ١١٩ .
(٤٣) (٤٤) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد العاشر ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٤٥) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٥٢ .
(٤٦) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٧٣ .
(٤٧) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد العاشر ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٨ .
(٤٨) (٤٩) المصدر السابق ـ ص ١٢٨ .
(٥٠) أنظر : نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ ص ١٧ .
(٥١) جيمس فريزر ـ الفولكلور في العهد القديم ـ الجزء الثاني ـ ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ص ٨٢ .
(٥٢) (٥٣) الدكتور محمد الجوهري ـ علم الفولكلور ـ الجزء الثاني ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠ م ـ ٥٦٣ .
(٥٤) (٥٥)(٥٦)(٥٧)(٥٨) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٥٢ ، ٥٥ .
(٥٩) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٨ م ـ ص ١٣٨ .
(٦٠) قاموس الكتاب المقدس ـ مكتبة المشعل ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ـ ١٩٨١ م ـ ص ٣٣٧ .
(٦١) (٦٢) الدكتور خليل أحمد خليل ـ نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
(٦٣) (٦٤)(٦٥)(٦٦)(٦٧)(٦٨) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٦٩ ، ١٦١ ، ٥٩ ، ١٦٠ ـ ١٦١ ، ٥٩ .
(٦٩) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد السادس ـ أيار ـ ١٩٧٥ م ـ ص ١٢١ ـ ١٢٢ .
(٧٠) فَشِقْتُه : خطوته ، قفزته .
(٧١) خبّ : اندفاعات جلدية صغيرة .
(٧٢) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٣ .
(٧٣) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٠ .
(٧٤) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الأول ـ مصدر سابق ـ ص ٢٩ .
(٧٥) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٢ م ـ ص ١٦٠ .
(٧٦) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٠ . عن الفهرست ص ٣٢٣ ، وبلوغ الأرب ٢ / ٣٢٥ ، وتاج العروس ٣ / ٥٧٩ و ٢ / ٣١٩ وما بعدها ، واللسان ٨ / ٨٥ .
(٧٧) (٧٨)(٧٩)(٨٠)(٨١) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الأول ـ ص ٣٠ و ٢٨ .
(٨٢) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق .

(٨٣) (٨٤)(٨٥)(٨٦)(٨٧)(٨٨)(٨٩)(٩٠) هـ . ي ديل ميديكو ـ مصدر سابق .

(٩١) (٩٢) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ الآية / ١٤٥ ـ وسورة لقمان ـ الآية / ٣٤ .

(٩٣) (٩٤) فراس السواح ـ مغامرة العقل الأولى ـ دار الكلمة ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٢م ـ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

٩٥) (٩٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٣٨ .

(٩٧) القران الكريم ـ سورة ق ـ الآية / ١٩ .

(٩٨) الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي ـ الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠م ـ ص ٢٥١ .

(٩٩) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٣٨ .

(١٠٠) مياته : ماؤه ، مياهه ، الماء الذي يخصه

(١٠١) (١٠٢)(١٠٣) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

(١٠٤) (١٠٥)(١٠٦)(١٠٧)(١٠٨) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ الصفحات /٣٨ ، ٤٤ ، ٣٩ ، ٣٨/ .

(١٠٩) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٨٨ .

(١١٠) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٤٠ .

(١١١) سليمان مظهر ـ قصة الديانات .

(١١٢) المصدر السابق .

(١١٣) (١١٤) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٤١ ـ ٤٢ .

(١١٥) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ ص ١٨ .

(١١٦) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٣ .

(١١٧) نمر سرحان ـ إحياء التراث الشعبي ـ دار فيلا دلفيا ـ عمان ـ ص ١٤٠ .

(١١٨) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الرابع ـ تشرين الأول ـ ١٩٧٤م ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(١١٩) (١٢٠)(١٢١) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(١٢٢) معجم الأساطير اليونانية والرومانية ـ إعداد سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٨٢م ـ ص ٣٠٧ .

(١٢٣) فراس السواح ـ مصدر سابق ـ ص ٢٣٤ .

(١٢٤) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ٨٨ .

(١٢٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٤٣ .

(١٢٦) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ هامش ص ٢٣ .

(١٢٧) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٤٣ .

(١٢٨) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٤٣ .

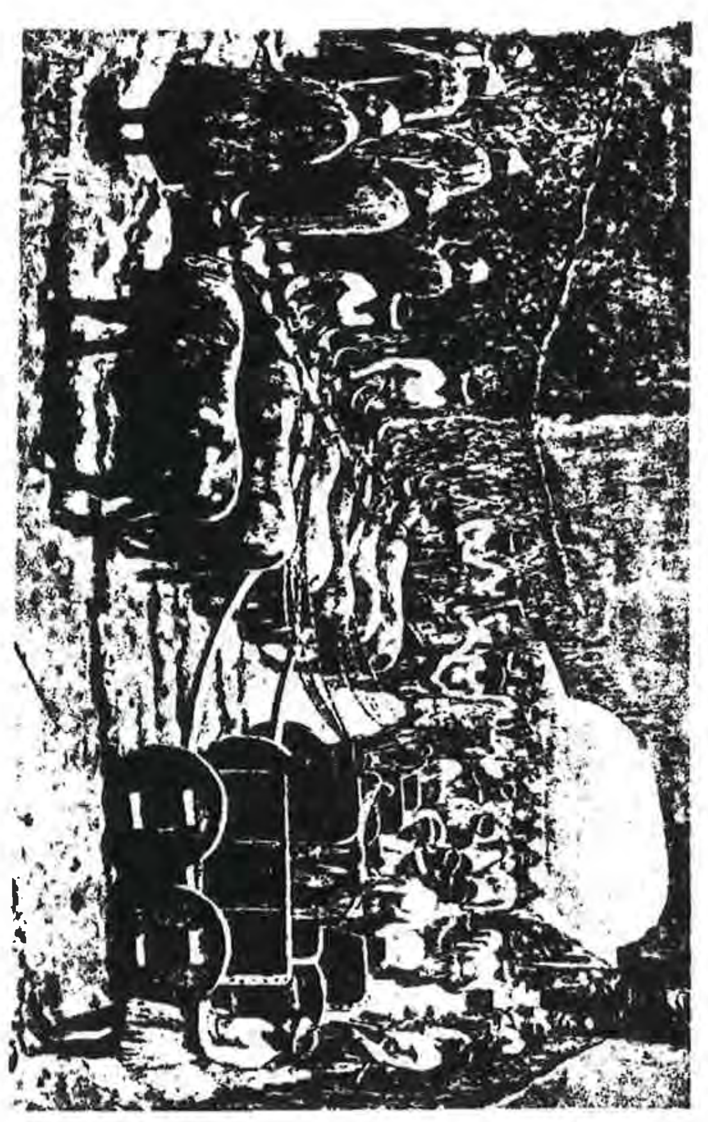
(١٢٩) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٤١٦ .

(١٣٠) نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية ـ مركز الأبحاث في م . ت . ف . والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٤م ـ ص ٦٢ .

(١٣١) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ص ٤٣ .

(١٣٢) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٢ .

(١٣٣) الدكتور محمد عبد المعيد خان ـ الأساطير والخرافات عند العرب ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠م ـ ص ٥٥ عن بلوغ الأرب ج ٢ ـ ص ٣.
(١٣٤) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٤١٦.
(١٣٥) (١٣٦) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٧، ٤٢١.
(١٣٧) صحيح البخاري ـ المجلد الاول ـ الجزء الثاني ـ ص ١٠٨.
(١٣٨) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ ص ١٨.
(١٣٩) نمر سرحان ـ إحياء التراث الشعبي ـ مصدر سابق ـ ص ٩٧.
(١٤٠) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ص ٤٢.
(١٤١) د. عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ ص ٦٤.
(١٤٢) سليمان مظهر ـ قصة الديانات ـ مصدر سابق.
(١٤٣) مجلة «العربي» الكويتية ـ العدد ٢٨٣ ـ يونيو ـ ١٩٨٢م ـ ص ١٣٥ وانظر: الدكتور علي زيعور ـ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٧م ـ ص ٨٢.
(١٤٤) (١٤٥) د. عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ ص ٦٤.
(١٤٦) الدكتور محمد عبد المعيد خان ـ مصدر سابق ـ ص ٥٥ ـ عن المسعودي ـ مروج الذهب ـ ص ٣١٠.
(١٤٧) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٨٢.
(١٤٨) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٧.
(١٤٩) (١٥٠) فوزي العنتيل ـ الفلكلور ما هو؟ ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٥م ـ ص ١٠٧.
(١٥١) فردريش فون ديرلاين ـ الحكاية الخرافية ـ ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ـ دار القلم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٣م ـ ص ٨٩.
(١٥٢) (١٥٣) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الرابع ـ ص ١١٦.
(١٥٤) هـ. ي ديل ميديكو ـ مصدر سابق.



دفن حاشية الملك معه

الفصل الرابع

المعتقدات المتعلقة بالخوارق الأسطورية والطبيعية والدينية

السحر والشعوذة. الرقى والتعاويذ .الحسد. الخضر الطبيعة والظواهر الطبيعية. القرابين والأضاحي. الأول والأخير. الأيام والأرقام. النوم والأحلام. الألوان.

إن المعتقدات ذات المدلول الأسطوري والديني الخارق، تختلط فيها الجذور الدينية بالخيال البشري وتصوراته. وفي بعض الحالات تعود مسألة الخارق أو الخارقة إلى نتائج تظهر في حياة البشر وتلمس على نطاق أو أكثر. وبعض هذه الحالات لم يستطع العلم تفسيرها، فلجأ الباحثون إلى بعض المعارف والعلوم التي ما زالت في طور النشأة، كعلم الإيحاء وبعض تفسيرات علم النفس، إلاّ أن البحث لم يستطع قطع شوط أكبر من التخمين والظن.

وترتبط بعض المعتقدات بالأساطير أو بالوقائع التي هي أشبه بالخيال والتي لا يستطيع المنطق العقلي تصديقها. ويلجأ البعض إلى القول إن هذه الظاهرات لا يفسرها سوى الدين أو بعض التصورات الفلسفية الصوفية، ونتيجة لمس نتائجها من قبل الناس أصبحت من المعتقدات الهامة والتي تسيطر على العقلية الشعبية أكثر من غيرها من المعتقدات الأخرى. ولعل مرجع هذه المعتقدات أو مصادرها تعود إلى بعض الحكايات النادرة والحوادث التي دونتها شعوب المنطقة في فلسطين والبتراء ورأس شمرا ومنطقة اليمن والحجاز، وأصبحت فيما بعد تأتي بصيغة موجزة تحمل طابع المعتقد التاريخي أو طابع الإعتقاد الأسطوري

والديني والطبيعي القديم، وتقول بعض هذه المعتقدات:

١ - أن الإنسان إذا أرعب، فما على الآخرين إلا إعطاؤه ماءً في وعاء يُسمى «طاسة الرعبة»، وهذا الوعاء يُجلب من بيت الله الحرام أو من القدس (الأماكن المقدسة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين) ومكتوب عليه بعض الآيات القرآنية والطلاسم الدينية وهو من النحاس أو الفضة.

وتدعى طاسة الرعبة كذلك: طاسة الرجفة، أو طاسة الخفّة، أو طاسة «الخضّة»، ويعتقد أن هذا الوعاء له قدرة سحرية، ولا يقتصر أثره على «شفاء» المريض أو المصاب بحالة الخوف أو الرعب، إنما هناك العديد من الأمراض التي «تعالَج» بواسطة هذا الإناء. ومن الكتابات التي دُونت على هذه الأوعية ما نصه «وبإذن الله تعالى تشفي هذه الطاسة النادرة من السموم كلها وقد جمع فيها منافع مجربة وهي للسْعة الحية والعقرب والحمى، للمطلّقة والفرس المعلة والكلب والمغص وللشقيقة والطحال واللّقوه وللدم ولإبطال السحر وللعين والنظر والرمد والنزلة والرياح والأرواح والبواسير، للخلط البارد ولسائر العلل»[١]. وتتضمن كتابة أخرى على إحدى هذه الأواني رموزاً غير مفهومة، وإن كانت ذات دلالات سحرية عند كاتبها، تقول هذه الكتابة: بسم الله الرحمن الرحيم. إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدّت وألقت ما فيها، كذلك تلقي الحامل للجنين سالماً معافى بإذن الله، والله يخرجهم إخراجاً، وإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً، انصرف أيها القولنج يا نوح بنوح كلوخ ألم المرح م ع س ف ك. ي ض ط. س م ي س ن.

ويفسر الدكتور توفيق كنعان[٢] دور الآنية السحرية تفسيراً يتصل بالإعتقاد بقدرة النجوم والذي يلعب دوراً مهماً في حياة الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني. وهناك إعتقاد بأن لكل شخص برجاً خاصاً وهذا البرج يحكم مجرى حياته. وإن علاقة هذا البرج مع غيره يسبب لصاحبه الخير أو الشر، ولذلك فإن على كل شخص أن يعرف نجمه، ولما كان ذلك صعباً، فإنه يشرب من الطاسة والتي فيها الأبراج الإثنا عشر والمتضمنة برج ذلك الشخص بالتأكيد. ويقال إن الجن إعتادت أن تستعمل تلك الطاسة في الإستحمام. أما عن أصل هذه الطاسة فيقال إن جنياً ذهب ليستحم بالقرب من نبع، وبعد أن أنهى الإستحمام نسي

الوعاء السحري بالقرب من النبع، واتفق أنْ مرَّ بالمكان شخص محظوظ ووجد الوعاء فأخذه، وفي وقت قصير تمكن هذا الرجل من اكتشاف ميزاته، وبمرور الزمن صنعت نسخ عن الأصل، وأثبتت أن لها ميزات الأصل نفسها. وتعود «قوة» الإناء للكتابات الموجودة عليها. وإذا اضطر شخص غير طاهر لنقلها فإنه لا يمسها، بل يلفّها بقطعة قماش.

ويعتقد البعض أن هذه الطاسة ربما فقدت بعض قوتها إذا تعرضت للشمس الساطعة(٣). ويشترك المسلمون والمسيحيون في الإعتقاد بقوتها.

٢ - يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني بأن من يصاب برعب مفاجيء، فإن الشيب يتفجر في شعر رأسه أو ذقنه. وهذا أمر طبيعي، وكثيرون من الناس الذين نعرفهم حدثت معهم مثل هذه الأمور، ونظن أن المسألة تتعلق بدلائل علمية، إذ أن للعامل النفسي لا سيما الخوف والرعب، تأثيراً في بعض أجزاء الجسم، والأمر هنا قد لا يتعدى توقف بعض وظائف الغدد أو الإفرازات الأخرى.

وهناك معتقدات ذات مدلولات خارقة، مستمدّة من التاريخ الديني المتوارث، فترى المعتقدات مثلاً أن ولد ناقة النبي صالح قد هرب عندما ذُبحت أمه ودخل بين جبلين ثم أطبقا. ومكانهما اليوم مدائن صالح الواقعة شمال غرب السعودية، ويقال إن المسافر مشياً على الأقدام أو على الجمال، يسمع أنين الجمل الصغير عندما يصل إلى تلك المنطقة، ويفسرون هذا الأنين بأنه بكاء على فقدان أمه الناقة. وبعيداً عن التهويلات التوراتية، يؤكد هذا المعتقد طبيعة أقوام عاد وثمود والقدماء، حيث ورد في القرآن الكريم: «فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها. فعقروها فدمدم عليهم ربهم فسوّاها»(٤).

يقال إن ناقة صالح هبة من الله، لم تلدها أم، وأن صالحاً اتفق مع قومه على أن تشرب الناقة من عين الماء يوماً، وهم يشربون يوماً، على أن تدرّ عليهم حليباً جميعهم. ولكنهم تضايقوا منها فذبحوها غدراً بطريقة العقر (الغدر)، فهرب ابنها، وحاولوا ذبحه، لكن الله تعالى أطبق عليه جبلين حماية له، ثم دمدم عليهم بريح صرصر، فسوّى الأرض مع بيوتهم وأبادهم.

وكما يلاحظ، فإن الكشوف الحفرية أثبتت وجود مدائن صالح المعروفة بهذا الإسم، وأورد اسم مدائن صالح المؤرخ -سترابون- وذكر الطبري أن ثموداً أقامت في الحجر وضواحيها بين الحجاز وسورية، وهي تفوق في ضخامتها مدينة البتراء، وآثارها المتبقية عبارة عن أضرحة ومدافن، ويبلغ عددها ١٣٠ مدفناً عليها كتابات ثمودية ونبطية، ووُجد رسم الجمل الطوطم كوحدة أساسية في هذه الحفائر الثمودية(٥).

ونجد أيضاً ما يشابه أثر المنطقة على الناس الذين يمرون بالقرب منها، في المعتقد القائل إن من يدخل إحدى غرف مدينة البتراء، يخرج وشعره مليء بالبياض. وهذا يدخل باب التهويل والتعظيم الذي اخترعه الناس حول عظمة البتراء وعظمة من بناها من الأنباط، حيث كانت بيوتها محفورة في الصخور الجبلية وهي على شكل قصور ضخمة، وما زالت آثارها إلى الآن، يزورها السائحون من كافة البلدان. فشيب الرأس المفاجىء ليس مردّه إلى سبب غيْبي كما يرى بعض الناس في الوسط الشعبي. إنما المسألة لا تعدو كونها نوعاً من التهويل أو التقديس لعظمة المدينة، فمن يراها بهذا الشكل لا بد أنه سيندهش، وقد يشيب رأسه فجأة لهول ما يرى من عظمة البناء المحفور في الصخور.

وتدور حول الأولياء وبعض كبار الصوفيين معتقدات كثيرة، وتدخل أحياناً مسألة الخوارق ذات المدلولات الدينية، فيقال مثلاً، إن دهن الجسم بالزيت الموجود في أحد مقامات الأولياء، يشفي من الأمراض، وييسّر الأمور.

كما يُعتقد بأن إضاءة الشمع عند قبر وليّ، أو قدّيس أو في كنيسة فيها صورة العذراء مريم عليها السلام، أو المسيح عليه السلام، يجلب الخير والبركة.

ويعتقد كذلك أن لبعض الأولياء قوةً خارقة، تجعل العاقر تحمل، والمريض يشفى، وذلك حينما يضع الولي طرف عصاه على رأس المريض أو العاقر أو الصبي المريض.

إن المسألة هنا لا تتعدى الإيمان كقوة فاعلة قادرة. فبرأي المعتقدات التي أشرنا إليها، والمتعلقة بالأولياء، فإن الولي، أو مريم، أو النبي عيسى عليهما السلام، لهم علاقة بالقوى العليا، الله تعالى، والملائكة. فالولي إنسان لا يطمع

بالدنيا، يرهن حياته للعلم الديني والتوحّد الصوفي، فهو أقرب إلى الله تعالى من البشر، وهو بذلك قادر على فعل شيء لا يقدر عليه الناس، ولذلك يتبركون به ويقدمون له الشموع وينيرون المزار، كهدايا رمزية، تقديساً لهذا الولي، وأملاً في رضاه.

وترى تلك المعتقدات، أن من يريد أن يحفر قبر وليّ أو يهدمه أو يزيله، فإن يده ستصاب بالشلل، إلاّ إذا تدارك نفسه وقدم قرباناً لله تعالى؛ وهذا القربان يكون في ذبح شاة أو ما شابه ذلك، ومن ثم توزيعها على الفقراء.

وتكثر المعتقدات المتعلقة بقوة السحر والرقى والتمائم والتعاويذ. ويعتقد البعض أنها تفعل فعلها بقوة خارقة، لأن من يشتغل بالسحر لا بد أنْ يرافق الجن ويأمرهم، فهو بهم «يستطيع» فعل المعجزات. ولذلك فإن كثيرا من الناس يعتقدون بقوة ما يكتب السحرة والمشتغلون بالسحر، ويذهبون لأماكن تواجدهم ويدفعون لهم الأموال حتى يصنعوا لهم التعاويذ والحُجب والرقى والتمائم.

ويكثر الإعتقاد بقوة السحر وتأثيره عند النساء بشكل خاص، ولا سيما القرويات والبدويات، وبعض نساء المدن. ونلاحظ أنه كلما ازدادت ثقافة الناس وازداد تعلمهم كلما قلَّ الإيمان بمثل هذه المعتقدات.

يرى الدكتور أحمد خليل «أن التعاويذ والرقى هي نتاج الإعتقاديات الغيبية، بقدر ما هي من نتاج العقل البشري الذي أورثنا الطب القديم الطب الشعبي والطب السحري»(٦).

وللمعتقدات المتعلقة بالسحر والتعاويذ جذور كنعانية اختلطت بها الأسطورة واختلط بها الدين، وشكلت أحد ملامح الحياة الاجتماعية قبل أربعة آلاف عام. ويدخل السحر في أعمال الإله، والإله إيل كيما يجلب الفرح إلى الأرض يجب أن يضع مزيجاً من الخمر، وهذا الخمر له أهمية كبيرة(٧).

إن الكلام الملفوظ له قوة لا تتزعزع، وهو بمثابة حكم قضائي، حتى أن الإله إيل إذا ما نطق بخبر سيء، فلا يستطيع محوه إلاّ بموجب عملية تطهير.

ويمكن للإله إيل أنْ يحفظ الناس من الشقاء بواسطة (الدّهان)، عملية تمويه، ويمكن أن تكون بعض الفضائل السحرية مرتبطة ببعض الألوان الثابتة

مثل لون الأرجوان(٨).

ولدى كافة الفئات الشعبية معتقدات بقوة السحر على فعل أي شيء، وهذا الإعتقاد ناشيء من كون فهم الناس للمسألة على أنها واردة في الكتب السماوية، ففُهمت على أنها مسألةٌ مسلَّمٌ بها. بالرغم من أن النبي (ص) أمر بقتل السحرة الذين يعملون بالسحر كصنعة.

ويلجأ بعض السحرة إلى الكشف في السبحة، أو قراءة الكف، أو الضرب بالرمل، وهم يحاولون أنْ يدرسوا ما يتعلق بالأبراج وأن يربطوا كل ذلك بمصائر الناس الذين يلجؤون إليهم، وبعض هؤلاء السحرة يستعين ببعض الكتب ذات الرموز المعقدة، ومنها ما يتكيء على مسلَّمات دينية، لكنّ الأدهى من ذلك أن بعض الكتب تورد أسماء ولغات سريانية أو سنسكريتية، وكلمات لا يمكن معرفة مصدرها اللغوي. ومن الكتب التي كانوا يعتمدون عليها في هذا المجال كتاب «شمس المعارف ولطائف العوارف، للإمام أحمد بن علي البوني»(٩). وهذا الكتاب يعتمد على خلفية دينية مستندة إلى آيات القرآن الكريم وأسماء الله الحسنى.

ومن الكتب الأخرى، كتاب مفاتيح الكنوز في حل الطلاسم والرموز وهو من تأليف الشيخ محمود أبي المواهب الخلوتي الحنفي(١٠)، ويعتمد أيضاً على مدلولات لا يدخل فيها الجن أو السحر المعتمد عليه. لكنّ هناك كتاباً ثالثاً يعتمد في كتابته على قضايا سحرية مرتبطة بالجن، يدعى سحر بارنوخ ـ السر الأكبر للحكيم برنوخ الساحر السوداني(١١).

وتنتشر في الأوساط الشعبية معتقدات، بأن السحرة المغاربة والسحرة اليهود هم من أقوى أنواع السحرة، فلذلك فإن النساء في الوسط الشعبي يفتّشن عن هؤلاء لكي يجلبْن منهم الحُجب والتمائم وغير ذلك من التعاويذ (النافعة منها والضارّة).

وفي المعتقدات أنه إذا كرهت امرأةٌ امرأةً أخرى فإن عليها قص شيء أو جلب شيء من أثرها (ثوبها، شعرها) وتقرأ عليه تعاويذ وطلاسم عند أحد السحرة، إعتقاداً منها أن كارهتها سوف تمرض، أو أنها لن تنجب أو أنها لن تُوَفَّق مع

زوجها.

وترى المعتقدات المتعلقة بالحُجب، أن هناك حجاباً على شكل مستطيل، تُكتب فيه رموز سحرية، ويلف ثم يخاط عليه بقطعة قماش ويوضع على صدر الطفل «ليحميه» من الجن والشر والحسد.

وهناك حجاب على شكل مثلث، يخاط عليه، ثم يوضَع في ثياب الزوج لكي لا يغيب عن زوجته. وحجاب يُكتب على ورقة برموز معينة «تردّ» المطلّقة إلى زوجها، ثم يوضع في أحد شقوق منزل الزوج، وذلك لكي «يتذكر» الزوج زوجته «ويعيدها» إلى بيته.

ويُعتقد أن لبعض الحُجب قوة تجعلُ الجسم الصحيح سقيماً وبالعكس. ويعتقدون أن حرق الحرباء على كومة نار له قوة على الرجل الذي أغضب زوجته وبعثها لأهلها، فإنّ حرْقها «سيعيد» الرجل إلى رشده فيُعيد زوجته.

وتمتلىء الكتب الثلاثة التي ذكرناها، بالأساليب السحرية التي يعتقد الناس بتأثيرها وقوة فعلها في الحياة الاجتماعية.

ولو دققنا النظر في كتاب سحر بارنوخ، وكتاب مفاتيح الكنوز، لوجدنا أن المؤلفين يربطان بين أسماء دينية وآيات قرآنية من جهة، وبين تعابير أخرى من جهة ثانية يفترض أنها أسماء جن وأبالسة وملوك وخدم من عالم المخفيات أو ما وراء العين. فعلى سبيل المثال نرى في كتاب مفاتيح الكنوز أبواباً لمختلف الأشكال السحرية «الضارة والنافعة» مثل:

باب. إذا أردت قضاء الحوائج، مثل أمر خطبة أو زواج أو محبة.

باب الحرق. ويقصد حرق قلب فلان أو فلانة.

فصل في خواتم الأعوان الأربعة.

باب دعوة إحراق الجن، وباب عقل القفل لمنع السرقة.

باب جلب زبون إلى الدكان.

وفي كتاب سحر بارنوخ نجد مثلاً الأبواب التالية:

باب مندل القسم الجامع ويسمى ضرب المندل «ويخبرك» عن جميع ما تريد.

باب لإحضار الغائب.

باب محبة.
باب للمتعوقة عن الحبل.
باب لزواج البائرة (العانس).
باب للطلاق والفراق والشتات.

وإضافة إلى الأبواب، وردت أسماء غريبة. ونجد أيضاً رسوماً مربعة ومستطيلة ودائرية وفيها من الرموز ما يصعب فهمه. منها مثلاً هذا الشكل(١٢).

ومنها شكل آخر أيضاً، مأخوذ من كتاب سحر بارنوخ(١٣).

وطالما أن لاعتقاد الناس بقوة السحر شأناً، فإنهم يتعلقون به، ويعيرونه اهتماماً، وكما سبق وقلنا، فإن هذا الاهتمام يزول بزوال الجهل والأمية، وبانتشار العلم بين الناس، والتفتّح على آفاق العلم الحديث.

وبشيء من التفصيل فإننا نرى أن السحر قديم «قدم الحضارة الإنسانية ذاتها»(١٤). وقد اعتبر «سابقاً لديانات وميثولوجيا الأمم والشعوب المتمدنة»(١٥). وهو يضرب «بجذوره البعيدة في المعتقدات الخرافية، فهو ليس إلاّ الممارسة العينية الظاهرة لمعتقد معين، وهو هنا الروح الخفيّة، أو القوى غير المرئية التي تتحكم في كل الظواهر الطبيعية»(١٦).

إن نشأة السحر «ترتبط تاريخياً بتصوّر المعرفة الإنسانية على استكناه حقيقة القوى التي تسيِّر العالم وتتحكم في حركته»(١٧).

ويقوم السحر الشعبي «أساساً على المعتقد المحفوظ في صدور الناس، وعلى الخبرات المكتسبة التي يتم تواترها وحفظها شفاهة في المقام الأول»(١٨). ويرتبط السحر بالأرواح، باعتبارها «نوعاً من القوى، أو هي القوى ذاتها التي تفعل ما يعجز البشر عن فعله في الطبيعة والإنسان والحيوان. فلقد كان الإنسان البدائي يعتقد بوجود علاقة قوية بين أرواح الموتى والأحياء، وكانت هذه الأرواح متسلطة على تفكيرهم إلى حدّ تقديسها»(١٩).

ويقوم السحر «على نوع من المنطق، ولعلنا نراه -من هذه الناحية على الأقل- قريباً من العلم؛ لكن المنطق الذي يستند السحر إليه، منطق مغلوط،

لأنه يقوم على علاقات عارضة تطرأ ثم لا تلبث ـ عند التمحيص ـ أن تبدو لنا غير موجودة في الحقيقة. وعلى ذلك فالسحر بدائية العلم، وذلك من حيث أنّ منطقه بدائية المنطق الذي تأسست عليه الأعمال العلمية»[٢٠]. فقد يتعايش «السحر والعلم معاً، ليس في المجتمع الواحد (مما قد لا يكون أمراً شاذاً)، بل لعلهما يتعايشان معاً في عقل إنسان واحد، وذلك طبقاً لما يتبنّى هذا العقل من منطق يقوم على الحقائق اليقينية المقطوع بها، أو يقوم على احتمالات مفترضة غير ثابتة، لا نستطيع أن نجزم بصحتها ولا نستطيع أن نقطع ببطلانها»[٢١].

ولقد كان للسحر عند القدامى «ارتباط كبير بطقوسهم الدينية»[٢٢]، وهو «لا ينفرد بمرحلة حضارية أو ثقافية، سواء كانت مرحلة حضارية، بدائية أم متحضرة، بل على العكس من ذلك تماماً، إذ أن السحر هو أحد جوانب فكرية ثلاثة، تشكل مجتمعة حياة الشعوب بدرجات مختلفة، وأن هذه الجوانب الثلاثة السحر والدين والعلم تتفاعل في كل مرحلة حضارية»[٢٣].

والحق «أن السحر، أو قُل المنطق المغلوط، الذي أنكره الإنسان الحديث عندما توفرت له التجربة الحديثة ـ هذا السحر لعب دوراً، مؤكداً، في ماضي الإنسان، وكان أشبه بالدور الذي نحبّ أن ننسبه إلى المنطق الصحيح في حياتنا الحديثة ـ ذلك المنطق المبني على ما في العلوم من طرق للاستقراء والاستنباط»[٢٤].

وإذا تأمّلنا «الممارسات السحرية العملية والمرافقات والحيثيات الطقوسية والتعويذية، فسنجد أن السحر هو الحامل الثقافي لكل المناشط الإنسانية»[٢٥].

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، ما يزال المرء يرى «في السحر ظاهرة مخيفة تستحق كل احترام وتقدير، وإنْ كان يبدو عليه التململ من هذه المظاهر، والإتجاه إلى إخضاع الأمور للعقل»[٢٦].

وكان الناس قديماً يعزون سبب كثير من الأمراض إلى تأثير السحر، بل ربما رأوا في السحر سبباً للموت في كثير من الأحيان»[٢٧].

ويقسم السحر والأعمال السحرية بعامة إلى نوعين من السحر، اصطُلِح على تسميتهما: السحر الإتّصالي، والسحر التمثيلي.

* السـحر الإتصـالـي :

السحر الإتصالي هو «تعبير عن أن الأشياء التي كانت متصلة بعضها ببعض في وقت ما، تستمر في التأثير بعضها في بعض من بعيد بعد أن تنفصل. وعلى أساس هذا المبدأ يستنتج الساحر أن كل ما يفعله لأيّ شيء سوف يؤثر تأثيرا مماثلا على الشخص الذي كان هذا الشيء متصلا به في وقت من الأوقات، سواء كان يؤلف جزءا أو لا يؤلف، مثل الشعر والأظافر»(٢٨).

إن منطق هذا النوع من السحر يفترض «وجود علاقات لا تكون موجودة في الواقع»(٢٩). ويطلق على «السحر الإتصالي» أحيانا اسم «السحر التعاطفي». ومن أمثلة السحر الإتصالي في الوسط الشعبي الفلسطيني، أن المرأة قد تضع الشعر الناتج عن مشط شعر الرأس، في شقوق الجدران، وكذلك قلامات أظافرها، كي لا تقع هذه الأجزاء في أيدي امرأة معادية، فتعمل عليها عملا سحريا يضرّ بصاحبة الشعر أو الأظافر. ذلك لأن الشعر والأظافر متصلان أصلا بروح صاحبهما -وفقا للمعتقدات الشعبية- وأن أي ضرر يلحق بهما سيلحق بصاحبهما.

ومن الممارسات الشعبية الفلسطينيّة «ذات الصبغة السحرية، ربط الخرق بنوافذ المزار وأشجاره»(٣٠). وتهدف هذه الظاهرة إلى «إثبات زيارة الإنسان للمقام وتذكرة الولي بالزائر ورغباته. ويربط المريض الخرقة ويقول: «رميت عليك حملي والله». وهذا النوع من الممارسة الشعبية يسمى بالسحر الإتصالي. إذ أن كل شيء كان على إتصال بشخص ما، أو كان له به علاقة، سوف يستمر بحمل العلاقة مع ذلك الشخص. وهكذا تظل الخرق تحمل رغبات الشخص الزائر وأمله بالشفاء. وبمرور الوقت تأخذ الخرق شيئاً من قوة الولي وتنقلها للمريض»(٣١).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني أيضاً، إذا أكلت المرأة عند الولادة سمكاً، فإن هذه يعتبرونها ممارسة سحرية، حيث يُقصد بها، أن يتكاثر أولادها وذرّيتها، تماماً كتكاثر الأسماك، وهذه الممارسة توضّح جانباً من السحر الإتصالي، أيْ أن التكاثر الذي يتصل أصلاً بالسمك، سينتقل إلى تلك المرأة التي أكلت منه.

وقد تطلب المرأة من «أحد الرجال المسنّين من أصحاب العائلات الكبيرة في العدد، أن يمنحها جزءاً من ثيابه، لتصنع منه ثوباً لطفلها، ليرزق طول العمر وكثرة الذرّيّة»(٣٢). وهذه الرقية تجمع بين مبدأي السحر الإتصالي والسحر التمثيلي، «نظراً لأن الثوب جزء من الرجل، فكأنّ بركة هذا الرجل وقوته في التكاثر تبقى في الثوب، وتنتقل إلى الولد»(٣٣)، حيث أن روح الإنسان «تحل» في ثيابه أو قد تلامس تلك الثياب.

وقد يقوم رجل ما، أكل الحقد قلبه «إلى حفنة من تراب أحدى المقابر، ويذروها على رأس الرجل خصمِه في يوم زفافه، إيماناً بأن تراب المقابر سيجعله كالميت تماماً»(٣٤). وهذه الممارسة السحرية تنتمي إلى مبدأ السحر الإتصالي، باعتبار أن الموت قد انتقل من الأموات إلى تراب المقبرة، وأن هذا التراب له علاقة واتصال بالموت، فإنْ ذرَّه المرء على شخص آخر «انتقل» الموت ـوفق المعتقدـ من التراب إلى ذلك الشخص.

وقد تأتي المرأة التي «يترفَّع عليها زوجها، بمخّ حمار، وتحرقه، وتذيبه في سائل، تقدمه لزوجها، وبمجرد أن يشرب «يصبح» أكثر ميْلاً إلى التساهل واللّين مع زوجته، فيتغاضى عن هفواتها ونزواتها ويعمى عن عيوبها، إعتقاداً منها أن صفات المطاوعة والبلادة في الحمار، ستنتقل إلى هذا الزوج»(٣٥).

* السـحر التّمثيلي:

ويطلق عليه أحياناً اسم «السحر التوافقي» أو «السحر المثلي»، أو «سحر المحاكاة»، أو «قانون التشابه»، بمعنى «أن الشبيه ينتج الشبيه، أو المعلول يشبه علّته، ومن هذا القانون، أي قانون التشابه، يستنتج الساحر أن في استطاعته تحقيق الأهداف والنتائج التي يريدها عن طريق محاكاتها أو تقليدها، وعلى ذلك يمكننا أن نسمي التعاويذ والطلاسم التي تقوم على قانون التشابه بالسحر التشاكلي أو سحر المحاكاة»(٣٦).

ومن أمثلة السحر التمثيلي في الوسط الشعبي الفلسطيني، أن تقف المرأة، في بعض مناطق فلسطين «خلف العريس، تخيط ثيابه بإبرة وخيط غير معقود، وفي إعتقادهم، أن هذا الإجراء يفكّ السحر أو «الربط» الذي ربما يكون أحد

الأقرباء أو الأصدقاء قد فعله بالعريس ليمنعه من ممارسة واجباته الجنسية»(٣٧). فالمرأة هنا تمثّل بالخيط «غير المعقود» عدم تعقيد الزواج، وَحَلَّ عقدةٍ ما يكون أحدهم قد ربطها أو عقدها.

وهم عندما يعالجون الحسد، يلقون ـأحياناًـ بالملح والشعير في النار المشتعلة، إذ يعتقدون أن «فرقعة الملح بعد إلقائه في النار، ستبطل مفعول العين الحاسدة، فهي ستتفرقع مثلما تفرقع الملح أو الشعير. وتذويب الرصاص وإلقاؤه في الماء يجعله يتشكل بصورةٍ ما، هي صورة الحاسد التي تقضي على شرّ صاحبها بمجرد تشكُّل الصورة»(٣٨).

ومن أمثلة السحر التمثيلي «رقية اللّجام»، التي تُعمل على الأغنام، من اللصوص والذئاب، حيث يؤتى بسكين ويُقرأ عليها آية الكرسي وآيات أخرى، ثم توضع في غمدها، فلا يتمكن اللصوص من رؤية الأغنام، ما دامت السكين في غمدها.. إن الهيكل العام لمثل هذه التعويذة لا يخرج عن مبدأ الشبيه الذي ينتج الشبيه، فإغلاق السكين يعني إغلاق الرؤية»(٣٩)، وإن إختفاء السكين في غمدها يعني إخفاء رؤية الأغنام عن أعين اللصوص والذئاب والوحوش، فلن يتمكن أيَ منهم من رؤية الأغنام الضائعة أو التائهة أو إلحاق الأذى بها.

والعروس عند دخولها إلى بيت الزوجية تلصق قطعةً من العجين على باب هذا البيت أو بجواره. والتفسير السحري لهذه الممارسة، أن تلتصق العروس في هذا البيت كالتصاق قطعة العجين في الباب أو الجدار، وأن تبقى العروس سبباً في استمرار الحياة والبقاء في ذلك البيت، تماماً كالخميرة التي هي أصل العجين وسبب استمراره وبالتالي سبب استمرار الخير والحياة والعطاء للإنسان.

إن هذه الممارسة تجمع بين مبدأي السحر الإتصالي والسحر التمثيلي باعتبار أن استمرار الخير والحياة متصل بالعجينة، وسينتقل إلى العروس وإلى بيتها بمجرد أن تلمس العجينة (تتصل بها) بيدها.

وفي علاج «الكحّة الذيبية» وهو السعال الشديد الذي يصيب الصغار والكبار، «يدّعي كثير من الناس أن هذا السعال يشفى إذا قام رجل وتمكن من قتل ذئب، بذبح المصاب بقفا السكين، وهو بهذا العمل التمثيلي للذبح، يكون قد

تمكن من ذبح السعال، كما تمكّن من ذبح الذئب، فالشبيه ينتج الشبيه»(٤٠).

وتقوم بعض العجائز «في ساعة عقد القران، بعقدِ عُقَدٍ في خيط، وتقرأ بعض التعاويذ، فيفقد الرجل فحولته، ويؤول الزواج إلى الفشل المحقق. وهذا النوع من الرقى يقوم على أساس السحر التشاكلي، بمعنى أن الشبيه ينتج الشبيه، فالعقدة تعني الربط، والشيء المربوط لا يفلت إلاّ بقوة تخلّصه»(٤١).

ومن أمثلة السحر التمثيلي «أن يمتنع الناس عن تشبيك أصابعهم في عقد القران، حتى لا تتشابك أمور الزواج وتنتهي إلى الفشل»(٤٢).

وهناك أعمال تستخدم في أمور شريرة، كأن يحاول البعض زيادة الشجار بين طرفين عن طريق قلب الحذاء، وبعضهم يطبّل على باب إبريق، ومنهم من يضع حجراً فوق حجر، معتقدين أن هذه الأعمال تساهم في اشتداد الأزمة(٤٣). إن انقلاب الحذاء هنا، يعني تمثيلاً لأمر شاذ مخالف للمألوف، ووضع حجر على حجر، يمثّل إثْقال الوضع وتأزيمه.

* الرقي والتعاويذ:

الرقى والتعاويذ «قديمة، غاية القِدم، ولا يمكن أن يصل الباحث إلى أصولها وبدايتها، لأنها أقدم الآثار التي خلّفها الإنسان، فهي مرتبطة بالسحر، والسحر كما هو معروف، مغرق في القِدم، فهو علم ما قبل عصر العلوم، كما يقال»(٤٤).

والرُّقية بالضم هي «العوذة، والعوْذ هو الالتجاء، فالرقى والتعاويذ هما شيء واحد، لا يمكن الفصل بينهما بدقة»(٤٥). وتكون الرقية عادةً «مجموعة من الكلمات، أو التراكيب غير المفهومة حتى من قبل الذين يلقونها، وغالباً ما تكون مسجوعةً، وقد تكون شراباً أو ذروراً مستخرجاً من أصول نباتية أو حيوانية أو مادية، وقد يصحب هذا الشراب طقوس معينة وتقرأ عليه بعض التعاويذ»(٤٦). إن كثيراً «من الرقى، تعتمد على قوة الألفاظ ذاتها المستخدمة في التعاويذ، إيماناً بسحر الكلمة وقوتها، وهذا ما يجعلها تنطوي تحت عالم السحر، لأن فعالية الكلمة كانت أساس السحر وسلاح الإنسان في عصوره الأولى، حيث كان بيت من الشعر يُنزل القمر من السماء، ويفتح باب الكهف بكلمة، ويقتل الساحر

خصمه بمجرد معرفة اسمه»(٤٧).

أما (التميمة)، فهي «عوذة» تعلق على الإنسان. وفي الحديث الشريف: «من علق تميمةً فلا أتم الله له». وقيل هي خرزة(٤٨). والحجاب في اللغة هو «السِّتْر» (٤٩). إذن الرقية، والتعويذة، والتميمة، والحجاب، جميعها بمعنى واحد تقريباً، وتستخدم لنفس الأغراض والغايات، والفرق بينها ليس بيّناً.

إننا إذا طرحنا جانباً، المعنى السحري، والدلالات السحرية لكل من الرقى والتعاويذ والتمائم والحُجب، لوجدناها «جزءاً من المأثورات الشفاهية، فهي خلْق ابتدعه الذهن الشعبي، إرضاءً لدوافع فنّية محدّدة، شأنها في ذلك شأن الأغنية الشعبية والأغنية الشعرية القصصية»(٥٠). إنها جميعاً «تقوم على أساس الفكرة الساذجة التي طالما رحبت بها البشرية، وهي فكرة «فعالية الكلمة»(٥١). لأنّ الكلمة «تدفع الأذى عن الشخص العائذ، كما في صيغة (أعوذ بالله من شر كذا)، وهي تلحق الأذى بشخص آخر (كما هو الدعاء على الشخص)»(٥٢). وكانت الرقى والتعاويذ السحرية «تحتل المكانة الأولى، ويحتل الطبّ ومشرط الجراح المكانتين الثانية والثالثة»(٥٣).

وقد عرف العرب تلك الرقى والتعاويذ، فكانوا يعلقون «بعض الأحجار الكريمة على الأطفال أو الكبار، لوقايتهم من الأخطار أو الأمراض بصفة عامة. من هذا ما نقرؤه في الديربي، عن تعليق المرجان على الأطفال لكي يأمنوا من العاهات»(٥٤). وكان كثيرون منهم يعلّقون التمائم على الصدور، وبخاصة الأطفال، لوقايتهم من الأمراض المختلفة، وبشكل خاص الحسد.

والرقى والتعاويذ موجودة «في كل زمان ومكان، ولا يزال لها إلى اليوم أشياع وأنصار في مختلف البيئات، على الرغم من غلبة العلوم الماديّة على كل ما هو روحاني»(٥٥). ففي بريطانيا مثلاً، نرى أن الرقى والتعاويذ منتشرة هناك، «بحيث تدخل تحت باب الشعر السحري، ففي الريف الإنكليزي لا يزالون يستعملون الرقى والتعاويذ في معالجة بعض الحوادث التي تسبب آلاماً للجسم»(٥٦).

ومن أمثلة الرقى والتعاويذ في الوسط الشعبي الفلسطيني، رقية اللجام، التي سبق ذكرها، والتي تستخدم بهدف «لجْم» الرؤية عن اللصوص، والحيوانات

المفترسة ولجم فكيها ومنعها من الافتراس أو رؤية الأغنام الضائعة أو التائهة، وبالتالي لا يلحقون بها الأذى، أو السرقة.

وهناك «رقية الحزازة» التي يستخدمونها في علاج مرض «الحزازة» المعروف، «حيث نقوم في علاج هذا المرض امرأة أخوالها من أعمامها، تتفل على الحزازة ثلاث مرات وتدلكها بيدها، وتقول: «صبّحك بالخير يا حزازة يا فوقه (العاطلة)، على راس العود محطوطة؛ أسوق عليك ألله وجاه الله، ترحلي من هذا المكان»، وتكرر هذا الصنيع ثلاثة أيام، «فتذهب» الحزازة. وهذه الرّقية تعتمد على القوة السحرية التي تعيش في صميم الكلمة المنطوقة، فالكلمة السحرية لها مثل هذه القوة من حيث أنها تزيل الشرّ، كما أن اللّمس يدخل عنصراً مساعدا للكلمة، بخاصة أن المرأة نقية النسب، حيث يكون للمسها ولعابها قوة سحرية»(٥٧).

ومن رقى الحب، رقية مؤداها أن تأتي الفتاة بخيط وتعقده وتقرأ على هذه العُقد بعض التعاويذ، معتقدةً أنها «بهذه الطريقة يرتبط بها حبيبها ولا يستطيع الإفلات من حبها إلاّ بحلّ هذه العُقد»(٥٨)، وهذه الرقية، تنتمي إلى مبدأ السحر التمثيلي، أيْ أن الشبيه ينتج الشبيه، إذْ يعتقد أنّ العقدة التي تُعْقدُ في الخيط، وتُربط بعضها ببعض، ستُنتج ربطاً مشابهاً لها في قلب الرجل تجاه المرأة التي مارست هذا الفعل السحري.

ولدينا رقية أخرى للحب، كانت تستخدم لدى البعض في الوسط الشعبي الفلسطيني هي «رقية رأس الغراب»، ومؤداها أن «يأخذ العاشق رأس غراب، ويفرغ دماغه، ويجعل موضع الدماغ شيئا من تراب الموضع الذي تجلس فيه المرأة التي يريد، وشيئاً يسيراً من زبل الحمام، ويجعل في ذلك سبع شعيرات، ويدفنه في موضع نديّ، فإذا نبت الشعير طول أربع أصابع، أخذ منه ثم دلك ومسح به على وجهه وذراعيه، ثم استقبل به تلك المرأة ولم يكلّمها، فإنها تسعى في إثره ولا تطيق الصبر عنه، ففي هذه الرقية يرتبط نمو الحب بنموّ حبات الشعير، ولهذا فهو يحرص أن يضع عليها الزبل وأن يدفنها في موضع نديّ لتتمكّن من النموّ، فهو يقوم بتمثيل عملية النموّ، لأن الشبيه «ينتج» الشبيه»(٥٩).

* الحســـد :

الإعتقاد بالحسد والعين الحاسدة «هو أحد المعتقدات الشعبية الإنسانية، أي التي لا يمكن نسبتها إلى شعب واحد وحصرها به، ووقفها عليه، فتكاد الشعوب البدائية في التاريخ القديم تجمع كلها على مفعول اللعنات وشر العين الحاسدة، إلاّ أن الممارسات المتعلقة بهذا المعتقد، اختلفت في تفصيلاتها من شعب لآخر، بسبب اختلاف المؤثرات الحضارية، الطبيعية منها أو البشرية»(٦٠).

والإعتقاد بالحسد «قديم، وواسع الإنتشار بين الشعوب المختلفة»(٦١). ويقال إن سارة زوجة إبراهيم قد «حسدت ذات مرة إسماعيل، إذ وقع بصرها عليه وهو يسرح ويلعب البرجاس. وكان أعظم صيّادي البرّية، فسلّطت عليه عين حسود، سقط على أثرها مشرفا على الموت، حتى أن هاجر دفنته تحت رمل الصحراء، وصلّيا، هاجر لأصنامها، وإسماعيل لربّه، إلى أن حدثت المعجزة التي قام على أثرها، واستردّ عافيته»(٦٢). إن حقد «سارة» هنا انصبّ -من خلال عينها الحاسدة- على إسماعيل، للانتقام بذلك من ضرّتها هاجر /أم إسماعيل.

وقد تبدّى الحسد والإعتقاد به «عند السومريين، في أحد النصوص التي تدور حول عشتروت وابنها الإله الممزّق تموز الذي أردته قتيلاً حين «أسلطت عليه نظرة الموت»(٦٣).

وتجلّى الحسد عند الإغريق في إلهة الحسد «فتونوس Phthonos، وتدعى عند الرومان أنديفيديا.. «وهي تجسّد الأثر السيء للعين الشريرة التي تنظر بحسد إلى أولى النعم، التي حُرمتها، وهي ذات روح شريرة وقلب تأكله الأفاعي، وقدْ أنحله طول الحسد، ونخرته الرغبات الظمأى»(٦٤).

ويحتل الإعتقاد بالعين الحاسدة «في التراث الشعبي الفلسطيني أهمية خاصة، لانتشاره الواسع. نستدل على ذلك بكثرة الروايات عن العين الحاسدة، وتنوُّع وكثرة أساليب أو طقوس الوقاية منها أو إبطال مفعولها، وكثرة تفسير المرض أو الموت بها»(٦٥). وفي مأثوراتنا الشعبية الفلسطينية ما يشير إلى الخوف من الحسد والعين الحاسدة، وأثرها في قتل الكثيرين من الناس، فهم

يقولون: «ثلثين الجبّانه من العين وبنات الدِّنين».

ويقوم الإعتقاد بالعين الحاسدة، في الوسط الشعبي الفلسطيني «على تصوُّرٍ مؤدّاه، أن ما يحدث للإنسان أو لممتلكاته من سوء، يعود في أحيان كثيرة إلى تأثير العين الحاسدة، والتي غالباً ما تكون عيناً شريرة»(٦٦).

وفي القرآن الكريم إشارات عديدة إلى الحسد، منها ما ورد في قوله تعالى: «ومن شر حاسدٍ إذا حسد»(٦٧)، و «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»(٦٨)، وقوله تعالى: «لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم»(٦٩).

ويروى عن النبي (ص) أنه قال: «العينُ حق»(٧٠).

والحسد هو «إنفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عباده، مع تمنّي زوالها»(٧١).

أما البعد السيكولوجي «للحسد عند الحاسد فهو، كما نتوقع، يعود إلى الغيرة من عدم الإمتلاك، أو عدم الوصول إلى الغاية التي امتلكها أو التي وصل إليها الآخرون. وبالتالي فهي حالة من الشعور بالنقص المادي أو المعنوي، مستندة إلى نوع من العجز في ذات الحاسد لا يستطيع أن يتغلب عليه. فهو لا يرى وسيلةً لتغطيةِ نقصه ليصل إلى درجة التساوي مع الآخرين أو التفوق عليهم إلاّ بأن يصيبهم ما يفقدهم عنصر التفوق، وهو إذ لا يستطيع ذلك مادياً، أيْ لا يستطيع سلبهم من عناصر تفوقهم النسبي، لا يجد حيلةً إلاّ أن يتمنّى لهم الشر والفقدان. وهو بذلك «يحسدهم»»(٧٢).

ويعتقد بعض الناس في بعض الأوساط الشعبية العربية «أن الحسد يكون على أتمّه إذا نظر الحاسد، وشفع نظرته بالشهيق»(٧٣).

إن التصور الفولكلوري القديم للحسد، هو «أن القوى الشريرة تسبب للإنسان الأذى، لا لسبب، إلاّ لأنها تحسده وترغب في إيذائه وإيذاء أهله»(٧٤).

والحسد، في التراث الشعبي الفلسطيني «ينجم عن قوة شريرة تنفس على الإنسان ما فيه من خير، فتحاول أن تصيبه في هذا الخير»(٧٥).

وكان العرب يعتقدون أن الشيطان هو الذي يسبب الحسد في كثير من الأحيان(٧٦).

ولقد نشأ الإعتقاد لدى الناس على أن «العين هي أساساً أداة الحسد، وأن ليس من الضروري أن يعبّر عن حسده بالكلمات أو الإشارات، وإنما يكفي أن ينظر بعينه فيصيب بها الشيء المحسود، بالسّوء والضرر، ولذا أصبحت كلمة «أصابته عين» أو الدعاء الحريمي: «عين تصيبك» مرادفاً للحسد وما يرافقه من حلول الشر. وكان من تأثير هذا الأمر، أن أصبح الناس ميّالين لإخفاء ما يخافون عليه الحسد، أو لإفساد جماله وكماله (ينشئون فيه عيباً)، وذلك كي لا يجلب أنظار الناس، ولا يتمناه الحسّاد»(٧٧).

لقد نشأ الإعتقاد بالعين الحاسدة، من الخوف من الشذوذ الخلْقي، ولا شك في أن هذا الإعتقاد «يعود في أصله إلى وجود «تشويهات» وعيوب خلْقية في بعض العيون البشرية، غير أن هذا المعتقد اتسعت دائرته، ولحق تأثيره السيء تلك الأعين التي لا نلاحظ فيها تشويهاً أو عيباً»(٧٨).

ومما له مغزى «أن نلاحظ أن العين الحاسدة في بلاد البحر الأبيض المتوسط تكون عيوناً زرقاء، على حين يُنسب الحسد إلى العيون السوداء في شمال أوروبا»(٧٩). إذن فإن العين هي مصدر الحسد «فمنها تنفذ تلك الأشعة محملةً بالحب والكره والإعجاب أو الحسد. فلا غرو أن تكون العين مصدر قوة، وأن تظل راسخةً محمّلةً بالدلالات في ضمير الإنسان منذ الزمن القديم حتى اليوم»(٨٠).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، يميل الناس إلى الإعتدال، فهم يرتاحون لأنْ يكون الإنسان في وضع طبيعي سليم خالٍ من التشوّهات الخلْقية، وينظر إلى الشذوذ على أنه مكمن الخطر»(٨١). وإذا كانت هذه نظرتهم إلى المشوّهين، فإن صاحب العينين الزرقاوين والأسنان المتفرقة هو شاذ أيضاً ومؤهّل لأن «يصيب بالعين»، باعتبار أن أصحاب العيون الزرقاء قليلون نسبياً في بلاد العرب. والناس في الوسط الشّعبي الفلسطيني يعبّرون عن ذلك بقولهم: «العنين الزرق والأسنان الفُرق».

إن حصر ظاهرة الحسد (الإصابة بالعين) في «أفراد محدودين من البشر، يرجع إلى تصورٍ قديم، في أن هناك نماذج بشرية بعينها، وغالباً ما يبدو هؤلاء غرباء في خلْقتهم»[٨٢]يصيبون الآخرين (بالعين).

ويتجلى الحسد عند الغرباء، كما يتجلى عند الأهل والأقارب، وعند الذين يشعرون بالغيرة من الآخرين، والذين في نفوسهم مرض وضعف وعجز.

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني «يعرفون عين الحسود في الرجل الكبير أو العجوز، إذا ظل يتأمل شيئاً لفترة ما»[٨٣].

وهم يخشون عين الحسود كثيرا، فهي «بتقتل الجمل» كما يقولون، أيْ تلقيه أرضا بلا حراك، بمجرد نفاذها فيه، لذلك يعتبرون حاسداً من يطري الشيء ولا يصلي على النبي، أو من يطريه بغبطة يتمناها له»[٨٤]، أي يتمناها لنفسه هو. ولديهم إعتقاد «بأن الاهل قد يحسدون أولادهم، وكذلك فإن إعجاب الأهل الشديد بأولادهم، وكثرة تقبيلهم إياهم قد يسبب لهم الحسد»[٨٥]. وهم ربما عبّروا عن ذلك بقولهم: «إنْ كان بدَك تستعجل عليه بوسُه من بين عنيه».

وفي بعض الأقطار العربية، يرى الناس في الأوساط الشعبية، أن الشخص الحاسد هو الذي يكون حاجباه قريبين جدا من عينيه[٨٦]. ويعتقد البدو «أن إصابة العين وراثية، ولذلك فهم يعرفون من هم أصحاب العين الصائبة»[٨٧].

والناس يعتقدون -بشكل عام- أن الذين يصابون بالعين، أو الذين تستهدفهم العين الحاسدة، هم أولو النعمة والثروة والجاه والمنصب، أو الذين يتمتعون بجانب كبير من الجمال، والصحة والعافية.

وفي فلسطين، يعتقد الناس في الوسط الشعبي، أن الطفل هو «أكثر ما يتعرض للإصابة بالعين. ولا يغيب عن بالنا أن الأطفال أكثر تعرضاً للمرض والموت من الكبار، ولهذا فإن أكثر الممارسات والرقيات تُوَجَّه نحو وقاية الطفل وعلاجه. وتنعكس المفاهيم الاجتماعية والقيم نفسها هنا أيضاً، فالطفل الذكر أكثر تعرضاً للإصابة بالعين من الأنثى، والطفل الجميل المنظر أكثر من القبيح، ويقولون عن الولد قبيح المنظر أنه يردّ العين عن أهله أو إخوته»[٨٨]

وتتعرض «الحيوانات والممتلكات كذلك للإصابة بالعين»(٨٩). ومما يجدر ذكره كذلك، أن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن العين الحاسدة يمكن أن تصيب الإنسان، ذكرا أو أنثى، في مختلف مراحل الحياة، ولا سيما عند دخول الإنسان في مرحلة جديدة من مراحل العمر، وفي سائر المناسبات، فالمرء قد تصيبه العين عندما يولد، وقد تصاب الأم الوالدة (النفساء) إذا بدت بصحة جيدة (كإنها مش ولدانه). وربما أصابت العين الحاسدة العروس أو العريس في ليلة زفافهما. وخوفا من العين الحاسدة فقد استخدم الناس لردّ شر العين الحاسدة «وسائل مختلفة، وأحياناً معقدة، لضمان النتيجة»(٩٠). وقد نشأت لدى بعض الشعوب «عادة البصق لدفع حسد العين، وهي عادةٌ نعرف أنها كانت موجودةً في العالم القديم»(٩١). إذ أنهم كانوا يعتقدون بأن «البصاق يردّ الأذى عن الإنسان»(٩٢)، وكانوا ينسبون إلى البصاق «خواص تنفع في ردّ القوى الشيطانية»(٩٣). ولا نستغرب عندما نرى المرأة الحامل - في الوسط الشعبي الفلسطيني - في فترة وحامها، وهي تبصق، إذا رأت منظراً شاذاً أو طفلاً قبيح الخلقة، وربّما مردّ ذلك هو الإعتقاد بأن البصاق يمنع إلحاق الأذى بتلك المرأة أو بجنينها، كي لا يولد شاذّ الخلقة قبيح المنظر.

ولدرء الحسد، والوقاية من العين الحاسدة، كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يستخدمون وسائل وأساليب متنوعة، ويمارسون طقوساً مختلفة، فهم مثلاً يعلقون خرزة زرقاء في شعر الطفل، أو على صدره، وقد يعلقون تلك الخرزة الزرقاء في أعلى باب الدار، انطلاقاً من إعتقادهم بأن العين الحاسدة هي العين الزرقاء، وهم يعتقدون أن الخرزة الزرقاء «تمتص أثر عين الحاسد، وتبعد بذلك الشر عن صاحبها»(٩٤)، وتشبّهها الباحثة «هيلما جرانكفيست، بمانعة الصواعق على أسطح العمارات»(٩٥).

وهناك رسومات «متعدّدة للعين المفردة أو للعينين معاً مطبوعة باللون الأزرق على ورقة تلصق على زجاج السيارة، وقد تكتب على الورقة «عين الحسود لا تسود» و«عين الحسود فيها عود» و«عين الحسود تبلى بالعمى»(٩٦). وهم يستخدمون أيضاً قلائد الخرز الزرقاء المتوسط الحجم، ويعلقونها على الأطفال لحمايتهم من العين(٩٧). وقد يعلقون الخرزة الزرقاء مع

بيضة أو قطعة من الشبّة على باب البيت... وقد تستعمل مجموعات من الخرز مرتبةً إلى جانب بعضها بشكل هندسي، كالمستقيم أو المثلث(٩٨).

ونظراً لأهمية اللون الأزرق هنا، فإنهم قد يصبغون جبين الطفل بعد ولادته بمادة النيلة، لوقايته من الحسد(٩٩).

وهم قد يستخدمون الملح لردّ العين الحاسدة، عن طريق ذرّه على النار «إمّا مع الطحين أو شعير المولد. ففي وقت زفاف العريس تقوم امرأة بلغت سن اليأس بحمل مقلى به نار، ترش فوقها الملح والطحين أو شعير المولد، أو يوضع الملح مع القزحة في جيب العريس لتحفظه من شر العين، وقد تتم عملية «الدعوق» هذه لردّ العين عن الطفل وغيره»(١٠٠). وقد يحرقون الميرمية مع الشعير، مع قليل من الملح لنفس الغرض. ويستخدمون الشبّ أو (الشبّة)، حيث يضعون «قطعة منها مع «الحجاب» وتعلق على كتف الولد أو تعلق مع الخرز الأزرق في السيارة أو على باب البيت، كما أنها تستعمل في معالجة الآثار التي تتركها العين الحاسدة، وذلك بحرقها في النار»(١٠١).

وربما استخدموا (حذوة الفرس)، أو نموذجا مصغراً عنها «من النحاس، وقد تكون مكسوّةً بالخرز الأزرق أو بدونه، تعلق في السيارة، أو على باب البيت أو بداحله»(١٠٢). وقد يصبغون «جبين الطفل بعد ولادته بمادة الكحل على شكل خط أو نجمة أو صليب»(١٠٣). وربما استخدموا أيضاً رسماً «لكف اليد مع عبارات مثل «الله»، «محمد»، «يا حافظ»(١٠٤). وقد يتقون العين الحاسدة بما يسمى «العطبة»، وهي «إشعال نار خفيفة في قطعة قماش صغيرة، يفضل أن تكون من ثوب أزرق، حيث تدور بها الأم حول رأس طفلها أو ابنها الذي ترى عليه ملامح الصحة والعافية، وتخشى عليه من الناس الحاسدين، وتعمد أن يشم رائحتها، وتقول في أثناء ذلك كلاماً كثيراً.. وتطلب من الله الحماية، ثم تطبع جبينه بسواد هذه القطعة المحترقة من القماش، وهي المعروفة في التراث بالرُّقية، جمعها رقى»(١٠٥).

وقد يستخدمون الرصاص بإذابته، وإلقاء قليل منه في الماء البارد بما يسمى «طشّة الرصاصة»، وطشة الرصاصة، وإحداث ذلك الصوت، يعني القضاء

على الحسد في حال حدوثه.

وهم يحرصون على «أن لا يُرى الطفل في أيامه الأولى خوفاً عليه من الحسد»(١٠٦). ويقوم بعضهم بتغطية «الطفل الوليد بثياب والده، إذ يقال «إنها تحفظ من الحسد»(١٠٧). وبعضهم يدقّ على الخشب، أو يمسكه، إذا ذكر نعمة ما رآها عند الآخرين، لكي لا يحسدهم.

ويرى بعضهم أن الثوم يؤدي إلى إبعاد العين الحاسدة والحدّ من أذاها(١٠٨).

وفي بعض القرى المسلمة، في فلسطين، تقوم الداية برسم صليب على جبين الطفل عند ولادته، لاعتقادهم أن ذلك يمنع الحسد عن الطفل(١٠٩).

وتعمد بعض الأمهات إلى إطالة شعر رأس أولادهن الذكور، كي يظنهم من يراهم إناثاً، فلا يحسدونهم، لا سيما إذا كان هؤلاء الذكور على جانب كبير من الجمال والصحة، إذ أن الصبي البشع يمنع الحسد بطبيعته ويردّ كيد العين الحاسدة التي لا تتجه إليه أصلاً. ويعمد البعض إلى عدم التحدث أمام الآخرين عمّا يملكه من أموال أو أراض أو عقارات، كي لا يحسدهم الناس، فتصاب الأموال والممتلكات بالعين فتزول أو تتهدم.

ولكي يبرهن المرء على حسن نيته تجاه صبي أعجب بجماله أو صحته أو طوله، أو تجاه مالٍ كثير، أو عقار فخم.. إلخ، فإنه يذكره امام صاحبه أو قريبه مفتتحاً حديثه بقوله: «اللهم صلّي على سيدنا محمد» أو «اللهم صلّي على النبي» أو «الصلاة على النبي» أو «يا صلاتك يا نبي» أو «يا صلاتك يا محمد» أو «خزاة العين عنه» أو «خزاة العين حوله وحواليه». فإذا نسي المرء ذلك، فإن صاحب العلاقة يذكّره بذلك قائلاً «صلّي ع النبي».

وقد يلقي بعضهم «خلف الحسود حفنةً من التراب لكي تطرد الشر»(١١٠)، والبعض الآخر «يستخدم الأحذية الصغيرة (أحذية الأطفال) لمنع الحسد، حيث تُعلّق في البيوت والسيارات»(١١١).

وكان بعض الناس يستخدمون «رأس البصل المغروس فيه ريش طيور لمنع الحسد، حيث كانوا يعلقونه على البيت المبني حديثاً»(١١٢). كذلك فقد كان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، «يعمدون إلى إدخال حمار على

العروس التي مات زوجها وتزوجت مرةً أخرى، خوفاً من أن «تقشره» أي يموت هو الآخر، فيدخلون الحمار لها قبل العريس، ويقولون: «هذه عروستك يا حمار» حتى يضللو العين الشريرة، فتظن أن الحمار هو العريس»(١١٣).

وقد يدخلون مع كل من العروسين صبياً أو بنتاً «يقوم الواحد منهما بدور العريس (أو العروس) المزيَّف، فيقود العريس وهو داخل على عروسه طفلاً صغيراً يرتدي ملابس تشبه تماماً ملابس العريس، ويقوم العريس بتقليد كل حركة من حركات ذلك العريس المزيف وهو داخل إلى بيت الزوجية. ويعتقد الناس أنه عبر هذه الحركة تنصرف الأعين الحاسدة إلى التلهّي برؤية العريس المزيف عن القيام ببثّ النظرات الحاسدة إلى العريس، وجلب الأذى والشر إليه»(١١٤).

وكان بعضهم يزين «ثوب العروس بالريش، لتتجه الأنظار إليه بدلاً من وجه العروس، ولحمايتها من الحسد»(١١٥). وقد تحمل العروس سيفاً عند إنتقالها إلى بيت عريسها، وهذه «وسيلة للفت إنتباه الحسّاد عن النظر إلى العروس»(١١٦).

ولمنع الحسد عن الشجر، كانوا يضعون قشرة بيضة متكاملة فوق رأس شجرة أو وردة، لكي لا تصاب بالعين. وإذا أصيبت إحدى الأشجار (بالعين)، ولم تعد تنمو، فإن بعضهم قد يضع جمجمة حمار أو حيوان آخر، على غصنها الجاف.

وكان العرب الجاهليون «يعلقون على أنفسهم كعب الأرنب، ويقولون إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا سحر»(١١٧). كما كانوا يعتقدون «أنه إذا عُلق منقار غراب على إنسان حفظ من العين»(١١٨). وكان «الصّوف مثلاً «كخيط يُربط في المعصم، يؤخذ على أنه من واقيات الموت والحسد والأرواح الشريرة»(١١٩).

ويتّقي البدو العينَ الصائبة بوضعهم الوشم على الخدين أو الذقن(١٢٠).

وبعض الناس في الأوساط الشعبية، يضعون «قطعة صوف على زهرة بيتية جميلة، بقصد حمايتها من العين والحسد. يعني أن الصوف هنا يجعلها في ذمّة

الله ومُلكه، وأن صاحبها سلّمها لله كي يحفظها من كل شر، ويضعها في عهدة الخالق»(١٢١).

ويروى عن عائشة رضي الله عنها «قالت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوْ أمر أن يُسترقى من العيْن»(١٢٢).

وفي بعض الأوساط الشعبية العربية «يزعمون أن الحجاب يمنع العين، ولهم في ذلك طرق منها: وضع قليل من الملح الجريش في كيس يعلق في أعناق الأطفال، كذلك ناب الذئب أو ناب الضبع، أو رأس هدهد عليه ريش، توضع في قطعة من السختيان الأحمر ويخاط»(١٢٣).

وفي جنوب أوروبا، شاع «استعمال الشارات المختلفة التي يُظن أنها تقاوم التأثيرات الشريرة، وتأثير العين الحاسدة على نحو خاص. ومن أمثلة هذه الشارات، شارات «التين» و«القرون»»(١٢٤).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، يعالجون المرض الناجم عن مفعول العين الحاسدة وبخاصة الأطفال، باستعمال «وسائل كثيرة منها ما يعتمد على توظيف مادة ملموسة، ومنها ما يجمع بين المادة والكلمة، ومنها ما يعتمد على الكلمة وحدها، والتي يُطلق عليها «الرَقيات والتعاويذ»(١٢٥). ومن وسائل علاج الإصابة بالعين «طشّة الرصاصة» التي مرت معنا من قبل، و«العطبة أو الدعوق» التي سبق ذكرها.

وقد يأتي بعضهم بشعير مقري(١٢٦)، وقطعة من الشبّ الأبيض، تُحرق مع الشعير ويبخّر بها المصاب، ويطاف عليه سبع مرات، ويصحب ذلك هذه التعويذة: «بسم الله الرحمن الرحيم، عين الحسود فيها عود، عين الولد بها وتد، عين الجار بها نار، عين الضيف بها سيف، عين المرأة بها مرارة، عين البنت بها حنت، والعين اللي ما تصلي على النبى تعمي وتزول» ثم تسكب المرأة التي تقوم بهذا العمل الماء على قطعة الشب والشعير المحترق وتخرج شهيقا عميقا، وتقول: انطفي يا عوينه. كما انطفت الجميره، ثم ترمي بقايا الشعير والشب في مفترق الطرق. وهذه التعويذة، إلى جانب اعتمادها على القوة السحرية في الكلمات فهي تعتمد أيضا على جانب تمثيلي لإطفاء العين الحاسدة،

فقطعة الشب وإحراقها بالنار يمثل اشتعال الحسد في قلب صاحبها، أما سكب الماء عليها فهو يمثل القضاء عليها»(١٢٧).

وقد تعمد المرأة إلى أخذ «قطعة من ثوب الرجل صاحب العين الشريرة من غير علمه وتحرق ويبخر بها المصاب... فحرق هذه القطعة يعني حرق قوة الرجل صاحب العين الشريرة»(١٢٨).

ومن الرقى التي تتألف من الكلمات، الرقى التالية: «رقيتك واسترقيتك، من عين أمك وعين أبوك، ومن عين اختك ومن عين أخوك، ومن عين القوم اللي شافوك، من عين اللي شافك وما صلى على النبي»(١٢٩)، ومنها: «حوطتك بالله من عيني ومن عين خلق الله، وعين الحسود فيها عود، والعين اللي ما تذكر نبيها بيلاها بالقلعة اللي تقلعها» ـ و «حوطتك بالله وبالأربعة المدركين، ومحمد أجمعين» ـ «حوطتك بالعشرة النايمين تحت الشجرة، لا يوكلوا ولا يشربوا، عين الجار فيها نار، عين البنت فيها حنت،...»(١٣٠)، و «أخرجي يا عين من بين الظفرين»(١٣١).

ومنهم من يكتب التعويذة التالية على بيضه دجاجة «وتحرق في النار، فإن فقعت البيضة، فقعت عين الصائب في الحال: «صعق صعوق، أرصاشي عيطانوش، تزلزلت السموات وطلعت الشمس، وقعقعت الجمادات، كذلك تقع عين الصائب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(١٣٢)، ومنها هذه التعويذة: «أخرجي يا عين يا عوينية، يا سارحة على البريّة، لاقاها السيد سليمان، قالّها سايق عليك الله يا عين، لا تعبري لنا دار، ولا تأذي لنا أطفال، اللهم صلّي على بدر التمام، اللهم صلي على سيدنا محمد»(١٣٣). وهم يعتقدون أنه «إذا تثاءب المخرّج(١٣٤) وهو يخرّج على المريض، فإن هذا دليل على أنه محسود، وكذلك إذا عطسَ المخرِّج عليه عند استنشاقه الدخان، فإنَّ ذلك إيذان بالفرج»(١٣٥).



* الخضـــر :

«الخضر» في رأي بعض رجال الدين، وكثير من أصحاب الطرق الصوفية، هو أحد الأنبياء «بينما يشكّ آخرون في ذلك، في حين أن هناك حديثاً نبوياً يمكنه بعد إثبات صحة نسبته إلى النبي محمد (ص) من وضع حد لمثل هذه المزاعم وهاتيك الشكوك، ومفاده: (لو كان خضر حياً لزارني). ومهما كان الأمر، إلا أن (الخضر) قد دخل -بدون أدنى شك- في عقيدة المسلمين من أوسع أبوابها، باعتباره قَد تعلَّم من لدن الله علماً، ولهذا صاحَبَه النبي (موسى) في رحلته المشهورة في سورة (الكهف)، وبهذا رفعه القرآن الكريم إلى مرتبة الأنبياء وربما إلى أكثر من ذلك»[١٣٦].

ويُعتقد بأنه سُمي بـ(الخضر) «لأنه ما من مكان يحل به إلاّ ويعتريه الإخضرار»[١٣٧].

وعند بعضهم أن الخضر هو «جرجيس»، ويقول الطبري[١٣٨] إن جرجيس فيما ذُكر كان «عبداً صالحاً من أهل فلسطين ممن أدرك بقايا من حواريّي عيسى ابن مريم، وكان تاجراً يكسب بتجارته..». ويقال بأن الخضر هو «إلياس» ويروى عن ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخضر هو إلياس»[١٣٩]. وفي هذه الحال، فإنه هو المعني في القرآن الكريم بقوله تعالى: «وإنّ إلياس لمن المرسلين..»[١٤٠]، وفي قوله تعالى: «وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين»[١٤١].

وبعضهم يعتقد أن الخضر هو الرجل الذي رافقه موسى النبي، في قصته الواردة في القرآن الكريم، وبأنه المقصود بقوله تعالى: «قال هل أتبعك قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبْراً..»[١٤٢]، وفي قوله تعالى: «قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً..»[١٤٣]. والمسيحيون يطلقون على إلياس إسم (إيليا) النبي «الذي أظهر الكثير من المعجزات قبل رفعه (إلى السماء على مركبة نارية)، ولهذا جاء وصفه مطابقاً مع وصف (الخضر) من جهة، ووصف القديس (جرجيس) من جهة أخرى»[١٤٤].

ويُعتقد بأن الخضر هو أيضاً القديس «جاورجيوس»، وهو «فلسطيني وُلد في اللدّ، وقضى في ربوعها أجمل سنيّ الطفولة. وكان أبواه مسيحيين من كبار اللدّيين غنىً وشرفاً، ويحتلان فيها منزلةً اجتماعية مرموقة»(١٤٥). وربما عرفه المسيحيون أيضاً باسم «مارجريس»(١٤٦)، كما عرفوه باسم «مارجرجس».

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقد الناس بأن الخضر هو «واحدٌ من أشهر الأولياء الذين يُستغاث بهم في فلسطين. ويقال إنه نجح في الوصول إلى «نبع الشباب» الواقع بين البحرين (الأبيض والأحمر)، وهذا النبع كان بحث الكثير من المغامرين من بينهم ذو القرنين والباحثون عن سر الخلود.

وقد وجد الخضر النبع وشرب من مائه، ولذلك فهو خالد لا يموت»(١٤٧).

ويعتقد أن الخضر «يرتدي عادةً ملابس غارقة في الإخضرار أو ناصعة البياض إلى حدّ فارق، وعلى رأسه تاج مرصع يعكس الأنوار المتلألئة، وبيده علم أخضر»(١٤٨). ويقال إنه كان «عادةً يلبس ثوباً من الشعر (مسوحاً) ومنطقةً من الجلد»(١٤٩).

ويُعتقد أن الخضر «كان يقضي الكثير من وقته في البرّية، وكانت الغربان تعوله وتأتي إليه بالطعام»(١٥٠). وللخضر مزارات متعددة «في جميع أنحاء فلسطين، ويزورها أتباع الديانات الثلاث. ويقال إن هذا القديس يعبد الله في مزارات مختلفة كل يوم جمعة بالتناوب، فمرةً في مكة وأخرى في المدينة وثالثة في القدس والطور.. إلخ.

ويتناول وجبتين في الأسبوع، ويشرب من ماء زمزم، وبئر سليمان في القدس، ويستحم في نبع سلوان. وأحد المزارات الخاصة بهذا الولي يقع على بعد ميل إلى الشمال من برك سليمان بالقرب من بيت لحم. ويؤخذ إلى هناك المخبولون من أتباع الديانات الثلاث»(١٥١).

وهناك دير لهذا القديس في سورية، يعرف باسم «دير مارجرجس» وهو من «الأديرة ذات الشهرة الواسعة، سواء لدى طائفة الروم الأرثوذكش، أو لدى الطوائف المسيحية الأخرى، أو لدى المسلمين الذين يدعونه بدير سيدنا الخضر أبو العباس. وتعتبر المنطقة التي يقع فيها هذا الدير من أكثر المناطق الطبيعة

في القطر العربي السوري روعةً وجمالاً»(١٥٢).

ويقال إن الخضر «امتهن مهنة الجندية، وأخذ يترقى فيها ترقية سريعةً، فأصبح على رأس فرقة مؤلفة من ألف جندي.. ولتمسكه في مسيحيته أعدم في آسيا الصغرى عام ٣٠٣م، بعد أن عاش ٢٣ سنة. وكان قبل استشهاده قد أوصى بنقل جسده إلى مسقط رأسه اللدّ، فلبىّ أصدقاؤه رغبته ونقلت رفاته إليها. وعليها أقيمت كنيسة..»(١٥٣). وقيل إن الخضر «كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان أيام إبراهيم خليل الرحمن»(١٥٤). وقيل أيضاً بأن أباه كان ملكاً عظيماً»(١٥٥).

ومما يُذكر أن للفلسطينيين عيداً كان يعرف «باسم عيد الخضر أو عيد لُدّ، يحتفل فيه المسلمون والمسيحيون على السواء، في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني»(١٥٦).

ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني بأن الخضر حيّ يرزق، وسبب ذلك في إعتقادهم عائدٌ إلى أن الخضر كان قد شرب من «نبع الشباب» الواقع بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، كما مرّ معنا من قبل. كذلك فإنهم يعتقدون بأن هناك عيناً موجودة في آخر الدنيا، ومن يشرب منها فإنه سيخلد، وتسمى هذه العين «ماء الحياة»، وهم يعتقدون بأن الخضر «أبو العباس» قد شرب من عين ماء الحياة فظل حياً خالداً. وقيل إنه «بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة، فشرب من مائه وهو لا يعلم، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه، فخلد فهو حيّ»(١٥٧). ويقال إن الخضر (إلياس) قد صعد إلى السماء، ويروي لنا الطبري(١٥٨) ذلك فيقول: «خرج إلياس، وخرج معه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كان بالبلد الذي ذُكر له في المكان الذي أمر به، أقبل فرسٌ من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فناداه اليسع: يا إلياس يا إلياس ما تأمرني، فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسياً أرضياً سمائياً».

ويُعتقد أن الخضر «.. يقضي حاجة كل من يلتجيء إليه أو يناديه أو يستغيث به، وهكذا فإنه يبرىء المريض من الأسقام، ويساعد الذي سقط حمْل دوابه في

المناطق الخالية من السكان والمارّة، ويأخذ بيد من أضلّ الطريق في المناطق البعيدة، ويكون عوناً لصاحب كل مكروه.. إلخ»[١٥٩].

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقد الناس أن الخضر «يظهر من فترةٍ لأخرى، وقد تجسّد بشكل درويش أو سواه، وذلك ليحمي المظلومين ويقيم العدل»[١٦٠]. وهم يعتقدون أن الخضر أبو العباس يسير بفرسه الزرقاء على سطح الماء مسرعاً لإنجاد المستغيث.

وعندما تهم بعض النساء في الوسط الشعبي الفلسطيني، بالنهوض، أو بحمل شيء ثقيل، فإنها قد تنادي في بعض الأحيان قائلةً: «يا ألله.. يا خضر، يا سيدي يابو العباس» أو تقول: «يا سيدي أبو العباس».

وقد حظي الخضر «عند الصوفيين بمركز ممتاز، إذ كثيراً ما يدّعون باتصالهم المباشر وبتناجيهم معه»[١٦١].

ومن صفات الخضر ـ من وجهة نظر المعتقد الشعبي ـ أنه «شخص مهيوب، تشع من وجهه الأنوار الساطعة، وقلّما يشاهَد بدون فرسه الملحاء التي تستطيع أن تطوي الفيافي والقفار وبلمح البصر، وتقدر على السير في البر والبحر والهواء، تاركةً آثار أقدامها في المناطق الصخرية والكلسية، وكل أثر من هذا النوع وفي مثل هذه المناطق هو من بقايا آثارها، أو غائصةً في البحر دون أن تبلّ أقدامها، أو طائرة في الهواء دون أن يخفق لها جناح أو يسمع لها صوت من قريب أو بعيد»[١٦٢]. ويقال إنه يأتي «من البعيد، ولا يسلّم على أحدٍ إلاّ كفافاً، وحينما يقترب تسمع منه أطايب الكلام»[١٦٣]. ومن صفاته أنه قادر «على أن يلين قلب الفتى أو الفتاة أو ذويهما، وهو الذي يستطيع شفاء العاقر»[١٦٤]. ويقال إنه «لا يحضر في الأماكن التي توجد فيها النساء»[١٦٥].

وللخضر (جاورجيوس) أسطورة تعرف بأسطورة التنين. تناقلتها الألسن كثيراً، وحاولت مدن كثيرة نسب هذه الأسطورة إليها أو إلى منطقتها دون سواها. وتتباهى بيروت على غيرها بهذا الإدّعاء. وتتلخص أسطورة التنين التي لا أساس لها، بما يلي:

«إن تنيناً هائلاً كان يخرج من البحر ويفترس كل ما يصادفه من حيوان أو

إنسان. ولكي تبعد المدينة هذا الخطر عنها، أخذت ترسل له نعجتين في كل صباح. وبعد مدة من الزمن كان التنين قد أتى فيها على آخر قطعان النعاج، وأصبح من المحتم استبدال النعجتين بشاب أو فتاة يختارهما سوء الحظ بالقرعة. وأخيراً وقعت القرعة على وحيدة الملك الذي ألبس ابنته أجمل ثيابها وزيّنها بالجواهر واللؤلؤ، ثم أرسلها إلى البحر بانتظار خروج التنين ليفترس وليمته. وفي تلك الأثناء ظهر جاورجيوس على الشاطىء مستغرباً وجود هذه البنت وحيدةً على ذلك الساحل الخالي من المارة والناس. فلمّا حدثته عن التنين طلبت منه بإلحاح أن يهرب خوفاً عليه من مداهمته له، ووصفته له بأنه حيوان ضخم الجثة له شكل الحية والتمساح، ينفث من فمه وأنفه حمماً ولهيباً محرقاً. وبعد برهة خرج التنين من الماء، ثم فتح شدقيه الكبيرين وتقدم نحو البر، وإذ ذاك وثب جاورجيوس إلى ظهر جواده، وعاجل التنين بطعنة من رمحه الطويل جندلته صريعاً»(١٦٦).



* الطبيعة والظواهر الطبيعية :

* الأرض :

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يعتقدون أن الأرض (الكرة الأرضية) يحملها ثور ضخم فوق أحد قرنيه، فإذا ما تعب الثور وأراد أن يريح قرنه الذي يحمل الأرض، فإنه يقوم بنقل الأرض إلى القرن الآخر، وهذه الحركة من قرن لآخر تسبب هزّةً أرضية. وبعضهم يعتقد أن انتقال الأرض من قرن إلى قرن آخر إنما تحدث مرةً واحدةً كل مائة عام (قَرْن).

وكانوا يعتقدون أن المرء الذي يضرب الأرض بقدميه بشدّة ودونما سبب أو مبرّر منطقي، سيلقى عقابه ذات يوم، إذْ إنه عندما يموت ويوارى الثرى ويصبح بين أحضان الأرض، فإن الأرض سوف تنتقم منه انتقاماً فظيعاً، فهي تضغط عليه ضغطاً شديداً مؤلماً، لأنه استكبر وتعالى عندما كان فوقها.

* البحر :

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون بأن البحر له بداية ، لكنه بلا نهاية . كما كانوا يعتقدون أن عدد البحار في الدنيا إنما هو سبعة « البحور السبعة » .

* النجوم والكواكب :

استرعت « النجوم وعددها المتراكم في صفحة الفضاء انتباه الإنسان الشرقي منذ العصور الغابرة »(١٦٧) .

وكان الناس قديماً يعتقدون « أن النجوم تُصنع من حطام القمر القديم »(١٦٨) .

وفي بعض مناطق افريقيا يعتقد الناس أن الشمس والقمر كانا قد اتفقا « على أن يطرحا بأولادهما في الماء ، ولكن القمر يخدع الشمس ويلقي بجوال مملوء حجارةً ، في الماء . ولذلك كانت الشمس وحيدةً في السماء ، أما القمر فإنه يسير في صحبة أطفاله النجوم في أثناء الليل تحت القبة الزرقاء »(١٦٩) .

وكان الاعتقاد بالنجوم « يلعب دوراً مهمّاً في حياة الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، وهناك اعتقاد بأن لكل شخص برجاً خاصاً ، وهذا البرج يحكم مجرى حياته ، وإن علاقة هذا البرج مع غيره يسبب لصاحبه الخير أو الشر . ولذلك فإن على كل شخص أن يعرف نجمه »(١٧٠) . وهم يعتقدون أن لكل إنسان نجماً في السماء يخصه ، وترتبط به حياته ، وتتعلق به روحه ، فإذا ما أفل هذا النجم ، مات « صاحبه » ، لذلك فإنهم يصفون الإنسان في حالة النزع الاخير (الاحتضار) بقولهم « نجمه غاطس » ، أي أوشك نجمه على الأفول ، وبالتالي أوشك صاحبه أن يفارق الحياة . وكانوا يعتقدون كذلك أن النجوم يمكن أن تسقط إلى الأرض ، فتحرق بوهجها وبنارها كل ما تصادفه أو تقع عليه ، وهم يصفون هذه الحالة بقولهم : « النجمة خرَّت » ، وتروى حكايات كثيرة عن نجوم خرَّت من السماء فأحرقت بيادر فلان أو هدمت بيت فلان . ولعل هذه الأشياء التي تهبط من السماء هي الصواعق ، لا النجوم .

وكانوا يعتقدون أن الشهاب الذي يسقط من السماء إنما يعني موت شخص محدد .

وينظرون إلى « بنات نعش » على أنها « سبع نجمات يظهرن معاً في مجموعة واحدة في السماء ، وسبب تسميتهن بهذا الإسم ، لأن منظر تجمّعهن يشبه منظر النعش الذي يُحمل عليه الميت ، ويقال أنهن يبكين الفقيد على الأرض ، فيظهر للناس أنهن يحملنه على النعش السماوي. ومن الناس من يدّعي أنه يسمع بكاء بنات نعش في النهار أو الليل »(١٧١) . كما يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن « درب التبّانة » عبارة عن أضواء تبعثها السماء للناس الذاهبين إلى أعمالهم قبل الصباح الباكر . ونجوم « درب التبّانة » خافتة « الأنوار ، تعترض السماء من الجنوب الى الشمال .. وسُميت بهذا الإسم « التبّانة » لأنها تشبه الذين يحملون التبْن عن الجرون (البيادر) في الذهاب ، وفي الإياب ، يتركون في طريقهم شيئاً من التبن الذي يدّل على طريقهم »(١٧٢) .

وهم يحرصون على « جمع غسيل الطفل قبل طلوع النجم ، لاعتقادهم أنه إذا طلع النجم والغسيل منشور ، فيصاب الطفل بألم في ظهره »(١٧٣) . كما يحرصون على « عدم إخراج الطفل قبل الأربعين : وإن أخرجوه من بيته ، فإنهم يضعون رغيفاً على صدره ، لاعتقادهم بأنه إن خرج بلا رغيف يخزّ النجم في ظهره »(١٧٤) . وكانوا يستشيرون « المنجّم أو الشيخ ، في تغيير اسم الولد أو البنت ، إذا كان المولود دائم البكاء أو الصراخ . ويمكن أيضاً أن يُغيَّرَ اسم الزوجة إذا حصلت مشاكل بينها وبين زوجها أو بينها وبين أسرة زوجها ، ويعتقدون أن نجْم مثل هذه الزوجة لا يطابق نجم زوجها »(١٧٥) ، إذ إنه لا بدّ من أن يكون نجم الزوج مطابقاً لنجم الزوجة حتى يعتبر الزواج ناجحاً ، وحتى لا تحدث أية خلافات مستقبلية بين الزوجين .

ولقد ربط الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، بين عدّ النجوم وإحصائها من جهة ، وبين ظهور الثآليل من جهة أخرى ، وذلك لاعتقادهم أن الشخص الذي يعدّ النجوم وهو يشير إليها بإصبعه أو بيده ، ستخرج الثآليل في ظاهر يده التي أحصى بها تلك النجوم ، وربما « كان » عدد الثآليل مطابقاً لعدد النجوم

التي جرى إحصاؤها .

وهم يعتبرون الكوكب (زحل) سيء السمعة ، يجلب الشر والنحس ، ويعتقدون أن « شجرة الخروب هي ملك الكوكب زحل .. وكل شيء له علاقة بهذا الكوكب فهو ينتمي إلى الأرواح الشريرة »(١٧٦) .

ونحن نعلم « أن الكواكب تنقسم حسب المفاهيم السائدة عند الشعوب السامية والفلسطينية إلى كواكب خيِّرة وأخرى مشؤومة ، وترتبط بهذه الكواكب عناصر مختلفة ، مثل اللغة والعلم والمعدن واللون والشجر والأعشاب والفواكه أو الحيوانات ، وتكون هذه العناصر خيِّرة أو شريرة ، حسب الكوكب الذي تنتمي إليه ، ويعتبر الكوكبان المريخ وزحل كوكبين شريرين ، وخاصة كوكب زحل »(١٧٧) . وكان العرب المسلمون يعتبرون كوكب الزهرة من الكواكب المشؤومة ، ويروى أن الملكين هاروت وماروت ، عندما أهبطهما الله تعالى إلى الأرض ، ورُكّبت بهما شهوات الإنس ، عَرَضت لهما إمرأة تدعى « الزهرة » ، كانت جميلة كالزهرة بين الكواكب ، فراودتهما عن نفسهما ، لكنهما رفضا ، وأخيرا شربا الخمرة ، فوقعا بها ، وقتلا انسانا مارا بالقرب منهما خشية الفضيحة ، ويروى أن الزهرة طلبت من هاروت وماروت أن يعلّماها الكلام الذي يصعدان به الى السماء ، فعلّماها ، وعرجت إلى السماء ، لكنها لم تستطع الهبوط الى الأرض ، فظلّت معلقةً في السماء ، ثم أصبحت ذلك الكوكب الجميل (كوكب الزهرة)(١٧٨) . ويقال أن عبد الله بن عمر كان « كلما رأى الزهرة لعَنها ، وقال : هذه التي فتنتْ هاروت وماروت »(١٧٩) . ومما يروى « عن نافع قال : سافرتُ مع ابن عمر ، فلما كان آخر الليل ، قال يا نافع انظر .. طلعت الحمراء .. وأعادها مرتين أو ثلاثاً . ثم قلت قد طلعت ، فقال : لا مرحباً ولا أهلًا ! .. قلت سبحان الله ، نجم مسخَّرٌ سميع مطيع ! قال : ما قلتُ لك إلا ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم »(١٨٠) .

كان كثير من الناس قديماً يعبدون النجوم، وقد « بنيت لها المعابد والمذابح، وقدمت التقدمات، وكان عُبّاد النجوم يؤمنون أنها تدير الكون والبشر أنفسهم، وكان عُبّاد الكواكب يعتقدون بأنها تنبئهم بالمستقبل »(١٨١) .

وقد عُرفت عبادة النجوم عند العرب في الجاهلية ، ويروى حول « الثريا » أنها « إذا بدأت للغروب مع المغرب فذلك وقت المطر ووقت نتاج الإبل . ولقد عبدها بعض قبائل طيء ، ونسب اليها العرب الاسم « عبد الثريا » وقالوا : « عبد نجم »(١٨٢) . وكان العرب يعتقدون أن نجم سهيل « إذا وقعتْ عين الجمل عليه مات لساعته »(١٨٣) .

وكان الكثير من الناس في بعض مناطق العالم يعتقدون أن النجوم قد تقع « تحت سيطرة الحيوان ، فالحيوان يَأْمُرُ والنجوم تطيع ، ثم هي تدين للحيوان بقوة نورها ونظام مدارها . وفي بعض الأحيان يتوهم الإنسان أن النجوم تتخذ شكل حيوان ، وأن الحيوان يحدد لها متى يمكن أن تظهر ، ومتى يتحتم عليها أن تختفي »(١٨٤) .

* التنجيم :

عرف العرب التنجيم منذ القدم ، وهو يُنسب الى النجوم (وهي أصل كل تنجيم) . والتنجيم علم ويدعى « علم النجوم ، ويدرس هذا العلم كثير من المسلمين في الوقت الحاضر ، ويستخدم في الغالب حين ينوون حسن الطالع ، كوضع أسس البناء أو البدء بالسفر أو ماشابه ، وأكثر ما يستعمل هذا عند الفرس والأتراك »(١٨٥) .

والمنجمون في الأصل « هم الذين يزعمون بأنهم يعرفون الغيب ويكشفون المستقبل بواسطة مراقبة النجوم ورصد حركاتها .. ويقوم زعمهم على إيمانهم بأن للكواكب سيطرة على حياة الإنسان ، وهو إيمان موروث من عبادة النجوم في الأزمنة القديمة . وكان معظمهم من الكلدانيين ، حيث ترعرعت أعظم حضارة فلكية وحيث نشأ دين وثني لعبادة الأجرام السماوية »(١٨٦) .

ولقد اهتم « العباسيون بالتنجيم اهتماماً بالغاً ، وكان أبو جعفر المنصور أول من عني بالتنجيم ، فترجموا له كتاب السند هند ، واقتدى به خلفاؤه ، وأصبح للتنجيم شأن كبير عندهم .. وكان المنجمون فئة من موظفي الدولة ، كما كان الأطباء والكتّاب والحُسّاب ، ولهم الرواتب والأرزاق . وكان الأطباء

يستشيرونهم في كثير من أحوالهم الإدارية والسياسية . فإذا خطر لهم عمل وخافوا عاقبته ، استشاروا المنجمين ، فينظرون في حال الفلك واقترانات الكواكب ، ثم يشيرون بموافقة ذلك العمل أو عدمها »[١٨٧] .

وهناك نوع من التنجيم يدعى (الضرب بالرمل) وهو نوع من الكهانة ويعتمد بصورة خاصة على علم النجوم « وأسلوبه ، أن تُرسم علامات معينة على الرمل (الذي اشتقوا التسمية منه) أو على الورق[١٨٨] .

* القرابين والأضاحي :

رافق تقديم القرابين والأضاحي الإنسان منذ بدء التاريخ الإنساني . وقد يأتي تقديم القربان بعد حدوث النْذر ، والنذر « عقْد ، إذا جازت اللفظة ، أو وعد بين العابد والمعبود ، يقدِّم الأول قرباناً للثاني لاستبعاد سوء أو لكسب عطف واسترضاء .. وهو طقس معروف عند الساميين عموماً ، ومايزال قائماً في بعض معتقداتنا العربية » (١٨٩) . كذلك فإن النذر هو « التعهد بفعل شيء ما إن تحقق امر ما ، ولما كان تحقيق ذلك الأمر بيد الله ، فالنذر تعهد أمام الله ، وكثيراً مايكون لله »[١٩٠] .

والأضحية ، أو الفدْو يعتبر « وسيلة لتحقيق الإتصال بين الانسان المتديّن وبين المقدَّس . وهو اتصال يستهدف أن يفدي الإنسان نفسه وأن يتطهر . وبذلك يتحقق بهذه المناسبة من الرحمة والعاطفة الدينية بين المعطي والمتلقي بواسطة هذه الأضحية ، ومن خلالها »[١٩١] .

وتقوم بين الضحية « والشخص الذي تُقدَّمُ له علاقة خاصة ، فيها شيء من التعاطف والإلتزام ، فالشخص الذي ينذر تُمسح جبهته بدم الذبيحة ، وكذلك القطيع الذي يفدى عنه تُمسح حيواناته بدم تلك الذبيحة .. وهكذا »[١٩٢] . وقد قدَّم العالم « الألماني باول كال تلخيصاً للآراء التي قيلت في تفسير الممارسات التي يستخدم فيها دم الضحية ، فعلاقة الكفّ الذي يُغمس في دم الضحية ويُرسم على حائط الضريح أو غير ذلك ، قد يكون مجرد علامة للذكرى ، يذكّر فيها الزائر الوليَّ بزيارته ووفائه بنذره ، أو إذا كانت الضحية سابقة على تحقيق الطلب ، فتكون تذكرةً للولي بألا ينسى تحقيق رغبة الزائر التي سأله إياها »[١٩٣] .

أما تلطيخ عتبة بيت « صاحب الضحية أو جدار بيته بدم تلك الضحية ، فيهدف إلى نقل البركة الى بيت ذلك الرجل ، لأن الضحية ودمها ملك للشيخ (الولي) ، ولصقُ جزء منها على البيت فيه استعارة لبركة ذلك الشيخ ، كما أنها قد تعني امتداد قوة الشيخ وحمايته لتشمل أهل البيت ، وتدفع عنهم الشرور والامراض وتحميهم من الاضرار المختلفة »(١٩٤) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، كان الناس يتَقون المصائب « التي قد تحل بهم ،بالنذور أو (الفدُو) ، فأمَ تنذر أن تذبح خروفا أو ماعزا إذا سلم لها هذا المولود ، لانَ منْ قبله من أولادها كانوا يموتون صغارا ، أو تنذر بذلك إذا ختن ابنها ، أو تزوج ورأت له أولادا ، وقد ينذر الرجال أن يفعلوا ذلك إذا نجح أحد أولادهم في مراحل معينة من المدارس ، أو إذا اجتاز أحد أفراد الاسرة مرضا ما ، وقد يذبح ربّ البيت ذبيحة فتسأله لماذا ؟ فيقول : « فدْو » عن الأسرة ، أي فداء ، أيْ دفعا للمصائب التي قد تصيب أفراد أسرته . أو يقول : لله وللرسول ، أو لوجه الله ، يسلم الناس من الاخطار ، ومن المحتمل أن تكون الفدية لسلامة البناية الجديدة التي بُنيت »(١٩٥) .

وكان كثيرون منهم يقدمون « النذور والأضاحي لوجه الشيخ ، وفاءً بوعد قَطعه مريض أو صاحب حاجة ، ويقول الشخص : « نِذْرنْ عليَ لاقدَم كذا وكذا إذا شفي إبني أو حملت زوجتي أو ... »(١٩٦) . وقد تكون الفدية عند بعضهم أن يقوم المُزارع بذبح ذبيحة ، فداءً عن ماشيته أو زرعه ، أو قد تكون تقديم قسم من القمح يسمى « صاع الخليل » وهو (٦ كغ) من القمح من أول صليبة القمح ، حيث يشترى بها حلوى أو فواكه وتقسم على الأطفال والنساء والرجال الموجودين على البيادر »(١٩٧) . ومن الطقوس التي كان يراعيها « بدو النقب مراعاة دقيقة ، تقديم أضحية الحلّيَة ، مع حلول ظلام ليلة الدخلة ، وبدونها يعتبر الزواج فاسداً ، ويعمد العريس إلى ذبح عنزة أو خروف عند مدخل « بيت الزوجية » »(١٩٨) . وهو يفعل ذلك من أجل أن تدخل الثروة إلى البيت كما يدخل لحم الذبيحة إليه »(١٩٩) . وكان البدائيون يقدمون الاضاحي ، ويعتقدون أن « الآلهة تشرب من دمائها فتهدأ أو تستجيب للإنسان »(٢٠٠) .

وكان الأطفال « هم عادةً الأضاحي البشرية الأضعف ، وهم على الأغلب القربان البشري للآلهة في الأمم التي عرفت هذا الطقس . والطفل عزيز وغالٍ ، ولذلك فسيكون تأثيره على المعبودات غالياً وخصباً »(٢٠١) .

ولقد كان الساميون يقدمون الأضاحي ، وتروي الأساطير السامية أنَّ كل أبطال الطوفان ، كانوا قد قدّموا الأضاحي والقرابين للآلهة ، شكراً للآلهة على نجاتهم ، وذلك بعد انتهاء الطوفان »(٢٠٢) .

وأقدم من ذلك كله ، يذكر ذلك القربان الذي قدمه كلّ من قابيل وهابيل : « واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذا قرّبا قرباناً »(٢٠٣) . وقد عرف الكنعانيون تقديم القرابين ، وكانت رهبتهم من الآلهة « تمتزج بالفزع من الكوارث الطبيعية كالطوفان والقحط ، فخطبوا ودّ الآلهة بتقديم الأضاحي لها »(٢٠٤) . وكانوا يقدمون بعض القرابين (من خبز وطحين وخمور) إلى الهة الأرض من جهة ، ولإطعام الميت من جهة أخرى ، ذلك الميت الذي يقيم في الظلمات ، ولهذا الغرض كانوا يقدمون بمثابة ذبائح بعض الحيوانات ، ويصبّون الخمر على القبور »(٢٠٥) .

وقد عرف العرب في الجاهلية تقديم الكبش « كضحية في الفدية التي قدمها إبراهيم عن ابنه اسماعيل ، واستمر ذلك التقديم للكبش في الإسلام . ومن المعروف في التراث أنه كان لهابيل كبش عظيم يحبه ويحمله أينما ذهب ، وقدّمه قرباناً لله ، وأن الله نقل هذا الكبش الى الجنة حيث عاش ، ثم فدى به ابن ابراهيم »(٢٠٦) .

وقد نستطيع « تعليل وجود قرنين كانا معلقين داخل الكعبة ، لا على أنهما فقط من رموز الوفرة والخصوبة ، بل أيضاً كرمز لذلك الكبش الذي فدى جدَّهم وإنسانهم الأول ، أو المساهم في بناء بيتهم الأول (الكعبة) »(٢٠٧) .

ولقد تحولت التضحية بالبشر « الى تضحية بالغنم ، واستمر النوعان التضحويان معاً مدةً طويلة . ثم تحولت التضحية الأخيرة الى ذبح رمزي ، يقوم على الإكتفاء بجزّ صوف الحيوان ، أو المرور فوقه ، أو ربطه عند الكعبة ، أو هدية الى الكعبة ، أو تسييبه ، أو شق أذنه »(٢٠٨) . وتعتبر محاولة إبراهيم

« ذبح إبنه ، أقرب دليل وأهمه بالنسبة لموضوعنا : إذْ فُدي الولد بكبش . ثم إن والد النبي ، وكان منذوراً للذبح ، قد فُدي بإبل »(٢٠٩) .

وكان العرب في الجاهلية « يضحّون بناقة من العيس خالصة البياض إذا لم يجذوا أسيراً للذبح ، وقد يئدون البنات ، ويقدمون الضحية للنار ، إلخ .. »(٢١٠) .

وقد يقدمون بدلًا من الذبح البشري خادماً للمعبد ، أي يتركونه « ينقطع للإله وينعزل في الهيكل أو في مكان ناءٍ للتنسّك والتحنّف »(٢١١) .

وكانوا أيضاً ينذرون النقود أو الفاكهة ، أو ينذرون أرضاً للآلهة ، كما كان يُنذر لها « ولد ، بل المولود قبل أن يرى النور ، أو حيوان يترك سائباً (الوصيلة ، البحيرة ، الحامي) وقد تنذر الأم أن تجعل ولدها أحمساً إنْ شفاه الرب من المرض ، أو أن تجعله في خدمة المعبد ، أو أن تحلق شعر رأسه ، أو تحزّ شعر الناصية .. وقد يكون النذر بالإعتكاف ، وبالإنزواء بعيداً عن الناس ، وصيام عدة أيام ، والصلاة لمدة معينة ، أو السكوت التام فترة »(٢١٢) . وفي القرآن الكريم ما يشير الى بعض ما ذكرناه : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ »(٢١٣) ، وقوله تعالى : « ربّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرَّراً »(٢١٤) و « إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً »(٢١٥) .

وقد تعرّض مفهوم الأضحية « في الإسلام لتغيُّر كبير ، بسبب مفهوم المسلمين عن الله ، واختلافه عن مفهوم الشعوب السابقة على الإسلام . فالله في الإسلام ليس في حاجة إلى الأضحية كمصدر لإسالة الدم كما كان الأمر في كثير من الأديان السابقة ، ولكن الأضحية تحولت الى وسيلة لإظهار الولاء والطاعة والْتماس القربى والتعبير عن الخضوع لله »(٢١٦) ويتضح ذلك في قوله تعالى « لَنْ ينالَ الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »(٢١٧)) .

وقد عَرفَ الإغريق عادة تقديم القرابين ، فكان سكان إسبارطه يخشون منلا سطوة « أرتيميس » إلهة الصيد عند الإغريق ، ويرجون خيرها ، لذلك كانوا يقدمون لها القرابين البشرية »(٢١٨) . وتروي لنا إحدى الأساطير اليونانية ،

كيف أن القدر اختار الشاب الجميل « الكيونوس » ليكون قرباناً للمارد « لاميا » ، كي يسكن غضبه ، ففداه شاب آخر بنفسه ، لكن هذا الشاب تمكن أخيراً من قتل المارد »[٢١٩] . وكانت في أثينا أعياد تعرف باسم « أنتيستيري » وتدوم ثلاثة أيام ، « وفي اليوم الثالث يقدّمون لأرواح موتاهم قرابين من الخضار »[٢٢٠] .

وكانت الشعوب الجرمانية ذات يوم « تقدم الناس ضحية للآلهة ، لكي تسالمها وتنشر مساعدتها »[٢٢١] .

ويعرف عن الهنود أنهم كانوا « يضحّون بحصان ، ثم تطور ذاك الاحتفال فصار اكتفاءً بربط الحيوان بدل ذبحه »[٢٢٢] .

وفي بعض الأقطار العربية يقوم الناس بالتضحية بشعر المولود ، أو بشعر الإنسان مهما كان عمره ، ويقدمون هذه الأضحية (بدلًا عن الإنسان) كفدْو ، يقدمونها لأحد الأولياء في مزاره[٢٢٣] .

وهناك عادةُ تقديم القرابين للبناء ، وهي عادة متأصلة قديمة . ولقد كان « من الطبيعي أنْ يسلّم الذهن الشعبي بأن هذه القرابين كانت تُقَدَّمُ عند تشييد كل بناء يرتفع كثيراً عن الأرض المنبسطة »[٢٢٤] . ويرتبط « معتقد قرابين البناء ، بالاعتقاد في أنه إذا دُفن بطل بعد موته عند باب مدينة أو في منطقة حدود دولة ، فإنه يحمي المدينة من السقوط في قبضة العدو ، ويحمي الدولة من الغزو الخارجي »[٢٢٥] .

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني عندما يعقدون سقف البناء ، يقومون بذبح خروف أو غنمة ، ويلطخون بدم الذبيحة « طرفي الباب .. وذلك بغمس اليد الواحدة فيه وطبعها بشكلها على حجارة الباب ، وتسألهم فيقولون إن الدم والذبيحة تدفع المصيبة عن البيت فيسلم »[٢٢٦] . وهم يعتقدون أنه « ليس من الخير لهم أن يسكنوا البيت الجديد قبل أنْ يذبحوا الذبيحة على عتبته ، وأنْ يقرؤوا قصة المولد النبوي فيه ، وذلك تبركاً ، وتقرباً الى الله وتفاؤلًا »[٢٢٧] . وبعضهم يكتفي بالذبيحة ، وقديماً ، عند شعوب كثيرة « كان كل بناء يتطلب التضحية بإنسان ، ويهدد السكان بالفزع وسوء المصير إذا لم تقدم له الضحية

المطلوبة »[٢٢٨] .

وفي الصين كان الناس يعتقدون « أن أشباح النهر الأصفر الذي كثيراً ما تسبب فيضاناته أضراراً بالغة ، تتطلب بصفة خاصة عبادةً شاقة وتضحية تلو التضحية ، فهي لا تعرف الرحمة ، وهي تظهر بشكل حيوان يسيطر على الماء وفقاً للإعتقاد القديم »[٢٢٩] .

وبعض الناس في وقتنا الحاضر ، « وفي قلب أوروبا ، يرفضون أن ينقذوا غريقاً ، وهم يعتنقون - مخلصين - سبباً وجيهاً ، ذلك أنه لا ينبغي أن يحرموا النهر من فريسته »[٢٣٠] .

ويُروى أن الإغريق كانوا يقدمون الأضاحي البشرية لنهر (أوروتاس) ، لتهدئة مياهه المصطخبة »[٢٣١] .

وهناك أسطورة يونانية ، تروي كيف أن إله البحر أمر بأن تُقَيَّد « أندروميدا » الأميرة الحبشية الجميلة بالسلاسل وتُربط بأضخم الصخور السوداء التي تنتشر في ميناء يافا المدينة الفلسطينية المعروفة ... « وأرسَل هذا الإله تنيناً ليلتهم أندروميدا . ولكن حبيبها « برسيوس » تمكن من قتل التنين ، وأرضى إله البحر بإهدائه رأس وحش كاسر قتله ، كان يخيف الناس ، فنجّاهم من شرّه »[٢٣٢] . وبعضهم يذكر هذه الأسطورة « بأن أندروميدا الجميلةَ قُيدت بالسلاسل ثم ربطت بالصخور كتضحية لوحش البحر ، وذلك ليهدّىء العواصف ويحمي البحّارة . وعندما هجم التنين على أندروميدا وصل حبيبها « برسيوس » على حصان مجنح وقتل التنين وفك سلاسل أندروميدا ، وعاش الحبيبان بعد ذلك بسعادة »[٢٣٣] . وقد حاول جيمس فريزر أن يشتق هذه الأسطورة « من عادة تقديم القرابين البشرية التي تؤدى للأنهار على نحو خاص »[٢٣٤] .

* الأول والأخير :

* الأول :

إن الإنسان بطبيعته يحمل في نفسه الخوف من أوائل الأشياء ، ويسلك

تجاهها سلوكاً خاصاً ، وقد ظهر هذا السلوك جلياً واضحاً لدى الناس في الأوساط الشعبية . فمثلًا « نجد العديد من شذرات المأثورات الشعبية التي تشير إلى أول إنسان أو أول حيوان نقابله عند مغادرة البيت ، فالمرأة العجوز تنبيء عن سوء الطالع ، لارتباط العقم والجدب بشخصيتها »(٢٣٥) .

ولدى بعض الشعوب « إذا خرج الرجل لصيد السمك أو الوحش حاذر النساء جميعاً بصرف النظر عن أعمارهن »(٢٣٦) .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يتشاءمون من بدايات الأمور التي تكون صغيرة وسيئة ، لأنهم يعتقدون أن هذه البدايات الصغيرة ستجر وراءها أموراً كبيرة ذات نهايات أسوأ ، وربما عبروا عن ذلك بقولهم : « أول الرقص حنجلة » ، لأن الرقص يبدأ بحركات خفيفة بطيئة ، ثم لا تلبث هذه الحركات أن تتسارع وتشتد . ويتشاءم أحدهم إذا كان أول من يلقاه في طريقه عند خروجه من بيته ، شخصاً لا يحبه ولا يطيق رؤيته . كما إن أحدهم يتشاءم إذا كان أولُ من يلقاه في طريقه رجلًا « أجروداً » ، وهم يقولون في ذلك : « صباح القرود ولا صباح الأجرود » . كما يتشاءم المرء منهم إذا كان أول من يلاقيه في طريقه عند خروجه من منزله ، امرأة تحمل وعاء فارغاً من كل شيء لأن هذا يعني ـ حسب المعتقد ـ أن نهاره سيصبح معسَّراً وسترافقه المشاكل والمتاعب . وعندما يخرج أحدهم من منزله في الصباح أول النهار ، سعياً وراء رزقه ، فإنهم كانوا ينصحونه بأن ينفض ملابسه ناحية المؤخرة ، بيديه ، لاعتقادهم أن هذا الإجراء سيجعل يوم صاحبه ميسَّراً لبلوغ هدفه وتحقيق غايته .

وفي بعض الأقطار العربية يذهب بعض الناس إلى الاعتقاد بأن لقاء الأحول في أول النهار سيجعل الأمور ترتبك وتتعقد طوال اليوم ، ولقاءه في أول يوم من أيام الأسبوع سيعقد الأمور طوال الأسبوع »(٢٣٧) .

وتعتقد بعض الشعوب ، « بأنه من سوء الحظ أن يكون أول ما يقابله الإنسان عند ذهابه الى السوق أو الصيد امرأة شعرها أحمر »(٢٣٨) . وفي الريف المصري ، ينثر الناس الدقيق في غرّة الحيوانات ، أو في مواضع أخرى من جسدها ، عند خروجها لأول مرة من البيت ، أو عند دخولها بعد شرائها تجنّباً

للحسد »[٢٣٩] .

وباعتبار رأس السنة هو اليوم الأول من العام الجديد ، فإن هناك معتقدات ترتبط بهذا اليوم ، « من ذلك ، الإحتفاظ بالعادة المعروفة « بالخطوة الأولى » التي يَعْبُر بها شخص عتبة البيت عندما تدق الساعة في ليلة رأس السنة »[٢٤٠] ، لأن هذه الخطوة تعبّر عن بداية الطريق في رحلة العام الجديد .

ونجد في « المعتقدات الشعبية لدى بعض الشعوب ، أن الثوب الجديد ينبغي عندما يرتديه صاحبه لأول مرة ، أن يذهب الى الكنيسة »[٢٤١] . ونجد الفتاة في بعض المجتمعات تعتبر أن أول اسم تسمعه « عندما تقوم باستطلاع حظها في الزواج ، يكون الرجل الذي سوف تتزوجه »[٢٤٢] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يحرص الطفل الذي يسقط أول أضراسه اللّبنية ، على إلقاء الضرس من أعلى الكتف الأيمن صوب الشمس ، كي « تبدله » الشمس بأحسن منه . كما يعتقدون أن أول أسنان الطفل إذا ظهرت أولًا في الفك الأسفل فإن هذا يعني أن عمره « مسنّد »[٢٤٣] ، وإذا ظهرت أولى الأسنان في فكه الأعلى فسّروا ذلك بأن عمره « مهوِّد »[٢٤٤] أي سيكون عمره قصيراً .

وتضفي « العقائد الشعبية أهميةً خاصة على « أول وقت » أو أول مناسبة حدث فيها شيء غير عادي ، مثل سماع صياح بعض الطيور أول مرة في الصيف ، فبعض الناس يعتقد أن رؤية أول عصفور في هذه الفترة إنما هو نذير بالشؤم ، على حين أنّ الشجرة التي تزهر أولًا في الربيع تحظى بالتوقير عند بعض الشعوب »[٢٤٥] .

ويحرص كثير من الناس « على تلاوة الأدعية عند رؤية الهلال الجديد »[٢٤٦] ، ويحدث مثل ذلك عند « المبيت أول ليلة في مكان غريب »[٢٤٧] ، ومن قبيل ذلك العادات المتعلقة بوضع بعض الأشياء في وعاء اللبن قبل استعماله لأول مرة »[٢٤٨] . وبعضهم يؤدي « بعض الشعائر عند دخول البيت لأول مرة »[٢٤٩] . وفي الوسط الشعبي المسلم في فلسطين ، كان الناس يحرصون عند دخول البيت الجديد لأول مرة أن يكون المصحف الشريف

أول الأشياء التي تدخل هذا البيت ، وبعضهم يدعو ـ في هذه الحال ـ « شيخاً ليقرأ القرآن ، أو يدعو أحد الدراويش لإقامة الحضرة »(٢٥٠) . وهم يقصدون بذلك كله إدخال البركة والخير الى البيت ، وإخراج الشر وطرده من البيت .

ومن دلائل « التشاؤم عند بعض الشعوب ، أن يكون أول نتاج الخيل أو الغنم أبيض اللون ، ولا يحبّون كذلك سماع ثغاء أول شاة يراها المرء أثناء مروره بالقطيع »(٢٥١) .

وبعض الشعوب تعتقد « بأنّ أول حَلْبة من اللبن من بقرة ذات صفات معينة ، تعطي موهبة الشعر للشخص الذي يشربها »(٢٥٢) . ويرون أيضاً « أن أول نتاج من الزبد أو اللبن لا ينبغي أن يعطى لأحد خارج البيت »(٢٥٣) . ومن الناس من يعتقد أن « أول بيضة للدجاجة ، إذا جاءت في يوم الجمعة ، فإنها تجلب الحظ السعيد »(٢٥٤) .

والبدو في أرض مؤاب ، عندما كانوا يبدؤون في حلب ماشيتهم ، فإنه « لا يتجرأ أحد منهم على شرب أوّل اللبن الذي ينثل من ضرع الماشية . وإنما يُترك جزء من أول اللبن المحلوب ، كما يترك جزء من أول كمية تصنع من الزبد ، ويبقى هذا الجزء في الوعاء الذي حُلب أو صُنع فيه ليُنذَرَ لأحد الأولياء »(٢٥٥) .

وفي بعض الأقطار العربية يترك بعض الناس « القطرات الأولى من لبن البقر أو الجاموس أو الماعز تتساقط على الأرض لتكون من نصيب الجان »(٢٥٦) . وهنالك بعض الشعوب « التي تحتفل بأول بواكير الموسم من الحبوب ، فعندما يتم طحنها ، فإن مقداراً من هذا الطعام الجديد يُصنع وتُفرغ عليه الجعة ، ثم يضاف إلى هذا الخليط زجاجتان من «الويسكي» وبعد ذلك يُدعى الجيران إلى هذا الاحتفال المعروف باسم «الطعام والجعة»(٢٥٧) .

وهناك اعتقاد لدى بعض الشعوب ، بأن « أول حزمة من الحصاد تحمي من يجلس عليها من أوجاع الظهر »(٢٥٨) .

وفي بعض المجتمعات « عندما يصحب الرجل زوجته الى الكنيسة ، فأول واحد يخرج منهما بعد انتهاء الصلاة سيعمر أكثر من الثاني »(٢٥٩) .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقدون أن المرء إذا أراد أن

يطرح فكرة ما ، وسبقه إليها قبل ذلك بلحظة خاطفة شخص آخر ، وتكلم أولاً ، فإن هذا الشخص سيكون عمره أطول من ذاك ، أي أن الذي يتكلم أولا في هذه الحال يكون عمره الأطول ، وفي هذه الحال يقول الشخص لمن سبقه مباشرة في طرح الفكرة : « عمرك أطول من عمري » ، أو « سبقتك بالموت » .

وتعتقد بعض الشعوب أنه « لا ينبغي للأب أن يشارك في حمل جثمان أول أبنائه ، وكذلك لا ينبغي للأم أن تشهد دفنه »(٢٦٠) ، وبعضهم يعتقد أن أول زهرة من شقائق النعمان ، تؤكل لتبعد الحمّى عن الشخص المحموم »(٢٦١) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يتفاءل البائع بأول بيع في يومه صباحاً ، وهو يقول في هذ الحال ، لا سيما إذا كان الدفع نقداً : « استفتاحة مباركة بالصلاة على النبي » . وبالمقابل فإن البائع يتشاءم من أول بيع إذا كان ذلك بالدين .

* الأخير :

وكان الناس يتشاءمون من أواخر بعض الأشياء ، ويعتبرونها خطراً في أحيان كثيرة . فالناس في بعض المجتمعات يعمدون الى ترك آخر لقمة على المائدة(٢٦٢) .

وكان البدو من قبيلة العدوان يتركون « الجزء الأخير من الحقل بدون حصاد ، فيحصده الفقراء والعمال لأنفسهم ، ومثل هذه التقدمة تدعى « جرعة »(٢٦٣) . وكان الفلاحون الفلسطينيون يقومون بشوي « آخر حزمة من القمح ، ويحتفلون عند انتهاء الحصاد بأكلها ، وتُدعى قَلّيَة »(٢٦٤) . وما زالت « العادة الأصلية السامية القديمة موجودة في بعض الأمكنة ، وهي دفن آخر حزمة من القمح في نفس المكان الذي حُصدت فيه ، بينما تُتلى بعض الآيات القرآنية ، وهذه تقدم للقوى غير المنظورة التي تعيش في الحقل والتي يُعتقد بأن كل أملاكها قد أُنتزعت منها ، ويقدم جزء من الحبوب لهذه القوى الخارقة لتهدئتها ولضمان غلة وافرة في السنة القادمة »(٢٦٥) .

ومن عادات بعض الشعوب « أن الأب يبارك أفراد أسرته في آخر يوم من أبريل »(٢٦٦) . وهناك من يعتقد بأن « السماء إذا أمطرت في آخر ساعة من يوم السبت ، فإن ذلك يعني أن الجو سيصبح سيئاً لمدة طويلة »(٢٦٧) وبعضهم

يعتقد « أن آخر حزمة إذا قُطعت بعد غياب الشمس فإنها تجلب سوء الحظ »(٢٦٨) . والناس في بعض المجتمعات « يُغفلون أخذ آخر تفاحة أو قطع آخر عود من النبات ، أو ربط آخر حزمة من الحصاد ، وهذا يوضح لنا عندما نجد تفاحةً باقية على الشجرة ، أو حزمةً متروكةً في الحقل »(٢٦٩) ، إذ أنهم يعتقدون « أن آخر حزمة من الحصاد نذير بدلالات معينة ، فإذا كانت كبيرة مثلًا ، فإنها تدل على أن الحصاد سيكون وافراً ، وعلى عكس ذلك إذا كانت صغيرة ، وإذا قامت بربطها فتاة ، فذلك يعني أنها لن تتزوج أبداً »(٢٧٠) .

* الأيام والأرقام :

* الأيام :

اعتاد الناس في الوسط الشعبي أن يتشاءموا من بعض الأيام ويعتبرونها نحساً . وقد نشأ هذا التشاؤم - كما يقال - « من التقويم الروماني ، ذلك أن الرومان فكّروا على نحو ساذج ، في أن يطلقوا اسم « الأيام الكريهة » على تواريخ هزائمهم ، ابتداءاً من هزيمتهم في موقعة Altia إلى هزائمهم في كاناي وكاراي وتدمير فاروس »(٢٧١) . وعلى سبيل المثال ، كان الرومان يتشاءمون من شهر أيار ، ولا نعرف السبب الذي جعل هذا الشهر يكتسب سمعته المقبّضة في العصور الرومانية(٢٧٢) . إلا أنّ « المعتقدات الخرافية الخاصة بهذا الشهر لم تزل جاريةً إلى أيامنا هذه في مناطق أوروبية لم تطأها قدمٌ رومانية »(٢٧٣) .

وقد كانت لدى المصريين القدماء أيام شؤم ونحس ، وقد عرف « العلماء من أوراق « البردي » التي تتحدث عن السحر ، بأنه لا ينبغي إقامة بعض « المراسم السحرية » في أيام محددة .. وتنهض الفكرة على أن قوى الشر في تلك الأيام المحددة تؤثر في هذه الطقوس ، وتجعلها عديمة النفع »(٢٧٤) .

ولقد عُرف عن الكنعانيين ، أنهم كانوا « يؤمنون بأيام الفأل والشؤم . فاليوم الذي يبدأ بسلسلة من الأفعال السيئة فهو يوم شؤم »(٢٧٥) .

والفلسطينيون في الوسط الشعبي ، كانوا يعتقدون « أنه من الأفضل أن يبدؤوا العمل في غير أيام الشؤم (مثل أيام الثلاثاء والأربعاء) »(٢٧٦) ، كما كانوا

يتفاءلون « بأشهر معينة ، هي رجب ، شعبان ورمضان ، وتسميها النساء الشهور البيض »(٢٧٧) .

*يوم السبت

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يتشاءمون من يوم السبت ، فالنساء « لا يقبلن أن يخطْن ثوباً يوم السبت « لئلا يُحَرق أو يُسرَق » كما يعتقدون »(٢٧٨) .

وفي الوسط الشعبي الدمشقي في سورية ، لا يُدخل الناس « قطع الصابون إلى المنازل في أيام السبت ، ولا يخرجونها ، لأنها قد تسبب وفاة أحد أفراد المنزل وغسله بها »(٢٧٩) .

*يوم الإثنين :

وهو من الأيام المباركة لدى الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، ففي « يوم الإثنين وُلد النبي محمد (ص)(٢٨٠) . وهم يعتقدون أن غسل الثياب في هذا اليوم مكروه وغير محبَّذ .

كذلك فإن كثيراً من الناس في الوسط الشعبي السوري ، وخاصة في دمشق ، « لا يغسلون الثياب في أيام الاثنين ، لأن السيدة فاطمة دعتْ ـ في زعمهم ـ أن غسيل الإثنين لا ينقى ، وصاحبه لا يبقى »(٢٨١) .

*يوم الثلاثاء :

إن المرأة في الوسط الشعبي الفلسطيني ، لا تغسل الثياب في يوم الثلاثاء ، لأن الغسيل في هذا اليوم ـ حسب اعتقادهم ـ هو « شؤم على أصحاب البيت »(٢٨٢) .

وفي الوسط الشعبي الدمشقي ، نجد أن الناس « لا يقصّون ثوباً في أيام الثلاثاء ، لأن هذا الثوب يذهب حريقاً أو إرثاً »(٢٨٣) . ويروى عن النبي (صـ) أن الله تعالى « خلق المكروه يوم الثلاثاء »(٢٨٤) .

*يوم الأربعاء :

كثير من الناس في الأوساط الشعبية العربية يتشاءمون من يوم الأربعاء ، ويعتبرونه من أيام النحس . ففي أرياف منطقة القدس في فلسطين مثلاً ، كان الناس يعتبرون يوم الأربعاء من أصعب الأيام على المسافر ، ويعتقدون أن المسافر غالباً ما يفشل في سفره وفي أداء مهمته في ذلك اليوم(٢٨٥) .

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، كانوا يعتقدون بأن زيارة المريض في يوم الأربعاء سوف تؤدي إلى وفاته .

وفي دمشق ، يعتقد الناس في الوسط الشعبي ، أن من يعود مريضاً يوم الأربعاء ، فإن هذا المريض لن يشفى(٢٨٦) . كما كانوا يعتقدون « أن يوم الأربعاء فيه ساعة نحس ، وفيه ساعة حظ أيضاً »(٢٨٧) .

ويروى عن النبي (ص) أن الله تعالى « خلق النار يوم الأربعاء »(٢٨٨) ، وبأن الخراب أيضاً خُلق يوم الأربعاء(٢٨٩) . وربما كان لهذا أثر ما في تكوين المعتقد الشعبي المتعلق بيوم الأربعاء .

*يوم الخميس :

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن الجن يظهرون بكثرة مساء يوم الخميس (ليلة الجمعة) ، لذلك فإنهم يحذرون من ضرب الأولاد في تلك الليلة ، لكيلا يلمسهم الجان ويسبّبون لهم الأذى والضرر .

ومن أشهر أيام الخميس - وفقاً لمناسباته في الوسط الشعبي الفلسطيني - « خميس الأموات » وفي هذا اليوم « يجري الإحتفال بذكرى الموتى ، فتذهب النساء والأطفال لزيارة القبور ، وهنّ يحملن البيض المسلوق والمصبوغ ، والأطعمة المصنوعة بالزيت ، مثل الفطائر وما شابه ذلك ، ويأتي الأولاد والفقراء إلى القبور من أجل أن يحصلوا على ما يوزعه أقارب الموتى من طعام . ومن الناس من يوزع التين والزبيب والخبز ، وهم يعتقدون أن الطعام الذي يصل إلى الفقراء ، يصل إلى أرواح الموتى »(٢٩٠) .

وهناك ما يسمونه « خميس البيض » ، حيث يسلق البيض بماء فيه نوّار أصفر ويلعب الرجال بالبيض لعبة (مكامشة البيض) ، أو ما يسمى أحياناً « مكاسرة البيض » ، وهي لعبة معروفة ، ولديهم ما يعرف باسم « خميس البنات » ، حيث « تذهب البنات غير المتزوجات في هذا اليوم الى البرّيّة لجمع الأزهار ويقلن « طقّش ونتّش ، شو دوا الراس يا شجرة ؟ » ثم يقمن بترك الزهور في الماء تحت نجوم السماء في الليل ، لتمارس تلك النجوم تأثيرها عليها ، ثم تغسل كل فتاة شعر رأسها بذلك الماء المنجَّم »(٢٩١) .

وهناك ما يعرف باسم « خميس البقرات » أو « جمعة الحيوانات أو جمعة المُغْرَة » حيث « تُصبغ الحيوانات في هذا اليوم الإحتفالي بوضع المغرة بين القرون ، وكذلك على إلية الحيوان ، ويُعلن هذا اليوم يوم عطلة للحيوانات ، ولا تحلب البقرات ليلة ذلك اليوم الإحتفالي أو صباح ذلك اليوم ، بل يتم الحلب عند الظهر . وتصبغ جرار الحليب والزبدة أيضاً بالمغرة ، تمشياً مع روح البهجة الإحتفالية . وفي هذه الجمعة تتم حماية الحيوانات من الافاعي .. وفي هذا اليوم يقوم أصحاب الغنم بغسل أغنامهم وجزّ الصوف ، لأن فصل الصيف يكون قد اقترب »(٢٩٢) .

ويحظى يوم الخميس عند المسلمين في الوسط الشعبي الفلسطيني باحترام كبير ، فهو يرتبط « بالبركة من النبي الأنيس (محمد) ... وإذا حملت المرأة ليلة الجمعة جاء الولد صالحاً ، لذلك تعتبر هذه الليلة مناسبة للمارسة الجنسية عند الناس في الوسط الشعبي »(٢٩٣) .

وكانوا يتشاءمون من السفر يوم الخميس ، ويقولون في ذلك : « بيع يوم الخميس ولا تسافر يوم الخميس » . إلّا أنهم يتفاءلون بهذا اليوم بشكل عام ، فهم يصومون يوم الخميس خلال شهري رجب وشعبان(٢٩٤) .

ويقال أن الناس في الوسط الشعبي الدمشقي لا يحبذون إقامة الأعراس ليلة الجمعة ، لاعتقادهم أن عروسة الجمعة قريبة الرجعة(٢٩٥) .

***يوم الجمعة :**

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني بأن الملائكة تنتشر في أنحاء المنزل عند صلاة الجمعة ، لذلك فإن المرأة تخشى أن تكنس أرض البيت في تلك الساعة ، كي « لا تكنس » الملائكة .

كما أن النساء لا يغسلن « الثياب في البيوت يوم الجمعة » لاعتقادهن أن الغسيل في هذا اليوم « شؤم على أصحاب البيت »[٢٩٦] . وهم يعتقدون أن يوم الجمعة هو أصعب الأيام على الإنسان الذي يحتضر[٢٩٧] .

ويروى عن النبي (ص) أنه قال : « سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها ، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر »[٢٩٨] .

* الأرقام :

حظي بعض الأرقام بأهميةٍ خاصةٍ لدى سائر شعوب العالم ، وفيما يلي نستعرض بعضاً من هذه الأرقام :

* الرقم ١ :

كان الرقم « واحد » لدى الشعوب القديمة في مصر وسورية وما بين النهرين ، يرمز الى الوحدة (٢٩٩) .

* الرقم ٢ :

إن سر الوجود البشري بكامله يرتبط باثنين هما آدم وحواء ، والتزاوج واستمرار الحياة عند الانسان والحيوان له طرفان لا بد منهما ، الذكر والأنثى .

والشهادة في الشريعة الإسلامية ينبغي أن يتوفر لها اثنان .

* الرقم ٣ :

تأتي أهمية هذا الرقم ، ربما من كونه « يقترن بعدد الليالي التي يختفي فيها القمر كل شهر »[٣٠٠] ، قبل أن يظهر من جديد .

وهذا الرقم ، يعتبر لدى الناس في مختلف الأوساط الشعبية رمزاً « لظهور حل ، وللبدء بحياة جديدة في الشخص . وهو تعبير عن ظهور فكرة ، وبزوغ

إرادة في التغيير وفي الإتجاه الأرفع نحو المستقبل ، وفي التجدّد والإنبعاث »[٣٠١] .

ونحن نقول مثلا : « ناداه ثلاثاً ، ونذرتُ ثلاثة أيام صوماً . وفي « ألف ليلة وليلة » يتمنى المسكين ثلاث أمنيات .. والطبيعة كل ثلاثة أشهر تنتقل إلى جديد .. (والثالث) هو عادة الجديد ، والأقدر .. »[٣٠٢] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني نجد أن الرقم ثلاثة يعبر عن تمام الشيء ، فهم يقولون : « السيبه ما بتوقف إلا على ثلاثة » . وبأن « الثالثة ثابته » . كما يعتقدون أن الإنسان السيء إذا مات ، فإن الملكين « منكر ونكير » لا يأتيانه في قبره إلّا بعد الليلة الثالثة[٣٠٣] . وإذا أقسم بعضهم قال : « علي الطلاق بالثلاث » . ومدة الضيافة عندهم ثلاثة أيام ، فيقولون في ذلك : « الظيف ثلاثة أيام وثلث » والظيف الغالي ثلاثة أيام وليالي » . كذلك فقد كانت مدة الضيافة عند العرب ثلاثة أيام . ومعروف في الأدب الجاهلي أن « قيساً مات في اليوم الثالث على وفاة حبيبته »[٣٠٤] .

وعند العرب نجد أن « ثالثة الأثافي تنبيء عن الكمال والإتقان ، وثالثة الطلاق نهايته وقمته وخالقة حال جديد »[٣٠٥] . وفي المرويات أنه في اليوم الثالث من أحد الأشهر القمرية قتل قابيل أخاه هابيل »[٣٠٦] .

ويقال أن الملائكة قد كفنت آدم عند موته بثلاثة أثواب[٣٠٧] ، وبأن النبي (ص) قد كُفِّن في ثلاثة أثواب بيض[٣٠٨] ، وبأنه « كان يكتحل ثلاثاً ثلاثاً ، أي ثلاث مرات في كل عين »[٣٠٩] .

وفي الإسلام ، نجد أن عدة المطلقات اللواتي كبرت سنّهن ، وتوقفت دورة حيضهن ، هي ثلاثة أشهر ، لقوله تعالى : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر »[٣١٠] .

ومن المعروف أن عيد الفطر هو ثلاثة أيام . وصلاة المغرب ثلاث ركعات . وفرائض الوضوء تكون ثلاثاً ثلاثاً .

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تشير الى مكانة الرقم ثلاثة ، منها قوله تعالى : « قال آيتك ألّا تكلّم الناس ثلاث ليال سوياً »[٣١١] ، وقوله تعالى : « والمطلقات

يتربصن بأنفسهن ثلاثة قرْوء »(٣١٢) ـ و « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلّا رمزاً »(٣١٣) ، و « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج .. »(٣١٤) ؛ و « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم »(٣١٥) و « فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام » (٣١٦) .

وكان الرقم ثلاثة عند الصوفيين يرمز ويشير ـ كما يبدو ـ الى الكمال (٣١٧) وفي بعض الحكايات الشعبية العربية « يتحتم على الإنسان أن يكرر المحاولة ثلاث مرات حتى يصل الى ماء الحياة ، وأن يظل يقظاً ثلاث ليالٍ »(٣١٨) .

ويروى أن النبي يونس عليه السلام قد خرج من بطن الحوت في اليوم الثالث ، مما يجعل الرقم ثلاثة هنا يرمز إلى التجدّد أو إلى الانطلاق نحو حياة جديدة أو الدخول في مرحلة جديدة . كما أن المسيح عليه السلام تكون قيامته في اليوم الثالث ، أي بعثه بعد الموت(٣١٩) .

ولقد أكثر « الفكر المسيحي الأوروبي في العصور الوسطى من البحث عن التثليث في النفس »(٣٢٠) . وعُرف في المسيحية « الثالوث الأقدس » أي (التثليث) وقد عَرَّف « قانون الإيمان هذه العقيدة بالقول : « نؤمن بإله واحد الأب والإبن والروح القدس »(٣٢١) . لذلك فإن الرقم ثلاثة كان له أهمية كبرى في التراث المسيحي بشكل عام .

وكان الرقم ثلاثة يحتل في أوروبا « مكانة ظاهرة بين أرقامها ، فإذا دارت الخرافة حول افتداء الأسرى استُعين بثلاثة فرسان ، وإذا مات فقير شهق ثلاث شهقات ، والكنز تحرسه ثلاثة كلاب »(٣٢٢) .

والشعوب اليوغسلافية تعرف جيداً « المعتقدات القائلة بالقدرة السحرية لرقم (٣) حتى أن السلوفانيين القدامى كان لديهم إله بثلاثة رؤوس »(٣٢٣) . ونجد في الذهنية السامية عموماً كيف « يقوم أدون (أدونيس) في اليوم الثالث من الموت ، ومثله الكثير من الآلهة تعود في اليوم الثالث الى الحياة »(٣٢٤) .

*** الرقم ٤ :**

يعتبر الرقم ٤ في التاريخ الإنساني ، رمزاً للتكامل ، « فالسنة أربعة

فصول ، والجهات أربع ، وبوذا سار عند ولادته خطوة في كل من الإتجاهات الأربعة ، وفي الجنة أربعة أنهار (لبن ، عسل ، ماء ، خمر) ، والشهادة أربع كلمات (لا إله إلّا الله) ، والطيور الصوفية أربعة ، ومثلها العناصر والطبائع .. وعدد أسنان المفتاح ، وحيث أن الشهادة هي مفتاح الجنة ، فالعدد أربعة رمز للجنة ولمفتاحها »[٣٢٥] . والكعبة المشرفة تتكون من أربعة أضلاع .

وكان الرقم أربعة يرمز « إلى العالم والطبيعة والبشر »[٣٢٦] . وكثير من الحيوانات له أربع قوائم .

والشهداء - في الإسلام - على حالة إثبات وقوع الزنى ينبغي أن يكونوا أربعة :

« فاستشهدوا عليهن أربعة منكم »[٣٢٧] . والأشهر الحرم هي أربعة : « منها أربعة حُرُم »[٣٢٨] . وقدّر الله الرزق في الأرض في أربعة أيام : « وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام »[٣٢٩] .

*** الرقم ٥ :**

يرتبط الرقم خمسة في المعتقد الشعبي الفلسطيني ببعض الممارسات السحرية ، وأبرزها الحجاب الذي يطلقون عليه إسم « خمسه وخميسه » ، المستخدم لردّ العين الحاسدة عن الطفل ، وهذه التسمية في اعتقادنا مصدرها عدد أصابع اليد الواحدة (خمسة) ، إذ غالباً ما يستخدم رسم كف اليد في اتقاء شر الحسد والعين الحاسدة . وكانت الخمسة « علامة شؤم عند جميع الشعوب الشرقية .. ومنها نشأ القول التالي : خمسة بعيون الشيطان » ، ومنها أيضاً نشأت عادة رسم الكف بأصابعها الخمسة ، على مداخل البيوت ، لطرد العين الحاسدة »[٣٣٠] ، كما رأينا من قبل . ويقال أنه في اليوم الخامس من أحد الأشهر القمرية أخرج الله آدم من الجنة »[٣٣١] ، وأصيب « فيه قوم يونس ، وقُذف يوسف في الجبّ »[٣٣٢] .

*** الرقم ٦ :**

وأشهر ما يخصه ، خَلْقُ السماوات والأرض في ستة أيام[٣٣٣] .

* **الرقم ٧ :**

ربما كانت أهمية الرقم ٧ في المعتقدات الشعبية في سائر أنحاء العالم عائدة الى أن عدد الكواكب هو سبعة ، وهذه الكواكب هي : الشمس ، والقمر ، وعطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل . إلّا أن هذا الرقم « موجود بين شعوب ، وفي حضارات تجهل تمام الجهل نُظم الكواكب »(٣٣٤) .

ويقال أن هناك « سبعة أيام سيئة في كل شهر قمري »(٣٣٥) . وفي بعض مناطق فلسطين ينبغي أن يكون للعروس سبع بدلات(٣٣٦) ، ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن اليوم المناسب للحمل بعد العادة الشهرية هو اليوم السابع للعادة(٣٣٧) . وهم عندما يحرقون الشبّ الأبيض مع الشعير ، يبخّرون المصاب بالعين الحاسدة « ويطافُ عليه سبع مرات »(٣٣٨) . وكثيرون منهم يفضلون أن يتم ختان المولود الذكر في اليوم السابع لولادته . والكبائر عندهم سبع ، فيقولون : « بِصَلّي وبِعْمَل السبعه وذِمّتها » .

والرقم سبعة هو من الأرقام « الشائعة عند الشعوب الشرقية ، وكان رمزَ البركة وعلامة الكمال »(٣٣٩) . ونحن نجد عند الساميين التنين ذا الرؤوس السبعة يلدغ هرقل الصوري أثناء فتوحاته(٣٤٠) . وعند بعض الشعوب السامية « كانت حفلات الزواج تستغرق سبعة أيام ، وكانت المآتم كذلك تقام لمدة سبعة أيام »(٣٤١) . وتشير قصة « الطوفان عند البابليين عدة مرات إلى دورة من الزمن ، قوامها سبعة أيام »(٣٤٢) . وكان تحذير نوح بالطوفان قبل قيامه بسبعة أيام ، « وعندما أرسل نوح الغراب والحمامة كان كذلك بعد سبعة أيام »(٣٤٣) . وفي الطوفان كذلك ، فإن « أول يوم أشرق بالصحو كان اليوم السابع ، وكذا كان السابع هو الذي استقر فيه الفلك »(٣٤٤) . وبشكل عام ، فقد كان الرقم سبعة عند الساميين بعامة « تعبيراً عن أعظم قوة وعن كمال العدد »(٣٤٥) . وعند المصريين القدماء ، نجد أن آلهة « هاتور » التي كانت تستطيع التنبؤ بمستقبل الناس ، كان عددها سبعة »(٣٤٦) .

وابتداء من القرن الثاني الميلادي ، أخذ الرومان « باستخدام أسبوع مكوَّن من سبعة أيام » كدورة للزمن(٣٤٧) .

وكان للكواكب السبعة عند الكلدانيين (الشمس ـ القمر ـ عطارد ـ الزهرة ـ المريخ ـ المشتري وزحل) ، آلهة سبعة ، لكل كوكب إله على جانب عظيم من الأهمية[٣٤٨] . وكان العرب إذا نكس أحدهم في مرضه أخذوا له دهناً من سبع دور ودهنوا به رأسه »[٣٤٩] . وإذا أصابته العين « أخذوا له بول سبعة أنفس ، أحدهم حبشي وصبّوه عليه »[٣٥٠] .

ويعتقد بعض الناس في الأوساط الشعبية العربية في أيامنا أن ملوك الجن هم سبعة . كما يعتقد بعضهم أن هناك سبع آيات قرآنية كريمة تدعى « المنجيات » ، وبعضهم يطوف حول مقام الولي في المزار سبع مرات ، أو ثلاث مرات[٣٥١] ويروى عن النبي (صـ) أنه قال : « إذا شرب الكلب من إناء أحدكم فليغسله سبعاً »[٣٥٢] . وإن عدد السماوات سبع : « ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات »[٣٥٣] ولجهنم يوم القيامة ، سبعة أبواب : « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم »[٣٥٤] .

*** الرقم ٩ :**

من المؤكد أن الرقم تسعة « يدين بتأثيره الظاهر ، في أحيان كثيرة ، إن لم يكن في أغلب الأحيان ، إلى أنه ثلاثة أضعاف الرقم ثلاثة »[٣٥٥] .

*** العدد ١٠ :**

إنه عدد أصابع « الرجْلين وأصابع اليدين ، ويرمز إلى التمام »[٣٥٦] . ويقال أن النبي موسى « التقى هو و « عوج بن عناق » فوثب موسى عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع »[٣٥٧] .

*** العدد ١٣ :**

يقال أنه في اليوم الثالث عشر من أحد الأشهر القمرية « أباد الله ثروة أيوب ، وامتحنه ، وأزال الملْك من سليمان ، وفيه قتل اليهود الأنبياء »[٣٥٨] .

ويعتبر اليوم الثالث عشر من الشهر من الأيام الحُرم ، في أوربا[٣٥٩] . ويعزو « سالومون رايناخ السبب في إضافة صفات سيئة إلى العدد ١٣ ـ يعزوه

الى ما جاء في خبر العشاء الأخير »(٣٦٠) الخاص بالسيد المسيح عليه السلام . لذلك فإننا نجد « الأوروبي المتمدين يتشاءم من العدد (١٣) الى حد بعيد »(٣٦١) .

*** العدد ٤٠ :**

إن العدد أربعين يحمل جانباً من الأهمية في بعض المأثورات في الثقافة الشعبية لدى بعض المجتمعات ، مثل الشعوبالسامية ، والإغريقية والسلافية .. إلخ(٣٦٢) . ولهذا الرقم أهمية ما في التراث الشعبي الفلسطيني ، فهو يرد في العديد من المأثورات الشعبية الفلسطينية ، فهم يقولون مثلاً : «بخُلق من الشَّبَهْ أربعين » و « البدوي بوخذ ثاره ولو بعد أربعين سنه » و « البدوي قعد أربعين سنه واستدّ ثاره وقال : استعجلت » ، و «عاشر القوم أربعين يوم بتصير مثلهم » ، و « عيار الشبعان أربعين لقمة » . مما يشير إلى أن هذا العدد يرمز إلى الكمال والتمام .

و لقد ورد هذا العدد في القرآن الكريم ، في آيات عديدة ، في قوله تعالى : « وإذْ واعدنا موسى أربعين ليلة »(٣٦٣) و « قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة »(٣٦٤) ، و « فتمَّ ميقات ربه أربعين ليلة)(٣٦٥) و « حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة .. » (٣٦٦) .

*** العدد ١٠٠ :**

إن المائة « كانت أكثر ما يدور العربي في فلكها ، في طرق معيشته المختلفة ، فحسبه من الإبل مائة ، ومن الخيل مائة ، ومن القطع النقدية مائة ، أما ساعة يزيد ويتجاوز فالألف مدار أحلامه ، وتمام شؤونه »(٣٦٧) . ولعل المائة في الأصل « من الماء الذي به الحياة »(٣٦٨) .

*** النوم والأحلام :**

*** النوم :**

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقدون بأن الشخص إذا نام وهو عطشان ، فإنه سيستيقظ وفي جسمه حزازة[٣٦٩] . وكانوا يحبذون النوم إذا كان الرأس باتجاه الغرب ، أو الشمال ، ويحذرون النوم باتجاه القبلة ، أي باتجاه الجنوب ، لأن هذه الوضعية هي وضعية الميت عندما يسجى بحيث يستقبل القبلة ، حيث يتشاءمون من النوم في هذا الاتجاه . وهم يرون عدم إيقاظ الطفل إذا كان مستغرقاً في نومه ، لاعتقادهم أن ذلك قد يؤدي إلى إصابته برضوض نفسية مفاجئة نتيجة فزع الطفل ، إذ أنه يكون عندئذٍ « بأوّل تفاتيح عقله » ، ويقولون : « إنْ هدّ القوم ع القوم ، لا تفيّق ولدك من النوم » . ويعتقدون أن الطفل المستغرق في نومه ، تكون « ملائكته سارحه » ، أي أن الملائكة تحفّه من كل جانب ، فلا يجوز إيقاظه في هذه الحال ، لكي تظل الملائكة من حوله تباركه .

وتحذِّر المرأة من حمل الطفل النائم وهو ممدّد ، لأنهم يتشاءمون من هذه الوضعية التي تشبه وضعية الميّت .

* الأحلام :

إن الأحلام « ليست أمراً حديث العهد ، أو هي بدعة خاصة بعصر دون آخر ، أو شعب دون شعب ، ولكنها ملازمة للجنس البشري منذ آدم أبي البشر »[٣٧٠] ، إذ من المعتقد أن الله تعالى ألقى على آدم النعاس « فخلق منه حواء على صورته ، وأراه في منامه ذلك ، وهي أول رؤيا .. فانتبه وهي جالسة عند رأسه ، فقال له ربه يا آدم ما هذه الجالسة عند رأسك ، فقال له آدم الرؤيا التي أريتني في منامي يا إلهي »[٣٧١] .

لقد كانت الأحلام « منذ القديم ذات منزلة مرموقة في اهتمامات الانسان ، وقلّ أن كانت محاولات تفسيرها تبتعد عن المعتقدات الدينية »[٣٧٢] .

وكانت شعوب الحضارات القديمة « كما تدلنا على ذلك شواهد عدة ، ترى في الحلم حقيقةً ، بل حقيقةً تنبّؤية »[٣٧٣] . وكان كثير من البدائيين « يضفون على حقائق الحلم قوة البرهان نفسها التي يضفونها على العالم « الواقعي » »[٣٧٤] . كما كان بعض القدماء « يعتبرون الأحلام عبارة عن

رسائل موجهة الى الرائي من الآلهة . وكانت تلك الآلهة تضطلع في الأحلام بواحد من الأدوار الثلاثة التالية : إما أنها كانت تطلب من الشخص الكفارة عن إثم ارتكبه في حياة اليقظة ، أو تنذره ببعض الأخطار التي ستحدث له ، أو تجيب له على بعض الأسئلة الهامة التي يبحث عن إجابة لها » . وكما قلنا من قبل ، فإن شعوب العالم القديم كانت ترى في الحلم حقيقةً تنبؤية ، فكثير من الملوك ـ كما يحكي لنا المقريزي في خططه « يكتشفون محاولات لاغتيالهم ، في الأحلام التي يرونها ، فيعرفون طبيعة المؤامرة ، والقائمين بها ، وموعدها ... الخ »[٣٧٥] ، بل إن المقريزي يورد أكثر من هذا عندما يذكر قصصاً « عن ملوك تلقّوا بعض الخطط الحربية والتوجيهات العسكرية ، في أحلامهم ، وبعد اليقظة نفّذ تلك التوجيهات وكسب المعركة »[٣٧٦] . ويروى أن « القيصر أوغسطس مشى بين الناس يلتمس الاحسان والصدقة ، لأنه أمر بذلك في أحد الأحلام التي رآها . وكان القيصر أوغسطس يهتم بالأحلام هذا الإهتمام الكبير ، ويعتقد في صدقها ، لأن حياته قد أنقذتْ مرةً بفضل تحذير رآه صديق له في المنام . »[٣٧٧] .

ولعلّ من أشهر الرؤى المعروفة ، رؤيا ابراهيم الخليل ، حين رأى في منامه أنه يذبح ابنه اسماعيل : « يا بني إنّي أرى في المنام أني أذبحك فانظُرْ ماذا ترى »[٣٧٨] . كذلك فإن هناك رؤيا يوسف النبي : « يا أبت إني رأيتُ أحد عشرَ كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »[٣٧٩] . وهناك رؤى للرسول العربي الكريم ، ورؤيا عبد المطلب المتعلقة بحفر بئر زمزم .

كان للأحلام تفسيراتها المختلفة عند سائر الشعوب ، وكان للعرب في الجاهلية مفسّرون للأحلام « في بعض القبائل ، كانوا يشدّون الرّحال إليهم لمعرفة ما يضمر لهم الغيب من وراء رؤاهم ، من خير يُتفاءل به أو شر يتشاءمون منه »[٣٨٠] . وقد عُرف عدد من المفسّرين أيضاً لدى العرب المسلمين ، ومن هؤلاء ابن سيرين ، الذي يرى مثلًا أن من « رأى أيوب عليه السلام ، ابتلي في نفسه وماله وأهله وولده ، ثم يعوّضه الله عن كل ذلك ويضاعف له ، .. ومن رأى سليمان عليه السلام، رُزقَ الملك والعزة والعلم والفقه ، فإن رآه ميتاً على منبر أو سرير ، فإنه يموت خليفةٌ أو أميرٌ أو رئيس لا

يُعلم بموته إلا بعد مدّة »(٣٨١) . وبشكل عام ، فابن سيرين يقول أن « رؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم ، أحد شيئين ، إما بشارة وإما إنذار »(٣٨٢) .

ومن تفسيرات الأحلام في الأوساط الشعبية ، رؤية الماء في الحلم ، الذي يفسّره الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني بأنه دليل خير قادم . وكان العرب يعتبرون رؤية الماء في الحلم شيئاً مباركاً(٣٨٣) . وكان الآشوريون يعتقدون أن من يشرب الماء في الحلم يعني أنه سيعيش عمراً مديداً(٣٨٤) .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن المرأة إذا حلمت بأنها ستلد طفلاً صبياً ، فهذا يعني أن مصيبة ما ستحل بها ، فإذا ولدت بنتاً فهذا يعني أن حياة جديدة ستُمنح لها . وهم يعتقدون أن الإنسان إذا رأى في منامه فرحاً وقد ضحك فيه ، فإن هذا نذير بموت أحد معارفه ، وإذا رأى موتاً أو جنازةً ، فهذا يعني أن عمراً جديداً قد جاء له ، أو للشخص الذي رآه في منامه .

وإذا رأى أحدهم في منامه أن أحد الموتى من أقاربه أو أصدقائه يعطيه شيئاً ما ، فإنهم يفسرون ذلك بأن هناك رزقاً قادماً لصاحب الحلم ، أو سيمدّ الله في عمره . وهم يتشاءمون من رؤية الميت في الحلم وهو يأخذ من صاحب الحلم شيئاً ، ويفسرون ذلك بأن صاحب الحلم قد يتعرض للموت هو أو أحد أقاربه . وإذا رأى أحدُهم أنَّ شخصاً ما قد مات في الحلم ، فإن هذا يعني حياةً جديدةً وبأنه سيعمرّ طويلاً .

وفي الأوساط الشعبية العربية ، يرى كثير من الناس « أن الأحلام هي الوسيلة الرئيسية للقاء بين عالم الموتى وعالم الأحياء »(٣٨٥) ، ويعتقدون أن الميت قد أصبح في دار الحق ، فما يقوله في المنام فهو حق(٣٨٦) .

ويفسر الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، أن المرء إذا بكى في المنام، فإن هذا يعني الفرج لصاحب المنام . وهم يتفاءلون برؤية الحية في المنام ، ويفسّرون مثل هذا المنام بأنه فأل حسن وخير لصاحبه . ويرون أن قلع الضرس في المنام يعني الموت لصاحب المنام أو لأحد أفراد أسرته ، أما قلع « الطاحونة » في المنام فلا « خطر » من ورائه ، لأنه لا يعني سوى أن امرأة عجوزا ستموت . ويفسرون رؤية الدم في المنام ، بأن هذا المنام يعتبر

« فاسداً » ولا يُعَوَّلُ عليه في شيء ، أيْ إنه لا تأثير له على صاحب المنام .

وهم يرون أن رؤية الذهب والنقود في الأحلام ، تعني أن هناك شرّا قادماً على صاحب الحلم أو على أحد أقاربه .

والدراهم في تفسير الأحلام عند المسلمين « هو دين وعلم وقضاءُ حاجة وصلاة »(٣٨٧) ومن رأى الدراهم في الحلم « فإنه يتم له أمر الدين والدنيا .. وردُّها الى صاحبها « شهادة بالحق والصحة .. وربما كان الدرهم الواحد ولداً »(٣٨٨) .

وفي فلسطين ، كان الناس في الوسط الشعبي يرون أن من يرى « السفرجل » في منامه فإن ذلك يعني شراً ، لأن التفسير الشعبي لهذه الرؤيا هو الرحلة ، أو الشجار أو الفراق ، على اعتبار أن أصل الاشتقاق كلمة « سفرجل » هو « سفر ـ وجله » ، السفر معروف ، وجله (جلا) تعني الهجرة (هاجر رحل) .

كذلك فإن رؤية « الخروب » في الحلم تعني مصيبةً وهَدْماً وموتاً وضياعاً ، باعتبار أن كلمة « خروب » ذات علاقة بفعل « خرب » بمعنى « تهدَّم » .

ورؤية الخبز ـ العيش ـ في الاحلام تعني لهم حياةً طويلةً وغنى ، لأن المصدر هو فعل « عاش » .. وإن رؤية الارز « الرّز » في الأحلام ، تعني لهم الحظ السيء والمصيبة ، لأن لكلمة « رزّ » علاقةً ما « لفظياً » بكلمة « رزيّة » وهي المصيبة . ورؤية الزيتون في الحلم تعني ضوء الأمل ، ومصدر هذا الاعتقاد فيما نرى هو الأمل الذي حمله غصن الزيتون الى نوح بأن الطوفان قد انتهى وبأن برّ الأمان والسلام قد بات قريباً .

ورؤية البندق في الحلم تعني : الغريب ، وغير الشرعي ، لأن لهذه الكلمة « البندق » علاقةً ما بكلمة (البندوق) وهو الطفل غير الشرعي((٣٨٩)) .

وإذا رأى أحدهم في المنام سمكةً فإنهم يعتقدون أن ذلك يعني « رزقاً » سيأتي لصاحب المنام . وكانوا يرون في الكابوس الذي يصيب النائم ، ويسمونه (أبو رابوص) ، أن أبو رابوص هذا قد نام على صدر النائم ، وقيَّد أعضاءه ، فلا يستطيع حراكاً إلا بعد مدة وبمساعدة رفسةٍ . يوجهها له أحدهم ، أو يساعده

أحدهم كي يستيقظ .

وبعضهم يضع قطعة صغيرة من الخبز تحت مخدّته (وسادته) ، لاعتقادهم أن ذلك يقي المرء من الكوابيس المزعجة ، وهم يتخذون هذا الاجراء بشكل خاص للأطفال .

* الألوان :

تُمثل الألوان المختلفة لدى الأوساط الشعبية في سائر المجتمعات البشرية ، رموزاً ودلالات متنوعة ذات صبغة إعتقادية .

* اللون الأبيض :

فاللون الأبيض يُعتبر رمزاً للنقاء والصفاء ، والطهر ، والأمل ، والسلام . وهذا اللون في الإسلام هو « لون رداء الإحرام ، لأداء مناسك الحج ، والطواف حول الكعبة ، والوقوف على جبل عرفات ، وهذا الرداء الأبيض البسيط غير المخيط ينّم عن حالةً من الطهر والنقاء ، وخلوص النفس وهي في رحاب خالقها ، من أدران الدنيا وذنوبها ومفاسد الحياة ومعاصيها »(٣٩٠) . ويوصف القلب الطيب بأنه أبيض ، وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يقولون : « قلبه أبيض » . وفي مناسبات الفرح « بات من الأعراف المستحبة ، إهداء الورد الأبيض ، دلالةً على الصفاء والطهر »(٣٩١) ، وقد أصبح « من التقاليد الإجتماعية البهيجة أن ترتدي العروس الحلّة البيضاء ليلة زفافها »(٣٩٢) . والعرب يقولون « أبيض الكبد ، لاعتقادهم أن الكبد هو موطن الضغائن والأحقاد ، وقولهم : « بيّض الله وجهك » دعاء لك بالفلاح لتغدو مرفوع الرأس وتحظى بتقدير الناس ، و « له علينا يدٌ بيضاء » أيْ فضلُه علينا لا يُجحد ونعمته مشكورة ، ومن هذا القبيل أن يوصف المرء بأنّ (صفحته بيضاء) أي ماضيه نظيف ، وسجلُه خالٍ مما يُشين ويعيب . وحظه أبيض ، أي أتتْه النعمة والخير من حيث لا يحتسب . والكذبةُ البيضاء هي الممازحة التي لا تورث أذى ولا تلحق ضرراً ، وقد تثير بهجةً وتنقذ من حرج . والإنقلاب الأبيض هو قلب نظام الحكم السائد في بلد دون حاجة الى عنف أو إراقة دم »(٣٩٣) .

وقد يكون اللون الأبيض في بعض الحالات رمزاً لأصحاب النعيم في اليوم الآخر : « يوم تبيَض وجوه وتَسْوَدُّ وجوه »(٣٩٤) ، « وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله »(٣٩٥) . كما توصف الكأس التي يشرب منها أصحاب الجنة ، بأنها بيضاء « يُطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشاربين »(٣٩٦) .

إلّا أن اللون الأبيض قد يكون رمزاً لأمور تسوء المرء ، فقد تبيَض عينا المرء إذا أصابه حزن عميق : « وابيَضت عيناه من الحزن فهو كظيم »(٣٩٧) ، وكذلك قد يكون اللون الأبيض رمزاً للشيخوخة وانقضاء عمر الشباب ، من خلال الشيب الأبيض الذي يحلّ في شعر الرأس .

وهكذا فإنّ اللون الأبيض « يعني بوجه عام الطهر والنقاء والخير والسلام »(٣٩٨) وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، نجد أن اللون الأبيض يحمل تلك المدلولات والرموز ، فهو يرمز الى الخير ، ويوضح ذلك اعتقادهم بأن العين الدورية ، التي تفيض تارةً وتجفَ تارة أخرى ، تسكنها روحان ، إحداهما بيضاء ، هي التي تسبب انسياب الماء من العين ، أي أن هذه الروح البيضاء هي مصدر الخير والعطاء .

واللون الأبيض عندهم ـ حسب اعتقادهم ـ هو لون لباس الجان المتدينين والصالحين . من هنا فإن هذا اللون يمثل الإيمان ويرمز الى صلاح الأعمال والتقوى .

وكان الكثيرون منهم يعلقون « رايةً بيضاء على ظهر البيت ، وذلك تيمُّناً براية الرسول محمد (صـ) البيضاء »(٣٩٩) .

وكثيرون منهم يفضلون الفتاة ذات البشرة البيضاء ، فيقولون في ذلك : « خُذْها بيضا ولو انها مجنونة » .

وهم يرون أن اللون الأبيض هو رمز الحظ السعيد ، والمولود الذكر ، إذْ قد تدعو المرأةُ للمرأةِ المتزوجة بأن يرزقها الله بصبي ، قائلةً : « الله يبيضَ بختك » . كما أن اللون الأبيض عندهم يعتبر رمزاً لنقاء العرْض وصفاء الشرف ، ويعبرون عن ذلك بقولهم : « عرض فلانه أبيض مثل الثلج » و

« عرضها أبيض من حمام مكة » ، لأنّ حمام مكة أبيض اللون في غالبيته ، إضافة الى ما يمثله هذا الحمام من الطهر والقدسية .

وكان للّون الأبيض عند العرب مدلولات كثيرة خاصة ، فمثلًا كانت الشاة المؤهَّلة لعبادة بعض العرب ، ذات لون أبيض(٤٠٠) . وكان العرب يعتبرون أيَّ شيء أبيض يراه الإنسان في منامه ، مباركاً(٤٠١) .

وكان اللون الأبيض رمزاً للحزن لدى الصينيين ، كما عُرف عن عرب الأندلس أنهم « اتخذوا الثياب البيض دلالةً على الحداد ، وما زال المسلمون في أقطار المغرب على ما كان عليه جدودهم في هذه الأحوال »(٤٠٢) .

واللون الأبيض هو لون لباس سلاح البحرية في معظم دول العالم ، إن لم يكن كلها . ويرمز اللون الأبيض الى القتال القريب في الحروب لدى جيوش العالم ، فيقال مثلًا أن القتال جرى واستُخدم فيه السلاح الأبيض ، ولم تطلق النار .

ومن الأسماء التي اتخذت اللون الأبيض أو عُرفت به ، نذكر : البحر الأبيض المتوسط ، والنيل الأبيض ، ومدينة البيضاء في ليبيا ، والدار البيضاء المغربية . وقديماً « كان قصر كسرى في فارس يعرف باسم القصر الأبيض »(٤٠٣) .

ومعروف أنَّ « الليلة البيضاء هي التي تحفل بالسعادة والهناء ، ومثلها في التعبير الأدبي أيام غرّاء ، أيْ هي مشرقة حافلة بالأمجاد »(٤٠٤) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كان الناس يعرفون ما يسمى بـ « الشهور البيض » وهي رجب وشعبان ورمضان .

* اللون الأسود :

يمثل هذا اللون في الوسط الشعبي الفلسطيني ، عنصر الشر ، فمثلًا كان الناس يعتقدون أن العين الدورية تسكنها روحان إحداهما روح سوداء شريرة ، تسبب انقطاع مياه العين وجفافها . كما أن الجان ـ حسب المعتقد الشعبي الفلسطيني ـ قد يظهرون في صورة قط أسود أو كلب أسود أو معزى سوداء .

واللون الأسود عندهم هو لون الحزن ، ولون ثياب الحداد ، وهو رمز الموت ، وهم يقولون « سواد يجلِّلك » للدعاء على المرء بالموت . والمرء قد يكون « سويد وجه » أو « أسود رأس » أو « سويد راس » ، وهناك أعمال مشينة « بتَسَوِّدِ الوجه » ، والناس الذين يفشلون في عمل ما أو في مهمة ما يطلعون « بسواد الوجه » . وكان اللون الأسود عند الساميين هو رمز اللعنة ، تلك اللعنة التي أنزلها نوح على ابنه حام عندما غضب عليه ، ويعزى سواد لون الحاميين الى تلك اللعنة(٤٠٥) وكان العربي « يكره اللون الأسود ، لهذا كان يستفزّه ظلام الليل ، فيصبح ثقيل الوطأة على نفسه »(٤٠٦) ، ولذلك فإن اللون الأسود كان لدى العرب مدعاة للتشاؤم . وقد يرمز اللون الأسود الى الخطيئة ، ويقال بأن الحجر الأسود ، عندما نزل من الجنة كان « أشدَّ بياضاً من اللبن ، فسَوَّدَتْهُ ـ كما ذُكر ـ خطايا البشر »(٤٠٧) . واللون الأسود كان كثير « الشيوع في ربوع العرب بسبب سطوع شمسهم . والسُمرة تتردد على ألسنة شعرائهم حين ينعتون الرماح بأنها سمر ، وفي غزلهم حين يصفون الحبيبات بأنهن أيضاً سمراوات »(٤٠٨) .

وكان العربي إذا رأى شيئاً أسود في الحلم ، اعتبره شيئاً مشؤوماً(٤٠٩) . وقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تشير الى اللون الأسود الذي يرمز إلى سوء العاقبة : « فأما الذين اسودَّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم »(٤١٠) وقوله تعالى : « يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه »(٤١١) .

واللون الأسود هو لون التجهّم والغضب والحزن وعدم الرضا : « وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودّاً وهو كظيم »(٤١٢) .

وفي بعض الأقطار العربية ـ كمصر ـ يدعو اللون الأسود إلى التفاؤل في بعض الأحيان ، فالرجل « الأسود الطويل القامة ، يجلب الحظ للأسرة بمجرد أن يخطو عتبة الدار »(٤١٣) .

وبعض الناس يعتبر اللون الأسود « رمزاً للنور والحياة الكافيين »(٤١٤) . ويمثّل اللون الأسود عند الأوروبيين الشرَّ والأذى ، إذْ أنّ العين الحاسدة في اعتقادهم هي العين السوداء .

واللون الأسود كذلك ، « يشير الى الظلام والعبودية والظلم واليأس »(٤١٥) . وقد وُصف اليوم « العصيب بأنه أسود »(٤١٦) . والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعبّرون عن حالة اليأس بقولهم : « اسودّت الدنيا بوجهُه » . أما « الليلة السوداء فهي الممتلئة بالهموم والآلام »(٤١٧) .

ويقال عن المرءِ أنه « أسود القلب ، أيْ قاسٍ حقود لئيم ، وأسود الوجه ، أي خاسر منبوذ بعد انكشاف طويته وافتضاح أمره . وحظّه أسود ، أي يفوته الخير والنجاح برغم دأبه وسعيه ، ... ويقال راودته أفكار سوداء ، أي غلبه التشاؤم والغمّ وأخذ يهم سلوك الدروب الوعرة ويتوهّم أموراً سيئة »(٤١٨) .

وممّا سمي « بالأسود » يُذكر على سبيل المثال : البحر الأسود الذي يقع بين تركيا وروسيا ، وثمة « نهر كبير في أمريكا الجنوبية إسمه النهر الأسود وهو واحد من أنهار البرازيل وقد حملتْ اسمَه أيضاً مدينة النهر الأسود بولاية بارانا »(٤١٩) . ويقال « الوباء الأسود للطاعون ، الذي يحمل الموت الزؤام »(٤٢٠) .

* اللون الأخضر :

لعل الناس يتفاءلون باللون الأخضر باعتباره لون النبات الذي يبهج النفس ويبعث فيها الارتياح والطمأنينة والأمان .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يرمز اللون الأخضر الى الإيمان والخير والتقوى ،وهم يعتقدون أن الجان المؤمنين ، يمكن أن يرتدوا اللباس الأخضر .

واللون الأخضر هو لون النفس المتفتّحة التوّاقة إلى الزواج ، فهم يقولون « نفسه خضرا » للرجل العجوز الذي يتوق للزواج .

واللون الأخضر عندهم هو رمز التفاؤل أحياناً ، فإذا انهمر المطر أثناء زفاف العروس إلى عريسها ، قالوا بأنّ « إجرْها خضرا » أو « كعبها أخضر » ، وهم يتفاءلون بهذه العروس ، ويعتبرونها فألًا حسناً ، وبأنّ الخير سيكون « على وجهها » .

وكان العرب يتفاءلون باللون الأخضر ، ومن مسمّياتهم يذكر الفرس

الخضراء ، وهي فرس ذياب بن غانم « بطل العرب الجنوبيون اليمنيين وقاتل الزناتي خليفة ، المسماة بـ « الخضرا »[٤٢١] .

ويعتبر اللون الأخضر « اللون الأثير في الشرق ، وهو أكثر الألوان شيوعاً في أعلام الدول العربية والدول الإسلامية . إنه بادٍ في أستار كعبتها ، وعلى أضرحة أوليائها ، وفي قباب عدد من مساجدها ، وعمائم فئات من مشايخها . فهذا اللون ينطوي على هالة محببة في نفوس المسلمين ، تكوَّنت حوله على مرّ العصور ، وفي الوقت نفسه بمثابة رمز للجنة التي وُصفت بهذا اللون في القرآن الكريم ، ووعد الله بها عباده المتّقين »[٤٢٢] ويقال إن السماوات والأرض كانت في الأصل جوهرة خضراء[٤٢٣] . وكان العربي إذا رأى في منامه شيئاً أخضر ، فإنه يعتبر ذلك مباركاً »[٤٢٤] . وإن أهل الجنة في الجنة يتكئون على بُسُط خضراء : « متكئين على رَفْرَف خضر .. »[٤٢٥] ، ولباسهم كذلك ذو لون أخضر من الحرير الرقيق : « عاليهم ثياب سندس خضر »[٤٢٦] ، إضافةً الى الثياب الحريرية السميكة : وكان اللون الأخضر في بعض الأحيان يرمز الى الحزن ، فلقد كان من عادة « الفاطميين أن وليّ العهد كان يرتدي حلةً خضراء إثر موت الخليفة ، وهي لباس الحداد ، ثم يخلعها ويبدلها عند مبايعة الرعية له ، ويرتدي ثوب الخلافة »[٤٢٧] .

ويرمز اللون الأخضر الى العيْش ، الذي وُصف « بأنه أخضر »[٤٢٨] . كما قد يرمز هذا اللون في أيامنا هذه إلى الأمان والسلامة ، وتعبر عن ذلك الإشارة الضوئية الخضراء التي تستخدم في تنظيم المرور .

وقد يرمز اللون الأخضر إلى الجود والكرم ، فقد كان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يضعون صحناً أخضر اللون ، إما على بوابة البيت أو في أعلى السقف ، للدلالة على هذا الرمز[٤٢٩] .

وفي الأوساط الشعبية الأوروبية يمثل اللون الأخضر « لون الموت للكائنات السفلية » ، لأنهم يعتقدون أن أرواح الموتى تلبس الأشجار ، وتتخذ اللون الأخضر الذي هو « لون التربة التي تحمل أشجار الفاكهة »[٤٣٠] .

ويمثل اللون الأخضر في بعض الجيوش رمزاً لسلاح المشاة[٤٣١] .

* اللون الأزرق :

إنّ اللون الأزرق ـ في الوسط الشعبي الفلسطيني ـ هو اللون المستحب في الأشياء التي تستخدم لردّ العين الحاسدة عن الإنسان ، وبشكل خاص الأطفال . فالخرزة التي توضع على صدر الطفل مثلًا ينبغي أن تكون زرقاء ، وكفّ اليد ينبغي أن يكون هو الآخر أزرق اللون ، وذلك لأن العيون الحاسدة في المعتقد الشعبي الفلسطيني هي العيون الزرقاء ، فيجب أن تستخدم أشياء زرقاء لردّ أذاها . وهم يطْلون « الواجهة الخارجية للبيت بمحلول الجير والنيلة ذات اللون السماوي ، وقد تُطلى أطراف الشبابيك أيضاً من الخارج بنفس المحلول ... إنَّ اللون الأزرق الخفيف الذي يبعثه لون النيلة ، يساعد في ردّ العين الحاسدة ، كما يعتقدون .. »(٤٣٢) وقد ينقش بعضهم وجه الطفل الوليد « بنيلة زرقاء ، خوفاً عليه من العين »(٤٣٣) . ويرمز اللون الأزرق عندهم إلى اللؤم واللئيم ، فيقولون : فلان « عظمُه أزرق » . وقد يرمز هذا اللون أحياناً الى الحظ التعيس : « نيله تْنَيِّلْ بَختَك » .

وقد يكون اللون الأزرق عند البعض رمزاً للحزن والحداد ، فقد أورد « إبن الخطيب أن لباس الحزن في غرناطة بالأندلس كان أزرق اللون »(٤٣٤) .

واللون الأزرق هو لون وجوه العصاة يوم القيامة : « يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقاً »(٤٣٥) .

وقد يكون اللون الأزرق هو لون ملابس رجال سلاح الطيران في بعض الجيوش . ومما سُمي بالأزرق يُذكر : النيل الأزرق ، وسمي بهذا الإسم كما يقال « لأن مياهه قريبة من لون الكحل أو صبغة النيلة وهي الزُرقة القاتمة »(٤٣٦) ، ومدينة « الزرقاء » في الأردن .

* اللون الأحمر :

يمثل اللون الأحمر ـ في الوسط الشعبي الفلسطيني ـ أحياناً ، الشر والكفر ، فالجان الذين يرتدون اللباس الأحمر ، من وجهة نظر المعتقد الشعبي هم من الكفار ، وهم أكثر شراً وأذى من سواهم . وهم يعتقدون أن المرأة التي ترتدي

دوماً الثياب ذات اللون الأحمر ، تكون مغرورة بنفسها .

وبعض الناس في الأوساط الشعبية العربية ، عندما يحضّرون « الحجاب » الخاص بمنع العين الحاسدة ، فإنهم يختارون لذلك « السختيان الأحمر »(٤٣٧) .

وكان العربي إذا رأى شيئاً أحمر اللون في حلمه ، تشاءم منه(٤٣٨) . وكان اللون الأرجواني الضارب الى الحمرة لون لبس الملوك والأغنياء »(٤٣٩) . ومن تمام الأبهّة « لدى استقبال الملوك والرؤساء ، مدُّ بساط طويل أحمر ، إعظاماً لشأن الضيف الكبير ، حين تطأ قدماه أرضَ البلاد ، ويبدو أن ذلك العرف كان معهوداً في القديم على نحو ما ، وقد أشار إليه المتنبي في وصف دخول موفد بيزنطة على سيف الدولة في قصره بحلب »(٤٤٠) . واللون الأحمر هو لون الدم ، لذلك فإنه قد يوحي أو يرمز إلى الخطر . وقد يوصف الموت أحياناً بأنه أحمر : « موت أحمر » . كما قد يوصف الحرّ الشديد صيفاً بالأحمر ، وكذلك لون جهنم « جهنم الحمرا » .

واللون الأحمر في الوسط الشعبي الفلسطيني هو رمز للغضب أحياناً ، فيقولون : « احمَّرت عينُه » ، أو « عينُه حمرا » أي إنه غاضب ومتحفز للقتال والأذى والشر . وربما كان هذا اللون أيضاً هو لون الخجل والحياء : « احمّر وجهه » . ويرمز أحياناً إلى الحسم والحزْم : « فَرْجاه عين حمرا » .

وممن تسمّوا بالأحمر : أسرة بني الأحمر « التي حكمت آخر دويلات الأندلس .. وقد تركت دولة بني الأحمر واحداً من أروع المنشآت العمرانية في غرناطة ، أطلق عليه أيضاً اسم قصر الحمراء »(٤٤١) . وهناك ما يطلق عليه اسم « الليالي الحمراء » وهي « تعني لدى الناس السهر الماجن ، وما ينطوي عليه من شراب وفسق »(٤٤٢) . كما يعبّر اللون الأحمر عن الحبّ والهيام(٤٤٣) .

* اللون الأصفر :

يرمز اللون الأصفر - في الوسط الشعبي الفلسطيني - أحياناً إلى الخبْث

والخبيث ، وهم يقولون في وصف الخبيث : « جلده أصفر » . كما أن هذا اللون هو لون المرض : « وجهه أصفر » و « وجهه مثل الليمونة » . والضحكة الكاذبة اللئيمة هي صفراء اللون : « ضحكتُه صفراوية » لا تخرج من القلب .

وقد يوصف الوباء بأنه « أصفر » لا سيما وباء الكوليرا .



نارام سين حفيد سرجون يحارب اللولوبي

هوامش الفصل الرابع

(١) (٢)(٣) نمر سرحان ـ إحياء التراث الشعبي ـ دار فيلادلفيا ـ عمان .
(٤) (٥) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٧٨م .
(٦) نمر سرحان ـ مصدر سابق .
(٧) (٨) ه . ي . ديل ميديكو ـ اللآلىء من النصوص الكنعانية ـ تعريب مفيد عرنوق ـ منشورات مجلة « فكر » ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٨٠م .
(٩) أحمد علي البوني ـ شمس المعارف ولطائف العوارف .
(١٠) سحر بارنوخ ـ السر الأكبر للساحر السوداني بارنوخ ـ طبعة شعبية ـ دمشق .
(١١) محمود أبي المواهب الخلوتي ـ مفاتيح الكنوز في حل الطلاسم والرموز ـ طبعة شعبية ـ دمشق .
(١٢) (١٣)سحر بارنوخ ـ مصدر سابق .
(١٤) الدكتور ابراهيم بدران ، والدكتورة سلوى الخماش ـ دراسات في العقلية العربية ـ دار الحقيقة ـ بيروت ١٩٧٩م ـ ص ٢٣٣ .
(١٥) محمود سليم الحوت ـ في طريق الميثولوجيا عند العرب ـ دار النهار ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ـ ص ٢٣٥ .
(١٦) (١٧)مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ١٨ .
(١٨) الدكتور محمد الجوهري ـ علم الفولكلور ـ الجزء الثاني ـ دار المعارف ـ القاهرة الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠م ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .
(١٩) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ١٨ .
(٢٠) (٢١)ألكزندار هجرتي كراب ـ علم الفولكلور ـ ترجمة رشدي صالح ـ وزارة الثقافة مؤسسة التأليف والنشر ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٧م ـ ص ٣٧ .
(٢٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ عدد خاص ـ ١٩٧٤م ـ ص ٩ .
(٢٣) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ١٧ .
(٢٤) ألكزندار هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٤٥٢ .
(٢٥) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ١٦ .
(٢٦) الدكتور عمر بن عبد الرحمن الساريسي ـ الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٨٠م ـ ص ٦٨ .
(٢٧) أنظر : مجلة « المورد » العراقية ـ المجلد الثامن ـ العدد الرابع ـ ١٩٧٩م ـ ص ٥٩٠ ـ ٥٩١ .
(٢٨) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٢٩) ألكزندار هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٤٣٨ .
(٣٠) (٣١) نمر سرحان ـ مصدر سابق ـ ص ٩٥ ـ ٩٦ .
(٣٢) (٣٣)(٣٤)(٣٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد السادس ـ أيار ـ ١٩٧٥م ـ ص ١١٩ ، ١٢٢ ، ١١٨ .
(٣٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ ١٩٧٦م ـ ص ٢٠ ـ ٢١ .
(٣٧) يسرى جوهرية عرنيطة ـ الفنون الشعبية في فلسطين ـ مركز الأبحاث في م. ت. ف ـ ١٩٨٦م ـ ص ١٩٥ ـ ١٥٩ .
(٣٨) مجلة «التراث والمجتمع» ـ العدد الثاني عشر ـ ١٩٧٩م ـ جمعية إنعاش الأسرة ـ البيرة ـ ص ٣٣ .
(٣٩) (٤٠)(٤١)(٤٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد السادس ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٨ .
(٤٣) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الثامن ـ تشرين ثاني ـ ١٩٧٥م ـ ص ٣٠ .
(٤٤) (٤٥)(٤٦)(٤٧) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد السادس ـ مصدر سابق ـ ص ١١٦ .
(٤٨) (٤٩) أنظر : مختار الصحاح ـ ص ٧٩ و ١٢٣ .
(٥٠) (٥١) ألكزندار هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٠٧ .
(٥٢) الدكتور خليل أحمد خليل ـ نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩م ـ ص ١٠ .
(٥٣) ألكزندار هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٠٨ .
(٥٤) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٤٩٢ .
(٥٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد السادس ـ مصدر سابق ـ ص ١١٦ .
(٥٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد التاسع ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦ .
(٥٧) (٥٨)(٥٩) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد السادس ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٠ ـ ١٢١ و ١١٧ و ١١٨ .
(٦٠) مجلة «التراث والمجتمع» ـ العدد الثاني عشر ـ ١٩٧٩م ـ ص ٢٢ .
(٦١) الدكتور إبراهيم بدران ـ مصدر سابق ـ ص ٢٤٩ .
(٦٢) (٦٣) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٢م ص ٦٢ و ٣٨٣ .
(٦٤) معجم الأساطير اليونانية والرومانية ـ إعداد سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٨٢م ـ ص ٣٢٤ .
(٦٥) (٦٦) مجلة «التراث والمجتمع» ـ العدد الثاني عشر ـ ١٩٧٩م ص ٢٢ ـ ٢٣ .
(٦٧) (٦٨)(٦٩) القرآن الكريم ـ سورة الفلق ـ الآية /٥ ـ وسورة النساء ـ الآية/ ٥٤ ـ وسورة البقرة ـ الآية/ ١٠٩ .
(٧٠) صحيح البخاري ـ المجلد الرابع ـ الجزء السابع ـ ص ٢٤ .
(٧١) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد العاشر ـ ١٩٧٦م ـ ص ١٣٢ .
(٧٢) (٧٣) الدكتور إبراهيم بدران ـ مصدر سابق ـ ص ٢٤٩ ، ٢٥١ .
(٧٤) (٧٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد الثاني عشر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٧٦م ص ٩ ، ٧ .
(٧٦) أنظر : مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد السادس ـ أيار ـ ١٩٧٥م ـ ص ١٢٠ .

(٧٧) الدكتور ابراهيم بدران. مصدر سابق ـ ص ٢٥١ .
(٧٨) (٧٩) ألكزندار هجرتي كراب. مصدر سابق ـ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .
(٨٠) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الثاني عشر. مصدر سابق ـ ص ١٣ .
(٨١) أنظر : مجلة «التراث والمجتمع» .العدد الثاني عشر .مصدر سابق. ص ٣٠ ـ ٣١ .
(٨٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الثاني عشر. ص ٨ ـ ٩ .
(٨٣) (٨٤) د . عمر عبد الرحمن الساريسي. مصدر سابق ـ ٢٥١
(٨٥) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الثامن. تشرين ثاني ـ ١٩٧٥م
(٨٦) أنظر : الدكتور محمد الجوهري .مصدر سابق. ص ٥٨٠
(٨٧) مجلة «التراث والمجتمع» .العدد الخامس .١٩٧٦م ـ ص ٩٧
(٨٨) (٨٩) مجلة «التراث والمجتمع» .العدد الثاني عشر .مصدر سابق. ص ٣٢
(٩٠) الدكتور ابراهيم بدران. مصدر سابق ـ ص ٢٤٩
(٩١) (٩٢)(٩٣) ألكزاندر هجرتي كراب. مصدر سابق ـ ص ٣٤٧
(٩٤) (٩٥) د . عمر عبد الرحمن الساريسي. مصدر سابق ـ ٢٥١
(٩٦) مجلة «التراث والمجتمع». العدد الثاني عشر ـ مصدر سابق ـ ص ٢٤ ـ ٢٥
(٩٧) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية. العدد الاول ـ كانون ثاني ١٩٧٤م ـ ص ٦٠
(٩٨) (٩٩) أنظر : مجلة «التراث والمجتمع». العدد الثاني عشر ـ مصدر سابق ـ ص ٢٤ ـ ٢٥
(١٠٠) (١٠١)(١٠٢)(١٠٣)(١٠٤) المصدر السابق. ص ٢٤ ـ ٢٥
(١٠٥) د . عمر عبد الرحمن الساديسي .مصدر سابق. ص ٢٥١
(١٠٦) (١٠٧) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية. العدد العاشر ـ ١٩٧٦م ـ ص ١٢٨
(١٠٨) الدكتور محمد الجوهري. مصدر سابق ـ ص ٥٤٥
(١٠٩) أنظر : مجلة «التراث والمجتمع». العدد الثامن. ١٩٧٧م ـ ص ٥٠
(١١٠) (١١١)(١١٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية .العدد الثامن. تشرين ثاني ـ ١٩٧٥م .ص ١٣٠ ـ ١٣١
(١١٣) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثاني عشر ـ ص ٣٣ .
(١١٤) (١١٥)(١١٦) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ص ٨٩ ـ ٩٠ .
(١١٧) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الثاني عشر ـ تشرين ثاني ـ ١٩٧٦ م ص ٧ ـ ٨ .
(١١٨) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثامن ـ مصدر سابق ص ٥٠ .
(١١٩) الدكتور علي زيعور ـ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٤٧ .
(١٢٠) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الخامس ـ مصدر سابق ص ٩٧ .
(١٢١) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢ .
(١٢٢) صحيح البخاري ـ المجلد الرابع ـ الجزء السابع ـ ص ١٢ .
(١٢٣) الدكتور إبراهيم بدران ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥٢ .
(١٢٤) ألكزندار هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٤٩ .
(١٢٥) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثاني عشر ـ مصدر سابق ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(١٢٦) الشعير المقري : ـ هو الشعير الذي يُقرأ عليه المولد النبوي الشريف في عيد المولد ، ويكون عادةً تحت الفرشة التي يجلس عليها الشيخ .

(١٢٧) (١٢٨) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد السادس ـ أيار ١٩٧٥ م ص ١٢٠ .
(١٢٩) (١٣٠) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الثامن ـ تشرين ثاني ١٩٧٥ م ـ ص ١٢٩ .
(١٣١) ترمسعيا ـ مركز الأبحاث في م.ت.ف وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الكويت ١٩٧٣م ـ ص ١٦١ .
(١٣٢) (١٣٣) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثاني عشر ١٩٧٩ م ـ ص ٢٧ .
(١٣٤) المخرِّج : هو الشخص الذي يرقي المريض (يخرِّج عليه) ، أي يقرأ له التعويذة .
(١٣٥) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثامن ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٩ .
(١٣٦) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الرابع ـ كانون أول ١٩٦٩ م ـ ص ١٨ .
(١٣٧) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٦٠ .
(١٣٨) الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ الجزء الثاني ـ ص ٤٨ .
(١٣٩) شهاب الدين العسقلاني ـ الإصابة في تمييز الصحابة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ المجلد الأول ـ ص ٦٢ .
(١٤٠) (١٤١)(١٤٢)(١٤٣) القرآن الكريم ـ سورة الصافات ـ الآية/١٢٣ ـ وسورة الأنعام ـ الآية/٨٥ ـ وسورة الكهف ـ الآية/٦٨ و ٧٨ .
(١٤٤) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الرابع ـ كانون أول ـ ١٩٦٩ م ـ ص ١٨ .
(١٤٥) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ الجزء الرابع ـ القسم الثاني ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ .
(١٤٦) (١٤٧) نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ـ ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(١٤٨) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الرابع ـ كانون أول ـ ١٩٦٩ م ـ ص ٢٥ .
(١٤٩) (١٥٠) قاموس الكتاب المقدس ـ مكتبة المشعل ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ١٩٨١ م ـ ص ١٤٤ .
(١٥١) نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(١٥٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد السادس ١٩٨٠ م ـ ص ٦٥ ـ ٦٦ .
(١٥٣) مصطفى مراد الدباغ ـ مصدر سابق ـ ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ .
(١٥٤) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ١٨٨ .
(١٥٥) المصدر السابق ـ ص ١٨٨ .
(١٥٦) مصطفى مراد الدباغ ـ مصدر سابق ـ ص ٤٦٦ .
(١٥٧) (١٥٨) الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ الجزء الأول ص ١٨٨ و ص ٢٤٠ .
(١٥٩) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الرابع ـ مصدر سابق ص ١٨ .
(١٦٠) نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ـ ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(١٦١) (١٦٢)(١٦٣)(١٦٤)(١٦٥) مجلة «التراث الشعبي» العراقية ـ العدد الرابع ـ مصدر سابق ـ ص ١٨ ، ٢٥ ـ ٢٨ .
(١٦٦) مصطفى مراد الدباغ ـ مصدر سابق ـ ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ .
(١٦٧) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٩٥٨ .
(١٦٨) (١٦٩) فردريش فون ديرلاين ـ الحكاية الخرافية ـ ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ـ دار القلم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٣ م ـ ص ٩٣ ـ ٩٤ .
(١٧٠) نمر سرحان ـ إحياء التراث الشعبي ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٢ .
(١٧١) (١٧٢) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ص ٢٦٨ .
(١٧٣) (١٧٤) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

(١٧٥) نمر سرحان. موسوعة الفولكلور الفلسطيني .الجزء الأول .الطبعة الأولى .عمان ١٩٧٧م ص ٢٩ .
(١٧٦) مجلة « التراث والمجتمع » . العدد الخامس ١٩٨٠ م . ص ٧٥ .
(١٧٧) مجلة « التراث والمجتمع » . المجلد الثالث . العدد الثاني . ١٩٧٨ م . ص ٢١٤ .
(١٧٨) أنظر : محمود سليم الحوت . مصدر سابق ص ٨٩ . ٩٠ .
(١٧٩) (١٨٠) المصدر السابق . ص ٩٠ . ٩١ عن تفسير الطبري . الجزء الأول ص ٣٤٥ . ٣٤٦ .
(١٨١) قاموس الكتاب المقدس . مصدر سابق ص ٩٥٩ .
(١٨٢) محمود سليم الحوت . مصدر سابق ص ١٠٠ .
(١٨٣) المصدر السابق . ص ٩٨ عن الدميري . حياة الحيوان الكبرى . المجلد الأول . ص ١٦ .
(١٨٤) فريدريش فون ديرلاين . مصدر سابق . ص ٩٣ .
(١٨٥) مجلة « المورد » العراقية . المجلد الثامن . العدد الرابع . ١٩٧٩ م . ص ٥٩١ .
(١٨٦) قاموس الكتاب المقدس . مصدر سابق . ص ٩٥٩ .
(١٨٧) الدكتور إبراهيم بدران . مصدر سابق . ص ٢٩١ . ٢٩٢ .
(١٨٨) مجلة « المورد » العراقية . مصدر سابق . ص ٥٩١ .
(١٨٩) الدكتور علي زيعور . مصدر سابق . ص ٢٠ .
(١٩٠) قاموس الكتاب المقدس . مصدر سابق ص ٩٦٦ .
(١٩١) (١٩٢)(١٩٣)(١٩٤) الدكتور محمد الجوهري . مصدر سابق . ص ٧٩ ، ٨٢ .
(١٩٥) د : عمر عبد الرحمن الساريسي . مصدر سابق . ص ٢٥٢ .
(١٩٦) نمر سرحان . إحياء التراث الشعبي . مصدر سابق ص ٩٧ .
(١٩٧) ترمسعيا . مصدر سابق ص ١٤٠ .
(١٩٨) (١٩٩) نمر سرحان . موسوعة الفولكلور الفلسطيني . الجزء الخامس . ص ٩٠ .
(٢٠٠) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية . العدد الثاني عشر . تشرين ثاني ١٩٧٦ م . ص ٧ .
(٢٠١) الدكتور علي زيعور . مصدر سابق ص ١٨ .
(٢٠٢) أنظر : فراس السواح . مغامرة العقل الأولى . دار الكلمة . بيروت الطبعة الثالثة . ١٩٨٢ م .ص ١٥٣ . ١٥٤ .
(٢٠٣) القرآن الكريم . سورة المائدة . الآية/٢٧ .
(٢٠٤) أنظر : هاينز كرايسيك . حكايات وأساطير من عالم الشرق القديم . ترجمة قاسم طوير . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق ١٩٨٣ م ص ١٨٦ .
(٢٠٥) هـ . ي ديل ميديكو . مصدر سابق ص ١٢٤ .
(٢٠٦) الدكتور علي زيعور . مصدر سابق . ص ٢٣ . وانظر : الطبري . تاريخ الأمم والملوك . الجزء الأول .ص ١٤٢ .
(٢٠٧) (٢٠٨)(٢٠٩)(٢١٠)(٢١١)(٢١٢) الدكتور علي زيعور . مصدر سابق .ص ٢٤ و ٢١ و ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ .
(٢١٣) (٢١٤)(٢١٥) القرآن الكريم . سورة المائدة . الآية/١٠٣ وسورة آل عمران . الآية/٣٥ وسورة مريم .الآية/٢٦ .
(٢١٦) الدكتور محمد الجوهري . مصدر سابق . ص ٧٩ . ٨٠ .
(٢١٧) القرآن الكريم . سورة الحج . الآية/٣٧ .

(٢١٨) (٢١٩) انظر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق - ص ٣٩ .

(٢٢٠) المصدر السابق - ص ٨٨ .

(٢٢١) فريدريش فون ديرلاين - الحكاية الخرافية - مصدر سابق - ص ١٢٨ .

(٢٢٢) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ٢٢ .

(٢٢٣) أنظر : الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٧٧ .

(٢٢٤) (٢٢٥) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ١٣٥ .

(٢٢٦) د . عمر عبد الرحمن الساريسي - مصدر سابق - ص ٢٥٢ .

(٢٢٧) ترمسعيا - مصدر سابق - ص ١٠٧ .

(٢٢٨) (٢٢٩) فريدريش فون ديرلاين - مصدر سابق - ص ١٢٩ و ٢٠٨ .

(٢٣٠) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٢٣١) انظر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق - ص ١٠٦ .

(٢٣٢) (٢٣٣) مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين - الجزء الرابع القسم الثاني - دار الطليعة بيروت -الطبعة الأولى ١٩٧٢ م - ص ١٠٤ .

(٢٣٤) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢٣٥) (٢٣٦) المصدر السابق - ص ٣٤٣ .

(٢٣٧) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٦٢ .

(٢٣٨) (٢٣٩)(٢٤٠)(٢٤١)(٢٤٢) فوزي العنتيل - الفولكلور ماهو ؟ دار المعارف بمصر - ١٩٦٥ -ص ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٣٤ .

(٢٤٣) مسنْد : صاعد .

(٢٤٤) مهوّد : نازل .

(٢٤٥) (٢٤٦)(٢٤٧)(٢٤٨)(٢٤٩) فوزي العنتيل - الفولكلور ماهو ؟ - دار المعارف بمصر - ١٩٦٥ -ص ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٣٤ .

(٢٥٠) نمر سرحان - إحياء التراث الشعبي - ص ١٠٦ .

(٢٥١) (٢٥٢)(٢٥٣)(٢٥٤) فوزي العنتيل - مصدر سابق - ص ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢٥٥) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٧٨ .

(٢٥٦) الدكتور عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - دار الكاتب العربي القاهرة ع ٢٠٠ - ١٥ يونيه ١٩٦٨ م - ص ٥٤

(٢٥٧) (٢٥٨)(٢٥٩)(٢٦٠) فوزي العنتيل - مصدر سابق - ص ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٣٦ .

(٢٦١) (٢٦٢) أنظر : المصدر السابق - ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢٦٣) (٢٦٤)(٢٦٥) مجلة «التراث والمجتمع» العدد الخامس - ١٩٧٦ م - ص ٦٤ .

(٢٦٦) (٢٦٧)(٢٦٨)(٢٦٩)(٢٧٠) فوزي العنتيل - مصدر سابق ص ١٣٦ ، ١٣٩ .

(٢٧١) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٥٠ .

(٢٧٢) أنظر : المصدر السابق - ص ٣٥٠ .

(٢٧٣) المصدر السابق - ص ٣٥٠ .

(٢٧٤) فوزي العنتيل - مصدر سابق - ص ١٢٨ .

(٢٧٥) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٨٩ .

(٢٧٦) ترمسعيا ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٦ .
(٢٧٧) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ص ٢٠ .
(٢٧٨) د . عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥١ .
(٢٧٩) مجلة « العربي » الكويتية ـ العدد رقم ٢٨٣ ـ يونيو ١٩٨٢ م ـ ص ١٣٥ .
(٢٨٠) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ص ٢٣ .
(٢٨١) مجلة « العربي » ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٥ .
(٢٨٢) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥١ .
(٢٨٣) مجلة « العربي » ـ مصدر سابق ١٣٥ .
(٢٨٤) الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ الجزء الأول ـ ص ١٢ .
(٢٨٥) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ص ٢٥١ .
(٢٨٦) أنظر : مجلة « العربي » ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٥ .
(٢٨٧) المصدر السابق ـ ص ١٣٥ .
(٢٨٨) (٢٨٩) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ١٢ .
(٢٩٠) (٢٩١)(٢٩٢)(٢٩٣) نمر سرحان.موسوعة الفولكلور الفلسطيني. الجزء الخامس ص ١٨ ـ ١٩ ،ص ٢٣ .
(٢٩٤) أنظر : المصدر السابق ـ ص ٢٠ .
(٢٩٥) أنظر : مجلة « العربي » ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٥ .
(٢٩٦) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥١ .
(٢٩٧) أنظر : المصدر السابق ـ ص ٢٥١ .
(٢٩٨) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ .
(٢٩٩) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٤٥٦ .
(٣٠٠) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٤٥ .
(٣٠١) (٣٠٢) الدكتور علي زيعور ـ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ـ دار الطليعة بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ـ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .
(٣٠٣) أنظر مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد التاسع ١٩٧٦ م ـ ص ٤٠٠ .
(٣٠٤) (٣٠٥) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٧٨ .
(٣٠٦) أنظر : مجلة « المورد » العراقية ـ م ٨ ـ ع ٤ ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٥٩٣ .
(٣٠٧) أنظر : الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٥٥٣ .
(٣٠٨) صحيح البخاري ـ المجلد الأول ـ الجزء الثاني ـ ص ١٠٦ .
(٣٠٩) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٤٨٥ .
(٣١٠) (٣١١)(٣١٢)(٣١٣)(٣١٤)(٣١٥)(٣١٦) القرآن الكريم ـ سورة الطلاق ـ الآية/٤ وسورة مريم الآية/١٠ وسورة البقرة الآية/٢٢٨ وسورة آل عمران الآية/٤١ وسورة البقرة الآية/١٩٦ وسورة المائدة الآية/٨٩ وسورة هود ـ الآية/٦٥ .
(٣١٧) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ١٧٧ .
(٣١٨) فردريش فون ديرلاين ـ الحكاية الخرافية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٦ .
(٣١٩) أنظر : الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ص ١٧٧ .

(٣٢٠) المصدر السابق ـ ص ١٧٧ .
(٣٢١) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص٢٣٢ .
(٣٢٢) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد السادس ـ أيار ١٩٧٥ م ـ ص ١٥٥ .
(٣٢٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الأول ـ ١٩٨٠ م ـ ص ١٦٤ .
(٣٢٤) (٣٢٥) الدكتور علي زيعور ـ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ـ مصدر سابق ـ ص ١٧٧ ، ١٨٩ .
(٣٢٦) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٦٠٩.
(٣٢٧) (٣٢٨)(٣٢٩) القرآن الكريم ـ سورة النساء الآية/١٥ ـ وسورة التوبة الآية/٣٦ ـ وسورة فُصّلت ـ الآية/١٠ .
(٣٣٠) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٦٠٩ .
(٣٣١) أنظر : مجلة « المورد » العراقية ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩٣ .
(٣٣٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .
(٣٣٣) أنظر : القرآن الكريم : سورة هود ـ الآية ٧ ـ وسورة الفرقان ـ الآية/٥٩ ـ وسورة السجدة الآية/٤ ـ وسورة ق ـ الآية/٣٨ ـ وسورة الحديد ـ الآية/٤ ـ وسورة الأعراف ـ الآية/٥٤ ـ وسورة يونس الآية/٣ .
(٣٣٤) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٤٥ .
(٣٣٥) مجلة « المورد » العراقية ـ مصدر سابق ـ ص٥٩٣ .
(٣٣٦) أنظر : مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد التاسع ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٩ .
(٣٣٧) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد العاشر ـ ١٩٧٦ م ص ١٢٤ .
(٣٣٨) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد السادس ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٠ .
(٣٣٩) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٦٠٩.
(٣٤٠) أنظر : شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ص ٥٥ .
(٣٤١)(٣٤٢)(٣٤٣)(٣٤٤)(٣٤٥) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٦١ و ٤٥٦ .
(٣٤٦) أنظر : فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ـ ص ١٢٧ .
(٣٤٧) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٦١ .
(٣٤٨) أنظر : فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١٢٩ .
(٣٤٩) (٣٥٠) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ـ ١٩٨٠ م ـ ص ٦٥ .
(٣٥١) أنظر : الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٨٩ .
(٣٥٢) صحيح البخاري ـ المجلد الأول ـ الجزء الثاني ـ ص ٢٦ .
(٣٥٣) (٣٥٤) القران الكريم ـ سورة البقرة ـ الآية/٢٩ ـ وسورة الحجر الآية/٤٤ .
(٣٥٥) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٤٥ .
(٣٥٦) أنظر : قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٦٠٩ .
(٣٥٧) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١٩٤ .
(٣٥٨) مجلة « المورد » العراقية ـ مصدر سابق ص ٥٩٣ .
(٣٥٩) أنظر : ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ص ١٥٣ .
(٣٦٠) المصدر السابق ـ ص ٣٤٥ .
(٣٦١) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد العاشر ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٥ .

(٣٦٢) أنظر : ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ص ٣٤٥ .
(٣٦٣) (٣٦٤)(٣٦٥)(٣٦٦) القرآن الكريم ـ سورة البقرة الآية/٥١ ـ وسورة المائدة الآية/٢٦ ـ وسورة الأعراف الآية/١٤٢ ـ وسورة الأحقاف الآية/١٥ .
(٣٦٧) (٣٦٨) مجلة « المورد » العراقية ـ مصدر سابق ـ ص ٦٢٧
(٣٦٩) الحزازة : من الأمراض الجلدية .
(٣٧٠) (٣٧١) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٣٣٧ .
(٣٧٢) الدكتور علي زيعور ـ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ـ مصدر سابق ص ٢٤٦ .
(٣٧٣) فردريش فون ديرلاين ـ مصدر سابق ـ ص ٩٧ .
(٣٧٤) (٣٧٥)(٣٧٦)(٣٧٧) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٢٨٦ ، ٣٣٨ ، ٢٩٤ .
(٣٧٨) (٣٧٩) القرآن الكريم ـ سورة الصافات ـ الآية/١٠٢ وسورة يوسف الآية/٤ .
(٣٨٠) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد العاشر ١٩٧٩ م ـ ص ٩ .
(٣٨١) (٣٨٢) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٣٣٦ .
(٣٨٣) مجلة « المورد » العراقية ـ مصدر سابق ص ٥٩٢ .
(٣٨٤) أنظر : الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٢٨٥ .
(٣٨٥) المصدر السابق ـ ص ٣٤١ .
(٣٨٦) أنظر : المصدر السابق ـ ص ٣٤٦ .
(٣٨٧) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ص ١٨٨ .
(٣٨٨) أنظر : المصدر السابق ـ ص ١٨٩ .
(٣٨٩) أنظر : مجلة «التراث والمجتمع» العدد الخامس ١٩٧٦ م ـ ص ٧٦ .
(٣٩٠) (٣٩١)(٣٩٢)(٣٩٣) مجلة « العربي » الكويتية ـ العدد ٣٠٢ يناير ١٩٨٤ م ص ١٥٨ ، ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٣٩٤) (٣٩٥)(٣٩٦)(٣٩٧) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران الآيتان/ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ وسورة الصافات الآية/٤٦ ـ وسورة يوسف الآية/٨٤ .
(٣٩٨) مجلة « العربي » الكويتية ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٣٩٩) نمر سرحان ـ إحياء التراث الشعبي ـ مصدر سابق ص ١٠٦ .
(٤٠٠) أنظر : الدكتور علي زيعور ـ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف ـ ص ٢٣ .
(٤٠١) أنظر : مجلة « المورد » العراقية م ٨ ـ ع ٤ ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٥٩٢ .
(٤٠٢) (٤٠٣)(٤٠٤) مجلة « العربي » ـ مصدر سابق ص ١٥٨ ، ١٦٣ .
(٤٠٥) أنظر : شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار ابن خلدون بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨ م ـ ص ٦٤ .
(٤٠٦) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الثاني ـ ١٩٨٠ م ـ ص ١١٣ .
(٤٠٧) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١٣٣ نقلا عن تاريخ الخميس ج ١ ص ١٠٠ .
(٤٠٨) مجلة « العربي » ـ مصدر سابق ص ١٥٨ .
(٤٠٩) مجلة « المورد » العراقية ـ مصدر سابق ص ٥٩٢ .
(٤١٠) (٤١١)(٤١٢) القرآن ـ سورة آل عمران ـ الآية/١٠٦ ـ وسورة النحل الآية/٥٨ .
(٤١٣) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١٣٢ .
(٤١٤) الدكتور خليل أحمد خليل ـ مصدر سابق ص ٢٠٨ .

(٤١٥) (٤١٦)(٤١٧)(٤١٨)(٤١٩)(٤٢٠) مجلة «العربي» -مصدر سابق ص ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٢ ، ١٦٤ .

(٤٢١) أنظر شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - ص ٢٥٦ .

(٤٢٢) مجلة « العربي » - مصدر سابق ص ١٦١ .

(٤٢٣) أنظر : فراس السواح - مصدر سابق - ص ٣٠ عن كتاب عرائس المجالس لأبي إسحق الثعلبي . .

(٤٢٤) أنظر : مجلة « المورد » العراقية - مصدر سابق .

(٤٢٥) القرآن الكريم - سورة الرحمن الآية/٧٦ .

(٤٢٦) القرآن الكريم - سورة الإنسان الآية/٢١ - وانظر : سورة الكهف الآية/٣١ .

(٤٢٧) (٤٢٨) مجلة «العربي» -مصدر سابق ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٤٢٩) ترمسعيا - مصدر سابق - ص ١٠٧ .

(٤٣٠) أنظر ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ١٥٨ .

(٤٣١) أنظر : مجلة «العربي » - مصدر سابق ص ١٦١ .

(٤٣٢) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الرابع ص ١١٣ .

(٤٣٣) ترمسعيا - مصدر سابق ص ٦٩ .

(٤٣٤) مجلة « العربي » - مصدر سابق ص ١٥٨ .

(٤٣٥) القرآن الكريم - سورة طه - الآية/١٠٢ .

(٤٣٦) مجلة « العربي » - مصدر سابق - ص ١٦٢ .

(٤٣٧) أنظر : الدكتور ابراهيم بدران - مصدر سابق ص ٢٥٢ .

(٤٣٨) أنظر : مجلة « المورد » العراقية - مصدر سابق ص ٥٩٢ .

(٤٣٩) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٨٢٥ .

(٤٤٠) (٤٤١)(٤٤٢) مجلة « العربي » - مصدر سابق ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤٤٣) أنظر : المصدر السابق - ص ١٦٣ .

الفصل الخامس

جسم الإنسان

الشَعر - العين - الأنف والأذن - الأسنان - اليد - الرِّجل - الأصابع - الأظافر - الدم

*** الشَعْر :**

لعب شعر الإنسان منذ القدم دوراً هاماً في حياة الناس ، وانعكس هذا الدور على تصرفاتهم وسلوكهم ، وطقوسهم . وما يزال هذا الدور قائماً إلى حدّ ما في الأوساط الشعبية لدى مختلف المجتمعات .

ووفق المعتقدات ، فقد كان الشعر « مركز الروح ، ومركز القوة ، وهذه ظاهرة معروفة في أمم ، ونعرفه في قصة شمشون ، وما إليها عند الساميين ، وفي أخذ شعرة من شخص ، أو قص شعر الأسير »(١) .

ونحن نعرف أن « الفعل (حـ لـ قـ) ، أي حلق الشعر ، يعني القتل والإماتة .. والنؤاسة هي الضفيرة أو الشعر المتدلي ، ومنها ربما يكون قد أتت كلمة ناس ، حيث نجد الروح والحركة والنفْس »(٢) .

من هنا يتضح لنا أن الشعر « هو مركز الروح » حيث تكمن الحياة ذاتها ، كما أن الشعر يعتبر عند العرب رمزاً للشرف والوفاء ، بالإضافة الى كونه رمزاً للروح ، فلقد كان العربي ، إذا أقرض إنساناً ما مبلغاً من المال ، فإنّ الدائن قد يأخذ شعرةً من « لحية المدين مثلاً ، كرمز للشرف والروح والوفاء بالعهد . يعطيه شعرةً هنا ، يعني تسليمه أغلى ما فيه ، أي روحه ونفسه وذاته »(٣) .

وبشكل عام ، فإن « الشعر ، وفقا لمعتقدات بعض الناس ، هو الشيء الأساسي الذي تسكن فيه قوة الشخص ، وربما تصور هؤلاء أن قص الشعر بناءً على ذلك وتقديمه للميت ، يمدّه بمنبع من القوة »(٤) .

وبشكل عام ، فإن « الشعر ، وفقاً لمعتقدات بعض الناس ، هو الشيء الأساسي الذي تسكن فيه قوة الشخص ، وربما تصور هؤلاء أن قص الشعر بناءً على ذلك وتقديمه للميت ، يمدّه بمنبع من القوة »(٤) .

وربما كان الشعر الغزير والطويل ، سمة رئيسية من السمات التي كان يتمتع بها الأبطال وأنصاف الآلهة لدى الشعوب القديمة . ففي بابل « خَلَقت إلهة الخلق رغبة منها في معاندة جلجامش ، بطلاً مناوئاً له وهو أنجيدو . وكانت قوة أنجيدو تعادل قوة فرقة من الجيش تسندها قوة السماء . وكل جسده بأكمله مغطى بالشعر ، كما كان شعر رأسه غزيرا كشعر النساء »(٥) .

وفي الأسطورة الإغريقية أن « بوزايدون » قد أكسب « بيتيريلاوس » الخلود بأن منحه شعرة ذهبية فوق رأسه . ولكن عندما استولى « أمفيتريو » على « تافوس » موطن « بيترلاوس » ووقعت ابنة الأخير في حب « أمفيتريو » ، انتزعتْ الشعرة التي كانت تستقر فيها روح أبيها ، وبذلك قضى أبوها نحبه »(٦) .

وتحكي « حكاية شعبية إغريقية عن رجل كانت تكمن قوته في ثلاث شعرات ذهبية في رأسه ، فلما انتزعت أمه هذه الشعرات من رأسه ، انتابه الوهن والجبن ، ثم قُتل بيد أعدائه من بعد »(٧) . وفي حكاية إغريقية أخرى « أنّ ملكاً كان يُعدُّ أقوى رجال عصره ، وكانت له ثلاث شعرات في صدره تكمن فيها قوته ، فلما خرج لمحاربة ملك آخر ، كانت زوجته المخادعة قد انتزعت هذه الشعرات من صدره ، وبذلك أضعف الرجل في هذه الحرب »(٨) .

إذن فإن الشعر يعتبر ـ وفق المعتقدات الشعبية والأسطورية ـ مقر الروح البشرية ومكمن قوة صاحبها . وفي مصر « تتجلى أهمية الشعر في المعتقد الشعبي بوجه خاص في طقس « العقيقة » وهي التضحية بشعر الطفل في يوم السبوع ، حيث يُقص شعر البطن للطفل ، وينذر لأحد الأولياء ، أو يقص فيما

بعد وتترك منه خصلة من الشعر الأصلي (شعر البطن) لا تحلق إلا بمناسبة مولد هذا الولي .. ويعد التقرب بشعر الطفل هنا نوعا من التضحية بأوائل الأشياء .. وقد حلت التضحية بالشعر محل التضحية بالوليد نفسه فيما بعد »(٩) . كما أن الكبار قد ينذرون شعرهم للولي « ويرى البعض أن المعنى الأصلي للتضحية بالشعر ربما كان الرغبة في تدعيم وتجديد قوة الإنسان »(١٠) ، باعتبار أن القوة تكمن في الشعر نفسه .

ويرمز شعر الإنسان عند الصوفيين إلى « الأرواح والشعور ، والفكر والعبقرية والخيال »(١١) . وللشعر عندهم قداسة أيضاً ، أو ما يشبهها وما هو حولها وإن له رموزا روحية(١٢) . وفي مقاطعة « باستار » في الهند « عندما تثبت التهمة ضد رجل من هذه المقاطعة بأنه يمارس السحر ، فإن الجمهور كان ينهال عليه ضربا ، كما كان يُحلق شعره ، حيث أن قوى الشر تكمن في شعره »(١٣) . وعندما كانت المرأة « تتهم بممارسة السحر عند (البهيليين) وهم شعب بدائي يسكن الهند الوسطى ، فإنها كانت تتعرض لصنوف من التهديد التي تحملها على الإعتراف بإثمها ، كأنْ تُعلق أمامها على شجرة رؤوس أشخاص سبق أن حكم عليهم بالشنق ، وكأنْ يوضع الفلفل في عينيها ، وتُقص خصلة شعر من رأسها ، وتدفن في الأرض « حتى تنفصم آخر عروة بينها وبين قواها الشريرة السالفة »(١٤) ، باعتبار أن هذه القوى الشريرة تعيش في شعر الرأس .

وكان أهالي جزيرة « أمبونيا » وهي « جزيرة تقع في جزر الهند الشرقية ، يعتقدون أن قوّتهم تكمن في شعرهم ، وأنهم يفقدون تلك القوة إذا ما قصّوا خصلات شعرهم . وبالمثل كان المتهم أمام المحكمة الهولندية في هذه الجزيرة يصرّ على عدم الإعتراف بجريمته ولو تعرض للعذاب ، حتى تُقص خصلة من شعره ، وعند ذاك يعترف بجريمته في الحال »(١٥) . وما زال سكان « سيرام » « وهي جزيرة أخرى من جزر الهند الشرقية ، يعتقدون أنه إذا حلق شبابهم شعورهم ، فإن الضعف والوهن ينتابهم إثر ذلك »(١٦) .

وقد ألف الأوروبيون « أن يعتقدوا أن القوة الشريرة عند السحرة والعرافين تستكن في شعورهم ، وأنه ليس هناك من شيء يؤثّر في هؤلاء طالما كانوا

يحتفظون بشعورهم على رؤوسهم . ومن ثم فقد جرت العادة في فرنسا أن يحلق كل جزء من أجسام الذين يُتهمون بالشعوذة ، وذلك قَبل تسليمهم الى من يقوم بتعذيبهم »[١٧] .

ويقال أن « الشيطان نفسه كان قد خطب من أعلى منبر كنيسة « نورث بيرويك » ليُطمئن أتباعه بأنْ أكد لهم أن الأذى لن يلحق بهم قط « طالما كانوا يحملون شعرهم على أجسامهم ، وأنه لن يسمح لأحد بأن يزيل هذا الشعر عنهم »[١٨] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقد الناس أن شعر الرأس يمكن أن يطرح صاحبه أرضاً إذا جذبه شخص ما بقوة ، ويقولون في ذلك : « شعُره بِرْميه » .

مما سبق ، يتضح لنا ، أن شعر المرء ، وبخاصة شعر الرأس ، هو ـ حسب المعتقدات الشعبية ـ مستقر الروح ومكمن القوة . ومن هنا أيضاً تتضح لنا أسباب قيام كثير من الناس في الأوساط الشعبية بدفن خصلات شعورهم « حتى لا تقع في يد ساحرة فتعقد عليها عملًا سحرياً يضر »[١٩] بصاحب الشعر . لأن الإنسان يعتقد أن الشعر جزء لا يتجزأ من جسمه ، فإذا ما أصاب الشعر أيّ ضرر ، فإن هذا الضرر يصيب الجسم نفسه تلقائياً[٢٠] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، يحرص الناس ، وخاصة النساء ، على إخفاء أجزاء من شعر الرأس ، بعد عملية المشط ـ مما يمكن أن يعلق في المشْط ـ في ثقب جدار ، كي لا تقوم امرأة معادية باستخدام هذا الشعر في عمل سحري يضر بصاحب الشعر ، باعتبار أن الشعر الزائد بعد المَشْط ، ذو صلة وثيقة بجسم صاحبه ، وبالتالي فإن أيّ عمل سحري يضرّ بهذا الشعر ، سينتقل فوراً الى الجسم نفسه ، لأنه جزء منه ، أي إنّ كل ضرر يلحق بالجزء لا بدّ أن يطال الكلّ حتماً .

وهم يعتقدون أن شعر المرأة إذا كان أسود فاحماً ، وطار منه بعضه ، وداست عليه ضفدع ، فإن شعر المرأة كله سوف يذهب ويتلاشى .

وقد حمل الشعر رموزاً عديدة ذات صلة بالمعتقدات الشعبية ، من هذه الرموز ، أنّ الشعر يرمز إلى الحزن والحداد على الميت ، وقد كان هذا الرمز ،

وما يزال سائدا في الوسط الشعبي الفلسطيني ، حيث أنّ إطالة شعر اللحية عند الرجل ، أو إهمالها وعدم حلاقتها لبضعة أيام ، تعتبر رمزا للحزن والحداد على الميت ، لا سيما إذا كان عزيزا أو من ذوي القربى .

وكان المصريون القدماء يطلقون لحاهم وشعور رؤوسهم في وقت الحداد على الميت »[٢١] . كذلك فإن العرب كانوا يعبّرون عن حزنهم على الميت بإطالة الشعر . إذ أن « تطويل الشعر في حالات الحزن والحداد ، يعني أن الشخص يضحي بنفسه في سبيل المتوفي ، أيْ إنه مائت معنويا ، فبقاء الشعر دون قص ، يرمز إلى أنّ صاحبه لا يحيا ، أو أنه في حالة فناء عن ذاته »[٢٢] .

وقد تكون إطالة الشعر رمزا للحسن والجمال عند المرأة ، بل هي عملية ترمز إلى الأنثى نفسها ، ففي الوسط الشعبي الفلسطيني ، قد تعمد الأمّ إلى إطالة شعر الرأس عند الطفل الذكر ، حتى يظن من ينظر إليه أنه فتاة ، فلا يحسده ، إذ أن الجمال الطاغي يمكن أن يكون لفتاة ، ويستبعد في معظم الحالات أن يكون ذلك عند الذكور .

والمرأة في الوسط الشعبي الفلسطيني ، إذا رغبت في قصّ شعرها ، فإنها تحرص على التأكد من طهارة المرأة التي ستقص لها شعرها ، ونقصد بالطهارة هنا (الطهارة من الحيض) ، لأنها إنْ لم تكن طاهرة ، فإن شعر المرأة المقصوص - وفق المعتقد - لن يطول بعد ذلك ، إذ أنه سيتقصّف باستمرار .

ويقال أن المصريين القدماء كانوا يحلقون شعر رؤوسهم (على الزّيرو) ، حيث يضعون بدلا من الشعر شعرا مستعارا . وكانت هذه العادة مطبقة على الرجال والنساء معا([٢٣]) . أما العرب القدماء ، فقد كانوا « يحلقون جانبي الوجه بين الأذنين والعينين ، إكراما لإلههم أوروتال »[٢٤] . وكان العربي لا يحلق شعره قبل أن يثأر لشرفه أو لقبيلته »[٢٥] . وكانت بعض الشعوب السامية ، قد ألفت عادة حلق شعر الرأس ، كرمز للدلالة على الحزن »[٢٦] . وكانت اللحية في القديم « علامة احترام وفخار وكرامة ، وكان إهمالها دلالة على تشويش أو خلل عقلي ، أو دلالة على الحزن ، كما إنهم كانوا ينتفونها أو يجزّونها دلالة على الحداد »[٢٧] . وفي الإسلام « يُحرَم على الحاج قص

شعره ، إبّان مدةٍ معينة ، للدلالة على أنه في تلك الفترة يحيا لله ، وفي كنفه ، وأنه لا يملك نفسه ، أي هو ملك لله وفي حفظه ، إنه في حياة مقدسة »(٢٨) ، في الوسط الشعبي الفلسطيني ، كانت المرأة تعرف خرزة تدعى « خرزة الشقيقة » ، تحملها المرأة في جدائلها ، كي تمنع تشقق الشعر وتجعله لامعا ، وهي تعتقد أن شعرها سوف يتقصّف عندما يدرك ابنها الرضيع ويستطيع تمييزها عن سائر النساء .

ويعتقدون أن الإنسان اذا أصيب برعب مفاجىء فإن الشيب سيغزو شعر رأسه مباشرة . كما يعتقدون أن المرء إذا اقتلع شعرة شائبة من رأسه ، فإنه سينبت بدلًا عنها سبعون شعرةً شائبة جديدة .

وهم يعتقدون أن « أجعد » الشعر هو إنسان يخون الصداقة . ويتشاءمون من الرجل الأجرد ، الذي لا ينبت الشعر في وجهه ، ولا سيما إذا رأوه في الصباح الباكر عند خروجهم من منازلهم ، ويقولون في ذلك : « صباح القرود ، ولا صباح الأجرود » .

ولا يُحبَّذ عندهم أن تمشط المرأة شعرها في الليل ، لاعتقادهم أنّ في ذلك فألًا سيئاً وشراً متوقع الحدوث . وهم إذا شاهدوا طفلًا يمزق شعره (يمزُه) ، أو يضرب وجهه ، منعوه من ذلك ، لاعتقادهم أن ذلك فأل سيء وشر ، وأنه يمكن أن يسبب وفاة أحد أفراد الأسرة ، باعتبار أن تمزيق الشعر هو من الإجراءات التي يمكن أن ترى أثناء وفاة شخص ما . ويعتقدون أن المرأة ، عند الولادة ، إذا فركت وجهها بشعرها ، فإن ذلك يقضي على تورّم وجهها والقضاء على الكلف أو النمش الذي تصاب به أحياناً بعض الحوامل((٢٩)) .

* العين :

تعتبر العين على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للإنسان . والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتبرون فاقد البصر ، كمن فقد الحياة ذاتها ، ويعبّرون عن ذلك بقولهم : « قال : فاقد السّنان ، قال له : فاقد اللذات . قال له : فاقد السمع ، قال له : فاقد الجلسات ، قال له : فاقد العنين ، قال له : هذاك من اللي مات » .

وهم قلما يذكرون الأعمى بالاسم الصحيح أو الصريح ، بل يكنّون عن العمى بقولهم في الدلالة على الأعمى أنه « ضرير » .

وهم يميلون الى الإعتدال ، والانسان منهم « يرتاح لأن يكون الإنسان في وضع طبيعي سليم خالٍ من التشوهات الخلقية ، وينظر الى الشذوذ على أنه مكمن الخطر »[٣٠] .

وإذا كانت هذه هي نظرة المجتمع الى المشوهين ، فإن صاحب العينين الزرقاوين شاذ أيضا ، وهو مؤهل لأن « يصيب بالعين » ، وكذلك صاحب الأسنان « الفرْق » ، فالذي يصيب بالعين هو « اللي أسنانه فُرق وعنيه زرُق » . وهذه الفئة قليلة العدد في بلاد البحر الأبيض المتوسط ، لذلك فإنها تشكل الفئة الشاذة .

إن الخوف « من الشذوذ يكمن وراء الاعتقاد الذائع في العين الحاسدة ، وليس هناك شك في أن هذا الإعتقاد الخرافي ، يعود في أصله الى وجود « تشويهات » وعيوب خلقية في بعض العيون البشرية ، غير أن هذا المعتقد اتسعت دائرته ولحق تأثيره السيء تلك الأعين التي لا نلاحظ فيها تشويها أو عيبا »[٣١] .

ومما له مغزى « أن نلاحظ أن العين الحاسدة في بلاد البحر الأبيض المتوسط تكون عيوناً زرقاء ، على حين يُنسب الحسد الى العيون السوداء في شمال أوروبا »[٣٢] .

وفي الأوساط الشعبية لدى سائر الأقطار العربية ، نلاحظ وجود « رسومات متعددة للعين المفردة أو للعينين معاً ، مطبوْعة باللون الأزرق على ورقة تُلصق على زجاج السيارة ، وقد تكتب على الورقة عبارة مثل « عين الحسود لا تسود » ، أو « عين الحسود فيها عود » و « عين الحسود تبلى بالعمى »[٣٤] وقد توضع رموز للعين الزرقاء على صدور الأطفال ، ولا سيما الذكور منهم ، لوقايتهم من الحسد . ومن تلك التشوهات التي قد تكون في العيون : « الحول » ، ومعظم الناس في الأوساط الشعبية ينظرون الى الأحول نظرة خاصة ، وكثيرون منهم يتشاءمون من رؤيته في طريقهم ، وفي بعض

الاقطار العربية « من سوء الحظ أن يصادف المرء شخصاً أحول . بينما يعدّ فألا طيباً أن تصادف في طريقك شخصاً أحول من الجنس الآخر . ولكي يتجنب الشخص سوء الحظ هذا إذا وقع له ، فما عليه لدى رؤيته للأحول سوى أن يتفل من بين أصابعه ، ولكن بشرط ألا تجعله يراك وأنت تتفل وإلّا ضاع تأثيره . ومن الطرق الأخرى لتجنب الأضرار التي يمكن أن تلحق بك من رؤية الأحول ، أن تحدّق فيه بشدّة »(٣٤) .

ويذهب البعض الى « الاعتقاد بأن لقاء الأحول في أول النهار سيجعل الأمور ترتبك وتتعقد طول اليوم ، ولقاؤه في أول يوم من أيام الأسبوع سيعقّد الأمور طوال الأسبوع »(٣٥) .

وفي الثقافة « الأمريكية الشعبية تعد قدم الأرنب تعويذةْ جالبة للحظ ، ولكي تكون كذلك فعلاً ويكون تأثيرها مضموناً يجب أن تكون القدم الخلفية اليسرى لأرنب من أرانب الجبانات ، يكون قاتله زنجي أحول ، ويكون ذلك القتل في منتصف الليل »(٣٦) .

وبشكل عام فإن هناك معتقداً شعبياً قديماً « في أن الذين أعجزهم الله يجلبون النحس وسوء الطالع »(٣٧) . ومن هنا تولّد خوف الناس وتشاؤمهم من أصحاب العاهات « ولقد أوحى هذا الخوف ذاته بالحذر من كل من أصابه تشويه جسمي أو عيب في خلقته »(٣٨) .

ولنفس هذه الأسباب ، نرى الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يتشاءمون من رؤية الأعور ، ونحن نميل إلى الاعتقاد بأنهم يتشاءمون من رؤية الأعور ، لأنه مرتبط في الذهنية الشعبية بأحد أسماء « أبناء إبليس » . وهو (الأعور) وهو (صاحب الزناء ، يأمر به ويزيّنه »((٣٩) في عيون الناس . كما نظن أن ذلك التشاؤم مرتبط بذكر « الأعور الدجال » الذي يقال أن الذي سيقتله ذات يوم هو المسيح عليه السلام ، في فلسطين .

وكما يبدو لنا فإنهم يخافون من لفظ كلمة (الأعور) أو (العوراء) ، لأن لفظها ربما يجلب الأذى والضرر وسوء الطالع للإنسان - وفقاً للمعتقد - لذلك فإنهم إذا أرادوا ذكر الرجل الأعور ، أو المرأة العوراء ، فإنهم يكنّون عن ذلك

بلفظة أخرى ، فيقولون : « عينُه كريمه » و « عينها كريمه » .

ولعل « العوَر » عندهم يعتبر من الأمور الدالة على أن حالةً ما قد أصبحت أشد سوءا مما كانت عليه من قبل ، فيقولون : « كِمل حبي واستكمل ، كان مقَرق وصار أعور » . وقد يعتبرون الحول أشد الشرور ، لقولهم : « لو في أعور في السما ، الملايكة بتشرد » . وكان العرب « يتطيرون من الأعور ، من البشر أو الحيوانات »((٤٠)) .

إن العين « من حيث شكلها ، وما يعتريها من ظواهر ، موضع اهتمام عدد من المعتقدات الشعبية . فالعين إذا كانت صغيرة الحدق دلّت على سوء دخيلة وخبث شمائل ... والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خُلق ومروءة »(٤١) . وكم من الناس « في يومنا هذا يتوهمون أنه إذا اختلجت عينه ، يحدث كذا وكذا »(٤٢) . وكان العربي إذا « اختلجت عينه من فوق ، قال : أرى إنسانا لم أره منذ حين »(٤٣) . وفي بعض الأوساط الشعبية العربية ، « إذا رفت العين اليمنى ، تنبأ صاحبها بحدوث شر ، وإذا رفت العين اليسرى تنبأ بحدوث خير »(٤٤) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، إذا رفّ جفن العين اليمنى فسَّروا ذلك بأنه سيجلب السوء لصاحبها ، أما رفيف العين اليسرى فهو خير للإنسان ، لذلك فإن بعضهم ، إذا رفّ جفن عينه اليمنى ، قام بوضع قشّة صغيرة فوق الجفن كي يتوقف رفيف العين .

وهم يعتقدون أنّ عيني المرء قد وُكّل بهما ملاك يحرسهما من الأذى ، وهم يعزون نجاة العين من الأذى والضرر بأن « العين عليها حارس » أو « العين عليها ملك » أي إن لكل عين حارسا موكل بحمايتها وردّ الأذى عنها .

والعين الحمراء في الوسط الشعبي ، هي رمز للغضب « إذ يقال ، احمَّرت عينه ، أي بدا فيها الشر والتمع الشر وبات يُخشى أذاه وبطشه »(٤٥) . وربما كان احمرار العين أيضا رمزا للحزم والقوة ، فهم يقولون - في الوسط الشعبي الفلسطيني - : « فرجيه العين الحمرا » أي أظهر له ما يدل على أنك جادّ وحازم وتمتلك القدرة على إيقافه عند حدّه ، وردعه .

والعين « البيضاء » عندهم هي رمز لقلة الحياء عند الفتاة ، وفتاة كهذه يصفونها بقولهم : « عينها بيضا » . كما أنهم يعتقدون أنه ينبغي تنقيط قطرات من الماء المالح في عيني الطفل عند ولادته ، لكيلا يصبح وقحاً في المستقبل ، وهم يصفون الطفل الوقح قليل الحياء ، بقولهم : « عينُه مش ممَلَّحة » . كذلك فإن العين قد تصبح بيضاء من الحزن الشديد ، وفي القرآن الكريم ما يشير الى ذلك ، في قوله تعالى : « وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم »(٤٦) .

وتشكل العين كذلك رمزاً للجشع في بعض الحالات ، فالفلسطيني في الوسط الشعبي يصف الإنسان الجشع بقوله : « عينُه فارغة » ، أي إنه لا يقنع ولا يشبع أبداً مما قُسم له ، كما يشير هذا التعبير أيضاً إلى الإنسان الذي يحسد الآخرين على ما يمتلكونه .

ومن العلامات « الجسمية التي تثير المعتقد الشعبي ، ويتخذ منها مواقف معينة ، ظاهرة التقاء الحاجبين عند الشخص ، رجلًا كان أو امرأة »(٤٧) . والشائع في بعض الأوساط الشعبية العربية ، « أن مثل هذا الشخص ـ بصرف النظر عن كونه رجلًا أو امرأة ـ يكون شخصاً سعيد الحظ ، موفقاً في حياته »(٤٨) .

وفي اسكنديناڤيه القديمة ، « كان الرجل الذي يتصل حاجباه ، وينعقدان ، يعتبر غرّاً ساذجاً ، وكان يُعتبر في القارة الأوروبية إنساناً تلبّستْهُ روح ذئب ، ولم يزل في بلاد اليونان « وحشاً خرافياً يمص الدماء بعد موته(٤٩) . وإذا رجعنا « إلى تراث الشعوب الأخرى ، نلقي نظرة على موقفهم من نفس الظاهرة ، وجدنا بعضها يعتبرها علامةً من علامات الجمال ، بينما تعدّه مجتمعات أخرى أنه من نوع الإنسان الذئب ، أو مصاص الدماء ، أو ممارس السحر الضار ، وهناك شواهد على هذه المعتقدات من جنوب روسيا ، واليونان ، وبوهيميا ، وألمانيا ، والدانمرك ، وايسلنده ، والهند »(٥٠) .

أما في « انكلترة والصين فيُعتقد أن الشخص الذي يلتقي حاجباه شخص سعيد الحظ ، أما نظرتهم الى الفتاة التي تتميز بنفس الظاهرة ، فيختلف فيها الرأي ، ففي بعض المجتمعات يعتقد أنها ستوفق في زواجها ، ويعتقد في مجتمع آخر

أنها لن تتزوج اطلاقا ، أو أنها ستكون زوجة سيئة »(٥١)

*** الأنف :**

تكمن أهمية الأنف في المعتقدات الشعبية ، في أنه اعتبر لدى عديد من الشعوب ، مكمناً ومستقراً للروح . فقد اعتبر الأنف لدى العرب مركزاً للروح((٥٢)) ، واستمر الأنف في التراث الجاهلي مسكناً للروح ، لذلك فإن جدع الأنف عند العرب الجاهليين كان يعتبر بمثابة إفناء معنوي وقتل رمزي ، واعتبر كوضع القلادة أو النعل على الضحية(٥٣) . كذلك فإن بزْي الأنف « أو جدعه ، أو وضع حلقة فيه ، وما الى ذلك ، عمليات تعبّر احتفالياً عن أن الشخص تخلى عن روحه للخالق »(٥٤) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، ربما اعتقد الناس في ظرف معين (غضبب شديد ـ انفعال عظيم) ، بأن الروح تحل في الأنف ، فيقولون عن الرجل في تلك الحالة : « اضربه براس منخاره بقلِب » ، وقد يقولون أيضاً في حالة الغضب الشديد : « روحي بمناخيري » أو « واصله لراس مناخيري » أي أن روحه قد حلّت في أنفه .

كما يعتبر الأنف أحياناً رمزاً للكبرياء وعزة النفس ، وهو عند العرب « مظهر الإعتزاز والشموخ »(٥٥) ، فإذا ما جُدع الأنف أو وُضعت حلقة فيه .. ، فهذا يعني ابتعاد « النفس عن كل شموخ ورباط بالمجتمع والجاه »(٥٦) .

كذلك فإن الأنف يعتبر في الوسط الشعبي الفلسطيني رمزاً للأنفة والكبرياء ، وربما التكبر في أحيان أخرى ، لذلك فإنهم يصفون الإنسان المتكبر بأنه « رافع مناخيره لفوق » أو « رافع مناخيره للسما » ، وهم وعندما يفكرون بإرغام شخص ما أو ردعه ، أو وضع حدّ لتصرفاته المشينة ، فإنهم يقولون عنه : « بدُه تكسير مناخير » .

وهناك معتقدات شعبية ترتبط بالعطاس ، إذ إنه من المعتاد « أن نقول « يرحمك الله » ، وهذه الكلمة نتاج ظن بدائي ، مؤداه أن هناك خطراً في أن تهرب الروح من الجسم إلى الأبد أثناء العطس »(٥٧) . وهذا بحد ذاته يشير الى

أنّ الروح ـ وفق المعتقدات الشعبية ـ تستقر في أنف الانسان ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ويتحدث الطبري[٥٨] حول منشأ عبارة « الحمد لله ، ورحمك الله » ، بين العاطس والمُشَمِّت ، أن الله تعالى عندما نفخ الروح في آدم ودخل « الروح في رأسه ، عطس ، فقالت الملائكة قل الحمد لله ، فقال الحمد لله ، فقال الله عز وجل : رحمك ربك » .

وهناك فكرة سائدة تقول « أن عطسة إنسان تدل على صدق كلمة قالها أحد الحاضرين . هذه الفكرة لا نستطيع أن نعزلها عن الفكرة القديمة القائلة بأن شعاع برقٍ أو رعدة رعدٍ ، تنبيء عن قبول الدعاء »[٥٩] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، إذا عطس شخص ما بعيْد إتمام أحدهم حديثه عن فكرة معيّنة ، فإنهم يعتبرون هذه « العطسة » بمثابة البرهان القاطع على صدق حديث المتكلم ، وهم يقولون في هذه الحالة : « هاي بعطسة إبن حلال » . فإذا كان العاطس في تلك الحال طفلاً أدى عطاسه نفس الغرض ، وفي ذلك يقولون : « هاي بعطسة طفل » ، لا سيما وأن الطفل يعتبر نقياً طاهراً ورمزاً للبراءة والصدق .

ولدى بعض الشعوب فإن « حك الأنف بالإصبع يعدّ حركة مهينة واستفزازية »[٦٠] . ويعتقد الناس في بعض الأوساط الشعبية العربية ، بأن المرء إذا أحسّ بحكّة في أنفه ، فإن معناها أن صاحبه تنتظره أكلة جيدة »[٦١] . وكان العربي قديماً « إذا حكه أنفه قال : آكل لحماً »[٦٢] .

* الأذن :

لعل أبرز ظاهرة تتعلق بالأذن ، هي الطنين ، فطنين الأذن يحمل معاني ورموزاً في المعتقدات الشعبية . فلقد كان العرب « إذا طنّت أذن أحدهم قال : ترى من ذكرني ؟ »[٦٣] .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون بأن طنين الأذن اليمنى فأل حسن ، والشخص الذي تطنّ أذنه اليمنى يفسر ذلك بأن شخصاً ما يذكره

بخير ، وهو يعتقد بأن طنين الأذن اليسرى يعني أن شخصاً ما يغتابه ويذكره بسوء . وهم يردّدون في هاتين الحالين عبارة : « خير ، خير إن شا الله » .

والناس في بعض الأوساط الشعبية العربية ، إذا طنت أذن أحدهم ، فإنه يعتقد أن أحداً يذكره في تلك الساعة ، فيضع يده على أذنه « ثم لا يزال يذكر أسماء من يظن أنهم ذكروه ، بعد أن يسدّ أذنه بوضع يده عليها ، فإذا ذكر الإسم الذي كان يذكره سكت الطنين »(٦٤) . ويعتقد بعضهم أن طنين الأذن اليمنى شر ، وطنين الأذن اليسرى فأل حسن »(٦٥) .

ويعدّ طنين « الأذن اليمنى في أوربا الشمالية فألًا طيباً بالنسبة لصاحبه ، ويعرف التراث الهندوكي إشارات مماثلة لهذه الفكرة ، وإن كان يضاف الى ذلك أن طنين الأذن اليسرى عند المرأة يحمل نفس الدلالة »(٦٦) .

وكان العرب يعتقدون أن الأذن الكبيرة المنتصبة تدل على الحمق والهذيان »(٦٧) . وفي التراث « الشعبي الهندي الذي يبحث في الخصائص الفيزيقية للإنسان نجد أن الرجال الذين يتميزون بأذنين طويلتين يكون مؤكداً أنهم أشخاص فاسقون لا يلتزمون القواعد الخلقية »(٦٨) .

وبعض الشعوب كانت تعاقب اللصوص بقطع آذانهم ، « ونجد أن مجتمعات أخرى كانت تعاقب المرأة غير الوفية بقطع أذنيها »(٦٩) .

* الأسنان :

في الوسط الشعبي الفلسطيني ، عندما تظهر أسنان الطفل ، قد تسلق أمه قمحاً ، « وتجلسه في فناء الدار ، وترش هذه السليقة حوله ، ويأتي الدجاج ليأكل منها ، وهي تصنع ذلك ليرزق ابنها الثروة الكثيرة التي تفيض حوله على الآخرين ، الذين يلتفون حوله كالدجاج ، يرجو خيره ويشكرون برّه وإحسانه »(٧٠) .

وهم يعتقدون أنه إذا بدأت أسنان الفك السفلي في الظهور أولًا فإن عمره « مُسَنَّد »(٧١) . أما إذا بدأت أسنان الفك العلوي فيقولون : عمره « مُهوَّد »(٧٢) (٧٣) .

وهم يعتقدون أن عمة الطفل إذا تحسَّست لثّته للبحث عن أسنانه كي تتأكد من ظهورها فإن ذلك يؤدي الى تقوية أسنان الطفل وجعلها متراصةً ، أما إذا فعلت خالته ذلك ، فإن أسنانه ستكون ضعيفة هشّة ، ويعبرون عن ذلك بقولهم : « العمّة بتخلّي العظام ملتمّه ، والخالة بتخلّي العظام نخاله » .

وهم يعتبرون الضغط على الأسنان بقوة ، رمزاً للغضب الشديد ، فيقولون : « كَزّ على أسنانُه » ، بمعنى اشتد غضبه .

ويعتبر صرير الأسنان لدى بعض المجتمعات « علامة اليأس والألم »[٧٤] ، لذلك فإن كثيراً من الناس يتشاءمون ممن تصطك أسنانه . ففي الوسط الشعبي الفلسطيني ، إذا اصطكت أسنان الطفل وهو نائم (بُسْرُك باسنانُه) فإن أمّه توقظه وتسقيه قليلا من الماء ، ثم تعيده الى نومه ، لأن اصطكاك أسنان النائم يعني في اعتقادهم احتمال وفاة أحد والديه أو أحد أفراد الأسرة .

وفي كثير من الأوساط الشعبية العربية يعتقد الناس أن الذي « تصطك أسنانه أثناء نومه ، تتقمصّه جن »[٧٥] .

وكان الأطفال في الوسط الشعبي الفلسطيني ، في فترة تبديل أسنان الحليب[٧٦] بالأسنان الدائمة ، فإن الطفل يقوم « بمسك سنّه ، وينظر الى الشمس ويقول : « يا عوينة الشمس ، خذي لك سن هالحمار ، واعطيني سن غزال ، من أسنان ولادك الصغار » ثم يرمي سنه إلى أعلى »[٧٧] .

وكان الغلام من العرب « إذا سقطت له سن ، أخذها بين السبابة والإبهام ، واستقبل الشمس إذا طلعت ، وقذف بها ، وقال : يا شمس أبدليني بأحسن منها »[٧٨] . والفلسطينيون في الوسط الشعبي ، يصفون المرء الذي اكتسب في حياته خبرةً كبيرة واسعة ، بقولهم : « مقلّع اسنانه » .

وقلع السن في المنام ، عندهم ، يعني الموت لصاحب المنام ، أو لأحد أقاربه ، أما قلع « الطاحونة » في المنام ، فإنه ـ حسب اعتقادهم ـ لا خطر من ورائه ، لأن ذلك في اعتقادهم يعني أن امرأة عجوزاً ستموت .

*** اليد :**

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يستخدمون رسماً لكفّ اليد مع عبارات مثل « الله » ، « محمد » ، « يا حافظ » ، وذلك لاتقاء شر العين الحاسدة[٧٩] . وقد يكون رسم الكف في هذه الحالة بلون النيلة . ولا تزال « راحة الكف التي قد يُرمز إليها بكفّ فاطمة ابنة النبي مستعملة حتى في زخرفة السيارات . ومن الناس من يفسر الكف بأنه أشبه بطعنة في وجه الحسود »[٨٠] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، قد نلاحظ أحياناً الكف المغموس في الدم ، مطبوعا على واجهة بعض البيوت ، كي يكون شاهداً على أن صاحب البيت قد قام بتقديم القربان / الضحية ، كي يكون هذا وسيلة لحماية البيت وساكنيه من الاذى والشر والضرر .

وتستخدم اليدان في بعض بلاد الشرق ، لطرد الأرواح الشريرة من الجسم ، وذلك عن طريق اللف بهما حول رأس الشخص المصاب ، كما يحدث في حالة « الرقوة »[٨١] ، التي يسميها الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني « التخريج » أو « التخريجة » ، وربما جاءت هذه التسمية « التخريج » من أهداف تلك الحركة ، وهي « إخراج » المرض ، أو الحسد ، من جسم الإنسان . وغالبا ما كان التخريج يتم على أيدي النساء العجائز ، أو العجائز من الرجال .

وتفسر الخطوط المتقاطعة الموجودة في داخل كفّ يد الإنسان ، على أنها « من تأثير انبهار النساء ـ البيض ـ اللواتي دعتهن زليخة ، وأحضرت لهن التفاح ، والسكاكين ، وعندما شاهدْن يوسف ، بُهِرْن من حسنه ، فنسيْن أنفسهن ، ومضين يقطعن بالسكاكين من كف أيديهن بدلا من التفاح »[٨٢] . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحادثة ، في قوله تعالى : « فلما رأينه أكْبرنه وقطّعن أيديهن .. »[٨٣] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، إذا أحسَّ المرء بحكّة في راحة الكف « إيدي بترعاني » لا سيما كفه اليمنى ، فإنه يفسر ذلك بأنه سيسلّم على شخص

ما ، أو سيقبض مالا . وكان العربي إذا حكته يده ، قال : اخذ دراهم »(٨٤) .

وفي بعض الأوساط الشعبية العربية « نلاحظ أن أكلان اليد .. إذا كان في اليد اليمنى ، كان إيذاناً بأنه سيضرب أحداً ، وإذا كان في اليسرى كان إيذاناً بأنه سيسلم على أحد أو سيقبض مالاً »(٨٥) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يصفون الرجل إذا زرع شتلة فنبتت وزهت بعد وقت قصير نسبياً ، بقولهم : « إيدُه خضرا » ، لاعتقادهم أن مثل هذا الرجل يده مباركة فيما يخص الزرع والزراعة .

وقد يعتبر المسلمون اليد اليسرى - في كثير من الأحيان - بخسة ، « أو مكروه استخدامها في تناول الطعام مثلاً أو المصافحة .. إلخ »(٨٦) .

وكان العربي إذا مسح « يده بثوب صاحبه ، بصق ، وقال : حتى لا أبغضه »(٨٧) . وفي فلسطين كان الناس في الوسط الشعبي يعتقدون أن الطفل إذا وُلد وكانت كف يده مغلقة ، فهو بخيل ، لكنه سيكون كريما ، إذا وُلد بكف مفتوحة(٨٨) .

وهم يعتقدون أن المرء إذا عدّ النجوم فسوف تظهر على يديه مجموعة من الثآليل ، ويرون أن علاج الثآليل يكون بأن يقوم صاحبها بعدّ حبات من العدس تساوي عدد الثآليل الموجودة على يديه ، ثم يقوم برمي حبات العدس في بئر . وبعضهم يجلب ماءً وملحاً ويرشهما على ظهر التنّور أثناء اشتعاله ، لكن عليه أن يهرب فور قيامه بهذه العملية . ويقوم بعضهم بجلب باذنجانة ، ويثقبها بإبرة ثقوبا بعدد الثآليل ثم يضع الباذنجانة باتجاه القبلة فوق جدار ، حتى تجف .

* الرِّجل :

في الوسط الشعبي الفلسطيني إذا ما أحسّ المرء بحكة في رجله ، فإنه يفسر ذلك بأنه مقبل على سفر . وإذا أحس بحكة في كاحل قدمه ، كان ذلك في اعتقادهم أن هذا الشخص سيسمع عما قريب بخبر موت إنسان ما .

وإذا انهمر المطر عند خروج العروس من بيت أهلها باتجاه بيت الزوجية ، فسّروا ذلك بأن « إجرها خضرا » أو « كعبها أخضر » ، وهم يتفاءلون بذلك ،

ويعتقدون أن هذه العروس سيكون « قدمها خيراً » على زوجها وأهله .

وهم يعتقدون أن المرأة إذا كان كعباها بارزين الى الخلف ، فهي فأل سيء ويتشاءمون منها ، ويعتبرونها « خرّابة بيوت » .

* الأصابع :

في الوسط الشعبي الفلسطيني « يمتنع الناس عن تشبيك أصابعهم في عقد القران ، حتى لا تتشابك أمور الزواج وتنتهي الى الفشل »(٨٩) .

ومن الممارسات الشائعة في أوروبا بصفة عامة ، وكذلك في الولايات المتحدة ، أن يعقد الشخص أصابعه لدى اجتيازه الجبّانة ، على اعتقاد أن ذلك يحمي الشخص مما قد يلحق به من أضرار أثناء ذلك ، فيمنع الشيطان أو الأرواح الشريرة من النفاذ الى جسم الشخص »(٩٠) . وفي بعض مناطق افريقيا « يحتفظون في كيس صغير بالعُقَل (جمع عقلة) الأولى لأصابع أسلافهم الموتى ، إلى جانب قلامات أظافرهم وخصلة من شعرهم ، وتضاف الى ذلك الكيس عقلات أصابع وقلامات أظافر أفراد الأسرة الذين يموتون بعد ذلك ، ويحتفظ بتلك المجموعة بعناية لتُسلَّم من جيل الى الجيل التالي بكل حرص كبقايا مقدسة ، من شأنها أن تحقق الإرتباط المطلوب بين أفراد الأسرة الأحياء وأسلافهم الموتى . كذلك يحتفظ أبناء جزر السولومون بنظام أصابع زعمائهم وأبطالهم في أضرحة القرية ، وتؤدى لها طقوس الإحترام والتقدير »(٩١) . وبعضهم « يقطعون إصبع الخنصر عند الطفل الوليد كقربان لإطالة عمره ، خاصة إذا كان قد سبق أن توفي لوالديه أطفال من قبل . ويقال أن بعض قبائل المناطق الساحلية من سكان استراليا الأصليين يقطعون بعض عقلات من أصابع الفتيات ليصبحن صيادات ماهرات »(٩٢) . وتنتشر « لدى كثير من الشعوب البدائية ممارسات جدع بعض أصابع اليدين لأغراض سحرية أو دينية ، كنوع من تقديم الأضاحي للآلهة أو محاولة لاسترضائهم أو لتحقيق علاج أو نجاح أقارب الشخص المضحّي نفسه . كما تُقطع أصابع اليدين كتعبير عن الحزن في بعض المناسبات أيضاً . فنعرف عن جزر فينجي - على سبيل المثال - أن وفاة زعيم معين تتطلب التضحية بمائة إصبع . وأحياناً يقطع إصبع

طفل صغير أو عقلة منه كقربان عند وفاة والده . وهناك بعض الشواهد على أن نساء شعب الهوتنتوت تقطع عقلة إصبع لها عند وفاة زوجها »(٩٣) .

ويعتقد زنوج « جنوب الولايات المتحدة أنه إذا أشرت بإصبعك الى إحدى الأشجار المثمرة ، فإن ثمارها سوف تسقط أمامك على الارض ، ولكن حذار أن تشير الى إحدى المقابر . إنْ فعلت ذلك فسيؤدي ذلك إما الى التعجيل بموتك انت ، أو ان الشبح الموجود داخل المقبرة سوف يخرج منها ويطاردك ، أو أن ذلك الإصبع الذي أشرت به سوف يصاب ويسقط »(٩٤) . ويشيع عند « زنوج الولايات المتحدة الاعتقاد بضرورة عدم لمس أيّ جرح بإصبع السبابة ، لأن ذلك يكون نذيراً بحدوث شيء رهيب . ولا شك أن ذلك يشير الى معتقد أوروبي أقدم كان واسع الانتشار في أوروبا ، مؤداه أن إصبع السبابة سامّ ، ولذلك فإن الجرح الذي يلمسه لن يشفى إطلاقا »(٩٥) .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن المرء إذا أشار بإصبعه الى النجوم في الليل ، وأخذ يعدّها ، فإن الثآليل ستظهر في يده التي أشار أحد أصابعها الى النجوم وعدّها .

ويعتقد بعض الناس في الأوساط الشعبية « أن إصبع البنصر من اليدين وثيق الصلة بالقلب ، وهو ما يفسر اختياره للبس خاتم الخطوبة والزواج . حتى يعتقد أنه إذا انغمس هذا الإصبع ولو قليلا في السمّ ، فإن الشخص يحسّ بتأثير السم في جسمه بمنتهى السرعة »(٩٦) . وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقدون أن روح المرء إذا ما توفي بدأت بالخروج من إبهام قدمه ، لذلك فإنهم يفسرون اصفرار القدم وبرودتها عند الإحتضار بقولهم : « إجرُه ماتت » ، لأن القدم هي ـ في اعتقادهم ـ أول ما تغادره الحياة من أعضاء الجسم .

وهناك اعتقاد لدى بعض الشعوب ، أن أصابع « القديسين تشعّ النور والنار »(٩٧) ، وبأن « بعض الأبطال ذوي القوة الخارقة يتميزون أحياناً بزيادة عدد أصابع اليد عن الخمسة ، فيكون ذلك من أمارات التعرّف عليهم »(٩٨) .

ومن المعروف أن « المنجمّين والفلكيين يهتمون بالأصابع اهتماما خاصا ،

خاصةُ المختصين منهم بكشف الطالع من قراءة الكفّ ، ونجد لديهم أسماء خاصة لكل إصبع من الأصابع يكشف عن صلته بنجم معين .. إلخ »(٩٩) .
ونجد « أن وضع إصبع الإبهام محشوراً بين إصبعيّ الوسطى والسبابة يتخذ كوسيلة لإبعاد العين الشريرة في الصين وإيطاليا وغيرهما »(١٠٠) .

* الأظافر :

تحرص كثير من شعوب العالم على المحافظة الشديدة على الأظافر بعد تقليمها ، « لأن لها صلة وثيقة بشخصية صاحبها ، ويخشى أن تصل الى يد عدوه ، فيستطيع أن يمارس عليها سحراً ضاراً بواسطتها »(١٠١) . ويقال أن بعض جماعات الهنود يلقون بقلامات أظافرهم « من على المنحدرات الصخرية الشاهقة لتأخذها الأرواح ، والكائنات فوق الطبيعية التي يعتقدون في وجودها هناك »(١٠٢) .

وتدخل الأظافر « في سحر الحب بأنواعه ، كما تلعب دوراً في التنبؤ بمعرفة طالع الشخص وتحديد أحبائه وأعدائه (من واقع البقع البيضاء التي قد تكون موجودة عليها) ، كما يُستغل على نطاق واسع كما نعلم لإيقاع الضرر بصاحبها أو ممارسة السحر الضار عليه »(١٠٣) ، فالبقع البيضاء على ظفر الإصبع الإبهام تعني أن صاحبها سوف يحصل على هدايا ، فإذا كانت هذه البقع على إصبع السبابة فتدل على عدد أصدقاء الشخص ، أما إذا وُجدت على الإصبع الوسطى فتدل على عدد أعداء صاحبها ، وبقع الإصبع البنصر من اليد اليسرى تعني أنك سوف تتسلم خطاباً أو أن الحبيب سيحضر لرؤياك ، وتعني البقع على إصبع الخنصر أنك بصدد القيام برحلة »(١٠٤) .

ومن المعتقدات الذائعة « في عدد من الثقافات أن تقليم الأظافر يقوي البصر . وإذا قلمتها والقمر في المحاق فإنها لن تنمو بسرعة . أما إذا قلمتها يوم الجمعة فسوف يؤدي ذلك إما إلى شفاء آلام بالأسنان ، أو يسبب لك مثل هذه الآلام »(١٠٥) .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يحرصون على تقليم الأظافر ، ويقولون : « كل مع الكافر ولا توكل مع طويل الأظافر » .

والناس في سورية يحذرون من قصّ أظافرهم ليلًا ، لاعتقادهم أن من يفعل ذلك سيرى منامات « وحشة »(١٠٦) .

وفي الحديث الشريف : « من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظافر وقص الشارب »(١٠٧) . وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، كانت الأم « لا تقص أظافر طفلها إلّا بعد شهرين أو ثلاثة ، لاعتقادهم أن الطفل يبقى في سرير فاطمة بنت النبي ، حتى تُقص أظافره ، أو يضعوا الحنة في يديه ، فعندها يخرج من هذا السرير »(١٠٨) .

وفي « الجزر البريطانية والولايات المتحدة ، يُعتقد أن الوليد سيصبح لصاً إذا قصت له أمه أظافره قبل أن يبلغ العام من عمره . ولهذا السبب تعمد الأمهات الى قضم أظافر أطفالهن في الفترة الأولى من عمرهم ، على الأقل »(١٠٩) .

* الدم :

كان الناس في أوساط شعبية عديدة ، يعتبرون « أن الدم هو الحياة نفسها ، فقد اعتادوا أن يروا دم الإنسان يسيل فيموت الجسم ، ولذلك أصبحوا يعتقدون أن هذا الدم إنما هو الحياة نفسها تتدفق خارج الجسم بالمعنى الحرفي للكلمة . ويرتبط بهذا التصور العام نفسه ، الإعتقاد بأن روح أو نفس أي كائن إنما توجد في دمه »(١١٠) .

ومن الممارسات المعروفة التي تشير الى الاعتقاد بأن الدم هو الحياة نفسها وهو الروح ذاتها ، ما يحدث « من خلط دماء شخصين عند عقد مؤاخاة بينهما ، بحيث يصبح هذان الشخصان (الغريبان أصلًا) ، بمثابة أخوين تماماً ، تربط بينهما أخوة الدم »(١١١) .

وتنفر كثير من الشعوب « من أكل أو شرب دم الحيوانات ، خوفاً من أن تدخل الى جوفهم روح ذلك الحيوان »(١١٢) . لذلك نجد بعض الشعوب يعمدون الى « نزف دم الحيوان المذبوح للأكل ، بكل حرص ، بحيث لا يكون هناك أيّ شك في تلويث الآكلين بروح ذلك الحيوان »(١١٣) .

وبما أن « الدم يمثل الحياة ، وبما أن الحياة مقدسة أمام الله ، فقد قيل عن دم

هابيل أنه صرخ إلى الله من الارض طالباً الإنتقام له »(١١٤) ، وربما كان هذا أصل الاعتقاد بضرورة الأخذ بالثأر من القاتل ، على افتراض أن الدم لا يغسله إلا الدم . وكان العرب يرون « أنه ما دام الدم يجري في شريان الإنسان فهو حيّ ، فإذا هرق عن جسده فهو ميت »(١١٥) ، كما كانوا يرون « أن الدم هو الحياة »(١١٦) .

وفي بعض أنحاء العالم ، يعتقد الناس ، أن الدم يكسب السحرة القدرة على إيذاء الآخرين ، « فالساحرة تعجز عن إيقاع الأذى إذا استطاع المرء أن يفصد قطرات دم من جسمها »(١١٧) . وكانت النساء في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقدون بأنه « إذا وضعت امرأة بعض النقط من دمها في شراب لزوجها الذي يحبها ، فإن حبه لها يتصاعد »(١١٨) ، وبالرغم من عدم منطقية هذه الممارسة ، إلا أنها تشير إلى اعتقادهم بأن هناك قوة سحرية تكمن في دم الإنسان . وكان بعضهم ، إذا جُرح أحدهم ، فإنه يقوم بمص دم الجرح النازف ، بغمه ، ويبتلع الدم ، اعتقاداً منه أن الدم بهذه الطريقة لا يذهب الى خارج الجسم ولا يخسره صاحبه ، إذ أن الدم في هذه الحال ، يخرج من العضو المجروح ليعود - عن طريق امتصاصه - إلى الجسم ثانية ، وبذلك فإن الإنسان « لن يفقد » من دمه شيئاً .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني والسوري « إذا جُرح طفل ، يمتص أصدقاؤه بعض النقط من دمه . وعن طريق الدم يمتلك الإنسان قليلاً من روح الطفل ، ويصبح بذلك قريباً ، وحتى أخاً »(١١٩) . وكان كثير من الناس في الأوساط الشعبية يعمدون الى هذه الممارسة ، لاعتقادهم بأن « أيّ طرف من الطرفين لن يستطيع إلحاق الأذى بالطرف الآخر دون أن يعود ذلك الأذى على فاعله ، لأن دمه ممزوج بدم زميله »(١٢٠) .

وكان الدم عند العرب وسيلة للتحالف ، فلقد « كان من شأنهم إذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم بالدم »(١٢١) .

وكان لدم الأضاحي والقرابين الحيوانية مغزى اعتقادي لدى الناس في كثير من الأوساط الشعبية ، فمن الناس من يغمس يده في دم الضحية التي تذبح عند

ضريح أحد الأولياء ، تكريماً لهذا الولي أو وفاء لنذر معين ، وبعضهم قد يدهن رأس الطفل بدم الضحية التي تذبح ، عند مرور أسبوع على مولد الطفل ، تكريماً للولي ، ومنهم من يمسح عتبة الضريح بدم الضحية كي لا ينسى الولي طلب صاحب الحاجة(١٢٢) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني قد يغمس بعض الناس يده بدم الضحية بعد ذبحها ، عند عتبة البيت ، ثم يطبع كفه المغموس بالدم على باب البيت أو على أحد جدرانه الخارجية ، لنفس الغاية التي ذكرناها من قبل .

وكان الناس قديماً يعتقدون بأنهم عندما يقدمون الضحية ، فإن « الآلهة تشرب من دمائها ، فتهدأ وتستجيب للإنسان »(١٢٣) .

وكان نوع من الدماء مدعاةً للتشاؤم عند الكثيرين ، كدم الحيض ، فقد كان كثير من الشعوب السامية كالعرب والكلدانيين ، يتشاءمون من المرأة الطامث(١٢٤) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كان الناس ، وما يزال الكثيرون منهم ، يعتقدون أن المرأة الطامث (التي عليها العادة) ، وسخة ونِجسة . وهم يرون أن فاطمة الزهراء ، ابنة النبي محمد (صـ) ، قد امتنعت عن الدخول الى حجرة نوم والدها ، في فترة حيضها ، بسبب وجود بعض حبات من القمح عند العتبة ، خشيت أن تخطو من فوق تلك الحبوب المقدسة . وحتى يومنا هذا « لا تدخل امرأة أيَّ مزار ، أو تخطو فوق أيِّ شيء مقدس ، في فترة حيضها »(١٢٥) . وحتى الآن ، ما يزال كثير من الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يحظّرون على المرأة الحائض أن تعجن العجين ، أو أن تزور امرأةً نفساء ، كي لا يحدث أذى ما ، أو ضرر للمولود أو لأمّه ، كما يحظر على المرأة الحائض ممارسة أعمال أخرى عديدة في بيتها .

وفي الإسلام يعتبر دم الحيض من الأمور المؤذية ، وكذلك التعامل معه ، لقوله تعالى : « ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى »(١٢٦) .

وفي المسيحية ، فإنه « لا يمكن لأيّ امرأةٍ مسيحية ، وهي في فترة حيضها ، مرافقة جوقة الترتيل في أيّ كنيسة شرقية »(١٢٧) .

وكان لدم الحيض «صفة سحرية وقدرات أسطورية ، في المعتقدات الجاهلية »(١٢٨) . وكانت الفتيات في سن البلوغ - لدى البدائيين - « يُحجزن أو يُسقْن إلى حجرة تحت الأرض ، لا يتسرب إليهن أيّ شعاع للشمس ، ولا يسمح إلاّ لامرأة عجوز أن تتجول معهن »(١٢٩) وهناك اعتقاد عام لدى كثير من الشعوب « بأن دم الحيض إنما هو نتيجة عضة ثعبان ، أو سحلية ، أو أي حيوان آخر ، أو ربما عضّة روح شريرة . وهو في نظر العقلية البدائية ظاهرة شاذة ، ومن ثم يتوجب خشيته لسبب مزدوج ، أولا لأنه دم غير طبيعي ، ثم لأنه دم امرأة . ومن الممارسات الشائعة في كثير من الثقافات عزل المرأة طوال فترة الحيض . فهناك بعض القبائل التي تحبس الحائض في قفص فوق الأرض ، بحيث لا يلامسها ، ومن ثم لا تلوث أيّ شيء . إذ يُعتقد أن خروج المرأة الحائض من عزلتها هذه يمكن أن يلحق بجماعتها من الكوارث والمشكلات ما يعوق سير الطبيعة نفسها ، ويهدّد الكون بأجمعه »(١٣٠) . وفي بعض الأوساط الشعبية العربية « توصي المرأةُ الفتاةَ المراهقة عند أول حيض ، باحتضان نخلة أو زير ، والفكرة من وراء ذلك أن تسمن ويتضخم لحمها »(١٣١) . كما يعتقدون أنه « إذا مرت الحائض في مزارع الباذنجان أحرقتها .. كما أنه لا يصح أن تدخل على شخص مريض بعينيه لأنها إن فعلتْ ذهب بصره »(١٣٢) .

وفي بعض أنحاء العالم يعتقد الناس بأن « الأبرص يشفى إذا اغتسل في حمام دم بشري »(١٣٣) . ومنهم من يعتقد أن الدم البشري الطازج يشفي أمراضاً بذاتها ، ومنها شلل الأطفال(١٣٤) .

وكان الساميون يعتقدون بما يسمى « لعنة الدم » أو « ضربة الدم » ، وهي « جزئية سامة ترد بكثرة في الحكايات الخرافية العربية ، حيث حوّلت إحدى الإلهات جميع مياه البلاد بأكملها الى دماء ، بسبب خطيئة ارتكبها إزاءها أحد البشر »(١٣٥) .

ولعل الدعاء المتمثل لدى النساء في الوسط الشعبي الفلسطيني ، بقولهن « دم يضربك » مرتبط بشكل أو بآخر بهذه الفكرة : « ضريبة الدم » . ولعل ضربة الدم تلك هي المقصودة في الآية القرآنية التالية : « فأرسلنا عليهم

الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصّلات »[١٣٦] وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، يفسر الناس رؤية الدم في الحلم ، بأن هذا الحلم يعتبر « فاسداً » ، ولا يُعَوَّل عليه بشيء ذي قيمة أو أثر سلبي .

وهم يقولون في وصف المرء إذا ركب مراكب الخطر ، وخاطر بنفسه وكان على استعداد تام للتضحية بنفسه في سبيل هدف ما ، يقولون عنه ، أنه « حامل دمه على كفّه » .

والدم عندهم يرمز الى الخجل والحياء ، ويظهر ذلك في حالة الخجل والحياء ، وهم يخاطبون المرء الذي يرتكب المخازي ، أو تحدثه نفسه بارتكابها ، بقولهم : « خلّي عندك دم » أو « خلّي عندك شوية دم »[١٣٧] . وقد يلتقي المرء بأحد أقاربه المقربين مصادفةً ، وبعد غياب طويل ، ولا يعرف أحدهما الآخر من قبل ، وبالرغم من ذلك ، فإن كلّا منهما يعتريه نوع من الشعور الخفي تجاه الآخر ، بأن هناك رابطة دم قوية بينهما ، وهم يفسرون هذه الحالة بقولهم : « الدم بحنّ »[١٣٨] .

وقد يختلف أحدهم مع أحد أقاربه ، ويحقد أحدهما على الآخر ، وفجأة ، ولسبب ما ، يتصالحان ولو بعد حين ، وهم يفسرون هذه الحالة بقولهم : « الدمّ عمره ما بصير ميّ » ، أي إن الدم لا يمكن أن يكون ماءً ، وحنين المرء ومشاعره لا يمكن أن تموت الى الأبد . كما يقولون في هذا المجال : « الدم عمره ما بصير سمّ » .

ويعتبر الدم علامةً للصحة والعافية ، إذا « طفح » به خدّا المرء ، وهم يصفون مثل هذا الشخص بقولهم : « الدم رايح ينط من وجهه » ، أي يكاد الدم يقفز من وجهه من فرط صحته . وللدم عندهم حالات وصفات ، فالمرء « دمه بارد » إذا كان بليداً بطيء الحركة ، لا مبالياً ، و « دمه حامي » إذا كان في ريعان صباه وفي عنفوان شبابه ، و « دمه ثقيل » و « دمه زنخ » و « دمه ما بطيح من الغربان » إذا كان ثقيل الوطء ، لا يطاق ، و « دمه خفيف » إذا كان مرحاً خفيف الظل ، و « دمه فاير » إذا غلا مرجل غضبه ، و « قاعد يلعب على دمّاته » إذا دخل مداخل الهلاك . و « لقمته مغمّسة بالدم » إذا كان فقيراً يسعى وراء لقمة عيشه فيتعثر خلال ذلك ويصيبه الأذى والضرر باستمرار .

وإذا قَتل المرء قاتل أبيه أو أخيه أو قريبه بعيْد وقوع الجريمة مباشرة ، اعتبروا هذه الحالة بمثابة « فورة دم » .

هوامش الفصل الخامس

(١) (٢)(٣) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية ونفسانية التصوف - دار الطليعة بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٩ م - ص ٤٦ .

(٤) جيمس فريزر - الفولكلور في العهد القديم - الجزء الثاني - ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص ٤٦ .

(٥) فردريش فون ديرلاين - الحكاية الخرافية ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم - دار القلم بيروت الطبعة الأولى - ١٩٧٣ م - ص ٦٢ .

(٦) (٧)(٨) جيمس فريزر - مصدر سابق ص ١٩ - ٢٠ .

(٩) (١٠) الدكتور محمد الجوهري - علم الفولكلور الجزء الثاني دار المعارف - القاهرة الطبعة الأولى - ١٩٨٠ م - ص ٧٧ - ٧٨ .

(١١) الدكتور علي زيعور - الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم - دار الطليعة بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٧ - ص ٢٧٦ .

(١٢) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية ونفسانية التصوف - مصدر سابق ص ٤٥ .

(١٣) (١٤)(١٥)(١٦)(١٧)(١٨) جيمس فريزر - مصدر سابق - ص ١٧ - ١٦ .

(١٩) ألكزندار هجرتي كراب - علم الفولكلور ترجمة رشدي صالح - وزارة الثقافة - مؤسسة التأليف والنشر - دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧ م - ص ٤٣٨ .

(٢٠) أنظر : المصدر السابق ص ٤٣٨ .

(٢١) أنظر : قاموس الكتاب المقدس - مكتبة المشعل - بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨١ م - ص ٨١٣ .

(٢٢) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية - مصدر سابق ص ٤٦ .

(٢٣) أنظر : مجلة «الحوادث» - العدد ١٤٦٦ - ٧ كانون.

(٢٤) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٨١٣ .

(٢٥) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية - مصدر سابق ص ٤٦ .

(٢٦) أنظر : قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٧٢٧.

(٢٧) المصدر السابق - ص ٨١٣.

(٢٨) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية - مصدر سابق ص ٤٦ .

(٢٩) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد العاشر ١٩٧٦ م - ص ١٢٦ .

(٣٠) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الثاني عشر ١٩٧٩ م - ص ٣٠ - ٣١ .

(٣١) (٣٢) ألكزندار هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ٣٣٧ .

(٣٣) مجلة «التراث والمجتمع» -مصدر سابق - ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣٤) (٣٥)(٣٦) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

(٣٧) (٣٨) ألكزندار هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ٢٤٦ ، ٣٣٨ .

(٣٩) محمود سليم الحوت - في طريق الميثولوجيا عند العرب - دار النهار - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م ص ٢٢٠ - عن القزويني ص ٣٦٨ .

(٤٠) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد العاشر ١٩٧٩ م ص ٧ .

(٤١) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨٠ .

(٤٢) الدكتور محمد عبد المعين خان - الأساطير والخرافات عند العرب - دار الحداثة - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠ م - ص ٤٦ .

(٤٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الخامس ١٩٨٠ م - ص ٦٣ .

(٤٤) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٥٨٠ .

(٤٥) مجلة « العربي » الكويتية - العدد ٣٠٢ - يناير ١٩٨٤ م - ص ١٦٤ .

(٤٦) القرآن الكريم - سورة يوسف - الآية/٨٤ .

(٤٧) (٤٨) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٥٨٠ .

(٤٩) ألكزندار هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٣٨ .

(٤٩) الكزاندار هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٣٨ .

(٥٠) (٥١) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨٠ - ٥٨١ .

(٥٢) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية - مصدر سابق ص ٨ .

(٥٣) أنظر : المصدر السابق - ص ٢٨ .

(٥٤) (٥٥)(٥٦) المصدر السابق - ص ٧٨ .

(٥٧) ألكزاندار هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٤٥ .

(٥٨) الطبري - تاريخ الأمم والملوك - الجزء الاول ص ٤٧ - ٤٨ .

(٥٩) ألكزاندار هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٤٥ .

(٦٠) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨٥ .

(٦١) أنظر : مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الرابع كانون أول ١٩٦٩ م - ص ١٢٥ .

(٦٢) (٦٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الخامس ١٩٨٠ م - ص ٦٣ - ٦٤ .

(٦٤) (٦٥) أنظر : الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨٥ .

(٦٦) المصدر السابق - ص ٥٨٤ .

(٦٧) أنظر : المصدر السابق - ص ٥٨٤ عن النويري .

(٦٨) (٦٩) المصدر السابق - ص ٥٨٤ .

(٧٠) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد السادس أيار ١٩٧٥ م - ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٧١) مسنّد : صاعد .

(٧٢) مهوّد : نازل .

(٧٣) ترمسعيا - مركز الأبحاث في م . ت . ف وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الكويت ١٩٧٣ م - ص ١٦٠ .

(٧٤) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٥٤١ .

(٧٥) الدكتور إبراهيم بدران ، والدكتورة / سلوى الخماش دراسات في العقلية العربية (الخرافة) دار الحقيقة بيروت ١٩٧٩ - ص ٣١ .

(٧٦) أسنان الحليب : الأسنان اللّبنية .
(٧٧) ترمسعيا - مصدر سابق ص ١٦٠ .
(٧٨) الدكتور / محمد عبد المعين خان - مصدر سابق ص ٦٣ عن بلوغ الأرب للألوسي .
(٧٩) أنظر : مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الثاني عشر ١٩٧٩ م ص ٢٤ .
(٨٠) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الرابع - ص ١١٣ .
(٨١) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨٦ .
(٨٢) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - دار العودة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٢ م - ص ٤٢٢ .
(٨٣) القرآن الكريم - سورة يوسف الآية/٣١ .
(٨٤) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الخامس - مصدر سابق ص ٦٣ عن أبي حيان التوحيدي .
(٨٥) (٨٦) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨٦ - ٥٨٧ .
(٨٧) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الخامس - ١٩٧٦ م - ص ٨٢ .
(٨٨) أنظر : مجلة « التراث والمجتمع » العدد الخامس ١٩٧٦ م - ص ٨٢ .
(٨٩) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد السادس أيار ١٩٧٥ م ص ٨٢ .
(٩٠) حتى(١٠٥)-الدكتور محمد الجوهري-مصدر سابق ص ٥٨٨-٥٨٧-٥٨٧-٥٨٩-٥٨٦-٥٧٧-٥٧٥-٥٧٩ .
(١٠٦) مجلة « العربي » الكويتية - العدد رقم ٢٨٣ يونيو - ١٩٨٢ م - ص ١٣٥ .
(١٠٧) صحيح البخاري - الجزء الثامن - ص ٥٦ .
(١٠٨) ترمسعيا - مصدر سابق ص ٥٩ .
(١٠٩) (١١٠)(١١١)(١١٢)(١١٣) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٧٨ ، ٥٦٩ ، ٨٣ ، ٥٦ - ٥٧٠ .
(١١٤) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٣٧٧ .
(١١٥) الدكتور محمد عبد المعيد خان - مصدر سابق - ص ٥٥ .
(١١٦) المصدر السابق - ص ٥٥ .
(١١٧) ألكزاندار هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٤٧ .
(١١٨) (١١٩) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد الرابع تشرين أول ١٩٧٤ م - ص ١١٧ - ١١٨ .
(١٢٠) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ٥٧٤ .
(١٢١) محمود سليم الحوت - مصدر سابق ص ١١٧ - ١١٩ .
(١٢٢) أنظر : الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق الصفحات ٦٨ - ٦٩ ، ٧٧ - ٧٨ ، ٨٢ .
(١٢٣) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد الثاني عشر تشرين ثاني ١٩٧٦ م - ص ٦ .
(١٢٤) أنظر : شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - دار ابن خلدون بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨ م - ص ١٢٠ .
(١٢٥) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الخامس - مصدر سابق ص ٧٨ .
(١٢٦) القرآن الكريم - سورة البقرة الآية/٢٢٢ .
(١٢٧) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الخامس - مصدر سابق - ص ٧٨ .
(١٢٨) الدكتور علي زيعور - الكرامة الصوفية مصدر سابق - ص ٢١٣ .
(١٢٩) فردريش فون ديرلاين - مصدر سابق - ص ١٢٥ .

(١٣٠) (١٣١)(١٣٢) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٧٢ .

(١٣٣) ألكزاندار هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ٥٧٢ .

(١٣٤) انظر المصدر السابق - ص ٣٤٨ .

(١٣٥) شوقي الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٣٩٣ .

(١٣٦) القرآن الكريم سورة الأعراف - الآية/١٣٣ .

(١٣٧) شوية : قليل .

(١٣٨) يحنّ : يحن ، أي يتولد الحنين في دم كل منهما باتجاه الآخر .

الفصل السادس

الحيوان

(الحصان ـ الحمار ـ البغل ـ القرد ـ الحية ـ البقرة ـ الثور ـ الجمل ـ الغنم ـ الغزال ـ الخُلد ـ الفأر ـ السحلية ـ أبو بريص ـ الحرذون ـ العقرب ـ السلحفاة ـ الخفاش ـ العنكبوت ـ النمل ـ النحل ـ الخنفساء ـ الذبابة ـ الجراد ـ الحرباء ـ الكلب ـ القط ـ الضبع ـ الذئب)

*** الطير (الحمامة ـ الغراب ـ الدجاجة ـ الديك ـ السنونو ـ البوم)**

*** الحصـــان :**

يفيد الباحثون أن موطن الخيول الأصلي هو أمريكا ، حيث كانت وحشية كباقي الحيوانات الوحشية ، وقد وجدت طريقها من أمريكا إلى آسيا منذ العصور الحجرية القديمة ، وذلك عندما كانت أمريكا وآسيا تشكلان قارةً واحدة ، ثم انتقلت الى أرض فلسطين في حالتها الوحشية في العصر الميسوليثي (٢٠٠٠٠ ـ ٧٠٠٠) ق . م ، وقد دُجنت منذ عهد قديم في مكان ما شرقي بحر قزوين من قبل القبائل الهندو أوروبية الرّحل ، وقد أدخلت الى سورية في عهد الهكسوس ، ومنها انتقلت الى مصر ، ثم الى الجزيرة العربية ، حيث كان لها أضمن حماية للحفاظ على سلالتها الأصلية دون الإختلاط بدم الخيول الأخرى ، لذا فإن جميع أنساب الخيول العربية الممتازة في العالم ترجع إلى البادية العربية(١) . وكان العرب يعتقدون أن الحصان « كان وحشياً ، وأول من ذلّله وركبه إسماعيل عليه السلام »(٢) .

كان الحصان من بين الأشياء الرئيسة المخصصة للعبادة عند العرب في الجاهلية(٣) . وعندما جاء الإسلام أكرم الحصان واعتبر رمزاً للخير ، فلقد روي عن النبي (صـ) أنه قال : « إن يكن الخير في شيء ففي ثلاث : المرأة ، والدار ، والفرس »(٤) . وروي « في الصحيح عن جرير بن عبد الله : أن رسول الله (صـ) شوهد وهو يلوي ناصية فرسه بإصبعيه وهو يقول : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها ، لهم الأجر والغنيمة »(٥) . كما روي عن النبي (صـ) قوله : « عليكم بإناث الخيل ، فإن ظهورها حرز ، وبطونها كنز »(٦) . ولقد دعا الإسلام إلى إكرام الحصان العربي ، ويروى عن النبي (صـ) أنه قال : « من كان له فرس عربي فأكرمه ، أكرمه الله ، وإن أهانه ، أهانه الله »(٧) . ومن مظاهر إكرام الخيل أنّ قسم الله تعالى قد اقترن بها في القرآن الكريم : « والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً »(٨) . وفوق ذلك كله ، فإنّ هنالك سورة في القرآن الكريم تحمل اسم الخيل ، هي سورة « العاديات » . كما اعتبرت الخيل من وسائل الزينة ومن المغريات في الحياة الدنيا ، إضافة لمهامها الأخرى : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة »(٩) و « زُيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة »(١٠) . وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كان « من العيب أن تمنع الخيل من أن تأكل من البيادر أو الزرع ، وفي الأقوال المأثورة : « الخيل إلها ربع الدنيا »(١١) ، إذ بلغ من شدة إكرامهم للخيل أنها يحق لها أن تأكل من أيّ مكان تشاء ومن أيّ مكان تتواجد فيه ، دون أن يمنعها أحدٌ من ذلك . ومن مظاهر إكرام الخيل في الوسط الشعبي الفلسطيني أن الناس كانوا يضربون « المثل بالفرس الأصيلة ، وهم يشبّهون المرأة الوفية الحسنة الطباع بقولهم : أصيلة ، ويقولون عن الرجل الذي تخلّى عن طبعه الجيد بأنه « قدّش »(١٢) ، أي إنه أصبح مثل القديش « الكديش » . وهنالك ظاهرة في الوسط الشعبي الفلسطيني ، تشير إلى شدة إكرامهم للخيل ، حيث « كان الناس في الماضي يتوافدون على بيت صاحب

الفرس الأصيلة لتقديم التهاني إذا أتجبت فرسه مهرة ، وللتعازي إذا ماتت ، وكانت العادة أن تُغسل الفرس الأصيلة المتوفاة ، بالماء الساخن والصابون ، وتلف بالقماش ، وتدفن حتى لا تنهشها الكلاب »(١٣) .

ويعتبر الفرس « أشبه الحيوان بالإنسان ، لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلوّ الهمة »(١٤) . ومن أخلاقه « الدالّة على شرف نفسه وكرمه ، أنه لا يأكل بقية علف غيره »(١٥) .

والفرس الأصيل أو العتيق « ما أبواه عربيان ، سمي بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة ، والعتيق الكريم من كل شيء ، والخيار من كل شيء »(١٦) .

ومن الحقائق الجديرة بالذكر أن « الجواد يجب أن يقتل بالرصاص إذا مرض وأشرف على الموت ، حفظا لكرامته ، لا أن يُطرح جيفة نتنة تنهشها الضواري »(١٧) . ولقد اتصف الفرس بزهوه ، حيث قال العرب : « ذو الزهو ثلاثة : الفرس ، والديك ، والطاووس »(١٨) . وفي طبع الفرس « الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه »(١٩) ، ومن الخيل « ما لا يبول ولا يروث ما دام راكبه عليه »(٢٠) . ومنها « ما يعرف صاحبه ، ولا يمكّن غيره من الركوب عليه »(٢١) . ومن الطباع الغريبة للخيل أن الحصان « لا يشرب الماء إلّا كدراً ، فإذا راه صافيا كدّره »(٢٢) ، ومعروف عن الفرس الأصيلة أنها « تطوف حول فارسها بعناية »(٢٣) ، إذا ما وقع عن ظهرها.. وتتوافر « مرويات شعبية عن وفاء الفرس الأصيلة ، وفهمها واستيعابها لأمور فوق قدرة الحيوان على الاستيعاب ، ويقال أن للفرس العربية ذاكرة قوية »(٢٤) . وهناك « أخبار متواترة عن خيل سقط الفارس عن ظهرها فتسمرت الى جوارة . وتعرف الفرس خيالها فتسرع في العدو معه دون غيره »(٢٥) .

كان العرب يظنون « أن الفرس لا طحال له »(٢٦) ، وكانوا يعتقدون أن الفرس « إذا وطىء أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ، ويخرج الدخان من جلده »(٢٧) ، واعتقدوا كذلك أن « الفرس الذي يُعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجري »(٢٨) . وكان الفرس أحد الأشياء التي كان

الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يتفاءلون بها أو يتشاءمون منها ، فهم يقولون : نواصي وأعتاب وحوافر وأكعاب » ، أي الفرس والدر والمرأة . وكان النبي (صـ) يقول : « لا عدوى ولا طيرة ، إنما الشؤم في ثلاث : في الفرس والمرأة والدار »(٢٩) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، كان الناس يعلقون حدوة حصان في أعلى باب البيت من الخارج ، وذلك لاعتقادهم أن ذلك يردّ العين الحاسدة عن هذا البيت ، وربما اعتقدوا كذلك أن هذا يجلب الحظ لساكني البيت . وكان الكثير منهم يعتقد أن الحصان يستطيع رؤية ملك الموت وهو قادم ، عندئذٍ يضرب الأرض بإحدى قائمتيه الأماميتين ، لذلك فهم يتشاءمون من هذه الحركة التي يحدثها الحصان أحياناً ، لأنها ربما تعني الموت لأحدهم ، ويعزى هذا المعتقد إلى « الظن بأن الحيوانات تستطيع أن ترى الأشباح والعفاريت التي تكون خافيةً على الإنسان »(٣٠) ، فإذا ظهر الشبح « تتوقف الجياد عن سيرها عندما تقابله في الطريق »(٣١) .

* الحمار :

يرتبط ذكر الحمار بإبليس الذي « عندما أراد الدخول إلى سفينة نوح ، اختبأ « تحت ذيل الحمار في شكل ذبابة ، ولكن الحمار كره أن يكون واسطة لنقل ذلك الشرير ، كما قام نوح بطرده بضربات قاسية . وحصل هذا الحمار على وعد بأن يدخل الجنة أحد أحفاده ، وتحقق ذلك عندما دخل جحش العزيز الجنة »(٣٢) .

ويروي الطبري(٣٣) عن نوح ، أن آخر من حمل على السفينة كان الحمار ، « فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذنبه فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك أدخل فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك ، قال كلمة زلت على لسانه ، فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه .. فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك » .

والحمار حيوان « يستغله الناس أبشع استغلال في الركوب والنقل ،

ويصفونه بأبشع صفات الغباء والبلادة ، وبه يشبّهون الأغبياء والبلداء ، ويصفون الأدوات التي تحمل السقف والأثقال بأنها جحوش أو حمارات »(٣٤) .

ولأن الحمار يتحمل المشاق والتعب ، ويصبر على ذلك ، فإن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يصفون الرجل إذا كان دائب العمل بقولهم : فلان « حمار شغل » ، كما يصفون الحمار بالغباء ، وهم يشيرون إلى ذلك بقولهم : « التكرار بعلّم الحمار » ، وإذا أرادوا وصف شخص ما بقلّة الفهم والإدراك قالوا : « هذا حمار ما بفهم » ، وإذا وصفوه بقلة الإحساس قالوا : « إللي ما بغار بكون حمار » ، وقد « يعبّر عن شدة الإهانة التي يمكن حدوثها للإنسان بتشبيه موته بموت الحمار »(٣٥) ، لأن الحمار عندما يموت يصبح طعاماً للكلاب . وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعبرون عن ذلك بقولهم : « أولّيتها للعذاب وآخرتها للكلاب » ، ويقولون كذلك : « موت الحمير فرج للكلاب » .

وعن أسباب تسمية الحمار باسمه ورد في التراث الشعبي الفلسطيني ، أنّ آدم سمى « الحيوانات بأسمائها ، ونسي الحمار ، وهكذا ذهب الحمار مطالباً بتسميته ، وحصل ذلك مراراً فصاح آدم : حْمار .. وإلُه(٣٦) ذنين (٣٧) طْوال »(٣٨) .

وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني « يقال أن سبب نهيق الحمار يعودُ إلى أن الشيطان بهمس في أذن الحمار ويقول : « ماتن(٣٩) الثّنايا(٤٠) وهنا ينهق الحمار حزينا ، وبعد ذلك يقول الشيطان : (بقيت واحدة) فيقول الحمار : (هاطْها(٤١) ، هاطها .. هاطْها »(٤٢) .

وهم يعتقدون ، أنه « عندما يقع الإنسان عن ظهر الحمار ، يقول الحمار : قطع(٤٣) » (٤٤) . ويعتقد بعضهم « أن من يشرب من حليب الحمارة « ببنْدق » أي لا يصاب بالحصبة »(٤٥) . وكان العرب يعتقدون « أن الحمار لا يدفأ إلّا يوماً من أيام تموز ، وهو في سائر أيام السنة مقرور »(٤٦) .

* البغل :

هو حيوان « من ذوات الحوافر ، يتولد من الحمار والفرس ، وهو أكبر من الحمار وأصغر من الفرس ، ولكنه يعمر أكثر منه . ومن أوصافه العناد والصبر

على المشتقات »(٤٧) .

وفي فلسطين ، كان البغل عنصراً فعّالاً « في زراعة الفلاح .. وهو محبوب لدرجة أنه كان يوصف بصفة « أبو العيال »(٤٨) .

وكان البغل ، عندهم يرمز إلى « الحقد والغضب وسوء التصرف ، ويربط الناس بين وضعه المتوتر الحاقد ، وبين ما يُعتقد بأنه نتيجة لغضب النبي عليه ، لقد حملت البغلة ذات مرة ، وكان النبي من عادته أن يذهب ليداعب صغار الحيوانات ، وهكذا كانت الناقة والبقرة والحمارة تحس بالسعادة نتيجة لزيارة النبي ، وتثق به ، لكن البغلة رفضت أن تثق بالنبي وحاولت إيذاءه ، فدعا النبي عليها وقال : « الله يقطعك من الذرّية »(٤٩)

ويعتقد أن هناك سبباً آخر لعدم تناسل البغال ، ويقال بأن البغال قد عوقبت « بعقوبة عدم التناسل ، لأنها تطوعت لجلب الوقود للنار التي ألقي النمرود فيها إبراهيمَ الخليل وحملت الجنود الذين تعقّبوه »(٥٠) .

ويورد « أسطفان سببيْن آخرين يعزى لهما حرمان البغل من الذرية ، الأول هو أن البغل رفض جلب الملح للناس ، والثاني هو أن البغل ـ خلافاً للحيوانات الأخرى ـ عاون النمرود في نقل الحطب لإضرام النار التي أصبحت فيما بعد (برداً وسلاماً على إبراهيم»(٥١) .

* القرد :

يتمثّل القرد في « الذهن الشعبي بصورة حيوانٍ مرح ، إلا أنه مكروه »(٥٢) وهو رمز للدمامة والقبح وكثرة الحركة والتنقل ، حتى أن كثيراً من الناس يصفون الطفل الدميم كثير الحركة والشغب بقولهم : « كاين الله بدّه يخلقه قرد » .

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن القرد كان من قبل إنساناً ثم مسخ فصار قرداً ، وأنّ ذلك حدث عندما « ذهبت إحدى الفلاحات الى الطابون حتى تخبز ، وأخذت طفلها ، وبعد أن خبزت عدة أرغفة ، تبرّز الطفل ، وبما أنه لم يكن معها أي فوطة ، فقد نظفت له برغيف من الخبز ، والبعض يضيف أن الله أرسل الملاك جبريل مع سبعة مناديل حرير ، ولكن الأم فضلت أن تحتفظ بهذه الهدية لنفسها ، ومسحت الطفل برغيف الخبز ،

وكقصاص لعدم احترام هذه المنحة السماوية ، فقد تحول الطفل إلى قرد بمؤخرة حمراء لزجة ، ومنذ ذلك الوقت تتميز القِردة بهذه الصفة »(٥٣) ، ولهذا « تبدو مؤخرات القرود مسلوخة » .

ولقد كان العرب في الجاهلية يعتقدون كذلك بأن القرد أصله إنسان ، فقد « رووا الكثير من الخرافات ، حول أناس خلطوا اللبن بالماء فمسخوا قِردة »(٥٥) . وقالوا أنه « في آخر الزمان تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قرداً ، لأنه لا يؤمن بالقدر »(٥٦) ، ويبدو « أنهم اعتقدوا في أن القردة والخنازير ما هم إلا أناس بشريون ، فلقد تواترت خرافات كثيرة عن أنّ الجاهليين كانوا يرجمون القِردة الزناة ، وروي عن الأزدي قال : « رأيت في الجاهلية قردةً زنت ، اجتمع عليها قِردة فرجموها ورجمتُها معهم »(٥٧) . وروي كذلك أن « القبائل العربية المندثرة ، عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق وغيرهم » قد مُسخوا إلى قردة »(٥٨) .

ويقال « بأن الجاهليين كانوا يسجدون للقرد »(٥٩) . كذلك كان للقرد نصيب من العبادة عند المصريين القدماء ، « والقرد إله ـ الطوطم ـ « كان موقعه في البانثيون ـ أو مجمع الآلهة الفرعونية ، منذ الدولة القديمة ، وبخاصة في مصر العليا »(٦٠) .

وكان العرب يعتقدون بأن « الجن يركب كل وحش من البهائم والطيور إلا الارانب .. والضباع .. والقرد .. »(٦١) وهناك معتقد قديم يشير الى العلاقة بين القرد والعنب ، حيث « يروى أن نوحاً زرع العنب بعد انتهاء الطوفان ، « وبدون علم النبي ذبح إبليس القرود والخنازير وخلط دمها بنبات العنب ، ولذلك صار كل من يشرب الخمر المصنوع من العنب رديئاً رداءة القرود والخنازير »(٦٢) .

* الحيّة :

تمثل الحية في الذهنية الشعبية الفلسطينية « مصدراً للخوف والرعب ، ذلك لأنها كانت تلدغ الإنسان وتميته ، في وقت كان الطب يقف عاجزاً إزاء سمّها . والمرويات المتعلقة بالحية كثيرة ومتشعبة ، ولذلك يضرب الناس المثل بطول

سيرةٍ قائلين : « مثل سيرة الحية »[٦٣] . وكانت الحية كذلك مصدراً للخوف في الذهن الشعبي العربي ، حتى أنهم كانوا يخشون ذكر اسمها لا سيما أثناء الليل ، وهم يكنّون عنها ، فهم « لا يقولون بالليل حية ، ويقولون طويلة ، وإذا غلط أحدهم فقال حية ، قالها ثلاث مرات »[٦٤] . وربما ذكروها بأسماء مستعارة مثل « الربيع وأبو البحتري وأبو عثمان وأبو اليقظان »[٦٥] . وهم يخشونها ويتقون شرها ، لأن صورتها في ذهنهم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالجن ، حيث « إن أشهر الصور التي تظهر بها الجن في الثقافة العربية الجاهلية ، هي صورة الثعابين »[٦٦] . فللجن تعلق بالحية كما يعتقدون ، ويروى « أن شرحبيل[٦٧] خرج مرةً إلى الصيد ، فوجد حيتين سوداء وبيضاء تقتتلان وقد ظهرت السوداء على البيضاء ، فقَتَل السوداء ، وحمل البيضاء وصبَّ عليها ماءً حتى أفاقت ، فأطلقها وعاد الى داره وجلس منفرداً ، وإذا بجانبه شاب جميل فذعر شرحبيل ، فقال الشاب : لا تخفْ أنا الحية البيضاء التي أنجيتها ، والأسود الذي قتلته هو عبدٌ لنا تمرّد علينا ، وإني مكافئك »[٦٨] .

كذلك فإن المعتقدات الشعبية العربية تجعل الحية قرِيبَة الجن . وكانوا يعلّقون أسنانها على الصبي لتمنحه الحياة (وتردّ العين)[٦٩] .

وقد أدى الخوف من الحية ، والخشية من أذاها ، إلى أنها « كانت تُعبد في الجاهلية اتقاءً لشرها من جهة ، ولكونها رمز الروح من جهة أخرى »[٧٠] .

ويقال أن العرب المسلمين كانوا يكرمون الحية بعد موتها ، فقد روى « السهيلي في فضائل عمر بن عبد العزيز : « بينما عمر بن عبد العزيز يمشي في أرض فلاة ، فإذا حية ميتة ، فكفّنها بفضلة من ردائه ودفنها » . وقال أيضاً : إنه كان في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون ، فرفع لهم إعصار ثم جاء إعصار أعظم منه ، ثم انقشع فإذا حية قتيل ، فعمد رجل منا الى ردائه فشقّه ، وكفّن الحية ببعضه ودفنها »[٧١] .

وفي التراث اليوناني يروى أن « الحية كانت من بين أشياء عديدة منذورة للآلهة « أثينا » ، وفي بلاد الإغريق القدماء « كانت تمارَس عبادة الأفعى »[٧٣] . وفي الأساطير الرومانية أن « أنغيتا هي إلهة الأفاعي عند الطليان ، عبدت في أواسط إيطاليا ، وهي تتمتع بمواهب عديدة ، منها صنع السم

وتحضير الترياق وترويض الافاعي وتلاوة الرقى التي تطرد الشياطين »[٧٤] . كذلك يظهر « أن عبادة (الحية) كانت عادة كنعانية متفشيّة كثيراً ، كما يُستدل من تماثيل الثعابين الكثيرة التي تزين أدوات العبادة وأوانيها »[٧٥] .

وفي مصر كان « اللباس الملوكي الذي يلبس فوق الجبهة يحمل الحية المقدسة أوراوس عند قدماء المصريين . والتي ترمز إلى الملك والسلطان »[٧٦] . ويقال أن « الحية الخضراء ، حتى اليوم ، مقدسة في السودان ، إذ هي تخبر عن الغيب عن طريق الوسيط »[٧٧] .

تعتبر الحية في الوسط الشعبي الفلسطيني ، رمزا للحياة ، فالناس يتفاءلون برؤية الحية في المنام ، لأن « الحية حياة ، وإذا رأى النائم في منامه حية فقتلها وأخطأها فذلك فأل حسن ، لأن الحية سوف لن تثأر من النائم »[٧٨] ، وفي هذه الحال ستُمنح له حياة جديدة . ويقرّب « إبن سيرين بين الحية والحياة في تفسير الأحلام ، وكذا يقول ابن خلدون »[٧٩] .

إن « ارتباط الحية بالخلق والحياة الجديدة للإنسان واضح في قصة حواء وآدم ، فحواء والحية كلاهما يشير الى الحركة والتغير . الأولى نبع الخصوبة وأم المخلوقات ، والثانية سبب حرث الأرض والهبوط من الجنة والإنتقال الى طور جديد »[٨٠] .

ويشير القرآن الكريم كيف « تصبح عصا موسى « حية تسعى » وتنقل الجميع الى طورٍ جديد »[٨١] : « قال ألقها يا موسى ، فألقاها فإذا هي حيةٌ تسعى »[٨٢] .

ونجد في الأساطير اليونانية ما يشير الى أن الأفعى كانت « الحيوان المنذور لإيسكولاب ، لأنها رمز الحياة »[٨٣] . كما نقرأ في تلك الأساطير عن « إيشيدنا التي « كانت وحشاً خرافياً نصفه إمرأة ونصفه أفعى »[٨٤] ، ونلاحظ هنا كيف تم توحُد الحية بالمرأة (حواء) ، الأولى رمز الحياة والتجدد والاستمرار والإنبعاث ، والثانية رمز العطاء والإخصاب .

ترمز الحية كذلك الى الأرض ، إذ أن « الأمر الثابت أن الثعابين وضفادع البر صارت ـ بفضل طريقة حياتها ـ تجسيداً لأمّنا الأرض ، كما أنه من الثابت

أن سائر إلهات الأرض تبدّت كلها في شكل ثعابين »(٨٥) .

وتعدّ الأفعى « بصفة عامة حيوانا قريبا من العالم الأرضي ، ولذلك فإن قوى العالم تقع في حوزتها ، وعلى هذا فهي تستطيع عن طريق عشب عجيب أن تهب الآخرين الحياة الأبدية »(٨٦) . ويحكي الإغريق « عن القوة الغريبة التي تمتلكها الأفعى ، إلى درجة أنها تفهم لغة الحيوان وأنها عرفت العشب الذي يمنح الخلود »(٨٧) .

وفي « ملحمة جلجامش ، تقدم الحية بوظيفة مرتبطة بالحياة : تسرق عشبة الخلود ، نبتة الحياة الأبدية ، ثم تقفز الى الماء »(٨٨) .

من المعروف أنه « كلما نمت الحية ضاق جلدها ، وهكذا فإنها تعمد الى سلخه بحك الجلد بصخرة »(٨٩) ، وفي فلسطين كان « أطفال المدارس في الجيل الماضي يضعون جلد الحية في كتبهم ، اعتقاداً من ذويهم أن ذلك يساعدهم على حفظ الدروس »(٩٠) . إن هذا الاعتقاد ـ كما نظن ـ يعزى إلى أن إنسلاخ جلد الحية كان يرمز ـ من جملة ما يرمز ـ إلى اليقظة ، « ولقد لاحظ الناس ، في بلاد متباعدة ، أن الثعابين تنضو جلودها عن أجسامها ، وقد دعاهم ذلك إلى الاعتقاد بأن الثعابين مخلّدة »(٩١) وقد اتخذ الإنسان القديم هذه الظاهرة « رمزاً للتجدد والإستيقاظ والعودة للحياة »(٩٢) . وفضلا عن الرموز التي سبق ذكرها فإن الحية ترمز الى العداوة والكراهية والأذى . وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعبّرون عن ذي الوجهين بقولهم : « بالوجه خيّي ، وبالقفا حيه » ، أي إنه يمدحني ويجاملني إذا حضرت ، ويذمنّي ويؤذيني بقارص القول والكلام إذا غبت . كما يعبرون عن العدو وعدم جواز الركون إليه بقولهم : « الحية ما بتنحط في العب » ويقولون : « الحماه حيه ، وبنت الحماه عقربه مسمّه » و « عمر الحيّه ما بتصير خيّه » . لكنهم يعتقدون ـ في الوقت نفسه ـ أن الحيّة لا تؤذي من لا يؤذيها أو يتعرض لها ، وهي إذا صادفت شخصاً نائماً فإنها لا تؤذيه أبدا ، ويعبرون عن هذا بقولهم : « عند العقرب لا تقرب ، عند الحيّه أفرش ونام » ، وإن « حية الدار » ـ كما يعتقدون ـ « غير ضارة إلّا إذا آذاها الإنسان ، بل يظنون أنها مستجيرة ومسالمة »(٩٣) . وحية الدار هي « تلك الحية التي تعيش في سقوف البيوت الشعبية »(٩٤) . كما يعتقدون أن الحية تلدغ

الإنسان بأمر الله ، لأن أجل ذلك الإنسان قد جاء ، وهكذا تكون أداة مسخرة لإرادة الله سبحانه وتعالى « ونجد الحيّة لذلك أقرب للنفس الإنسانية من الثعبان الشرير »[٩٥] ، حتى أنه إذا التقى أحدهم « بحية وأراد تجنّب شرها فإنه يقول لها « سيري يا مباركة »[٩٦] .

وكان الكثيرون منهم يعتقدون أن هناك حيّةً جنّية (ترصد الكنوز) ، تقوم على حراستها ، فإذا ما قتلها الإنسان استولى على كل الثروات التي تضمها تلك الكنوز »[٩٧] ، ويسمى الكنز في هذه الحال « الكنز المرصود » أي المحروس ، والحية التي تحرسه « ترصده » هي بطبيعة الحال طويلة ضخمة قوية ليس من السهل قتلها . وفي فلسطين « أورد توفيق كنعان ثلاثة ينابيع ترصدها الثعابين ، وهي عين مرده ، وعين التنبول في كوبر »[٩٨] ، وعين بيرنبالا[٩٩] » [١٠٠] .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، إذا رأى أحدهم ثعبانين يقتتلان ، فإنه يفسّر سبب هذا الإقتتال بأن أحد الثعبانين قد عثر على حجر الثعبان ، الذي يسمّونه « خرزة السّعد » - وهي خرزة ثمينة يُعتقد أنها تجلب السعد والسعادة لمن يعثر عليها - ، فيحاول الثعبان الآخر اختطافها من خصمه ، فتجري بينهما هذه المعركة الضارية ، وقد يحاول من يشاهد هذه المعركة المحتدمة بين الثعبانين قتلهما معاً ، كي تكون « خرزة السعد » من نصيبه ، إلّا أنه قد يفشل في ذلك ، وقد ينجح في قتل أحد الثعبانين ، فيفرّ الثعبان الآخر الذي ربما يكون - وفق المعتقد - حاملًا معه تلك الخرزة الثمينة ، وربمّا تمكّن الرجل من قتل الثعبانين معاً ، لكنه قد يُفاجأ بأن سبب اقتتالهما هو مجرد حجر صغير أو خرزة عادية لا أكثر .

يقول كراب[١٠١] أن « من المعتقدات الأوروبية التي قد نجدها في آسيا وأمريكا ، ذلك المعتقد المبني على ما يسمى بحجر الثعبان ، أي الجوهرة الثمينة ، التي قد تكون تاجاً في بعض الأحيان ، والتي يظن أن الثعبان (أو ملك الثعابين) يحملها معه ، وقد تُخطف منه وتُسلب » .

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني « يتفاءلون إذا لاقت شخصاً ما

حية في طريقه ، ويعني أنّ أمره ميسَّر ، ويواصل مسيره »[١٠٢] . وربما تشاءموا منها أحياناً ، يوضح ذلك قولهم : « صباح الحيه ، ولا صباح البنيّه » .

وقيل أن الكلدانيين والعرب كانوا يتشاءمون من الحيّة »[١٠٣] . تروى حكايات كثيرة حول ما يمكن أن نسميّه بـ « حيّة القبر » ، وفي الذهنية الشعبية الفلسطينية « أن الفاسقين يعاقبون في قبورهم بواسطة حيّة ملعونة تصبح رفيقة الميت الفاسق وتلدغ شفتيه وتمتص دمه ، ويتناقل الناس رواية عن رجل فاسق ، حفروا قبراً له ، فخرجت منه أفعى ، وهكذا ردموه ليحفروا غيره ، وعندما حفروا قبراً آخر خرجت منه الحية ، وتكرر ذلك للمرة الثالثة ، فأمر الشيخ بدفن الفاسق والحية ، وقال : إنها عقابه وعذابه »[١٠٤] .

وهم يعتقدون بأن الحية إذا لدغت أحداً فإنها تنقلب بعد ذلك مباشرة على ظهرها ، ويفسرون انقلاب الحية ، بأنها أفرغت سمّها كله في الشخص الملدوغ . كذلك كان العرب يعتقدون أن الحية « من عادتها إذا نهشت انقلبت ، ويتوهم بعض الناس أنها فعلت ذلك لتفرغ سمها ، وليس كذلك »[١٠٥] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، « اعتقاد مؤداه بأنه إذا لدغت أفعى أمّاً وهي حامل ، فإن ابنها يولد « محوي » ، وتقوم بعض الأمهات بتعريض أنفسهن للدغ الأفعى من أجل تحصين المولود المنتظر »[١٠٦] ، والمحوي هو الشخص « المحصَّن ضد لدغ الأفاعي ، ويتم ذلك بمعرفة (الحاوي) »[١٠٧] . ونقرأ عن « بدو سيناء الذين يطعمون أولادهم حيةً محروقة ليخلقوا لديهم المناعة ضد سمّ الحيّة »[١٠٨] . ونقرأ عن مناعة من نوع آخر ، ففي « إنجيل لوقا ، حيث يقول المسيح لتلاميذه : « انظروا فقد منحتكم القوة لتدوسوا فوق الحيايا والأفاعي »[١٠٩] . وفي فلسطين نجد بعض الناس ، وبشكل خاص الأمهات في الوسط الشعبي ، قد « يقدم بالقسم على الحية وتحويط الأبناء من شرها فيقول : « محوَّطين بالرفاعي من كل شيء ساعي ، محوَّطين بالزعبي من كل شيء بخبي ، محوَّطين بالشيخ مرزوق من كل شيء في الخزوق »[١١٠] . ويحدثنا « دالمان عن نبتة توضع تحت فراش الإنسان فتحميه من الحية »[١١١] . يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، أن الحية تخشى النار ، وأنها تخرج من جحرها إذا أوْقد أحدهم ناراً بالقرب منه ، كما يعتقدون أن « من أعدائها طير

يسمّونه أبو الحيايا ، يُعتقد بأنه حاد البصر ، يرى الحية في الجو فينقضّ عليها كالسهم ، ويلتقطها من جهة الرأس ، ويبتلعها ، وكذلك يفعل القنفذ ، إذْ لا يبالي من أية جهة يمسك بالحيّة »[١١٢] .

وكان العرب يعتقدون أن الحية « تهرب من الرجل العريان ، وتفرح بالنار وتطلبها ، وتتعجب من أمرها »[١١٣] . كما يعتقدون أنه إذا « وضع في جُحرها أصل حمّص رطب فرّت أيضاً »[١١٤] ، « وإنْ لدغتْها العقرب ماتت »[١١٥] ، وأن « الحية تقاتل الخنزير ، وتقاتل ابن عرس ، وإنما تقاتل ابن عرس إذا كان مأواهما في بيت واحد ، وتقاتل الخنزير لأن الخنزير يأكل الحيّات ، فيزعمون أن الذي يأكل الحيّات القنافذ والخنازير والعقبان »[١١٦] .

في فلسطين ، تعرف المرأة في الوسط الشعبي خرزةً تدعى « خرزة الحية » ، ويقال « عن حاملة هذه الخرزة أنها تجعل الذي تريده ينساب أمامها كالحيّة الملساء ، إذ يأسره حبها ، وهي خرزة باللون الأبيض لونها بنّي أو أسود فاتح (رمادي) »[١١٧] .

وهم يعتقدون أن هناك حيّات عمرها ألف سنة « مُألّفه » ، وأنها ضخمة جداً (يمكنها) ابتلاع رجل واحد دفعة واحدة . كذلك ان العرب يعتقدون « أن الحيه تعيش ألف سنة »[١١٨] . ويقال أنهم « عثروا في سهول مقره بفينيقيا على حيّة ميتة شغلت جثتها فدان أرض ، وأما ضخامتها فشيء عظيم ، فيمكن لفمها أن يبتلع حصاناً براكبه »[١١٩] . وفي الذهنية الشعبية الفلسطينية « أنّ الحيّة خبيثة وملعونة لا تنسى الضربة التي تتعرض لها ، وهي تتقاتل مع الحيايا ومع الناس »[١٢٠] .

ومن الطباع التي عرفها العرب في الحية أنها « رغِبةٌ نهمةٌ ، قليلة شرب الماء ، .. وإذا شمّت الشراب فإنها تشتاق إليه جداً »[١٢١] . والعرب كانوا يقولون عن المسيء : « أظلم من حيّة » لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً ، بل تظلم كل ذي جحر جحره ، فتخرجه منه ، أو تأكله إنْ ثبت لها »[١٢٢] . وكان العرب يعتقدون أن عين الحية « لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها .. وإذا قلعت عادت ، وكذلك نابها إذا قلع عاد بعد ثلاثة أيام ، وكذلك ذنبها إذا قُطع نبتْ »[١٢٣] ، وأن « الحية يُقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت ذلك

المقطوع »(١٢٤) ، ولسانها « مشقوق ، ويظن بعض الناس أن لها لسانين »(١٢٥) ، كما « تزعم الأعراب أن الافاعي صمّ »(١٢٦) ، وكان العرب يعتقدون أنه إذا « دُخّن البيت الذي فيه الحيّات بدخان قَرْن الأيل فرّت منه كلها خوفاً »(١٢٧) ، واعتقدوا أن عيون الأفاعي « تضيء في الليل كأنها مصابيح »(١٢٨) .

اعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن الحية تعيش « على أكل العصافير ، وهي عدوتها اللدود ، وتأكل الفئران والزواحف الأضعف »(٦٧) ، وربما اعتقد العرب قديماً أن الحية تأكل التراب ، فالحية « إذْ تتلوى في مسيرها يكون فمها معرّضاً للاحتكاك بالتراب ، الذي تلحسه »(١٣٠) ، ويحتمل أن هذا هو السبب في ظنهم أن الحية تأكل التراب .

يعتقد الناس في بعض بلاد العالم « أن أكل الثعبان يهب فاعله موهبة التفوق في فهم اللغات والتحدث بها »(١٣١) ، وكانت « بعض الجماعات البدائية تعتقد أن أكل قلب الحية أو كبدها يمنح القدرة على معرفة المستقبل من الطير »(١٣٢) . وفي إحدى الحكايات اليونانية يروى أن ميلامبوس عرف لغة الطير ، لأنّ الحيات كانت تلعق أذنيه »(١٣٣) . ويقول الجاحظ (رسالة التربيع والتدوير - بيروت ١٩٦٩ م) أنّ أكل لحمها يطول العمر »(١٣٤) .

* البقرة :

تعتبر البقرة من الحيوانات الهامة لدى الفلاح الفلسطيني ، وهو يسميّها « المنْوحَه) لكثرة ما تمنح الإنسان من لبن وجلد ولحم وجهد في الحراثة و (دْراس) سنابل الحبوب وجرّ العربات .. الخ .

وتحتل البقرة مكانة طيبة في الذهن الشعبي ، وتوصف المرأة بأنها (حنونة على أولادها مثل أبزاز البقرة) ، وهذا يعني أنها معطاء ، قادرة على إرضاع طفلها وإشباعه »(١٣٥) .

وفي فلسطين عين ماء ، ارتبط اسمها بالبقرة ، هي « عين البقر » بالقرب من عكا ، يزورها المسلمون واليهود والنصارى ، ويعتقدون أن البقر الذي ظهر لآدم فحرث عليه لأول مرة ، أخرج من هذه العين ، وهي نفس العين التي سمّاها

الفرنسيون بعد ذلك في القرن السابع عشر بـ (عين العذراء مريم)(١٣٦) .

وكان « المصريون القدماء يمثلون الإلهة هاتور في شكل بقرة »(١٣٧) ، مما يشير إلى نوع من تقديس هذا الحيوان وعبادته لديهم .

وفي المعتقد الشعبي الإسلامي « أن ملائكة السماء الدنيا هم على صور البقر »(١٣٨) .

وحول أسنان البقرة وقرنيها « نقرأ في حكاية هنغارية أنه : عندما خلق الله الدنيا ، جعل للحصان قرنين ، ولم يمنحه أسناناً ، وأما البقرة فلم توهب قروناً ، وإن كانت قد وُهبت صفيّن من الأسنان ، ولمّا كانت البقرة عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، وكان الحصان قادراً على الرفس ، فقد اتجهت البقرة الى الله ، وقالت له إنها تعجز عن الركل والرفس ، وأنها تدعوه الى أن يهبها قرني الحصان ، ويعطي الحصان أسنان فكها الأعلى نظير ذلك ، وقد استجاب الله لرجائها ، ورضي الحصان وتم التبادل ، فصار للحصان منذ ذلك الوقت أسنان وصار للبقرة قرنان وأصبح الحصان يكشف ن أسنانه دائماً ، وصارت البقرة تهزّ قرنيها »(١٣٩) . وفي حكاية أفريقية « أن البقرة خُلقت في السماء ، ووقعت الى الأرض فتكسّرت أسنانها »(١٤٠) .

* الثور :

ارتبط ذكر الثور في المعتقد الشعبي الفلسطيني ، بالأرض (الكرة الأرضية) التي يحملها فوق أحد قرنيه ، فإذا تعب هذا القرن نقلها الى القرن الآخر ، وهكذا ، وأثناء هذه العملية تضطرب الأرض وتحدث هزة أرضية أو زلزال .

وفي معجم البلدان(١٤١) ، أن « الله تعالى خلق الأرض تُكفأ كما تُكفأ السفينة ، فبعث الله ملكاً حتى دخل تحت الأرض ، فوضع الصخرة على عاتقه ، ثم أخرج يديه ، إحداهما بالمشرق ، والأخرى بالمغرب ، ثم قبض على الأرضين السبع فضبطها ، فاستقرت ، ولم يكن لقدمه قرار ، فأهبط الله ثوراً من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة ، فجعل قرار قدمي الملك على سنامه ، وقيل « أن الثور الذي تحت الأرض « يتنفس كل يوم نفسين ،

فإذا تنفس مدّ البحر ، وإذا ردّه جزر »(١٤٢) .

وفي فلسطين تحتل العجول والثيران « مكانة طيبةً في الذهن الشعبي ، ويوصف الرجال الأقوياء بالثيران : (رجال مثل الثيران بحرثوا فدّان) وقولهم : (ما بحرث البلاد إلا عجولها)(١٤٣) .

عُبد الثور في أماكن متعددة في بلاد الشرق القديم ، فعند العرب مثلًا « كُنّي عن الإله القمري « المقة » بثور في اليمن ، أي الإله « ثور » .. كما أن من ألقابه ثور ، بالإضافة الى أنّ الثور كان حيوانه المقدس ، ووجدت صور رأس الثور في الجزيرة العربية بكثرة شديدة ، فكانت الثيران من أكثر الحيوانات التي يضحى بها لإله القمر « المقه » كما أن قبائل وعشائر بأسرها تسمت باسم ثور »(١٤٤) ، مثل « ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ، من عدنان : جد جاهلي ، كانت منازل بنيه حول « جبل ثور » الذي به الغار بمكة ، فعرف بهم »(١٤٥) ، و « ثور بن مالك ابن معاوية بن دومان بن بكيل ، من همدان : جدّ جاهلي يماني ، قالوا اسمه « زيد » وثور لقبه ، وبنوه بطون ، وإليه نسبة « الثوريين » في الكوفة »(١٤٦) . كما أن الثور « كان الحيوان المقدس لإيل ، ومن ألقابه « الثور إيل »(١٤٧) .

وكان الثور أيضاً « رمزاً محبباً للخصب وللعبادة في الديانة الكنعانية ، وكانت الكلمة « إيل » تشير الى « الأب الثور » في عبادتهم »(١٤٨) .

ويتحدث نص بابلي عن « انتصار جلجامش على ثور السماء ، حيث يواجهه مع صديقه أنكيدو فيقطعان رأسه ويقدمانه هديةً للإله شمش »(١٤٩) .

ويقال أن أهل نينوى « وهم قوم يونس عليه السلام ، كان لهم « عجل يعبدونه ، فلما رأوا إشارات العذاب الذي أنذرهم به يونس عليه السلام ، أحرقوا العجل وأخلصوا التوبة »(١٥٠) .

وفي الأساطير القديمة ، يذكر أن « آبيس هو الثور المقدس عند قدماء المصريين ، وهو حامل روح أوزيريس ... وقد عُبد آبيس المصري في مدينة منفيس ، حيث كان يمثّل حياً بشكل ثور ذي أوصاف معينة ، كسواد اللون مع بقعة بيضاء مثلثة على الجبهة . ويمثل بشكل ثور قرنيه هلال ، وأحياناً بشكل

رجل برأس ثور »[151] .

وكان الثور « هو الحيوان المقدس للإله الفرعوني آتون الإله المحلي لهيلوبوليس ـ أو عين شمس الحالية »[152] . وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الثور « آبيس » قد « ولد نتيجة نزول شعاع من أشعة الشمس من السماء على بقرة أنجبت عجلًا ذا لونين أبيض مع أسود مع مثلث أبيض فوق جبهته ، وهلال قمري على جانبه الأيمن ، خدمهُ الكهنة في وقت الدولة القديمة حوالي ٢٧٠٠ ـ ٢٢٠٠ ق . م ، ولقد تغلغلت هذه العبادة بصورة فعالة في مصر »[153] . وفي الأساطير اليونانية أن « أوروبا : أميرة فينيقية جاء بها (زوس) الى جزيرة كريت متنكرة بهيئة ثور ، حيث ولدت ثلاثة أطفال »[154] ، وفي الأساطير اليونانية أيضاً أن « مينوتور » كان وليداً « نصفه إنسان ونصفه ثور ، أنجبت به باسيفائي من اتصالها بثور أبيض أرسله بوسايدون الى زوجها مينوس الذي ربطه في (المتاهة) حيث كان يطعم من لحوم البشر »[155] . ومن عجائب الثور في بلاد اليونان ـ كما يعتقد ـ أن فيها ثيراناً « لها أربعة قرون »[156] . وفي أفريقيا « نجد أبناء شعب بتشوانا يأكلون كبد الثور ليزدادوا شجاعةً وذكاءً . وإنْ كان يعتقد أن أكل قطعة واحدة منه تصيب الشخص بالنسيان ، ولذلك تقبل على أكلها النساء اللائي يردن نسيان أشياء كثيرة »[157] .

« أما زنوج منطقة المسيسبي فكانوا يضعون كبد العجل على الجرح للتعجيل بشفائه »[158] .

* الجمل :

يقول الباحثون « أن الجمل كالحصان يرجع أصله إلى قارة أمريكا ، وهو وحشي ، وقد هاجر على تلك الحال الى شمال شرقي آسيا قبل ملايين السنين ، عندما كانت أمريكا وآسيا قارة واحدة ، ومن هناك وصل الى شمال غربي الجزيرة العربية وإلى جنوبي سورية ، وذلك عن طريق كشمير والهند »[159] إن صفات الجمل « تؤهّله لسكنى البرّية ، ففي معدته تجويف مقسوم إلى غرف أو حويصلات تمتلىء عند شربه ماء ، تكفيه مدة تختلف بين العشرين والثلاثين

يوماً ، وأما طعامه فأغصان الأشجار والشوك والعشب .. إلخ .. وهو يحمل من ١٠٠ إلى ١٦٠ رطلًا ، ومعدل سيره ثلاثون ميلًا في اليوم ، وهو يعمر من الثلاثين الى الاربعين سنة ، ولحم الجمل ولبنه ووبره وجلده وبعره نافع للإنسان ، لذلك يُعدّ اقتناؤه من الغنى والثروة »[١٦٠] .

يوصف الجمل بأنه « حيوان سيء المزاج ، وكريه الرائحة ، وحقود ، فإذا غضب وهاج تسبب في الويلات ، وقد يهيج الجمل بعد مقارنة جنسية مع ناقة ، وفي هذه الحالة يعتدي على الآدميين ويدوس كل ما يقع في طريقه »[١٦١] . وإذا ضرب أحدٌ جملًا ، فإن هذا الجمل ينتهز أول فرصة للإنتقام منه ، ولو بعد حين ، ويعبر الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني عن ذلك بقولهم : « الجمل ما بنسى هواتُه »[١٦٢] .

والجمل معروف بصبره على المشاق والتعب ، لذلك فإن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يصفون الرجل الصبور الذي يصبر على المكاره ، بأنه « جمل المحامل » الذي يصبر على حمل الأثقال ، وفي كثير من الأحيان فإنّ المرأة الفلسطينية تشبّه « أخاها أو أباها أو زوجها فتقول : يا جملي ، وفي المقابل يقول الرجل لقريبته مواسياً إياها عند فقدها زوجها أو أبيها : (أنا حمْلك وجمَلك) ، ومعنى ذلك : (أنا الجمل الذي يحمل الأعباء عنك »[١٦٣] .

ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني « أن هذا الحيوان نطق بين يدي النبي متحدثاً عن ظلم اليهودي له »[١٦٤] . وهم يعتقدون « أن الجمل ورث شفته المشقوقة عن أحد أجداده الذي انتقد جملًا آخر ، واصفاً إياه بأنه ذو سنام ، متناسياً سنامه هو ، وقد عوقب على ذلك بأن أصبحت شفته مشقوقة ، وبهذا الصدد يقال : « الجمل عرقوبه وراه ، بشوف عيب غيره ، وعيبُه ما براه »[١٦٥] [١٦٦] ويقال أن « الجمل هو الوحيد الذي يعرف الإسم المائة من أسماء الله الحسنى ، والتي لا يعرف البشر غير تسعة وتسعين منها »[١٦٧] . ويمثل الجمل في فلسطين « الشؤم في تفسير الاحلام عند الفلاحين »[١٦٨] . وكان العرب يتشاءمون من الجمل لأنه الوسيلة التي تنقل الناس إلى مهاجر بعيدة عن أرض الوطن . يقول أبو الشّيص[١٦٩] :

النــــاس يلحـــــون غرا ب البيْـــن لمــــا جهلـــــوا
ومــــــا غراب البيـــــن إلا ناقـــــــــةٌ أو جملُ(١٧٠)

ولعوْف الراهب(١٧١) :

غلط الذين رأيتهم بجهالــةٍ يلْحون كلهم غرابــاً ينعــقُ
ما الـذنب إلّا للأباعــر إنهـــا مما تشتّت جمعهم وتفرّقُ(١٧٢) .

ولديك الجن في هذا المجال :

ما المنايا إلا المطايا ومـا فرّ ق شيءٌ تفريقهـــا الأحبابـــا
ظل حاديهـــم يسوق بقلبـــي ويرى أنه يسوق الركابـا(١٧٣)

وقال أحد الشعراء :

فمــــا للأباعــــر لا بوركت ولا بارك الله فيمـــن شراهـــا
إذا أدبرت ذهـــبت بالحبـــيب وإن أقبلت خلّفته وراهـا(١٧٤)

وكان للجمل أهمية كبيرة ومكانة عظيمة خاصة ، في نفس العرب ، « فكان وحدة قياس لمهر العروسة ، ودية أو فداء القتيل ، ... ووحدة الميسر - أو القمار - والتضحية والفداء .. يشرب البدوي لبنه في حالة ندرة الماء ، وما أكثرها وأشقّها »(١٧٥) . لذلك فإنه « حيوان مقدس أو ما يشبه ذلك : إنه ذو بركة ، مرتبط بالحياة سحرياً ، وكان رمز العيش والإستمرار »(١٧٦) . والجمل « مرتبط أيضاً بالشفاء والصحة من جهة ، ثم بالجمال والحسن من جهة أخرى .. الجمل (الحيوان) والجمال (الحُسن) من جذر واحد . ومن حيث أن الناقة هي أنثاه ، فهي من جهة ثانية ربّة النقاهة والشفاء : إن : أبِل المريض تعني : شفي ، ولنتذكر أخيراً أن الأبيل هو الناسك ، أو هو خادم مقدس لمعبد مقدس يقام لذلك الحيوان المقدس أو المعبود »(١٧٧) ، لذلك كله كان الجمل من بين الأشياء الرئيسية للعبادة عند العرب في الجاهلية »(١٧٨) . إن « الجارم ينقل عن السهيلي من حديثه عن قدوم وفد طيء على الرسول ما ملخصه : خرج نفر من طيء يريدون النبي بالمدينة وفوداً ، فلما وصلوا عقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ودخلوا ، فجلسوا قريباً من النبي حيث يسمعون صوته ، فلما نظر إليهم قال : إني خير لكم من العزّى ولاتها ، ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه

من دون الله »(١٧٩) . وكما قدّس الجاهليون الإبل ، وتبّركوا بها ، فقد مدّوا تقديسها حتى طال وبرها أيضاً ، ودمها ، وكان مقدساً أيضاً من يقدمها كتضحية ، ومن يستعمل في الطقس دمها ووبرها ، ذلك الرجل المقدس هو كاهن القبيلة أو نبيّها وسامرها ، إنه الأبيل »(١٨٠) .

وكان العرب يعتقدون أنه « إذا وقعت عين الجمل » على نجم سهيل « مات لساعته »(١٨١) كما كان العرب يزعمون أن رجليّ الغول هم رجلا بعير »(١٨٢) ، كما اعتقدوا أن الإبل كانت من الجن(١٨٣) .

وفي التراث الشعبي الإسلامي « أن من الإبل ما كان أولها من الجن »(١٨٤) . وفي الميثولوجي اليوناني « أن للجمل أذنين صغيرتين للغاية ، لأنه لم يكن قنوعاً وتوسل إلى زيوس أن يمنحه قروناً »(١٨٥) .

* **الغنم :**

الغنم ضحية مفضلة ، مبارك هو ، وشبه مقدس ، يبعث التفاؤل ، وهو رمز الخصوبة والوفرة ، وهو غنيمة وغنْم كما يرد في الأمثال والمعتقدات الشعبية التي ما تزال حتى اليوم حيةً في اللا وعي الجماعي والتمثلات الحاملة للرؤية الجدودية السحيقة لذلك الحيوان »(١٨٦) .

« ومن صفات الغنم ورموزه في التراث : الإستسلام للقدر ، الفأل ، الخصوبة ، الضحية أو الفدي ، يقدم للإلهة طلباً للغفران والحماية والهداية والإفتداء ، البديل عن الآثام المذبوحة بذبح الغنم ، التحرير من الذنوب ... »(١٨٧) .

أما الماعز فإنّ « ما يميزه عن الغنم الشعر عوض الصوف ، وشراسة أخلاقه وشجاعته وزيادة قوته للمشي في الأماكن المحجرة »(١٨٨) .

ومن ناحية أخرى فإن الغنم يمتاز بإليته التي تستر مؤخرته ، أما الماعز فلا إلْية له . وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني أن مريم العذراء عليها السلام عندما هربت بابنها من وجه بني اسرائيل ، قامت النعاج فسترت « مرور العذراء ، فنبت لها صوف كثيف ، وبعكس ذلك فإنّ الغنم السوداء ظلت جرداء ، وارتفع

ذنبها لأعلى يفضح عورتها ، لأنها فضحت مرور العذراء بسبب الثغاء »[189] . ويروى كذلك أن « أبانا إبراهيم الخليل كان يعبر الحقول في طريق هربه ، فالتقى بقطيع من المعزى ، وطلب من الغنم أن تحميه من خيالة النمرود الذين يتعقبونه ، ورفضت الغنم السوداء تلبية رجاء « أبونا إبراهيم » ، وتركها في طريق هربه إلى أن التقى بقطيع من النعاج وطلب من الغنم البيضاء أن تحميه ، فطلبت منه أن يستلقي على الأرض وتجمعت حوله بشكل متراصّ حيث اختفى عن الأنظار ، وعندما مرّت خيّالة النمرود لم تستطع أن تكتشف مكانه وبذلك نجا ، ودعا « أبونا إبراهيم » الله أن يمنح النعاج تلك الإلية العريضة ، وأن لا يمنح مثل ذلك للغنم السوداء »[190] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني إذا دعا الشخص على الآخر بالفضيحة ، فإنه يقول له : « الله يفضحك فضيحة العنزة السودا » التي ظلّت مفضوحةً بانكشاف عورتها منذ ذلك الحين .

كان الفلاح الفلسطيني ، حرصاً منه على أغنامه ، ولحمايتها من اللصوص والذئاب ، يقوم أحياناً بقراءة آية الكرسي وآيات أخرى[191] على سكين ثم توضع في غمدها ، فلا يتمكن اللصوص من رؤية الأغنام ما دامت السكين في غمدها ، فإغلاق السكين يعني إغلاق الرؤية »[192] .

لقد كانت الأغنام من بين معبودات العرب في الجاهلية ، فقد « عبد بعض العرب الجاهليين نوعاً معيناً من الشياه .. كانوا يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها ، فيجيء الذئب فيذهب بها ، فيأخذون مكانها فيعبدونها »[193] ، وتدل على ذلك تسميات بعضهم ، فلقد « سمّوا عبد غنْم (بتسكين النون) »[194] .

ومن بين « الأصنام المعروفة نجد في مكة واحداً باسم صنم غنم »[195] . ويقال بأن خالد بن الوليد كان يقدم ـ في الجاهلية ـ للعزى « أفضل شياهه »[196] .

واعتبر الغنم في الإسلام بركة ، إذ يروى عن النبي (صـ) أنه قال : « الإبل عزّ لأهلها ، والغنم بركة »[197] .

وقد عُبد الغنم في بلاد الإغريق ، حيث « كان الغنم في ساموس موضوع تعبّد ، فكأنه يعتبر إلها يستحق التقديس والتقرب منه »(١٩٨) . ولم يكن الماعز هو الآخر بعيداً عن مجال العبادة والتقديس ، بل لقد « كان التّيس من أولى الحيوانات المقدسة لدى الإنسان ، ونُظر إليه في أحيان كثيرة على أنه روح النبات ، وذلك ربما للدور الذي لعبه في الماضي البعيد ، عندما كان المزارع ينثر حبات القمح في الأرض ثم يتحرك قطيع الماعز ليذرع الأرض جيئةً وذهاباً فوق الحبوب المنثورة ، مما يدفعها إلى أسفل التربة »(١٩٩) . ويعتبر الكبش الأول ، الذي أرسله الله تعالى الى إبراهيم الخليل ليذبحه عوضاً عن ابنه إسماعيل عليهما السلام ، ويفتديه به ، أول فداء معروف من نوعه (وفديناه بذبح عظيم)(٢٠٠) .

وقد نستطيع « تعليل وجود قرنين كانا معلقين داخل الكعبة ، لا على أنهما فقط من رموز للوفرة والخصوبة ، بل ، وأيضاً لذلك الكبش الذي فدى جدهم أو إنسانهم الأول أو المساهم في بناء بيتهم الأول (الكعبة)»(٢٠١) . وفي الإسلام « من المعروف أنّ مسجد الكبش في منى قد أقيم في ذلك المكان ، وحمل ذلك الإسم إيماناً بأن إبراهيم وجد هناك الكبش الهابط من الجنة ليضحي به بدلًا عن إسماعيل »(٢٠٢) .

وفي المسيحية نرى كيف أن المسيح عليه السلام قد سُمّي « حَمَل الله ، والخروف ، لأنه كان الهدية التي وهبها الله لخلاصهم »(٢٠٣) . وكما كان الغنم ذا قدسية عند كثير من الشعوب ، فإنّ قرنيه أيضاً يحملان رمز تلك القدسية ، « إن تقديس القرنين كرمز للوفرة والبركة ، في الأمم السابقة ، أمر معروف ، بل وفي كثير من الأمم القديمة عموماً : آمون ربّ طيبة كان يمثّل غالباً « في هيئة كبش »(٢٠٤) ، وتبدو « عشتروت في الفن السوري وعلى رأسها قرنا كبش »(٢٠٥) ، وإلهة السعادة في الأساطير اليونانية « تُصوَّر على هيئة امرأة بدينة تحمل رمز الصحة (العصا المجنحة ذات الثعابين) وقرن الوفرة ، وهما قطبا السعادة »(٢٠٦) ، ولعل « العربية احتفظت في ظلال كلماتها بهذه الصلة السحرية بين القرن والحياة ، في قرن وقران ، أي الزواج ، ومن ثمة الإستمرار والبقاء »(٢٠٧) .

* الغزال :

عُرف الغزال برشاقته وجمال قدّه ، حتى شبهت به الحسناء من النساء ، ومن اسم الغزال والغزالة تواتر أبو الجمال وأبو الحسين وأبو سفيان ، وهكذا »[٢٠٨] ، لأن الغزالة في اللغة هي « الشمس ، لأنها تمدّ حبالاً كأنها تغزل ، أو الشمس عند طلوعها أو عند ارتفاعها ، أو عين الشمس »[٢٠٩] . كان العرب في الجاهلية يعتقدون بأن للجن تعلقاً بالغزال »[٢١٠] ، لذلك فإن كثيراً من الناس ينظرون إليه نظرة خاصة ، حتى أصبح عندهم من الأشياء الرئيسية للعبادة[٢١١] .

وكان العربي يدفن هذا الحيوان مثلما يدفن الإنسان ، ويحزن عليه حزنه على أخيه ، يؤيد هذا ما روي من أنّ بني الحارث كانوا إذا وجدوا غزالاً ميتاً ، يغطونه ويكفنونه ويدفنونه ، وكانت القبيلة تحزن عليه إلى ستة أيام »[٢١٢] .

وفي فلسطين ، كان الناس في الوسط الشعبي يعتقدون « أنّ الغزال إذا هرب من الناس وصاحت به امرأة : يا غزال الريم .. ريم .. ريم ، ما وراك إلا الحريم ، فإنه يقف وينظر حوله « لكن إذا صاح الرجال : يا غزال حاص ، حاص ، ما وراك إلّا الرصاص ، فإنه يفرّ ناجياً بنفسه »[٢١٣] .

* الخُلد :

ويطلق عليه الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني إسم « الخلُند » ، وهو يرمز عندهم « للخبث والاختفاء عن الأعين ، فضلاً عن الضرر الذي يسببه للمزروعات ، وهو يحفر الأخاديد من مكان لآخر تحت الأرض »[٢١٤] . وهم يعتقدون أن الخلد أعمى لا يبصر ، أو أنه ليست له عينان . وربما كانت عينا الخلد صغيرتين ، متناهيتين في صغر حجمها ولا تراهما العين المجردة ، فظنه الناس لذلك أعمى ، أو بلا عينين .

ويعتقد الناس في أوروبا بأن « الخلد الأوروبي (ذا الفراء المخملي) أعمى »[٢١٥] .

* الفأر :

يمتاز الفأر في الذهنية الشعبية الفلسطينية ، بأنه حيوان نجس ، فإذا شرب الفأر من إناءٍ يستخدمه الآدميون ، فإنه « يتوجب حينئذٍ غسله سبع مرات ، ومرةً أخرى بالتراب »(٢١٦) .

وهم يعتقدون أن ذنب الفأر هو أبخس ما فيه ، بل أبخس من سائر النجاسات الأخرى المعروفة ، لذلك فهم يصفون الشخص الخبيث الماكر ، بأنه « أنجس من ذنب الفأر » .

وكانوا يعتقدون أنه « عندما حصل الطوفان حمل نوح الخنزير معه ، فعطس هذا ليولد الفأر ، وأخذ الفأر يعيث فساداً في السفينة لدرجة أنه حاول أن يثقب الخشب ، وهكذا عطس السبع ليظهر القط ويطارد الفأر ، ومنذ ذلك الوقت بدأت العداوة التاريخية بين القط والفأر »(٢١٧) .

وقد وُصفت الفئران قديماً لعلاج الروماتيزم ، كما كان يستخدمها ديوسكوريوس في علاج لدغ الأفاعي والثعابين ، كما وصفها ابن سينا لعلاج التسمم الناشيء عن أكل نبات الأكونيت (خانق الذئب) ، نظراً لأنها كانت تتغذى به »(٢١٨) .

* السحلية :

وهي « حيوان زاحف لا يؤذي الناس ، وهناك من يتعاطف معها ، وإذا قتلها أحد ظل الذنب يتحرك ... لأنها كا يقولون : « بتدعي عليك يا قاتلها »(٢١٩) .

وبشكل عام كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن قتْل السحلية حرام ، وسبب هذا يعود الى اعتقادهم بأن النمرود عدو إبراهيم الخليل ، عندما أمر بأن يلقى بإبراهيم في النار يريد إحراقه والتخلّص منه ، كانت السحلية تنقل الماء بفمها وتلقي به على النار في محاولةٍ لإطفائها .

* أبو بريص :

وهو من الحيوانات الزاحفة ، وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني

يعتقدون أن المرء إذا قام بقتل سبعة من « أبو بريص » بكف يده ، فإنه يدخل الجنة ، لأن « أبو بريص » - كما يعتقدون - كان ينفخ النار التي ألقي فيها إبراهيم الخليل ، بهدف تأجيجها . كذلك فإنهم يعتقدون أن هذا الحيوان يرمز للخراب والنحس والشؤم ، وبأنه يتسبب في مرض الجرب .

* الحرذون :

وهو حيوان زاحف ، وهو « عظاية الحائط ، له بقع بيضاء على ظهره ، يخرج منه أنين حزين ، والحرذون العادي أو المروحي القدم ، كثير جداً في فلسطين ، وهو مألوف في البيوت ، ويجري فوق جدرانها وسقوفها »(٢٢٠) .

ويتمثل هذا الحيوان في الذهنية الشعبية الفلسطينية « بصورة الحيوان العبيط ، الذي حاول تقليد السحلية ، فجاء التقليد وبالاً عليه . لقد ذهبت السحلية ورفعت رأسها الى السماء ، فكمّلها الربّ ، وذهبت الى السلطان فأعطاها قفطاناً ، وعندما مرت السحلية بخفة تحت الصخرة تغطت يداها بالحناء ، لكن الحال لم يكن كذلك عند الحرذون : تقطعت يداه عند مروره تحت الصخرة ، وعماه الله عندما رفع رأسه الى السماء ، وذهب الى السلطان وهو بهذه الحالة ، فأوسعه ضرباً »(٢٢١) .

وكانوا يعتقدون أن قتل الحرذون حلال ، بل ومطلوب ، لأن هذا الحيوان كان ينفخ النار التي وضع فيها إبراهيم الخليل . ومما يذكر أن تلاميذ الأجيال الماضية ، كانوا يعتقدون أنّ وضْع جزء من دم الحرذون على ظاهر اليد يمنحها شيئاً من الخدَر ، لذلك فقد كان بعضهم يلجؤون إلى قتل حرذون أحياناً ، ويمسحون أيديهم بدمائه ، قبل دخول الصف ، لاعتقادهم بأنّ ذلك يجعلهم لا يشعرون بآلام ضربات عصا المعلم .

* العقرب :

حشرة مؤذية ، لا يُؤمن جانبها ، فهي تؤذي كل من تصادفه في طريقها ، وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعبّرون عن ذلك بقولهم : « عند العقرب لا تقرب ، عند الحيه أفْرُش ونام » .

وكان العرب لا يقولون : « عقرب ، ويزعمون أنها تعرف اسمها فتهرب »(٢٢٢) ، وكانوا يعتقدون أن الحية « إن لدغتها العقرب ماتت »(٢٢٣) .

* السلحفاة :

وأحيانا يطلق عليها الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني إسم « القرقعه » . وتقول المأثورات الشعبية أن القرقعة (السلحفاة) ، كانت امرأة وسيمة ، ولكن هذه المرأة كانت بخيلة ترفض إعارة الجيران بعض الحاجات الضرورية ، ودعت عليها فاطمة ابنة النبي ، ومسخها الله على ذلك الشكل »(٢٢٤) .

وكانوا يعتقدون أن تربية السلحفاة البريّة في المنزل تردّ عنه مفعول السحر ، كما تجلب له الرزق .

* الخفَاش :

ليس طائرا ، بل هو حيوان « من ذوات الثدي واللبونة ، وهو لا يشبه الطيور إلّا من حيث قوة الطيران ، وجسمه مغطى بالشعر لا بالريش ، وله أسنان بدلا من المنقار ، وأعضاء الطيران تختلف فيه عن الطيور الأخرى ، وهو يسكن غالبا في الكهوف والأماكن المقفرة القذرة »(٢٢٥) يقال بأن الخفّاش أعمى بإزاء ضوء النهار ، لا يتواجد ويطير محلقا إلا ليلا ، هرباً من الدائنين كما تذكر الفابيولات »(٢٢٦) .

وكان العرب المسلمون ، « إذا طار الخفّاش بالليل فسمعوا صوته ، قالوا : هذه الساحرة تطير ، لا إله إلّا الله ، كأنما طيرانها يُشق »(٢٢٧) .

ويذكر القزويني أنه « إذا علق خفاش على شجرة قرية ، مرَّ الجراد فوق القرية ولم يتوقَف »(٢٢٨) .

وفي فرنسا « يذكر بعض الفولكلوريين الألزاسيين ، عادة تعليق الخفافيش على أغصان الشجر لطرد الجراد »(٢٢٩) .

وتروي قصة أنه « حدث ذات يوم أن كان طائر بحري ضخم ثقيل يتاجر في الصوف مع شجرة التوت الشائكة والخفاش ، واستأجر الثلاثة سفينة وحملوها

صوفاً ، لكنها تحطمت ، وأفلست الشركة ، ولهذا يختفي الخفاش عن العيون إلى منتصف الليل هرباً من الدائنين »(٢٣٠) .

* العنكبوت :

حشرة ذات نسيج دقيق ، وكانت منتشرة في فلسطين(٢٣١) . ولسعة العنكبوت ضارة ، مؤذية ، مؤلمة ، وعندما « يلسع العنكوب طفلًا يصرخ الطفل ثم يغمى عليه . وفي هذه الحال ، كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يحفرون للطفل حفرة تكفي لمواراة جسده ، وهم في حالة من الطهارة ، ثم يسألون الطفل مرات تتكرر إلى حدّ فردي : يا عنكبوتي بتعيشي والّا بتموتي ؟ وعلى جواب الطفل كان يتقرر مصير حياته »(٢٣٢) .

وكان المتصوفة « يعنون بشكل خاص بإزالة نسيج العنكبوت ، وتنظيف مكانه ، لأنهم يعتقدون أن الشيطان ينام فيه »(٢٣٣) .

* النمل :

من الحشرات الصغيرة جداً ، وهي مشهورة بنشاطها وحكمتها ، ويضرب المثل بها من أجل هاتين الصفتين(٢٣٤) .

كان الأطفال في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أنّ النمل الأسود مع اليهود ، في حين النمل البني معنا »(٢٣٥) .

ويعتقدون أنه إذا توقف الأطفال الى جوار مملكة النمل وأخذوا يصيحون ، دبَّت الحركة هناك »(٢٣٦) .

* النحل :

النحلة حشرة من فصيلة الذباب ، يصنع العسل ، وهو صنفان، برّي وداجن ، أمّا البرّي فيأوي إلى الصخور والأشجار ، ويهاجم من يعتدي عليه ، أما النحل الداجن فإنه يدجن للإفادة من عسله . ويكثر النحل في فلسطين(٢٣٧) .

وفي الوجدان الشعبي الفلسطيني « تحتل النحلة مركزاً مرموقاً ، لأنها حشرة

مثابرة ، منتجة ودؤوبة على العمل وتجني العسل الذي هو غذاء وشفاء(٢٣٨) (٢٣٩) » .

ومن المعروف أن النحلة إذا لسعت شخصاً ماتت بعد ذلك مباشرة ، والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون « أن الله دعا على النحلة بحيث تلسع وتموت »(٢٤٠) . ويعتقدون كذلك « أنّ ضيوفاً سيفدون إلى البيت إذا جاءت « نحلة الصيف » ، ويسمونها البشارة ، ودخلت البيت وبدأت تدندن »(٢٤١) .

* الخنفساء :

وفي فلسطين يسمونها « الخنفسة » ، وهي « حشرة صغيرة سوداء تعيش في الأماكن القذرة ، ويُعتقد أن جنيّة تحل بها .. وهناك حكاية تقول أنّ امرأة عاقراً تمنت أن تلد حتى لو كان المولود خنفسة سوداء ، واستجاب الله لدعائها ، لكن مولودتها كانت « خنفسة » على شكل جنيّة في صورة ابنة أكلت والدها والثيران ، وجدّتها ووالدتها ، ولم يخلص الناس من شرها إلّا عندما قتلها رجل يحمل خنجراً ذا حدّين »(٢٤٢) .

ويروى أنّ العرب كانوا « إذا رأوا الخنفساء ليالي الشتاء ، قالوا : مباركة ميمونة ، وإذا رأوها في ليالي الصيف قالوا : رسول العقرب »(٢٤٣) .

* الذبابة :

يروى أنّ إبليس عندما أراد الدخول الى سفينة نوح قبيل الطوفان اختبأ في شكل ذبابة تحت ذيل الحمار »(٤٤٢) . وكان العرب يتشاءمون من الذباب إذا دخل في ثياب أحدهم ، ويعتقدون أن ذلك يسبب المرض له »(٢٤٥) .

* الجراد :

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن الجراد هو « جيش الله ، يسلطه على الناس الذين ينكرون نعمته ويعصون ، فيأكل زرعهم ويجفف ضرعهم »(٢٤٦) .

* الحرباء :

الحرباء من الحيوانات الزاحفة ، وهي مشهورة بتلونها حسب لون محيطها ، وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يقولون : « فلان مثل الحربايه » ، أي إنّه كثير التلون . ولا تحظى الحرباء بأي تعاطف لدى الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، الذين يرون وجوب قتلها ، لاعتقادهم أنها تبخّ السم ، وبالتالي فهي مؤذية ضارة ، كما أنهم يعتقدون أنّ (الخيارة)(٢٤٧) إذا كانت ذات طعم برّ ، بأنّ الحرباء قد مرت من فوقها . وهم يعتقدون أنه إذا تم حرق الحرباء فوق النار ، فإنّ ذلك يخلق قوة سحرية تؤثر في الزوج إذا أغضبت زوجته وحردت الى بيت أهلها ، مما يجعله يعمل على إرضائها وإعادتها إلى بيت الزوجية .

* **الكلْب :**

من الحيوانات الأولى التي روضها الإنسان باكراً جداً ، واستخدمها لتساعد الراعي على حماية القطعان من الوحوش المفترسة ومن اللصوص(٢٤٨) .

وهو يمتاز بقوة حاسة الشم ، لذلك فهو « ذو فحص واقتفاء للأثر ، وبشمّه يسترشد ، ويهتدي ويستدل ، وطباعه الترضّي والبصبصة والهشاشة لمن عرفه »(٢٤٩) . وليس في الحيوان « أشدّ حباً لصاحبه منه »(٢٥٠) . ومن طبعه « أنه يحرس ربه ، ويحمي حرمه شاهداً أو غائباً ، وهو أيقظ الحيوانات عيناً في وقت حاجته الى النوم ، وهو في نومه أسمع من فرس ، وأحذر من عقعق »(٢٥١) .

كان الناس في الوسط الشعبي يعتقدون أن الكلب الأسود ربما يكون أحد أفراد الجن ، لذلك فإن كثيراً من الناس يتورّعون عن ضربه أو إيذائه كي لا يؤذيهم قومه الجن .

وكان العرب في الجاهلية يزعمون « أن الكلاب كلها جان ، أو بعض منها له خصائص معيّنة مثل : الكلاب المعيبة ، والكلاب الشديدة السواد »(٢٥٢) .

وفي فلسطين ، كان الناس في الوسط الشعبي ، يعتقدون أن الكلب يحسّ بقدوم ملاك الموت ، عندئذٍ ينبح الكلب نباحاً غريباً شاذاً ، وهم يعبّرون عن هذه الحالة بقولهم : « قاعد يعوي بالمقلوب » ، ويتشاءمون من هذا النباح غير

المألوف ، ويتوجّسون منه خيفة عند سماعه ، لا سيما إذا كان الوقت ليلًا ، حتى أن بعضهم قد يخرج من منزله لينتهر الكلب ، الذي لا يلبث أن يعود سيرته الاولى في نباحه (جواحه) غير الإعتيادي ، ويفسرون هذا النباح (الجواح) ، بأن أحد أبناء الحي سيموت . وكانت الروم « لا تدفن ميتاً حتى تعرضه على الكلاب ، فيظهر لهم من شمّها إياه علامة يستدل بها على حياته أو موته »(٢٥٣) . وبشكل عام ، يُعتقد أن الشبح « يظهر للحيوانات دائماً ، حتى ولو لم يظهر لعين الإنسان ، فتنبح الكلاب عند مروره بها »(٢٥٤) . يقول كراب(٢٥٥) بأن هناك ظناً « بأن الحيوانات تستطيع أن ترى الأشباح والعفاريت التي تكون خافية على الإنسان . والحيوانات التي تتردد الإشارة إليها ، هي الكلاب والخيل ، وأما الكلاب فتعوي عندما ترى شبحاً يمر أمامها ، على حين أن الخيل ترفض أن تسير قدُماً إذا رأت شبحاً .

والفكرة الذائعة التي تقول أن نباح الكلب نذير بموت قريب الوقوع ، نتاج طبيعي لهذا المعتقد ، ذلك أن « النباح » يحدث عند ظهور ملك الموت الذي لا يراه الإنسان ، ويراه الحيوان .

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن الكلب إذا بسط ذراعيه وأخذ يتقلب ، فإن ذلك يعني أن ثلجاً سوف يسقط .

وهم يعتبرون الكلب من الحيوانات النجسة ، فإذا شرب من إناء ، وجب حينئذٍ « غسله سبع مرات ومرةً أخرى بالتراب »(٢٥٦) ، بل إن الكلب يعتبر « مثالًا للنجاسة ، فإذا ما هزّ ذيله من مسافة بعيدة (أربعين خطوة) أصابت النجاسة ثياب الناس ، وإذا شرب وأكل من وعاء ، لا يستعمله الناس إلا بعد تطهيره سبعاً بالماء ، ومرةً بالتراب »(٢٥٧) ، وهم يسمون عملية تطهير الوعاء الذي يمسّه الكلب أو يشرب منه بـ « التسبيع » ، ومصدر هذه الكلمة ، أن الوعاء يُغسل بالماء « سبع » مرات .

وقد يقطع بعضهم « جزءاً من أذني الكلب ويطعمونه له وهو صغير ، ليصبح شديد التوحّش »(٢٥٨) ، شديد الجرأة ، لا يهاب أحداً من الناس أو الحيوان .

كان الكلب عند العرب في الجاهلية مرتبطاً عند البعض (بالحمى) ، « إذ

كان القوي منهم إذا انتجع أرضاً خصبةً ، أوْفى بكلب على مرتفع منها ، واستعواه ، ثم أوقف له من يسمع منتهى عوائه ، فحيث انتهى صوته ، حَمى المكان من كل ناحية لنفسه ، ومنع الناس منه »(٢٥٩) . ولقد قالوا عن كليب وائل : « ... وكان إذا مرّ برُوضةٍ أعجبته ، أو غدير ارتضاه ، رمى بكلبٍ هناك ، فحيث بلغ عواؤه كان حمى لا يُرعى ، وكان اسمه وائلا ، فلما حمى كليبُه المرميُّ الكلأ ، قيل أعزُّ من كليب وائل ، ثم غلب هذا الإسم عليه حتى ظنوه اسمه »(٢٦٠) .

وكان العربي يتفاءل بنباح الكلاب على مجيء الضيوف(٢٦١) .

ويروى أن أهالي سيوه في مصر كانوا « يعتقدون حتى بداية القرن العشرين ، أن أكل لحم الكلب يشفي من الأمراض الخبيثة »(٢٦٢) ، وكان المصريون القدماء « عندما يموت لهم كلب فيحلقون شعر البدن كله حتى الرأس »(٢٦٣) .

يروى في واحدة من الحكايات السودانية ، التي موطنها النيل الأبيض ، كيف أن « الدنكا » لا يضربون الكلاب ، اعتقاداً منهم في أن الكلب هو أول من جاء بالنار لقبيلة الدنكا ، فلقد « عاش الدنكا حقبةً طويلةً لا يعرفون النار ، وكان الرجل منهم إذا صاد سمكةً قطعها ووضعها في ماعون ، وتركه تحت وهج الشمس »(٢٦٤) .

*** القط :**

وهو حيوان محبوب ، ويتعاطف معه الناس كثيراً ، ويقال أنّ مردّ ذلك في المعتقد الشعبي الفلسطيني « عائد لأنّ (البسّ) حمى النبي من الحيّة ، فلقد كان النبي نائماً في الفلاة ، فاقتربت منه حيّة تريد لدْغه ، لكنّ قطاً أسرع وصدّها عن النبي وقتلها ، وعندما استيقظ النبي وعرف ما حدث ، بارك القط ودعا له بالخير . ويقال أن النبي قص (ردْن)(٢٦٥) ثوبه كي يترك قطةً نامت عليه ، دون أن يزعجها »(٢٦٦) ، ويتجلى التعاطف مع (البس) بالإعتقاد الشعبي بأنّ هذا الحيوان غير نجس ، وأنه إذا شرب من وعاء ، فمن الممكن أن يستعمله الآدميون ، وذلك بعكس أن يكون ذلك الاناء قد شرب منه فأر أو

كلب »[٢٦٧] .

ويؤخذ على القط « أنه يعتدي على طعام صاحب البيت ، بعكس الكلب الذي يحرس الطعام ولا يعتدي عليه »[٢٦٨] .

من المعروف عن القطة أنها تكثر من المواء عند النزْو ، وتفسير المواء في تلك الحالة ، من وجهة نظر المعتقد الشعبي الفلسطيني ، هو أنّ نوحاً عليه السلام « كان في السفينة ، وأمر كل الحيوانات ألا تتناكح حتى لا يزداد نسلها ويثقل حمل السفينة ، وفي يوم شاهدت البسّة الكلب والكلبة يتناكحان ، فأخبرت سيدنا نوحا بذلك ، فأمرهما نوح بعدم تكرار فعلتهما ، ولكن البسّة عادت وشاهدتهما يتناكحان فأخبرت نوحاً عنهما مرة أخرى ، فصاح بها نوح : روحي ، الله يفضحك كُلّما قَرَّب البسّ منك . ومن يومها ، والبسّه تنوّي وتفضح حالها وقت النكاح »[٢٦٩] .

وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني ، أن القط الأسود قد يكون أحد أفراد الجن ، لذلك فإنهم يتورعون عن ضربه أو إيذائه ، لا سيما في الليل ، كي لا يؤذيهم قومه الجن ، ويقال « بأن أجسام القطط السوداء هي مأوى العفاريت »[٢٧٠] .

وكان العرب قديماً يعتقدون « أن الجن تتشكل بصورة القط الأسود ، لأن السواد في رأي صاحب آكام المرجان : « أجمع للقوى الشيطانية من غيره »[٢٧١] . وكان الأوروبيون في القرن السادس عشر يقاومون الأعمال السحرية الشيطانية الضارة بأكل كبد قطة سوداء »[٢٧٢] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، كان الناس يعتقدون « أنّ قتل « البسّ » قد يؤدي إلى كارثة تحل بالقاتل ، وفي هذا المجال يقولون : (خطيّة القط ما بتنُط) »[٢٧٣] .

والقط لا يحبّ الأطفال ، وفق ما يعتقدون ، ويقال « أنه يصرخ بهم قائلًا : « الله يقطع أولاد أهلي دبّه دبّه ، قطعوا ظهري »[٢٧٤] ، وربما اعتقدوا أنّ للقطّ « سبعة أرواح ، إذْ إنه لا يموت من ضربة واحدة ، أو حادثة واحدة ، وهم يشبّهون الشخص الذي يتعرض للموت مرات عديدة ، لكنه ينجو من الموت بأعجوبة ، بقولهم : « مثل البسّ ، بسبعة أرواح » .

كان لسنّ القط علاقة ببعض المعتقدات الشعبية العربية »[٢٧٥] ، ويروى أن العرب كانت تعلق على الصبي « سنّ هرة ، خوفا من الخطف والنظرة »[٢٧٦] .

يذكر هرودوت ، أنه عندما كانت تموت قطة في منزل مصري ، يحلق سكان المنزل حواجبهم »[٢٧٧] .

* الضبع :

نوع من الضواري ، كثير الوجود في الشرق ، حجمه بحجم الذئب ، وهو كامد اللون ، مخطط بخطوط قاتمة تقاطع طوله على زاوية قائمة ، وعلوّ جسمه عند كتفيه ٣ أقدام ، وله عرف ينتصب إذا هاج . والضبع بين ذوات الاربع كالعقاب بين الطير ، فيقتات باللحم المنتن ، وكثيرا ما يحفر القبور فيأكل الجثث ، ورائحة جسمه كريهة جدا ، وهو جبان الطبع ، ومع ذلك إذا هاج فهو شرس[٢٧٨] . وهو يأوي إلى المغاور والكهوف والمقابر ، وأحيانا يبيت في البرية دون مأوى[٢٧٩] .

وتظهر صورة الضبع في المأثورات الشعبية على أنه حيوان مخيف مخادع ، لكنه لا يخيف الراعي والشجاع والمتأكد من قدراته ورجولته[٢٨٠] . وسيرة الضبع مثل سيرة الحية ، ذلك أنه ما أن يتحدث شخص عن تجربته ، أو تجربة شخص آخر عن الضبع حتى يبادر كل الحاضرين إلى رواية أخبار عن تجارب سابقة مع الضبع[٢٨١] .

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن الضبع يخشى النار ، ويهرب منها ، وأنه لذلك يظهر في الليل أثناء حلول الظلام ، لكنه لا يجرؤ على الظهور في ضوء النهار .

وكان العرب يعتقدون أن من مرّ بمكان كثير الضباع ، فأخذ بيده أصلًا من أصول « عنب الحية » ، هربت منه ... وعنب الحية هو الحنظل[٢٨٢] . ويعتمد الضبع على أسلوب المفاجأة ، فيقفز على المسافر من مكان ما أو من حفرة في الطريق ، ويأخذ في إخراج أصوات مريعة ، حتى يتحول المسافر إلى

شخص « مظبوع » ، بمعنى أنّ الضبع أرهبه لدرجة أنه أفقده عقله تمهيدا لإفتراسه ، على اعتبار أن الضبع لا يجرؤ على افتراس شخص إلّا بعد أن يُذهب عقله(٢٨٣) .

والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني كانوا يعتقدون « أن المظبوع يتبع الضبع وهو ينادي « وينك يابا ... هذا أنا لاحقك » أو « إقفَ يا عمّ .. استنّاني »(٢٨٤) .

وللضبع ، كما يقال ، علاقة بالجن ، فقد ذكر الراغب الأصفهاني قال : « ادّعوا أن الجن يركب كل وحش من البهائم والطيور ، إلّا الارانب والضباع والقرد ... »(٢٨٥) . وفي فلسطين يعرف الناس في الوسط الشعبي أنّ « من عادة الضبع أن يحفر القبور ويأكل الموتى ، ولذلك اعتقد الناس خطأ بأنه غول ، وخلطوا بينه وبين الغول الأصيل »(٢٨٦) .

وكانوا يعتقدون « أن لحم الضبع « محرّم » أكله باستثناء كتفه الأيمن »(٢٨٧) . وهناك بعض الشعوب التي تعتقد أنه إذا أكل المرء قلب الضبع فإن ذلك « يمنح فاعله الشجاعة والقوة »(٢٨٨) التي يتميز بها هذا الحيوان . ويروى أن أفراد قبيلة « ناندي » في أفريقيا الشرقية « يقدّسون الضباع ، ويعتقدون أنها تتحدث على نحو ما يتحدث الإنسان ، وأنها على اتصال بأرواح الموتى »(٢٨٩) . وفي أفريقيا الشرقية أيضا « يقول ألوانيا مويزيون » أنهم لا يستطيعون أن يقتلوا الضبع لأنهم لا يعرفون ما إذا كان هذا الكائن ينتسب إلى أحد أقربائهم ، وربما كان مردّ هذا الإعتقاد إلى أن أرواح الموتى الذين تلتهم الضباع أجسادهم ، تحيا بداخلهم مرة أخرى ... »(٢٩٠) .

ويروي لنا « هانوود عن أشخاص حدّثوه في فلسطين ما نصه : « يتحول الضبع الذكر بعد سبع سنوات إلى وطواط ، وبعد سبع سنوات أخرى يتحول إلى غول يمتص الدماء ، وهذا بعد سبع سنوات يتحول إلى « حشيشة القريض » ، وهذه بدورها وبعد سبع سنوات تصبح شوكة ، ثم تصبح الشوكة بعد سبع سنوات روحاً »(٢٩١) .

*** الذئب :**

حيوان يتصف بشدة الإفتراس والشراسة ، حجمه كحجم الكلب الكبير ، وكثيراً ما يشبهه ، وهو من ألدّ أعداء الغنم ، فإنها ترتاع منه حين تراه(٢٩٢) .

ويمثل الذئب في الوجدان الشعبي الفلسطيني صورة من « يحصل على قوته بالقوة وبأسلوب الإغارة المفاجئة ، ذلك لأن الذئب يغير على قطعان المواشي غارات سريعة ومفاجئة ، قد يحصل فيها على شاة أو حمل ويفرّ هارباً ، وقد لا يتمكن من الحصول على مبتغاه ، فيلجأ إلى الفرار ، ويأخذ الرعاة في مطاردته منتهرين إياه ومعيبين عليه لصوصيته . ويستعير الوجدان الشعبي هذه الظاهرة لتطبيقها على الإنسان ، ويقال في المأثور الشعبي : « مية صبحة ورا الذيب ما بتعيب » أي أن الفارس الشجاع ، الذي يذهب للغزو ويعود دون أن يغنم شيئاً ، أو غنم أشياء وهرب بها ، لا يعيبه الصراخ المتردّد وراءه »(٢٩٣) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني « يعتقد الناس أن أسنان الذئب وعظامه لها القدرة على إبعاد الشر عن الطفل المريض ، ولذلك فهم يعلقون قطعة من عظام فك الذئب في رقبة الشخص الذي تصاب حنجرته بالبحّة ، وهم يعتقدون أن ذلك يشفي المريض . وتؤخذ سن الذئب بعد أن يصاغ الذهب عليها وتعلق معها خرزتان ، وتعلق السن والخرزتان في ملابس الطفل المريض ، ويعتقد الناس أن ذلك يبعد المرض عن الطفل . إن هذه الممارسة السحرية تعتمد على أنّ ذلك الجزء من عظام الذئب لها القوة المستمدة من شجاعة الذئب وجرأته »(٢٩٤) .

وكان للذئب علاقة ببعض معتقدات العرب(٢٩٥) ، فقد اعتقدوا أن « الفرس الذي يعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجري »(٢٩٦) ، وبأن الحصان « إذا وطىء أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ، ويخرج الدخان من جلده »(٢٩٧) . وكان العرب الجاهليون يعتقدون أن الجن « قد تتخذ بعض الحيوانات مطيةً لها ، كالنعام أو الذئاب ، وتسير بها مسرعةً كالطائر فوق الريح »(٢٩٨) . لذلك فليس غريباً إذا كانوا يخشونه لدرجة أنهم كانوا لا يجرؤون على ذكر اسمه الصريح ، بل كانوا يكنّون عنه بأسماء عديدة ، ومن « استعارات العرب لاسم الذئب يذكر : « أبو جعدة وأبو ثمامة وأبو

كاسب »[٢٩٩] .

وفي أوروبا اعتقاد بأن « إلقاء أسماء الحيوانات الخطيرة أو السامّة ، جدير بأن يجذبها ، مما يؤدي إلى اجتناب هذه الأسماء قدر المستطاع ، واستبدالها بأسماء مترادفة أو كنايات . ولهذا نجد أن الذئب لا يسمى باسمه في قسم واسع من أوروبا الوسطى واسكندنافيا بل يشار إليه باسم « الصامت » أو « سباق الغابة »[٣٠٠] .

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أنّ الإنسان إذا أصيب بسعال شديد يسمى « الكحة الذيبية »[٣٠١] فإن « هذا السعال يشفى إذا قام رجل تمكن من قتل ذئب بذبح المصاب بقفا السكين ، وهو بهذا العمل التمثيلي للذبح يكون قد تمكن من ذبح السعال ، كما تمكن من ذبح الذئب »[٣٠٢] .

ويعتقد البعض أن الإنسان إذا أكل جزءاً من جسم الذئب فإنّ ذلك كفيل بأنْ ينقل جزءاً من أوصاف الذئب إلى ذلك الإنسان . ففي ريف مصر حالياً يؤكل قلب الذئب « ليقوي قلب الإنسان ويجعله يحتمل الجري مسافةً طويلة »[٣٠٣] ، أيْ أن الجرأة والشجاعة تنتقلان بهذا الشكل من قلب الذئب إلى قلب من يأكله ، ويصبح هذا الإنسان شجاعاً جريئاً مقداماً ، كما الذئب تماماً ، ويصبح مثله أيضاً في سرعة جرْيه وجَلَده في ذلك .

وقديماً « استخدم بعض الأطباء العرب .. كبد الذئب للأمراض الكبدية »[٣٠٤] ، وتعتقد بعض الشعوب أنّ أكْل قلب الذئب يمنح فاعله الشجاعة والقوة التي يتميز بها هذا الحيوان[٣٠٥] .

* الطير :

بدأت العلاقة بين الإنسان والطيور عندما بدأ بحثه عن الطعام ، فمضى يسرق أعشاش هذه الطيور ، ويصنع لها الفخاخ والأشراك كي يقبض عليها ويذبحها ، ثم نشأت شريعة حماية الطيور ، فحرّمت أخذ الذكر والأنثى في وقت واحد[٣٠٦] . إذن فالعلاقة بين الإنسان والطيور ، موغلة في القدم . أما المعتقدات الشعبية حول الطيور « فإنها تضرب كذلك بجذور قديمة ، وتدور في مجالات

متعدّدة »[٣٠٧] .

وفي فلسطين « يتمتع الطير عموماً بتعاطف الإنسان ، فهو « يسبح لربه في الصباح . ويتفاءل الناس به فيقولون : « إنْ أوْجَهْ طيرك تْحَسَّنْ رزقك »[٣٠٨] . فالطير يسبّح للذي خلقه : « ألمْ تر أنّ الله يسبّح له من في السموات والأرض والطير صافات كلّ قد علم صلاته وتسبيحه »[٣٠٩] . كذلك فالطيور هي أمم مثل البشر : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا أمم أمثالكم »[٣١٠] ، لذلك فليس غريباً أن يتعاطف الإنسان في الوسط الشعبي مع الطيور بشكل عام .

كان العرب يتشاءمون من الطير أحياناً ، ويتفاءلون به في أحيان أخرى ، وهذا ما يطلقون عليه إسم « الطيرة » ، فقد روي « في أخبار الجاهلية أنهم كانوا إذا خرج أحدهم لبعض حاجته ، ينظر هل يرى طائراً فيزجر سنوحه أو بروحه ، فإنْ لم ير طائراً قصد الطير الواقع على الأشجار فحرّكه ، ثم رقب الجهة التي يقصدها فإنْ طار إلى يمينه تيمَّن به واستبشر ، وإنْ طار عن يساره تشاءم وعاد . وقد أبطل الرسول (صـ) هذه العادة ونهى عنها ، فقد كان كثير التفاؤل ، وهو القائل : « تفاءلوا بالخير تجدوه »[٣١١] . وقد اعتبر الطير في أحيانٍ أخرى دليل خير ، فعن قصر غمدان المشهور في اليمن ، قال أنّ « صاحبه الذي بناه ، حينما أراد أن يتخذ قصراً باليمن ، أحضر البنّائين والمقدِّرين ، فمدّوا الخيط ليقدّروه ، فانقضّ على الخيط طير وخطفه .. ، فتبعوه حتى ألقاه في موضع غمدان ، فبناه صاحبه هناك .. »[٣١٢] .

وفي بلاد الرافدين كان هناك طائر خرافي يبعث ذكره الرعب في النفوس ، وهو الطائر العملاق زو الذي كان « من قوى العالم الأسفل المدمِّرة » الذي « نرى رسومه على العديد من الأختام التي عُثر عليها في أرض الرافدين ، ويبدو فيها في هيئة مزيج من الإنسان والطائر »[٣١٣] .

وفي الديانتين « الإغريقية والرومانية ، تكون الطيور إمّا للأضاحي والقرابين ، وإمّا رموزاً للآلهة ترتبط بأسطورة أو بصفة معينة فهنالك النسر المهيب المخيف الذي تجسّم في زيوس ، وهنالك الحمامة البيضاء المخصصة

لأفروديت وهي تمثل الحب وصفاء القلوب »(٣١٤) وهناك شعوب تتشاءم من رؤية بعض الطيور حين تهجر الأعشاش ، وتعتقد هذه الشعوب « أن طيور القلق والسنونو حين تهجر أعشاشها القائمة فوق بيت من البيوت ، يكون ذلك إيذاناً بأن يحترق هذا البيت »(٣١٥) إن هذه « الطيرة » « نجدها في معتقدات كثير من الشعوب ، كالرومان والفرس واليونان »(٣١٦) .

ولعل أبرز ما تتحدث عنه المعتقدات الشعبية لدى كثير من الشعوب ، تلك العلاقة بين الطيور وأرواح البشر ، بعد أن تفارق الأرواح أجساد أصحابها . ونرى « بعض الشعوب القديمة أن بعض الطيور ما هي إلّا أرواح الموتى بعد مفارقتها الأجساد ، وفي الوسع فهمُ منطقها ومحادثتها »(٣١٧) .

وكان العرب يعتقدون « أن لكل إنسانٍ طيراً يعيش ما عاش ويموت فإذا قُتل الإنسان دون أجله ، ظَلَّ الطير شريداً باكياً معوِّلاً حتى يؤخذ بثأر صاحبه »(٣١٨) . ويرمز « الجاهلي إلى روح الميت ، في حالات معينة ، بالهامة (طير) »(٣١٩) .

والمعتقد الشعبي في معظم الأقطار العربية حالياً ، يشير إلى أن « روح الميت طير يرفرف فوق جثته »(٣٢٠) . وفي فلسطين كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن الأطفال الذين يموتون ، تصبح أرواحهم طيوراً ترفرف في الجنة يوم القيامة ، وهؤلاء الأطفال (الطيور) يخفّون لاستقبال والديهم ومساعدتهم في يوم الحشر الأكبر .

إذن فإن « الإعتقاد بأن الروح تتخذ شكل طير بعد فراقها للجسد ، اعتقاد شائع في أمم الأرض »(٣٢١) . وهكذا نجد أن « أغلب تصوُّر للروح شيوعاً هو بحق تصوُّره وهو يطير في صورة طائر . وربما يرجع هذا إلى اعتقاد الإنسان أن الروح شيء خفيف الوزن ، إذ إنه يقدر على الطيران في الأحلام . وربما يرجع هذا كذلك إلى أنّ صوت بعض الطيور كثيراً ما يتشابه بعض الشيء مع صوت الإنسان ، إلّا أنه أجمل وأرقّ »(٣٢٢) .

وفي الوجدان الشعبي أن الطيور تعلم الغيب وما خفي من الأمور ، فلقد « تصوّر الناس من قديم أنّ للحيوانات ، وبخاصة الطيور ، قوة خارقة ، ذلك لما

يتاح لها من الفرص في الكشف عن المحجوب أو السرّ ، فهي تستطيع أن تراقب أحداثاً لها أهميتها ، دون أن يلاحظها أحد »(٣٢٣) .

وقد يكون الطير في الذهنية الشعبية رسولاً يبلّغ رسالةً أو يأتي بجواب . ففي المعتقد الشعبي الفلسطيني « أنّ النساء اجتمعن بعلي بن أبي طالب ، وسألنه لماذا لا يحق لكل واحدة منهن الزواج من أربعة رجال ، طالما يحق للرجل الواحد أن يتزوج أربع نساء . فقال لهن : سأرسل لكُنّ سائلاً عن ذلك ، وأتى بطير ربط به رسالةً إلى الله ، وأطلقه . ومنذ ذلك الحين ، والنساء كلما سمعن صوت طير ، قلن : خير يا طير ! تيمناً بجواب عن سؤالهن »(٣٢٤) .

وفي الأغاني العربية - حيث يكثر الحزن والتذلّل عند العشّاق - يبدو الطير رسول الهوى ، ومحملاً للشكاية من تباريح الغرام أو من الهموم »(٣٢٥) .

إن للطيور لغة خاصة بها ، لكن هناك ما يشير إلى أنّ الإنسان يمكن أن يدرك هذه اللغة ويفهمها . ففي اليونان تروي إحدى الحكايات « أنّ ميلامبوس عرف لغة الطير ، لأن الحيّات كانت تلعق أذنيه ... »(٣٢٦) .

وتروي حكاية يونانية أخرى كيف « استطاع البطل سيجفريد أن يفهم لغة الطير عندما تذوّق دم التنّين »(٣٢٧) . وينسب لسليمان وذي القرنين والحكيم لقمان معرفة لغة الطير(٣٢٨) ، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « وورث سليمان داودَ وقال يا أيها الناس عُلِّمْنا منطق الطير »(٣٢٩) . ومما يذكر « أن منطق الطير ، عند العطار أو ابن سينا أو الغزالي .. إلخ هو لغة الأفكار أو الأرواح »(٣٣٠) .

والطيور في بعض الحالات هم جنود الله تعالى ، ففي حملة (الفيل) التي قادها أبرهة الحبشي ضد الكعبة « أرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير منها ثلاثة أحجار بمنقاره ورجليه ، كالحمّص والعدس ، لا يصيب الحجر منها أحداً إلّا هلك ، لأنها كانت تخترق جسد الرجل من رأسه »(٣٣١) ، وهذه هي طير أبابيل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :

« وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيّل . فجعلهم كعصف

مأكول »[٣٣٢] . كذلك فقد كانت الطيور من جنْد الملك سليمان الحكيم : « وحُشِد لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير »[٣٣٣] .

ثم إن الطير كانت تظلّل سليمان « بأجنحتها لئلا تقع عليه الشمس »[٣٣٤] . وكان العرب يعتقدون أن الجان كانوا يظهرون في صور عديدة منها صور الطير »[٣٣٥] . لكن بعض الطيور قد يكون من الملائكة ، يقول ابن سيرين : « والطيور المجهولة التي لا يعلم نوعها فإنها في التأويل ملائكة »[٣٣٦] .

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يستخدمون الطير كعلاج للعديد من الامراض « إذ يُذبح طير من الطيور الداجنة ، وغالباً ما يكون من الحمام ، وتقلع عينه بعد ذبحه مباشرة ، وتوضع على المكان الظاهر للمرض ، كأن يكون حفراً في الجلد أو في اليد أو في الرِّجْل »[٣٣٧] .

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى « العنقاء » ذلك الطائر الخرافي المخيف الذي يعتبر من المستحيلات الثلاثة عند العرب : « الغول والعنقاء والخلّ الوفي » . وقد ورد ذكر العنقاء « في معتقدات وأساطير قدماء المصريين ، حيث كانوا يتصورونه قادراً على أن يعمّر خمسة قرون أو ستة . وبعد أن يحرق نفسه يستطيع أن ينبعث من الرماد المتخلّف من حرقه هذا ، وتدبّ فيه الحياة هو أتم ما يكون شباباً وجمالا »[٣٣٨] .

وكان قدماء النرويجيين يعتقدون أنّ العواصف يحدثها طائر عملاق يحطّ عند القطب الشمالي أو قريباً منه ، ويرفرف بجناحيه ، وكأنه الشيطان في جحيم دانتي »[٣٣٩] .

* الحمامة :

طائر له صوت حزين ، له طبع لطيف ودود[٣٤٠] . وهو هيّاب خجول عندما يُخَوَّف يرتجف[٣٤١] . والحمامة رمز للروح القدس[٣٤٢] .

وفي فلسطين « اشتهر وادي الحمام قرب قرية المجدل في الجليل بكثرة حمامه ويمامه »[٣٤٣] . والحمام نوع من الطيور ، يذكر منه بعضهم أربع فصائل موجودة في فلسطين : الحمام المطوق أو حمام الغاب ، والقمري وحمام

الصخر ، وحمام الصخر الرمادي المؤخرة ، والحمام المطوق يزور فلسطين في أسراب ضخمة ، في الربيع والخريف أثناء رحلاته السنوية[٣٤٤] . وفي فلسطين « نوع من الحمام البري الذي يعيش في بيارات البرتقال ويقوم بالغناء صباحا قبل طلوع الفجر ، وكأنه يقول « اذكروا ربكم » ويسمى في بعض المناطق باسم « اذكروا ربكم »[٣٤٥] .

في فلسطين « ترمز الحمامة في الذهن الشعبي للمرأة الحسناء .. وما من شك في أن هذا التصور الشعبي عائد الى زينة الحمامة ورقتها ، فلها طوق جميل ، ورجلات مخضبتان ، وعينان جميلتان ، وملمس رائع »[٣٤٦] . ولعل أقدم ذكر للحمامة يعود الى قصة الطوفان ، عندما أرسل نوح الغراب للبحث عن اليابسة (برّ الامان وشاطىء السلام) ، إلّا أنه لم يعُدْ ، فأرسل نوح الحمامة ، فعادت إليه وهي تحمل في منقارها غصن زيتون أخضر ، عندئذ أدرك نوح أن الماء قد انحسر ، وأن برّ الامان بات قريبا . ومنذ ذلك الحين أصبحت الحمامة رمزا للسلام لدى معظم شعوب العالم .

وفي الذهنية الشعببية الفلسطينية ، أن نوحا كافأ الحمامة على هذه البشرى السّارَة بأنْ « دعا لها بخضاب الحنّة في عنقها وقدميها ، لذلك ترى عليها أطواقا جميلة من الألوان الحلوة ، وقد تبدو على عنقها[٣٤٧] ، وقد تبدو بها محجلة »[٣٤٨] . كما أن نوحا « دعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت »[٣٤٩] .

إن أشهر صفات هذا الطائر الفريـد ، بالإضافة الى الهدوء وجمال الشكل ، هي الوفاء ، فالحمام يحب المعاشرة جدا ، ولا يستطيع مفارقة المكان الذي وُلد فيه[٣٥٠] . كذلك فإن ذكر الحمام زوج مخلص ، لا يتزوج من حمامة أخرى خلاف زوجته ، ولا يمكن أن يطير مع حمامة أخرى إلّا بحضور زوجته . والحمامة - أيضاً - عندما يموت زوجها تحزن عليه مدة طويلة وترفض الزواج من غيره ، وقد تظل حزينةً عليه حتى تموت[٣٥١] ، وهي تصدر عندئذٍ صوتاً حزيناً أشبه بنواح المرأة الثكلى ، ومما يجدر ذكره هنا، أنّ العرب كانوا « يهتاجون لنوح الحمام »[٣٥٢] .

يقال أن الطائر المقدس للملكة « سميراميس » هو الحمامة[٣٥٣] ، ويقال

« أن سميراميس يعني كاهنة الحمام . ذلك أنها حين وُلدت من رحم أم سماوية ، كانت قد تركتها في الخلاء عقب ولادتها ، فتعهدها بالرعاية سرب من الحمام ، كما أنها حين ماتت ، تحولت الى حمامة »(٣٥٤) .

ويقال أن « من اسم الحمام ، تسمّت الملكات الرّبات الآشوريات : سميراميس ، وسميرام ، وسميرنا الليبية »(٣٥٥) ، ويقال أن « راشيل زوجة يعقوب وأم النبي يوسف ، تسمّت أيضاً بالكاهنة الحمامة »(٣٥٦) . وفي التراث اليوناني ، أن الحمائم كانت من بين الأشياء المخصصة لأفروديت(٣٥٧) ، لا سيما الحمامة البيضاء ، « وهي تمثل الحب وصفاء القلوب »(٣٥٨) . ويذكر أن الأوروبيين يتشاءمون من الحمامة ، على عكس الشعوب الأخرى ، ولسنا نعرف « لماذا يجلب الحمام سوء الطالع ، فالطائر ذاته غريب على أوروبا ، ويُظن أنه حمل معه هذه الصفة من بلاد الشرق الأدنى ، ومن الهند قطعاً ، حيث كانوا يفْرَقون منه ويخافون ، إذْ كان عندهم نذير الموت »(٣٥٩) .

*** الغراب :**

الغراب طائر سيء الصيت لدى معظم شعوب العالم ، وهو « أكثر الطيور تطوراً فيما يبدو . فلا بد أنه كان يتبع الصيّاد والقنّاص فيما قبل التاريخ ، بحدّة بصره وذكائه وشجاعته ، لكي يفترس نفاياتهما دون أن يتحرش بهما ، تماماً كما نجده في عصرنا الحاضر ، يتعقّب تحركات هؤلاء الناس لهذا الغرض نفسه . كما أنه كان يلازم رعاة العصور الأولى الذين لم يكونوا ينظرون إليه بغير اكتراث ، حيث أنه كان يشتهر بما يشتهر به الآن من رغبة في اقتناص الحيوان الضعيف وقتله(٣٦٠) . والغراب « لا يعتمد في حياته على الإنسان ، حيث أنه يعيش حياته مستقلّا عنه »(٣٦١) .

إن كثيراً من الشعوب منذ العصور القديمة « كانت تحس إزاء هذا الطائر إحساساً يشوبه التقديس أو الخرافة ، وقد كان هذا الإحساس قوياً إلى درجة أنه كان يطغى على الإحساس بعدم الثقة ، ولا نقول الكرْه ، إزاء هذا الطائر . بل إن هذا الإحساس ظل ينتشر حتى أصبح يعيش في بعض الأماكن حتى يومنا هذا »(٣٦٢) .

ومن بين الخصائص التي خلعت على الغراب مزيداً « من التقديس من وجهة نظر الشعوب ، مقدرته على تقليد صوت الإنسان »(٣٦٣) . ولقد ذكر « أنّ الغراب يستطيع أن يفعل ما يعجز طير من الطيور الأخرى عن فعله . ففي وسع الإنسان أن يدرّبه على الصيد كما يدرب الباز ، وفي وسعه أن يدربه على أن يقتفي أثر الصيد وأن يحضره إلى القنّاص كما يفعل كلب الصيد ، وفي وسع الإنسان أن يدرّبه على الكلام كما يدرّب الببغاء ، ولكن ربما كان أغرب ما في ذلك كله أن يدرَّب الغراب على الغناء فيغني كما يغني الإنسان .. »(٣٦٤) .

ومن المعروف عند العرب « أن الغراب يقتلع عين الجمل والفرس والإنسان »(٣٦٥) .

والغراب طائر « حاد البصر ، ذو ذكاء خارق ، وجرأة بالغة ، يتغذى على فضلات صيادي البحر والبر ، وكذلك يتغذى على الحيوانات الضعيفة بين الطيور والقطعان ، وقد تبع ارتباطه بالخرافة القضاء عليه كليّة في مناطق مختلفة »(٣٦٦) .

والعرب يضربون المثل بالغراب « في السواد والبكور والحذر ، فيقال : « أحذر من غراب » ويقال : « أرض لا يطير غرابها » أي مخصبة ، ويقال : « طار غرابه » أي شاب رأسه »(٣٦٧) .

لقد تتبع العرب صفات الغراب وخصائصه ، « مما يعكس معتقداتهم نحوه ، فنعتوه بحدّة البصر ، وشدة الحذر ، وبالزهو ، وصفاء العيش »(٣٦٨) . والغراب عندهم أصناف : « الغداف ، والزاغ ، والأكحل ، وغراب الزرع ، والأورق الذي يزعمون أنه يحكي جميع ما يسمعه »(٣٦٩) .

وذكر العرب أن من طباع الغراب « الإستتار عند السفاد ، وأنه يسفد مواجهة ولا يعود إلى الأنثى بعد ذلك لقلة وفائه ، وفي طبعه أنه لا يتعاطى الصيد ، بل إذا وجد جيفةً أكل منها وإلّا مات جوعاً ... »(٣٧٠) .

ويمتاز الغراب بسواد لونه ، حتى شُبهت « الخُمُر في سوادها بالغربان » ، وأغربة العرب سودانهم ، شُبهوا بالأغربة في لونهم »(٣٧١) . ويقال أن « الغراب الأسود حلّت به اللعنة بسبب ثرثرته »(٣٧٢) . وقيل أن نوحاً قد دعا

على الغراب ، لأن الغراب فرّ هارباً ، ولم يعدْ إليه ، فكان دعاء نوح عليه سبباً في سواد لونه »(٣٧٣) . كما قيل بأن « سبب سواد لونه هو أنه تقاعس عن نجدة الإنسان »(٣٧٤) . ويُعتقد بأن « الغراب كان في وقت ما ، أبيض ثم تحول إلى اللون الأسود بسبب شقائه »(٣٧٥) ، وبسبب اللعنة التي أنزلها به نوح ، كما مرّ معنا . وقد تعززت أسطورة الغراب الأبيض في التراث المسيحي بما قيل من أن الطفل المقدس قد لعن الغربان ، لأنها لوثت الماء الذي كان على وشك أن يشرب منه »(٣٧٦) .

وفي التراث اليوناني أن « أبوللو » قد أرسل « الغراب ليبحث عن الماء ، فلما أبطأ حلت عليه اللعنة الأبدية ، وهي أن يظل عطشان »(٣٧٧) كان العرب يعتقدون « أن الغراب يبصر تحت الأرض بمقدار منقاره ، ودعا ذلك إلى تسميته بالأعور لحدّة بصره وتجنّباً لشره »(٣٧٨) .

وقيل عن أسباب نعيق الغراب « أن الغراب تأثر لأن صديقاً أهوج أغضبه »(٣٧٩) .

ويلاحظ أن مشية الغراب تختلف عن مشية سائر الطيور الأخرى ، وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعزون ذلك إلى أن (سليمان الحكيم) قد قضى على الغراب « أن يظل مقيداً بقيد الأبد والقدرة ، ولذلك لا يُرى الغراب ماشياً إلّا وكأنّ رجليه مقيّدتان بقيد ما »(٣٨٠) .

كان العرب يخشون الغراب ويتجنبون شره ، لذلك فهم لا يذكرونه باسمه الصريح ، بل يكنّون عنه بأسماء أخرى ، فبالرغم من صفاء عينيه وحدّة بصره ، فقد أطلقوا عليه إسم « الأعور » تجنباً لذكره باسمه ، وبالتالي تجنباً لشرّه ، ولذا نرى أن من « أسماء الغراب عند العرب : أبو حاتم - أبو حذر - وأبو زيدان - وأبو الشؤم - وأبو المرقال ، وابن داية »(٣٨١) ، كما أسموه : « إبن بريخ »(٣٨٢) . وأطلق العرب على كل غراب اسم « غراب البين ، لأنه يسقط في منازل الناس إذا ساروا منها وبانوا عنها »(٣٨٣) .

والعامة « يتشاءمون جداً من الغراب كنذير شؤم ، والغراب وسيلة رمزية تُطرح بغزارة في الآداب الباقية للتلميح بالشر أو القضايا السلبية .. وهذا الإعتقاد

يعتبر استمراراً لرحلة نوح في سفينته مع الحيوانات ، عندما أرسله للتفتيش عن اليابسة ووجدها ، ولكنه لم يَعُدْ فدعا عليه نوح »[٣٨٤] .

إن أكثر العقائد الشعبية شيوعاً « بالنسبة للغراب ، أنه طائر مشؤوم . نجد ذلك في الفولكلور الأوروبي ، وفي الفولكلور الإنساني بعامة »[٣٨٥] .

والإعتقاد أن نعيق الغراب إنما هو نذير الموت ، اعتقادٌ شائعٌ في كل أرجاء أوروبا ، وفي أنحاء مختلفة من أفريقيا وآسيا »[٣٨٦] .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعتبر الغراب رمزاً للخراب والدمار ، وهم يعبّرون عن ذلك بقولهم : « زي الغراب ما بدعي إلّا بالخراب » وقولهم : « مثل غراب البين ما بزعق إلّا بالخراب » . وهم كذلك يتشاءمون من الغراب إذا صاح في المساء ، عند ذلك يقولون : « خير ياطير ، إنْ كان خير إلنا وإلك ، وإن كان شر خُذه وانجرّ »[٣٨٧] . ويعتقدون كذلك أن الغراب إذا صاح فوق رأس انسان ما ثلاث مرات ، فإن هذا يعني شراً سيحيق بهذا الإنسان . فالغراب في الذهنية الشعبية الفلسطينية يمثل « قمة التشاؤم ، فهو يرمز للغربة والبين والوفاة »[٣٨٨] .

ويعود تشاؤم العرب من الغراب إلى قصة الطوفان عندما بعث نوح « الغرابَ يأتيه بالخبر ، فوجد جيفةً فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت »[٣٨٩] ، ولا يأوي إلّا إلى الخرائب التي ترمز إلى الموت والدمار . ولذلك أيضاً فإنّ « أكثر الطيور شؤماً عند العرب ، هو الغراب ، فلا يزال العامة يقولون إذا ما نعب غراب : خيراً .. خيراً ، وذلك من باب التفاؤل بالأضداد ، ولذا فقد أسموه (غراب البين) ، كناية عن أنه دليل الفُرقة ، ودعوْه أيضاً « الغراب الأبقع » و « الغراب الأسود » ، ومنه اشتقت كلمة الغُربة والإغتراب والغريب ، كما يذهب بعض اللغويين »[٣٩٠] .

يقول الجاحظ : « وليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا مقيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلّا والغراب عندهم أنكد منه »[٣٩١] . وقد اشتق العربي من اسم الغراب « الغربة » ، ومن شكله استوحى الحزنَ »[٣٩٢] . وكل ذلك يعزى إلى « لونه الأسود الحالك ، وقبح منظره .. إنه كان يثير في نفوسهم الفزع

والخوف .. لأنّ العربي كان يكره اللون الأسود »(٣٩٣) . ولم يكن « لون الغراب هو الوحيد الذي كان يستفزّ العربي ويثيره ، فقد كان صوته شديد الوطأة على روحه أيضاً ، كان يهرب منه ، ويتحاشى سماع صوته ، فصوته شؤم ، وبلاء مقبل لا مردّ منه »(٣٩٤) .

وكان العامة من العرب « تتطيّر من الغراب إذا صاح صيْحةً واحدة ، فإذا ثنّى تفاءلت به ، وقيل صاح الغراب مرتين فهو شر ، إن صاح ثلاث مرات فهو خير ، على قدر عدد الحروف ، أي عدد حروف كلمة خير وشر »(٣٩٥) . وإذا صاح الغراب « قالوا : خير ، خير ، وأنت شر طير »(٣٩٦) . وفي الأغاني(٣٩٧) ، يطالعنا خبر عن تشاؤم العرب من الغراب : « وسقط غراب على الحائط فنعب فقال الكميث : إنّي لمأخوذ ، وإنّ حائطك لساقط » . وكان ابن عباس يقول عندما يسمع نعيب الغراب : « اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلّا خيرك ، ولا إله غيرك »(٣٩٨) .

والعرب يعتقدون « أن من يرى غراباً في داره ، أنه فاسق يخونه في زوجته »(٣٩٩) . وكانوا يتشاءمون من الغراب « إذا نعق قبل الرحيل ، فيقولون : غراب البين »(٤٠٠) . قال « المقدسي في (كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار) في صفة غراب البين : هو غراب أسود ينوح نوح الحزين المصاب ، وينعق بين الخلّان والأصحاب ، إذا رأى شملًا مجتمعاً أنذر بشتاته ، وإن شاهد ربعاً عامراً بشَّر بخرابه ودروس عرصاته ، يعرّف النازل والساكن بخراب الدور والمساكن ، ويحذّر الآكل غصّة المآكل ويبشّر الراحل بقرب المراحل ، ينعق بصوت فيه تحزين ، كما يصيح المعلن بالتأذين »(٤٠١) .

وما زال الناس « في بعض جهات أُوروبا يعدّون الغراب نذيراً بالموت »(٤٠٢) ، وفي أغنية قديمة ، نرى كيف أنّ الغراب يجمع بين النقيضين : الخير والشر ، عند الأوروبيين : تقول كلمات تلك الأغنية : « إذا رأيتَ غراباً واحداً فإنّ ذلك دليل على الحظ السعيد ، لكن رؤية غرابيْن فهو نذير بليّة من غير شك ، أما إذا تقابل ثلاثة فذلك يعني أنك تقابل الشيطان »(٤٠٣) . والغراب لدى الإنكليز « هو طائر الموت » .. « نرى ذلك في مأساة الشاعر الإنكليزي وليم شكسبير ، ماكبيث ، الفصل الأول ، المنظر

الخامس ، وذلك عندما تبلغ الليدي ماكبث عن قرار الملك دانكان زيارة زوجها في قلعته ، ويدفع الطموح الزائد عن حدّة ماكبث وزوجته قتل الملك أثناء نومه عندهما كضيف.

الليدي ماكبث : (إن الغراب نفسه قد أصبح مبحوح الصوت من كثرة نعيبه على دخول دنكان قلعتنا) .

وفي عطيل ، لشكسبير : « إن الغراب لا يطير فوق المنازل الموبوءة ، بل إنه ينفض العدوى من جناحه المعتم »[٤٠٤] ، كذلك فإننا نرى شبيهاً لذلك « في مواطن أخرى من (شكسبير) مثل (الملك جون) و (يوليوس قيصر) »[٤٠٥] .

وفي التراث الدانمركي « يعني ظهور الغراب أنّ الموت جاء لراعي الكنيسة »[٤٠٦] .

وفي أماكن أخرى من العالم ، « تخرج الفتاة التي لم تتزوج ، في صباح اليوم الثاني والثالث من فبراير ، ثم تقذف بثلاثة أشياء على رأس أحد الغربان (حجر ـ عظمة ـ قطعة فحم) ، ثم ترقب حركة الغراب ، فإنْ طار نحو البحر فتنتظر العريس من جهة البحر ، أما إذا حطّ على منزل ، فإنها تتوقع العريس من هذا المنزل ، والمصيبة الكبرى ، إذا بقي مكانه ، فهو يقول لها : (فات القطار) »[٤٠٧] .

لقد جمع الغراب « بين النقيضين في التفكير الإنساني ، أيْ بين الخير والشر »[٤٠٨] ، نلمس ذلك في تراث كثير من الشعوب ، فلقد « كان الرومانيون يعتقدون أن الغراب يستدعي سقوط الأمطار وهو يمشي متبختراً ذهاباً وإياباً على الرمال »[٤٠٩] . وكانوا ينظرون إلى الغراب نظرة تقديس ، عندما كانت روما في أوج عظمتها »[٤١٠] . وكان الناس في إيرلنده « في نهاية القرن السابع عشر ، يعتقدون بأن الغراب الذي في أجنحته بياض ، إذا طار يميناً وهو ينعق في نفس الوقت ، فإنّ ذلك يعني نبوءة بالحظ السعيد لأيّ شخص »[٤١١] .

ونحن نصادف مثل ذلك لدى العرب القدامى ، فالغراب عندهم إذا صاح

ثلاث مرات فهذا يعني الخير ، وفي سورية « إذا وقف الغراب على أحد المنازل وصاح ، فإنّ غائباً سيعود ، في ذلك اليوم أو الأسبوع »(٤١٢) .

يظهر الغراب في الفكر الإنساني عالماً بالغيب وبالعديد من أسرار الكون والحوادث المستقبلية . وكان اليونانيون القدماء ينظرون إلى الغربان ، « بوصفها مصدراً للتكهّن ، بل إنهم كانوا يعتقدون أنها تمتلك قدرةً على التنبؤ . فالإغريق كانوا يقدسون هذا الطائر ، ويربطون بينه وبين أبوللو إله النبوءة . كما كان العرّافون الإغريق يستمدون النبوءة من نعيبه . وفضلًا عن ذلك ، فإن من كان يرغب في اكتساب قوة ألوهية ، كان يأكل قلب الغراب ، معتقداً بذلك أن قلبه يحتوي على مقدرة على النبوءة »(٤١٣) . وقد ذكر بعض كتاب الإغريق الغرابَ « كمنبيء بالعواصف ، ونجد في عملة القرن الرابع عشر غرابين على عجلة تحتوي على جرّة ماء ، ونرى قطعة من المعدن معلّقةً فوقها ، وعندما تهتز فإنها تشبه صورة العاصفة الرعدية »(٤١٤) .

وفي الأساطير الصينية « نجد الغراب يطير في أنحاء الغابة مسبباً العاصفة ، وهو بذلك ـ طبقاً للأسطورة ـ يقوم بمهمة تحذير الكائنات ، لأن الآلهة على وشك أنْ تعبر الغابة ، ومن ثم فعلى الناس أن يذهبوا إلى بيوتهم ، وأنْ يعتصموا بها أياماً عديدة ، ويذهب الإمبراطور ـ أثناء ذلك ـ في موكب رسمي ، لتقديم القرابين »(٤١٥) .

وهناك أيضاً « اعتقاد أوروبي انتقل من المصادر الكلاسيكية ، أنه عندما تتخطّر الغربان في الغسق في طريقها إلى الماء فإن ذلك يعني قرب انهمار المطر »(٤١٦) . وفي الأزمنة القديمة « كان الناس في (ايرلندا) يستطيعون « التنبؤ بالحوادث المقبلة عن طريق نداء الغربان »(٤١٧) . كما أن هنود كواكيوتل في كولومبيا البريطانية كانوا « يقدمون خلاص الوليد الذكر إلى الغربان السود ، معتقدين أنّ ذلك سوف يمنح ذلك الطفل القدرة على التنبؤ بالمستقبل »(٤١٨) .

يروى عن الدميري أنه قال : « قال أبو الفرج المعافى بن زكريا ، في كتاب « الجليس والأنيس » : كنا نجلس في حضرة القاضي أبي الحسن ، فجئنا على العادة ، فجلسنا عند بابه ، وإذا أعرابي جالس كانت له حاجة ، إذ وقع غراب

على نخلة في الدار ، فصرخ ثم طار ، فقال الأعرابي ، إنّ هذا الغراب يقول : ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام » ، وتنتهي القصة بموت القاضي في اليوم السابع »(٤١٩) .

ويتصور « الهنود الليلوويون الذين يسكنون كولومبيا البريطانية ، أنّ مَنْ يحرسُ الغرابُ روحه ، يكون ممتلكا لمنحه القدرة على التنبؤ ، فيستطيع بصفة خاصة أن يتنبأ بالموت وأحوال الجو »(٤٢٠) . واعتبر الغراب دليلا لا غنى عنه للإنسان في مناسبات عديدة مختلفة فهو الذي أرشد قابيل أوّل قاتل على الأرض . « إن قصة قابيل وهابيل ، أو قصة (الشر) التي وردت في القرآن الكريم ، والتي يلعب الغراب فيها دوراً هاماً(٤٢١) ، كانت مجالاً لتعليقات طويلة من المفسرين ، فالقرطبي يحدثنا بأن قابيل لما رأى أنه تُقُبِّل قربان أخيه دون قربانه ، سوَّلتْ له نفسه قتل أخيه « .. فجهل كيف يقتله ، فجاء إبليس بطائر - أو بحيوان غيره - فجعل يشدخ رأسه بين حجرين ، ليقتدي به قابيل ، ففعل ، ولما قتله ندم ، فقعد يبكي عند رأسه ، إذْ أقبل غرابان فاقتتلا ، فقتل أحدهما الآخر ، ثم حفر له حفرةً فدفنه ، ففعل القاتل بأخيه كذلك . وهنالك تفسير آخر لما فعله الغراب ، هو أنه بحث في الأرض على طعمه (أكْله) ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه ، لأنه من عادة الغراب فعل ذلك ، فتنبه قابيل بذلك إلى مواراة أخيه »(٤٢٢) . ويروى أنّ الغربان قد قادت « الإسكندر إلى معبد آمون جوبتر ، وكذلك قادت الغزاة الشماليين إلى اكتشاف إيسلاند ، وكذلك قادت إمبراطور اليابان الذي استمدّ العون من الغراب في قيادة جيشه »(٤٢٣) . وهنالك ما ترويه « إحدى الأساطير الهندية ، من أنّ الغراب قد هدى أميراً ظامئاً الى الماء »(٤٢٤) .

وفي بعض الحكايات الشعبية لدى بعض الشعوب « يظهر الشيطان في هيئة غراب ، وفي بعضِ الأحيان نراه يحرس كنزاً . ويقال أن بعض هذه الغربان تقوم بمهمة رسول (إبليس) »(٤٢٥) . ومن الأشياء التي « ينبغي ملاحظتها أنّ الغربان تمتلك قوى غريبة بين الشعوب السامية ، فالحكايات الآرامية تخبرنا بأن الشياطين عندما طُردت اتخذت شكل الغربان ، وأنّ الأرواح الشريرة تهاجم القدّيسين ، متّخذة شكل الغربان السوداء النجسة »(٤٢٦) .

وفي السويد « يعتبر التراث الشعبي الغربان ، بأنها في الحقيقة أشباحُ قتلى من الناس الذين لم يُقدَّر لهم أنْ يُدفنوا في ظل الطقوس المسيحية »(٤٢٧).

وتذهب « المعتقدات الشعبية الألمانية إلى ... أنّ الغربان كانت في الأصل أرواحاً حلّت عليها اللعنة ، أو أنها كانت خيولًا للساحرات ثم صارت غرباناً بعد ذلك »(٤٢٨) .

وفي روسيا « كان يُظَنّ بأن روح الساحرة تتخذ شكل غراب »(٤٢٩) . وقد يرتبط بالغراب بعض استخدامات الطب الشعبي والعلاج لدى عديد من شعوب العالم . ففي فلسطين مثلًا ، يعرف الناس في الوسط الشعبي ما يُسمى بـ (رقِية الغراب) ، وتتلخص بأن « يأخذ العاشق رأس غراب ، ويفرغ دماغه ويجعل موضع الدماغ شيئاً من تراب الموضع الذي تجلس فيه المرأة التي يرد .... الخ »(٤٣٠) ، وهذه الرقِية تُستخدم (لتوليد) الحب سحرياً لدى المرأة أو الرجل .

وفي ريف مصر حالياً ، « يوصف للأطفال الذين يتأخرون في الكلام ، أكْلَ لحم الغراب بعد طبخه ، فينطلق لسانهم »(٤٣١) وكان العرب يعتقدون « أنه إذا عُلق منقار غراب على إنسان حُفظ من العين »(٤٣٢) ، وبأنّ « كبد الغراب تُذهب الغشاوة اكتحالًا ، ومرارة الغراب ، إذا طلي بها إنسان مسحور بطل عنه السحر »(٤٣٣) .

وفي ويلز ، في بريطانيا ، يعتقد الناس ، « أنّ فاقدي البصر يسترجعون بصرهم إذا هم عاملوا الغربان برحمة »(٤٣٤) . وفي تشيكوسلوفاكيا « يُعتقد أن أكْلَ قلوب ثلاثة غربان ، يعني المناعة ضد القتل »(٤٣٥) .

* الدجاجة :

الدجاج طائر اشتهر بحنوه على أفراخه وحدبه عليهم والتفاني في حمايتهم . وقد أشار السيد المسيح إلى حنو هذا الطائر مشبّهاً نفسه به(٤٣٦)

ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، أنّ الدجاجة ذات الأرجل القصيرة تبيض أكثر من سواها . ومن المعروف أن الدجاجة عندما تشرب ترفع

رأسها بين الحين والآخر ، وفي فلسطين يعتقد الناس في الوسط الشعبي ، أنها عندما تفعل ذلك فإنها تحمد الله تعالى ، فإذا هم أرادوا تقريع امرىء يأكل ولا يحمد ربه ، قالوا له : « إلجاجة بتشرب وبتطلّع لربها » .

*** الدّيك :**

إن أبرز ما يميز الديك في التراث الشعبي الإنساني بعامة ، هو صياحه .

ففي فلسطين يعتقد الناس في الوسط الشعبي ، أن ديوك « الأرض مرتبطة بحركة (ديك العرش) ، وهو ديك الله عز وجلّ ، يخفق بجناحيه ، ويسبّح بحمد الله عند السَّحَر ، فإذا فعل ذلك تبدأ ديوك الأرض بضرب أجنحتها ، وبالصياح »[٤٣٧] . كما يعتقدون أنّ الله تعالى قد أنزل « لآدم ديكاً من الجنة يسمع تسبيح الملائكة ، فيعلم آدمُ من ذلك ، أوقات العبادة »[٤٣٨] . والديك لا يصيح عاداً إلّا في أوقات محدّدة ، وغالباً ما يكون صياحه عند طلوع الفجر . والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعبّرون عن ذلك بقولهم : « قالوا للديك صيح ، قال : كل شيء بوقته مليح » ، لذلك فإنهم يتشاءمون من صياح الديك قبل أوانه ، أو في أوقات ومواعيد لا يسمعون فيها صياحه عادةً .

وتعتقد بعض الشعوب ، أنّ « الديك نذير شؤم إذا صاح بعد الظهر »[٤٣٩] . والديك « النذير موقظ الصباح ، يوقظ إله النهار بصوته الرنّان الصدّاح »[٤٤٠] . وكذلك فهنالك « شعوب أوروبية تعتبر صياح الديك نذير شؤم إذا كان بعد الظهر »[٤٤١] . وكان بعض العرب يعتقدون أنّ للجنّ تعلقاً ببعض المخلوقات ، ومنها الديك . ومنهم « ما يزعم أنها نوع من الجن »[٤٤٢] . ويقال أن الغيلان والعفاريت كانت تفزع[٤٤٣] من الديك .

*** السنونو :**

وهو طائر صغير الحجم طويل الجناح نسبياً ، وسريع الطيران ، حتى لتسمع صوت جناحيه يضربان الهواء ، وهو يبني عشّه من الطين في مساكن الناس أو أبنية العبادة ، وهو يستأنس بالبشر ، ويرنم بموسيقى هادئة جميلة (٤٤٤) . وفي فلسطين كان « يحرم صيد السنونو ، حيث أنه نُعتقد أن السنونو

كانت تبني عشها عند الرسول محمد (صـ) وهو في غار حراء »(٤٤٥) .

وفي بعض مناطق أوروبا يعتقد الناس ، أن طيور السنونو إذا هجرت « أعشاشها القائمة فوق بيت من البيوت ، يكون ذلك إيذاناً بأن يحترق هذا البيت »(٤٤٦) .

ويقال أن السنونو هو واحد من الطيور التي أرسلت من على ظهر السفينة أثناء الطوفان البابلي ، لاستطلاع المحيط ، « فطار ثم عاد » ثم أطلق الغراب بعده فطار ولم يَعُدْ »(٤٤٧) .

* البوم :

إن البوم في الوسط الشعبي الفلسطيني ، ذو سمعة سيئة ، وهم يتشاءمون منه ، وذلك ربما لأن مأواه الخرائب والأماكن والبيوت المهجورة ، وهم يقولون : « مثل البوم ما بزعق إلا بالخراب » ، وقولهم : « إلحق البوم بدلّك عـ الخراب » ، وإذا عاد أحدهم ومعه أخبار سيئة أو محزنة ، خاطبوه قائلين « مثل البوم » .

هوامش الفصل السادس

(١) الدكتور / أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - الطبعة الثانية - العربي للإعلان والنشر والطباعة - ص ٧٤ - ٧٥ عن كتاب الدكتور حتي « سورية » - الطبعة الإنكليزية - ص ٥٢ .

(٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث - ١٩٨٠ م - ص ١٤٧ .

(٣) محمود سليم الحوت - في طريق الميثولوجيا عند العرب - دار النهار - بيروت الطبعة الثالثة -١٩٨٣ م - ص ١٢٣ .

(٤) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - مصدر سابق ص ١٤٨ .

(٥) (٦)(٧) الشمشاطي - الأنوار ومحاسن الأشعار - وزارة الإعلام العراق - ١٩٧٦ م - ص ١٣٣ .

(٨) القرآن الكريم - سورة العاديات - الآية / ١ .

(٩) القرآن الكريم - سورة النحل - الآية / ٨ .

(١٠) القرآن الكريم - سورة آل عمران - الآية / ١٤ .

(١١) (١٢)(١٣) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٤٥ ، ٤٣ - ٤٤ .

(١٤) (١٥)(١٦) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - مصدر سابق - ص ١٤٧ .

(١٧) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد الثامن - تشرين ثاني - ١٩٧٥ م - ص ٧ .

(١٨) (١٩)(٢٠)(٢١)(٢٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - مصدر سابق ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢٣) (٢٤)(٢٥) نمر سرحان - مصدر سابق ص ٤١ ، ٤٤ .

(٢٦) (٢٧)(٢٨) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - مصدر سابق ص ١٤٨ .

(٢٩) صحيح البخاري - المجلد الرابع - الجزء الثامن ص ٣١ .

(٣٠) (٣١) ألكزاندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - وزارة الثقافة - مؤسسة التأليف والنشر - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٧ م ص ٣٨٦ ، ٣٥٥ .

(٣٢) نمر سرحان - الحكاية الشعبية الفلسطينية - مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٧٤ م - ص ١١١ - ١١٢ .

(٣٣) الطبري - تاريخ الأمم والملوك - الجزء الأول ص ٩٣ .

(٣٤) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٤٠ - ٤١ .

(٣٥) قاموس الكتاب المقدس - مكتبة المشعل - بيروت الطبعة السادسة ١٩٨١ م - ص ٣١٨ .

(٣٦) إله : له .

(٣٧) ننين : أذنان .

(٣٨) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق - ص ٤١ .

(٣٩) مايّن : مُتَن .

(٤٠) الثنايا : الإناث .

(٤١) هاطْها : هاتها .
(٤٢) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ مصدر سابق ص ٤١ .
(٤٣) قطِّمْ : فلْنتقطع إلى نصفين .
(٤٤) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ مصدر سابق ص ٤١ .
(٤٥) ترمسعيا ـ مركز الأبحاث في م . ت . ف ـ وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الكويت ـ آب ١٩٧٣ م ـ ص ٥٥ .
(٤٦) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ـ ١٩٨٠ م ـ ص ٦٥ .
(٤٧) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ١٨٥ .
(٤٨) (٤٩)(٥٠)(٥١)(٥٢) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ مصدر سابق ـ الصفحات ٥٣ ، ٣٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٣٨ ، ٤٩ .
(٥٣) علي الخليلي ـ البطل الفلسطيني في الحكاية الشعبية ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ ١٩٧٩ م ص ١٩ ـنقلا عن : « خرافات وفولكلور حول الخبز » ـ توفيق كنعان ـ ترجمة سهير عبد الهادي ـ مجلة «التراث والمجتمع» ـالعدد ٣ تشرين أول ١٩٧٤ ـ ص ١١٩ .
(٥٤) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ـ ص ١٠٣ .
(٥٥) (٥٦)(٥٧)(٥٨)(٥٩) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨ م ـ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٦٠) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار العودة ـ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٢ م ـ ص ٥٦٢ .
(٦١) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ص ٢١٤ ـ نقلًا عن الراغب الأصفهاني ص ٢٨١ ـ الجزء الثاني .
(٦٢) نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ـ مصدر سابق ص ١١١ ـ ١١٢ .
(٦٣) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ص ٤١ .
(٦٤) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ١٩٨٠ م ـ ص ٦٤ .
(٦٥) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ص ١٦١ .
(٦٦) الدكتور محمد الجوهري ـ علم الفولكلور الجزء الثاني ـ دار المعارف القاهرة ١٩٨٠! م ـ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .
(٦٧) هو شرحبيل بن مالك الريان ، أعظم ملوك اليمن على رأي الأساطير ، وهو والد بلقيس ملكة سبأ ، أنظر : كرم البستاني ـ أساطير شرقية ـ ص ١٠٨ ـ ١١٠ .
(٦٨) كرم البستاني ـ أساطير شرقية ص ١٠٨ ـ ١١٠ .
(٦٩) (٧٠) الدكتور علي زيعور ـ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ تشرين ثاني ١٩٧٧! م ـ ص ١٨٠ .
(٧١) الدكتور عبد المعيد خان ـ الأساطير والخرافات عند العرب ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ م ـ ص ٨٧ ـ نقلا عن الروض الآنف ـ المجلد الاول ص ١٣٦ ـ طبعة الجمالية بمصر .
(٧٢) (٧٣)(٧٤) أنظر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية ـ إعداد سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٨٢ م ـ ص ٣٠ .
(٧٥) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ الجزء الاول ـ القسم الأول ـ ص ٤٩٠ .

(٧٦) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق - ص ١٤٠ .
(٧٧) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ١٨٠ .
(٧٨) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - مصدر سابق ص ٤٣ .
(٧٩) (٨٠)(٨١) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٨٢) القرآن الكريم - سورة طه - الآية/ ٢٠ .
(٨٣) (٨٤) معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق - ص ١٣٩ - ١٤٠ .
(٨٥) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ٤٠١ .
(٨٦) (٨٧) فردريش فون ديرلاين - الحكاية الخرافية - ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم - دار القلم - بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٣ م - الصفحات ٨٩ ، ١٨٠ - ١٨١ .
(٨٨) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ١٧٩ .
(٨٩) (٩٠) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٤٢ .
(٩١) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ١١٦ .
(٩٢) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق ص ١٧٩ .
(٩٣) (٩٤)(٩٥)(٩٦)(٩٧) نمر سرحان - مصدر سابق ص ٤١ - ٤٢ .
(٩٨) كوبر - قرية فلسطينية في منطقة رام الله .
(٩٩) بيرنبالا : قرية فلسطينية في منطقة القدس .
(١٠٠) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٤٢ .
(١٠١) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٤٠٢ .
(١٠٢) ترمسعيا - مصدر سابق ص ١٦٣ .
(١٠٣) أنظر : شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ١٢٠ .
(١٠٤) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٤٣ .
(١٠٥) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث - ١٩٨٠ م - ص ١٥٥ .
(١٠٦) (١٠٧)(١٠٨)(١٠٩)(١١٠)(١١١)(١١٢) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٤٢ - ٤٣ .
(١١٣) (١١٤)(١١٥)(١١٦) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث مصدر سابق الصفحات ١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥٧ .
(١١٧) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد الأول كانون ثاني ١٩٧٤ م - ص ٦٢ .
(١١٨) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث - مصدر سابق - ص ١٥٥ .
(١١٩) شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق - ص ٥٨ .
(١٢٠) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٤٣ .
(١٢١) (١٢٢)(١٢٣)(١٢٤)(١٢٥)(١٢٦)(١٢٧)(١٢٨) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث - مصدر سابق ص ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٤ ، ١٥٨ .
(١٢٩) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٤٣ .
(١٣٠) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٣٣٢ .
(١٣١) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨١ - ٥٨٢ .
(١٣٢) (١٣٣) الدكتور عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المؤسسة العامة للتأليف والنشر - دار

الكاتب العربي - العدد ٢٠ يونيه ١٩٦٨ م - ص ٣٢ .

(١٣٤) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ١٨٠ .

(١٣٥) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٣٨ .

(١٣٦) شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق - ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٣٧) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق - ص ١٨٥ .

(١٣٨) أنظر : محمود سليم الحوت - مصدر سابق ص ٢٠٦ نقلا عن عجائب المخلوقات ص ٥٥ - ٦٣ والبداية والنهاية ج ١ - ص ٤٠ - ٥٠ .

(١٣٩) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ١١٧ - ١١٨ .

(١٤٠) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٢٤٩ .

(١٤١) (١٤٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان - المجلد الاول - ص ٢٣ - ٢٤ .

(١٤٣) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٣٨ .

(١٤٤) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٧١ .

(١٤٥) (١٤٦) خير الدين الزركلي - الأعلام - الجزء الثاني - ص ٨٨ .

(١٤٧) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٨٠ .

(١٤٨) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق - ص ٢٣٩ .

(١٤٩) فراس السوّاح - مغامرة العقل الاولى - دار الكلمة للنشر - بيروت الطبعة الثالثة - ١٩٨٢ م ص ١٨٠ .

(١٥٠) ياقوت الحموي - معجم البلدان - المجلد الثاني ص ٤١ .

(١٥١) معجم الاساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق - ص ٢٥ .

(١٥٢) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق - ص ٤٣ .

(١٥٣) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق - ص ٢٣٩ .

(١٥٤) (١٥٥) ك . ك . راثفين - الأسطورة - ترجمة جعفر صادق الخليلي - منشورات دار عويدات - بيروت - باريس الطبعة الأولى ١٩٨١ م - ص ٥٨٢ - ٥٨٣ .

(١٥٦) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث - ١٩٨٠ م - ص ١٤٦ .

(١٥٧) (١٥٨) الدكتور محمد الجوهري - علم الفولكلور مصدر سابق ص ٥٨٢ - ٥٨٣ .

(١٥٩) (١٦٠) الدكتور أحمد سوسه - مصدر سابق ص ١٢٦ ، ١٢٤ نقلا عن : Hitti « History of syria » p 52.

(١٦١) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٤٠ .

(١٦٢) هواته : ضرْبته .

(١٦٣) (١٦٤) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٣٩ - ٤٠ .

(١٦٥) مابراه : لا يراه .

(١٦٦) (١٦٧) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٤٠ .

(١٦٨) مجلة « التراث والمجتمع » - المجلد الثالث - العدد الثاني ١٩٧٨ م - ص ٢٢٠ .

(١٦٩) أبو الشَيص : هو الشاعر محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي ... من أهل الكوفة - قُتل عام ٨١١ م .

(١٧٠) الشمشاطي - مصدر سابق ص ١٨٣ .

(١٧١) عوف الراهب : هو عوف بن عامر بن حسان ، جاهلي ، كان كاهناً ، شاعراً ..

(١٧٢) (١٧٣) (١٧٤)الشمشاطي - مصدر سابق - ص ١٨٤ .
(١٧٥) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٢١٢ .
(١٧٦) (١٧٧) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية ونفسانية التصوف - ص ٢٥ .
(١٧٨) أنظر : محمود سليم الحوت - مصدر سابق - ص ١٢٣ .
(١٧٩) محمود سليم الحوت - مصدر سابق - ص ١٠٨ - نقلا عن أديان العرب في الجاهلية ص ١٣٤ .
(١٨٠) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية ونفسانية التصوف - ص ٢٥ .
(١٨١) محمود سليم الحوت-مصدر سابق ص ٩٨-نقلا عن الدميري-حياة الحيوان الكبرى-المجلد الأول ص ١٦ .
(١٨٢) محمود سليم الحوت - مصدر سابق - ص ٢٢٢ نقلا عن الدميري - الجزء الثاني - ص ١٦٧ .
(١٨٣) الدكتور محمد عبد المعين خان - مصدر سابق ص ٨٥ .
(١٨٤) الطبري - مصدر سابق الجزء الاول ص ٥٥ .
(١٨٥) فردريش فون ديرلاين - مصدر سابق ص ٨٩ .
(١٨٦) (١٨٧) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية ونفسانية التصوف ص ٢٣ ، ٣١ .
(١٨٨) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق - ص ٩٠٧ .
(١٨٩) (١٩٠) نمر سرحان - الحكاية الشعبية الفلسطينية - ص ١١٦ - ١١٩ .
(١٩١) ومن هذه الآيات مثلا : قوله تعالى : « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (سورة يس - الآية/١٩ .
(١٩٢) أنظر : مجلة «الفنون الشعبية» الاردنية - العدد السادس - أيار - ١٩٧٥ م - ص ١٢٢ .
(١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية ونفسانية التصوف الصفحات ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٥ .
(١٩٩) فراس السواح - مصدر سابق - ص ٢٨٣ .
(٢٠٠) القران الكريم - سورة الصافات الآية/ ١٠٧ .
(٢٠١) (٢٠٢) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية - مصدر سابق - ص ٢٣ ، ٧٨ .
(٢٠٣) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٦٦٣ .
(٢٠٤) الدكتور علي زيعور - العقلية الصوفية - مصدر سابق ص ٢٥ .
(٢٠٥) (٢٠٦) معجم الاساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق - ص ٣١٥ ، ٧٤ .
(٢٠٧) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق - ص ٢٤ .
(٢٠٨) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ١٦١ .
(٢٠٩) القاموس المحيط - المجلد الرابع - ص ٢٤ .
(٢١٠) أنظر : الدكتور محمد عبد المعين خان - مصدر سابق - ص ٨١ .
(٢١١) أنظر : محمود سليم الحوت - مصدر سابق ص ١٢٣ .
(٢١٢) الدكتور محمد عبد المعين خان - مصدر سابق ص ٨٧ .
(٢١٣) (٢١٤) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٤٩ ، ٤٣ .
(٢١٥) الكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ٣٩٣ .
(٢١٦) (٢١٧) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٣٧ ، ٤٩ .
(٢١٨) كتاب الهلال - العدد ٢١٠ - سبتمبر ١٩٦٨ م - دار الهلال ص ٤١ .
(٢١٩) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس - ص ٤٦ .

(٢٢٠) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٢٩٨ .
(٢٢١) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ص ٤٠ .
(٢٢٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ـ ١٩٨٠ م ص ٦٤ .
(٢٢٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الثالث ١٩٨٠ م ـ ص ١٥٥ .
(٢٢٤) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ـ ص ٤٩ .
(٢٢٥) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٣٤٤ .
(٢٢٦) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ص ٤٨ .
(٢٢٧) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ١٩٨٠ م مصدر سابق ـ ص ٦٤ .
(٢٢٨) (٢٢٩)(٢٣٠) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ص ٣٩٢ ، ٣٩١ ، ٢٤ .
(٢٣١) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٦٤٣ .
(٢٣٢) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ص ٤٨ .
(٢٣٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ١٩٨٠ م .
(٢٣٤) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٩٨٠ .
(٢٣٥) (٢٣٦) نمر سرحان ـ مصدر سابق ص ٥٠ .
(٢٣٧) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٩٦١ .
(٢٣٨) « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » (القرآن الكريم) سورة النحل الآية / ٦٩ .
(٢٣٩) (٢٤٠) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ مصدر سابق ص ٥٠ .
(٢٤١) ترمسعيا ـ مصدر سابق ص ١٦٣ .
(٢٤٢) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني الجزء الخامس ص ٤٣ .
(٢٤٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ١٩٨٠م ـ ص ٦٤ .
(٢٤٤) أنظر : نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ـ مصدر سابق ص ١١١ .
(٢٤٥) أنظر : مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ١٩٨٠ م ص ٦٣ .
(٢٤٦) نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية مصدر سابق ـ ص ٣٩ .
(٢٤٧) الخيار : من الخضار ، معروف .
(٢٤٨) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٧٨٤ .
٢٤٩) (٢٥٠)(٢٥١) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الثاني ١٩٨٠ م ص ٥٩ .
(٢٥٢) الدكتور محمد الجوهري ـ علم الفولكلور ـ مصدر سابق ص ٤١٢ .
(٢٥٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الثاني ١٩٨٠ م ـ ص ٥٩ .
(٢٥٤) (٢٥٥) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٥٥ ـ ٣٨٦ .
(٢٥٦) (٢٥٧)(٢٥٨) نمر سرحان ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ الجزء الخامس ص ٣٧ ، ٥٠ .
(٢٥٩) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ص ١٣٨ ـ نقلا عن لسان العرب ـ ص ٢١٧ المجلد الثامن عشر ـ ومعجم البلدان الجزء الثاني ص ٣٤٣
(٢٦٠) المصدر السابق ـ نقلا عن الأمثال للميداني ـ المجلد الثاني ـ ص ٣٤ .
(٢٦١) أنظر : الدكتور محمد عبد المعين خان ـ مصدر سابق ص ٨٨ .
(٢٦٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الخامس ١٩٧٩ م ـ ص ٥٨ .

(٢٦٣) (٢٦٤)شوقي عبد الحكيم -مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية -مصدر سابق ص ٢١٤ و ص ٢٤٩ .
(٢٦٥) الرّدن : الكُمّ ، ذراع الثوب .
(٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٣٧ .
(٢٦٩) علي الخليلي - البطل الفلسطيني في الحكاية الشعبية - مصدر سابق ص ٢١ .
(٢٧٠) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٣٧ - ٣٨ .
(٢٧١) (٢٧٢) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٤١٣ ، ٥٨٣ .
(٢٧٣) (٢٧٤) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٣٧ - ٣٨ .
(٢٧٥) أنظر : شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ١٢٣ .
(٢٧٦) الدكتور محمد عبد المعين خان - مصدر سابق ص ٦٣ عن بلوغ الأرب ج ٢ ص ٣٢٥ .
(٢٧٧) شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٢١٤ .
(٢٧٨) (٢٧٩) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٥٦٨ .
(٢٨٠) (٢٨١) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٤٧ .
(٢٨٢) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث ١٩٨٠ م - ص ١٥٢ .
(٢٨٣) (٢٨٤) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٤٧ .
(٢٨٥) محمود سليم الحوت - مصدر سابق ص ٢١٤ - عن الراغب الأصفهاني - ص ٢٨١ الجزء الثاني .
(٢٨٦) (٢٨٧) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٤٧ .
(٢٨٨) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٨١ - ٥٨٢ .
(٢٨٩) جيمس فريزر - الفولكلور في العهد القديم - الجزء الثاني ص ١٣٥ .
(٢٩٠) المصدر السابق - ص ١٣٥ - ١٣٦
(٢٩١) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٤٧ .
(٢٩٢) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٣٨٤ .
(٢٩٣) (٢٩٤) نمر سرحان - مصدر سابق ص ٤٥ .
(٢٩٥) أنظر : شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ١٢٣ .
(٢٩٦) (٢٩٧) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الثالث - ١٩٨٠ م ص ١٤٥ و ١٤٧ عن الدميري .
(٢٩٨) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٣٨٣ - ٣٨٤ .
(٢٩٩) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - ص ١٦١ .
(٣٠٠) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٩٢ .
(٣٠١) الذِّيبيَّة : نسبة الى الذيب (الذئب) .
(٣٠٢) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد السادس أيار ١٩٧٥ م .
(٣٠٣) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الخامس ١٩٧٩ م - ص ٥٨ .
(٣٠٤) كتاب الهلال - العدد ٢١٠ سبتمبر ١٩٦٨ م - ص ٤١ .
(٣٠٥) أنظر : الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٥٨١ - ٥٨٢ .
(٣٠٦) (٣٠٧) فوزي العنتيل - الفولكلور ماهو - دار المعارف بمصر - ١٩٦٥ م - ص ٩٩ - ١٠٠ .
(٣٠٨) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني الجزء الخامس ص ٤٨ .
(٣٠٩) (٣١٠) القرآن الكريم - سورة النور - الآية / ٤١ - وسورة الأنعام الآية ٣٨ .
(٣١١) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد العاشر ١٩٧٩ م ص ٧ .

(٣١٢) محمود سليم الحوت - مصدر سابق - ص ١٨٧ - عن « الإكليل » الجزء الثامن - ص ٦ - ٧ و ٢٤ - ٢٥ .
(٣١٣) فراس السوّاح - مصدر سابق ص ١٨٢ .
(٣١٤) معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق ص ٣١٣ .
(٣١٥) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٨٥ .
(٣١٦) أنظر : مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد العاشر ١٩٧٩ م ص ٧ .
(٣١٧) المصدر السابق - ونفس الصفحة .
(٣١٨) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الخامس - ١٩٧٩ م - ص ٥٧ .
(٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) الدكتور علي زيعور - الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم - مصدر سابق ص ١٨١ - ١٨٢ .
(٣٢٢) فردريش فون ديرلاين - مصدر سابق ص ٧٧ .
(٣٢٣) الدكتور عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - دار الكاتب العربي - القاهرة العدد ٢٠٠ - ١٥ يونيه ١٩٦٨ م - ص ٣٢ .
(٣٢٤) علي الخليلي - مصدر سابق ص ٢٠ .
(٣٢٥) الدكتور علي زيعور - الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم - مصدر سابق ص ١٦ .
(٣٢٦) (٣٢٧) الدكتور عبد الحميد يونس - مصدر سابق ص ٣٢
(٣٢٨) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٤١٥ .
(٣٢٩) القرآن الكريم - سورة النمل الآية/ ١٦ .
(٣٣٠) الدكتور علي زيعور - الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم - مصدر سابق ص ١٨١ .
(٣٣١) محمود سليم الحوت - مصدر سابق ص ١٩١ - عن السيرة ص ٢٩ - ٣٨ .
(٣٣٢) (٣٣٣) القرآن الكريم - سورة الفيل الآية /٣ ، ٤ ، ٥/ وسورة النمل الآية / ١٧ .
(٣٣٤) أكرم البستاني - أساطير شرقية - دار مارون عبّود ١٩٨٠ م - ص ١٠٣ - ١٠٤ .
(٣٣٥) أنظر : محمود سليم الحوت - مصدر سابق ص ١٨ - ١٩ .
(٣٣٦) الدكتور علي زيعور - الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم مصدر سابق ص ١٨٤ .
(٣٣٧) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الثاني عشر ١٩٧٩ م ص ٢٤ - ٢٥ .
(٣٣٨) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤٩ .
(٣٣٩) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٣٣ .
(٣٤٠) (٣٤١)(٣٤٢)(٣٤٣)(٣٤٤) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٣١٩ .
(٣٤٥) (٣٤٦) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٥٣ - ٤١ .
(٣٤٧) وردت في المصدر (أعناقها) .
(٣٤٨) الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ص ١٠٢ .
(٣٤٩) الطبري - مصدر سابق ص ٩٢ .
(٣٥٠) (٣٥١) مجلة « المجلة » - العدد ٢٦٣ - شباط ١٩٨٥ م .
(٣٥٢) الشمشاطي - مصدر سابق ص ١٨٦ .
(٣٥٣) أنظر : شوقي عبد الحكيم - مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية - ص ٥٥ .
(٣٥٤) المصدر السابق - ص ٥٦ .
(٣٥٥) (٣٥٦) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٣١٠ و ٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٣٥٧) (٣٥٨) معجم الأساطير اليونانية والرومانية ـ مصدر سابق ص ٥٨ و ٣١٣ .
(٣٥٩) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ص ٣٩٨ .
(٣٦٠) (٣٦١)(٣٦٢)(٣٦٣)(٣٦٤) جيمس فريزر ـ مصدر سابق ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .
(٣٦٥) (٣٦٦)(٣٦٧) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثامن ١٩٧٧ م ـ ص ١١٨ ، ١١٩ نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية ـ ص ١٢٠ .
(٣٦٨) (٣٦٩)(٣٧٠)(٣٧١) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١١٤ ـ ١١٥ ، ١١٣ .
(٣٧٢) فردريش فون ديرلاين ـ مصدر سابق ص ٩٠ .
(٣٧٣) (٣٧٤) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ص ١١٧ ـ ١١٩ .
(٣٧٥) (٣٧٦)(٣٧٧) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١١٣ ، ١١٦ .
(٣٧٨) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثامن ـ ١٩٧٧ م ـ ص ١١٨ .
(٣٧٩) فردريش فون ديرلاين ـ مصدر سابق ـ ص ٩١ .
(٣٨٠) د . عمر عبد الرحمن الساريسي ـ مصدر سابق ص ١٠٣ .
(٣٨١) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثامن ـ مصدر سابق ص ١١٩ .
(٣٨٢) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ص ١٦١ .
(٣٨٣) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١٠٣ .
(٣٨٤) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الرابع كانون أول ١٩٧٩ م ص ٦١ .
(٣٨٥) (٣٨٦) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
(٣٨٧) أنظر : نمر سرحان موسوعة الفولكلور الفلسطيني ـ مصدر سابق ص ٥٤ .
(٣٨٨) المصدر السابق ـ ص ٤٨ .
(٣٨٩) الطبري ـ مصدر سابق ـ ص ٩٢ .
(٣٩٠) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد العاشر ١٩٧٩ م ص ٧ ـ ٨ .
(٣٩١) (٣٩٢)(٣٩٣)(٣٩٤)(٣٩٥) مجلة « التراث الشعبي » العراقية ـ العدد الثاني ١٩٨٠ م ـ ص ٦٤ .
(٣٩٦) مجلة « التراث الشعبي » العدد الخامس ـ ١٩٨٠ م ـ ص ٦٤ .
(٣٩٧) الأغاني ـ لأبي الفرج الأصفهاني ـ ج ١١٥/١٥ .
(٣٩٨) (٣٩٩)(٤٠٠) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثامن ـ مصدر سابق ـ ص ١١٨ ـ ١٢٠ .
(٤٠١) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٤ .
(٤٠٢) جيمس فريزر ـ مصدر سابق ص ١٣٣ .
(٤٠٣) (٤٠٤) مجلة « التراث والمجتمع » ـ العدد الثامن ـ مصدر سابق ص ١١٧ .
(٤٠٥) (٤٠٦)(٤٠٧)(٤٠٨) المصدر السابق ـ ص ١١٧ ـ ١١٨ .
(٤٠٩) (٤١٠) جيمس فريزر ـ مصدر سابق ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .
(٤١١) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١٠١ .
(٤١٢) مجلة « العربي » الكويتية ـ العدد ٢٨٣ ـ يونيو ـ ١٩٨٢ م ص ١٣٥ .
(٤١٣) جيمس فريزر ـ مصدر سابق ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٤١٤) (٤١٥)(٤١٦)(٤١٧) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(٤١٨) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٥٦٤ .
(٤١٩) فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ١٠٤ .

(٤٢٠) جيمس فريزر - مصدر سابق ص ١٣٣ .

(٤٢١) « فبعث الله غرابا يبحث في الأرض » - (سورة المائدة - الآية ٣١) .

(٤٢٢) فوزي العنتيل - مصدر سابق ص ١٠٨ .

(٤٢٣) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الثامن مصدر سابق ص ١١٨ .

(٤٢٤) (٤٢٥)(٤٢٦)(٤٢٧)(٤٢٨)(٤٢٩) فوزي العنتيل - مصدر سابق ص ١١٨ ، ١١٦ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤٣٠) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد السادس أيار ١٩٧٥ م - ص ١١٨ .

(٤٣١) مجلة « التراث الشعبي » العراقية - العدد الخامس - مصدر سابق ص ٥٨ .

(٤٣٢) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الثامن مصدر سابق ص ١١٨ .

(٤٣٣) فوزي العنتيل - مصدر سابق - ص ١٠٢ عن الدميري حياة الحيوان الكبرى الجزء الثاني ص ١٧٢ - ١٨١ .

(٤٣٤) (٤٣٥) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الثامن مصدر سابق ص ١١٧ .

(٤٣٦) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٣٦٨ .

(٤٣٧) (٤٣٨) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - مصدر سابق ص ٣٩ .

(٤٣٩) (٤٤٠)(٤٤١) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٣٨ ، ٣٩٠ ، ٣٣٨ .

(٤٤٢) أنظر : د . محمد عبد المعيد خان - مصدر سابق ص ٨١ عن بلوغ الأرب ج ٢ - ص ٣٦٠ .

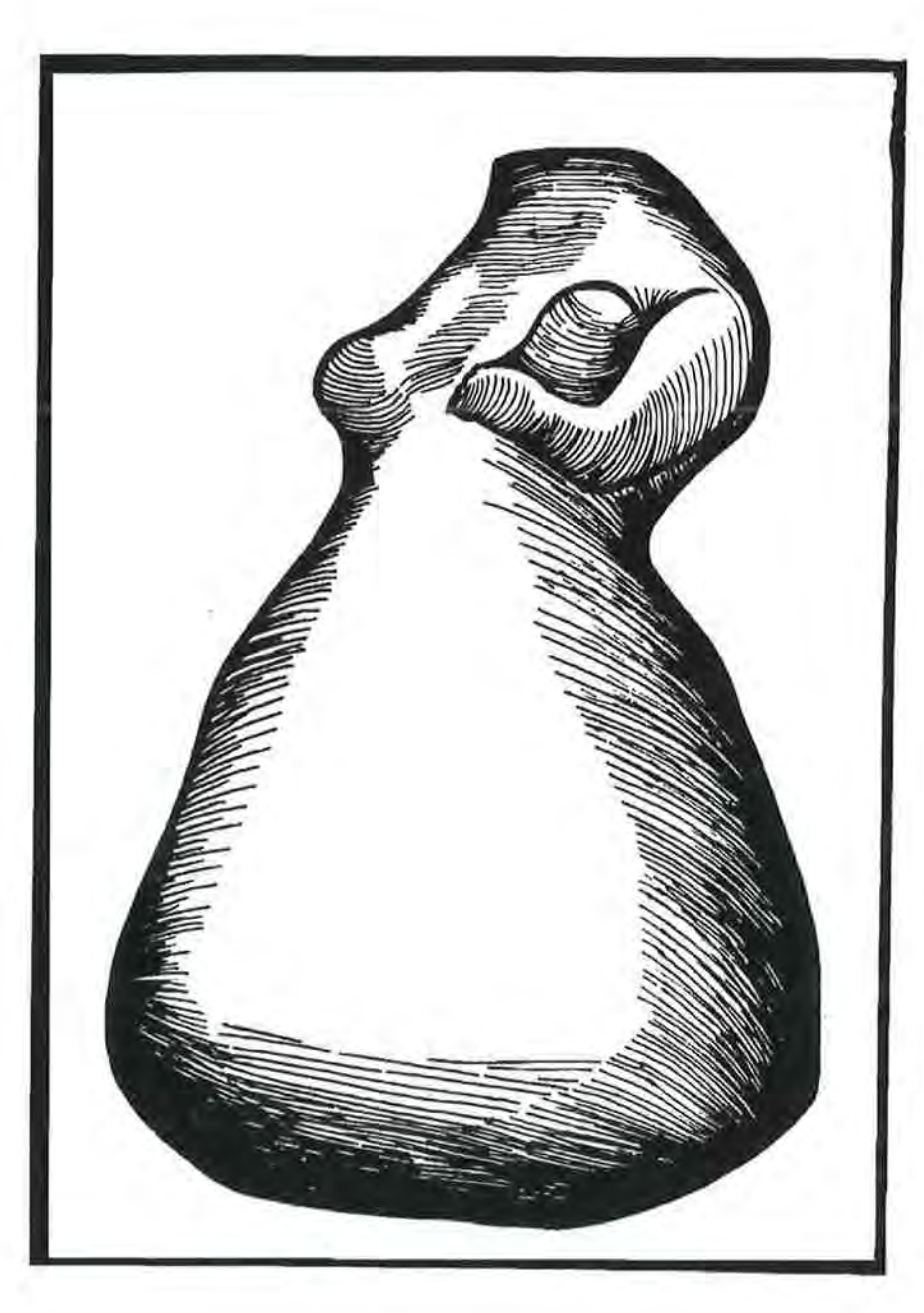
(٤٤٣) ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق - ص ٣٩٨ .

(٤٤٤) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٤٨٩ .

(٤٤٥) مجلة « التراث والمجتمع » - العدد الخامس ١٩٧٦ م - ص ٥٠ .

(٤٤٦) أنظر : ألكزاندر هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٨٥ .

(٤٤٧) أنظر : فراس السواح - مصدر سابق - ص ١٥٣ .



تمثال ربة الامومة (أريحا)

(٦٨٠٠ ق.م)



لوحة عاجية (مجدو)

(القرن الثالث عشر ق٠م)

الفصل السابع

الشجر

ـ شجرة الزيتون ـ شجرة النخيل ـ التين ـ الرّمّان ـ البلّوط ـ النباتات

*** الشجر :**

تشكل الشجرة عنصراً هاماً من عناصر الحياة لدى كافة الشعوب ، فمنذ أن دبّت الحياة البشرية فوق الأرض ، كانت بين الإنسان والشجرة علاقة حميمة متينة ، وما تزال هذه العلاقة محافظة على متانتها إلى حد كبير ، ومن هذه العلاقة تولّدت لدى الإنسان نظرة تحمل الكثير من الإحترام والتقديس للأشجار ، التي كان يلفّها الغموض . وفضلًا « عن صفة الغموض في حياة نبات التي أذهلت الإنسان منذ البداية بلا ريب ، فهناك خاصية أخرى أثّرت في خياله ، وهي أن بعض الأشجار تعمّر طويلًا ، وأنّ سائر النباتات تخضرّ أثناء نموها ، وأن الإنسان يفنى ، والشجرة تبقى ، وأنه مُحَدث ، وهي قديمة باقية »(١) ، وأن الشجرة تثبت في مكانها ، على حين يختفي الإنسان جيلًا بعد جيل »(٢) . حكت أساطير بعض الشعوب ، أن الناس خُلقوا من الأشجار ، بل إنّ أوائل البشر قد خرجوا من الأشجار »(٣) ، ولذلك فإن تقديس الأشجار أو عبادتها قد رافق الإنسان منذ أن بدأ يبحث ويفكر في كل ما حوله . وتقديس الأشجار « ظاهرة غير غريبة في الحضارة العربية ، وفي غيرها أيضاً »(٤) ، فلقد كان العرب في جاهليتهم يقدسون الأشجار ، «وأكبر دليل على تقديس العرب للأشجار حديث الخليفة الراشد ابن الخطاب في شان شجرة الحديبية ، فلقد بلغه ـ على ما ذكر ياقوت ـ أن الناس يُكثرون قصدها وزيارتها والتبرك بها ، فخشي أن تُعبد كما عُبدت اللات والعزّى ، فأمر بقطعها ، فأصبح الناس فلم يروا لها أثراً »(٥) .

وهناك شجرة مشهورة ، كان العرب في الجاهلية يقدسونها ، هي المسماة بـ« ذات أنواط » ، وهي « شجرة خضراء عظيمة كانت العرب في الجاهلية تأتيها كل سنة تعظيماً لها فتعلّق عليها أسلحتها وتذبح عندها ، وكانت قريبة من مكة ، وذكر أنهم كانوا إذا أتوا يحجّون يعلقون أرديتهم عليها ويدخلون الحرم بغير أردية تعظيماً للبيت ، ولذلك سُميت أنواط ، يقال : ناط الشيء ينوطه نوْطاً إذا علّقه »(٦) .

كما أن العربي « كان يعبد الأشجار ويرى فيها روح الشر »(٧) . ولعل العزّى نفسها « كانت شجرة ، فقد « كانت تعبد كشجرة مقدسة » ، وشجرة الطرفائي كان يُظن أنها مستقر أرواح الأجداد ، مما كان يدفع بالجاهليين لتقديس هذا الشجر »(٨) . ولقد رأى الجاهلي في الشجرة « مسكناً للأرواح وتعبيراً عن الروح الخالق والظل المنعش والحياة والماء »(٩) . وحتى يومنا هذا « يلاحظ أن كثيراً من أضرحة الأولياء في كثير من بلاد العالم الإسلامي تحتوي على بعض الأشجار المقدسة ، ومن الأشجار المقدسة التي تحظى بمكانة خاصة ضمن هذا النوع : أشجار السنديان والبلوط ، والتين والخروب ، والزيتون ، والتوت ، والسّدْر ، ونجد منها أيضاً ، وإنْ كان بدرجة أقل ، الصنوبر ، والنخيل .. إلخ »(١٠) .

وكان العرب « يرون في الأشجار حياةً وشعوراً مثلهم ، فكان العربي يجعلها رقيباً وحارساً على زوجته مدة غيابه ، كما قيل أن العرب في الجاهلية كانوا إذا أراد أحدهم أن يسافر عن حليلته عمد الى هذه الشجرة ، وشدّ غصناً منها إلى الآخر وتركها ، فإذا عاد من سفره ذهب إليها ، فإن وجدهما بحالهما مشدودين استدل بهما على أنّ حليلته ما خانته في غيبته ، وإنْ وجدهما محلولين استدل بهما على خيانتها »(١١) .

* شجرة الميلاد :

كان بعض الآباء في الوسط الشعبي الفلسطيني يحرصون عند ولادة الطفل الذكر ، على غرس شجرة قريباً من المنزل ، كي تكون باسم ذلك الطفل ، فيقولون : « شجرة فلان » . ولعل هذه العادة مستمدة من معتقد أقدم ، ولقد

« ظُنّ أن هناك علاقة غامضة بين الإنسان والشجرة التي تزرع عند ميلاده ، فإذا اجتُثَّت الشجرة ، أو أتلفت مات هذا الشخص أو أصابه ضرر . وبوسعنا أن نفهم - في يسر - كيف أنه حين تتعمق جذور هذا المعتقد ، يكون للحادثة التي تصيب الشجرة - وعن طريق الإيحاء الذاتي - نتائجها البالغة عند من يعتقد أنه مرتبط بالشجرة »[١٢] . وفي الوسط الشعبي الدمشقي ، مثلًا ، فإن الناس « لا يقطعون شجرة في منزل ، لأن قطعها يسبب وفاة صاحب المنزل »[١٣] .

والشائع في بعض مناطق سويسرا « أن تُزرع لدى مولد الطفل الذكر شجرة تفاح ، على حين تزرع شجرة خوخ لدى مولد البنت »[١٤] . ويمكن أن يحدث في بعض الأحوال « أنْ تعتبر إحدى الأشجار القائمة بالفعل - من قبل مولد الطفل - شجرة ميلاد لأحد الأطفال ، وتخلق تلك الصلة بينه وبينها خلقاً . ويتم خلق تلك الصلة عن طريق دفن خلاص الطفل وحبله السري تحتها ، أو وضع الخلاص والحبل السري في شق يتم حفره في جذع الشجرة نفسه »[١٥] . ومن الواضح « أن الصلة الوثيقة بين شجرة الميلاد وحياة الشخص المرتبط بها تترسخ في أعماق الشعب إلى حدّ أنه يطلق عليها أحياناً شجرة الحياة Lifetree وليس شجرة الميلاد »[١٦] .

تروي إحدى الأساطير الفلسطينية ، كيف أن شيث بن آدم قد أحضر فرعاً من شجرة الحياة من الجنّة ، وزرعه عند قبر أبيه آدم ، وكيف أن لوطاً حلم ذات يوم بأن الملك يأتيه ويأمره بأن يأخذ جرةً ويملأها بالماء ويسقي شجرة الحياة[١٧] . وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، حتى وقت قريب يزرعون بعض الأشجار الى جانب القبور ، وقد يزرع بعضهم على القبر أنواعاً مختلفة من النبات ، وعندما يزورون قبور موتاهم يقومون بسقاية تلك النباتات ، كي تحافظ على نموها وخضرتها . إن هذه الممارسات - في ظننا - ذات مغزى اعتقادي ، يعود في أصله إلى معتقد أقدم ، وتفسير ذلك أن الشجرة التي تزرع على القبر ، إنما تتغذى من ترابه ، الذي أصبح ساكنه جزءاً منها ، فكأنما تنمو هذه الشجرة من جسد الميت نفسه ، وبالتالي فقد أصبحت الشجرة جزءاً لا يتجزأ من الميت نفسه ، وقد انتقل إلى الشجرة ، فكأنما يرى الناس في تلك الأشجار أحبتهم الذين غادروهم إلى العالم الآخر . وبعد ذلك ، نسي الناس أصل هذا المعتقد وطبيعته

وأسبابه ، لكنهم ظلوا محافظين أوفياء لطقوسه وممارساته .

وعند الإغريق نرى كيف أن الشجرة « في قصة بوليدوروس الواردة في الإنيادة تنمو من قبر البطل ، يكفينا ذلك لنتبين أن وراء فكرة الحيوية ، تحوم فكرة أخرى أقدم منها ، كانت فكرة الروح فيها موجودة لعدم وجود هذه الفكرة ، أي كان النبات ينمو - طبقاً لها - من جسم الميت مباشرة ، كما يحدث ذلك في الواقع بالفعل .. والتسلسل المنطقي في هذا يشمله الظن بأن الرابطة الجسمية تقتضي وجود قدر من التماثل بين الإنسان الذي تُدفن جثته في القبر وبين النبات الذي ينمو من القبر »(١٨) . لقد نظر الفلسطينيون في الوسط الشعبي إلى الأشجار والنباتات بشكل عام بقدر كبير من الإحترام والتبجيل ، لأن كل « عرق أخضر » يسبح للذي خلقه ، ولعل مصدر هذه النظرة قوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان »(١٩) . كما نجد في المعتقد الشعبي الفلسطيني ، « أنه في ليلة القدر ، تنحني الأشجار إجلالاً حتى لا تنظر إلى وجه الله ، وللمسيحيين نفس الإعتقاد عن شجرة الزيتون في عيد الصليب المقدس في ١٣ أيلول وفي عيد الغطاس ٦ كانون الثاني »(٢٠) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، يصفون - أحياناً - المرء الذي يموت بقولهم : « سقطت ورقته » ، وهذا القول ذو علاقة وطيدة بالمعتقد الشعبي الذي يشير إلى أن الشجرة التي على يمين عرشه الله تعالى ، تحمل أوراقاً بعدد البشر ، فلكل إنسان - عندما يُخلق - ورقة في هذه الشجرة ، وعندما يكون المرء طفلاً أو شاباً تكون (ورقته) خضراء زاهية ، فإذا ما احتضر اصفرت ورقته وذوت ، فإذا مات وفارقته الحياة سقطت الورقة وغادرت غصنها .

وفضلاً عن الشجرة التي على يمين عرش الله ، هناك العديد من أشجار الجنة التي حظيت بشهرة واسعة ، أبرزها « الشجرة المحّرمة » ، التي نهى الله تعالى آدم وحواء عن الأكل منها عندما كانا في الجنة ، والتي كانت السبب الوحيد الذي أدى الى طردهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض حيث رحلة العذاب والتعب . ولقد ساد الإعتقاد في الوسط الشعبي الفلسطيني أن هذه الشجرة هي شجرة التفاح . ويروى أن الشجرة المحرّمة « كانت شجرة غصونها متشعّب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة يخلّدهم »(٢١) . وروي أيضاً أن هذه

الشجرة إنما كانت السنبلة[٢٢] ، وقيل كذلك أن هذه الشجرة هي شجرة الحياة ، وهي شجرة وسط الجنة ، ثمرها يمنح الإنسان حياةً خالدة »[٢٣] .

وهناك أشجار تتسم بالغرابة ، يقول النويري : « في بلاد الإفرنجة شجرة إذا قعد إنسان تحتها نصف ساعة من النهار مات ، وإن مسّها أو قطع منها غصناً أو ورقة أو هزّها مات »[٢٤] . وهناك شجرة (في بلاد التاكيان بالسند) تضيء بالليل كالسراج ، بحيث أنّ الناس إذا سلكوا بقربها بالليل استغنوا بضوئها عن مصباح ، ويسمونها شجرة القمر »[٢٥] . وعن الدميري ، نقلًا عن بليناس في كتابه « الخواص » ، أن دهن الشجرة الموز ع إذا مسحت به رأس الديك لا يصيح البتة »[٢٦] .

* شجرة الزيتون .

يعتبر الزيتون ثروة وطنية أساسية في فلسطين منذ عشرات القرون[٢٧] . وموطن شجرة الزيتون الأصلي هو بلاد الشام ، وقد نقلها الكنعانيون ـ الفينيقيون ـ مع الكرمة إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا . وكان للعرب الفضل الأكبر في إيصال الزيتون إلى شمال أفريقيا وإسبانيا[٢٨] .

وفلسطين من البلدان التي تكثر فيها أشجار الزيتون ، حتى أن أسماء العديد من قراها ومواقعها تحمل اسم الزيت والزيتون ، مثل « الزيت »[٢٩] و « زيتا »[٣٠] و « الزيتون »[٣١] و « زيتونات »[٣٢] و « الزيتونة »[٣٣] .

وقد حظيت شجرة الزيتون بنصيب وافر من التقدير والإحترام والتكريم والقدسية في الوجدان الشعبي الفلسطيني ، فهي شجرة مباركة « يوقد من شجرة مباركة زيتونة »[٣٤] ، وهي التي اقترن اسمها بقسم الله تعالى في القرآن الكريم « والتين والزيتون وطور سنين ... »[٣٥] ، وهي الثروة والبركة ، ومنها الغذاء والشفاء .

ويُعتقد أن هذه الشجرة قد أعطيت لآدم وحواء بعد طردهما من الجنة »[٣٦] ، أي إنها ـ من وجهة نظر المعتقد الشعبي ـ من شجر الجنة ، وأول شجرة زُرعت في الأرض .

وإن أول ما حملته الحمامة إلى نوح بعد الطوفان كان ورقة شجرة الزيتون لذلك صار غصن الزيتون شعار السلام وعلامته(٣٧) .

ومن هنا تكونت نظرة الإنسان في الوسط الشعبي الفلسطيني إلى شجرة الزيتون التي « يظهر بهاؤها في أنّ أوراقها خضراء في الأعالي وسنجابية فضية من أسفل ، حتى إذا هزّها الهواء ظهرت الشجرة من بعيد كأنها مغطاة ببرقع شفاف جميل جداً »(٣٨) .

وإزاء هذه القدسية فإنه من الطبيعي أن تنتشر حول الزيتونة أساطير وخرافات عديدة ، بل قد يكوّن الوضع الشكلي لأوراق الزيتونة صورةً سحريةً أو إشارة إلهية للوضع الإنساني السائد ، كما يتوهمّه الوجدان الشعبي وهو ينسحق تحت ضغط مرحلة من المراحل »(٣٩) . ففي المعتقد الشعبي الفلسطيني ، « أن الأشجار جميعها حزنت لدى وفاة الرسول محمد (ص) ، وكدلالة على حزنها أسقطت أوراقها فترة من الزمن ، وتكرر الأشجار هذه العملية كل عام . وكم كانت دهشة هذه الأشجار عندما استنكفت شجرة الزيتون عن أن تحذو حذوها ، وعندما قدمت للمحاكمة أجابت في معرض الدفاع عن نفسها : إن حزنكم عابر ، ولكني أحمل لون الحزن الأسود في أعماق جذعي »(٤٠) . وفي المعتقد الشعبي « أنه في ليلة القدر تنحني الأشجار إجلالاً حتى لا تنظر إلى وجه الله ، وللمسيحيين نفس الإعتقاد عن شجرة الزيتون في عيد الصليب المقدس في ١٣ أيلول »(٤١) كما لاحظنا من قبل . وكان من المعتقد « أن أشجار الزيتون تركع في ليلة عيد الصليب ، إذ أن السماء تفتح أبوابها في تلك الليلة »(٤٢) . وهم يعتقدون أن « رؤية شجر الزيتون في الحلم تعني « ضوء أمل »(٤٣) ، وهذا ينطلق في رأينا ، من كون شجرة الزيتون تعبّر عن استمرار حياة الأسلاف في حياة أبنائهم وأحفادهم ، إذ أن أشجار الزيتون تعتبر « رمز الرجاء ، لأنها قبل أن تموت الشجرة القديمة تكون قد أنبتت مكانها شجرة أخرى جديدة تتحول إليها حياتها »(٤٤) ، إذ من المعروف أنه « عندما تتقدم شجرة الزيتون في العمر تكثر من حولها نباتات الزيتون الصغيرة النامية »(٤٥) ، وكذلك فإن « شجرة الزيتون علامة تشير إلى النجاح والبركة الإلهية »(٤٦) .

وفي الألعاب الأولمبية الإغريقية القديمة كان الفائزون « يتلقون أكاليل الغار

والزيتون »[٤٧] ، كما كانت النساء يتزيّن في المناسبات بإكليل من زهور الزيتون[٤٨] . وفي الأساطير اليونانية أن الإلهة أثينا ، قد عُبدت في كل أنحاء اليونان ولا سيما في مقاطعة أتيكا حول مدينة أثينا ، وقد حصلت على هذه المنطقة مقابل شجرة زيتون قدمتها إلى زوس ... ومنذئذٍ أصبحت شجرة الزيتون والبومة والديك والأفعى منذورة لها »[٤٩] .

ومن ناحية أخرى فإن للزيتون فوائد غذائية عديدة ، كما أن له فوائد علاجية مختلفة ، وربما اختلطت بعض المفاهيم الغذائية والعلاجية بعدد من المفاهيم التي أصبحت من صلب المعتقدات الشعبية . يقول البعض « أن آدم أصيب بمرض جلدي خطير ، فتوسل إلى الله عزوجل ملتمساً معونته ، فأرسل الله له الملاك جبريل يحمل غصن زيتون وأمر الملاك آدم قائلاً ، خذ هذا الغصن وازرعه وجهز من ثماره زيتاً يشفي جميع الأمراض ما عدا التسمم »[٥٠] .

وكان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني قديما يعالجون مرض « القابة » وهي التهاب جزء من الجسم يأخذ في الإنساع ويتغير لون الجزء المصاب من الجلد ، بوضع عيدان زيتون أخضر في النهار ، ويدهن مكان الإصابة بالماء الذي يخرج من العود أثناء اقترابه من النار »[٥١] . كما استخدم الزيت في معالجة الجراح[٥٢] . وزيت الزيتون « فيه نسب عالية جدا من أشباه الشحوم ، وعلى كل حال فالزيت النباتي يبقى أفضل بكثير من الأدهان الحيوانية . ولزيت الزيتون بصورة خاصة مفعول منظم لوظائف الكبد وبالتالي لوظائف الأمعاء »[٥٣] .

ويعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني أن زيت الزيتون غذاء مفيد في تقوية الساقين ومنحهما الصلابة اللازمة ، ويعبرون عن ذلك بقولهم : « السمن للزين ، والزيت للعصْبين » ، كما أن زيت الزيتون - من وجهة نظرهم - يقوي الجسم بشكل عام : « كل زيت وناطح الحيط » ، وإذا تم تأمين الزيت إلى جانب الخبز فإنهما وحدهما كفيلان باستمرار الحياة ، كما يقول المثل : « إن كان عندي خبز وزيت ، زقّفت وغنيّت » .

وكان لزيت الزيتون قديما استخدامات متعددة ، « فقد استعمل للإضاءة بوضعه في السُروج »[٥٤] واستخدم أيضا في دهن الأجسام والرؤوس بعد

تعطيره بالعطور الشرقية ولا سيما في المواسم والاحتفالات ، وكان استخدامه بهذه الصورة دليلًا على الفرح والسرور »(٥٥) .

* شجرة النخيل :

النخيل شجر مثمر ينمو عادةً في المناطق الحارة ، حتى الصحراوي منها ، شرط توفر المياه له ، وهو نبات قديم العهد ذكر في أقدم مصادر التاريخ ، ومع أنه النتاج الزراعي الأول بالعراق ، فهو كثير الوجود في مناطق أخرى من الشرق ، ومنها فلسطين(٥٦) . وأريحا الفلسطينية « اشتهرت منذ عصور قديمة بزراعة شجر النخيل »(٥٧) . وبسبب كثرة النخيل في فلسطين « سميت أريحا مدينة النخيل »(٥٨) ، وقد اعتبر اليونانيون والرومانيون شجر النخيل رمزا وشعاراً لفلسطين والبلدان المجاورة لها(٥٩) . كما سمى اليونان فينيقيا والشرق الأدنى القديم عامة ، ببلاد النخيل(٦٠) . ومن اسم النخلة تسمت مدن « تدمر » في كل من الشام واليمن والحجاز(٦١) . وشجرة النخل طويلة وصلبة ومستقيمة في ارتفاعها(٦٢) ، وفي الوسط الشعبي الفلسطيني إذا أراد الناس أن يشيروا إلى شخص مفرط في طول قامته ، قالوا : « فلان طول النخله » ، وربما وصفوا الطويل الأحمق بقولهم : « الطول طول نخله ، والعقل عقل سخله » .

ويعتبر النخيل وثمره من أهم الأشجار المقدسة داخل رقعة الفولكلور العربي بعامة - وبخاصة أكثر كياناته البدوية(٦٣) . ولقد كان العرب في الجاهلية يعبدون أشجار النخيل ، حيث « عُبدت نخلة طويلة في نجران ، كانوا يقيمون لها عيداً كل سنة ، فيعلقون عليها الأثواب الحسنة ، والحلي وغير ذلك »(٦٤) . وابن اسحاق في كلامه عن ابتداء وقوع النصرانية بنجران يقول : « وأهل نجران يومئذٍ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً »(٦٥) ، ويقال أنهم كانوا يزينوها سنوياً بأزياء نسائية ملونة(٦٦) . ولقد استمر التعامل مع شجرة النخيل على نحو مشابه حتى العصر الفاطمي والمملوكي في مصر ، حيث كانوا يزينونها سنوياً بملابس الزينة النسائية خلال مواسم احتفالاتها الموسمية ، مع الطرح والتقليح(٦٧) .

ولعل عبادة (أو تقديس ، تكريم) النخل ذات علاقة بكونه من رموز الخصوبة والأنوثة(٦٨) . وكان العربي يجعل القرابة بينه والنخل ، كما روي عن النبي (ص) : « أكرموا عماتكم النخل » ، وقال القزويني : « إنما سماها عماتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام »(٦٩) ، ولقد أشار توفيق كنعان ـ كما لاحظ ذلك كريس ، إلى أنّ المعتقد الشعبي في بعض البلاد الإسلامية يرى أن أشجار النخيل قد خلقت من نفس التربة التي خلق منها آدم ، ولذلك « توجد » بعض أوجه الشبه بين شجرة النخيل وبين الإنسان(٧٠) .

وقديما « وحّد الفينقيون بين النخلة ، التي اعتبرها الساميون بعامة شجرة الحياة في جنة عدن ، وبين إلهة الإخصاب الجنسي والتعشير عشتروت أو عشتار ، فالنخلة كانت شجرة الميلاد أو شجرة العائلة عند كل شعوب غرب آسيا ، في مصر وبابل وفينقيا والجزيرة العربية »(٧١) .

ولقد كانت النخلة هي شجرة عشتروت المقدسة ، فمن ثمارها أو تمرها تسمت عشتروت ، كما أن من اسم ثمرها جاء اسم الإله « دامور » أو « تامور » أو « تامير » أي التمر ، ووجدت آثار هذا الإله في جزر البحر الأبيض المتوسط التي استعمرها الفينيقيون ، فكان يصك على النقود في شكل أو شعار نخلة وافرة الثمار(٧٢) .

وكانت النخلة تعتبر شجرة الحياة عند المصريين القدماء والسومريين ، والتاويين في الصين ، كما كانت تعتبر شجرة الإنجاب ورمز الخصوبة أيضاً عند التاويين ، وكذلك كان الهندوس يعتقدون أن النخلة تتميز بالذكاء ، وأنه لا يفصلها عن عالم الحيوان سوى خطوة واحدة فقط(٧٣) .

ومما يجدر ذكره أن هناك « علاقة بين النخيل ، وبين الموت ثم القيامة أو توالي الولادة والاستمرار »(٧٤) ، وتذكر أساطير بعلبك « ذات الأصول أو المنابع المصرية ، أن طائرا يسمى فينيق أو النخيل كان يحج إلى هليوبوليس أو بعلبك فيموت بها ثم يعاود الحياة من جديد .. »(٧٥) ، كما أن تسمية النخلة بالعنقاء تعد معتقداً قديماً مؤداه أن النخلة إذا ما سقطت بسبب الشيخوخة أو احترقت فإنها ستنمو من جديد خضراء يانعة كما كانت ، وتظل هكذا على الدوام دائمة الإزهار »(٧٦) . لذلك كله فليس غريبا أن ينظر الناس في الوسط الشعبي

إلى شجرة النخيل على أنها شجرة الحياة والتجدد والإستمرار ، وأن يحيطوها بالقدسية والإحترام .

وقد ارتبطت أشجار النخيل بولادة عدد من الآلهة والأشخاص ، ففي الأساطير الإغريقية أن « الآلهة أبولو ، ونبقون ، وذيلين ، ولدوا تحت نخلة »(٧٧) ، كما أن ميلاد السيد المسيح عليه السلام هو الآخر مرتبط بالنخلة ، حيث أن مريم العذراء عليها السلام قد فاجأها المخاض به تحت شجرة نخيل « فاجأها المخاض إلى جذع النخلة »(٧٨) ، وهذا يمكن أن يضيف شيئاً إلى قدسية النخلة عند الناس في الوسط الشعبي .

وورق النخيل يسمى « سعفاً » ، وقد « استُقبل يسوع بسعف النخل عند دخوله القدس قبل الفصح بأسبوع »(٧٩) . وكما أن جذع النخلة كان مرتبطاً بالموت قديماً « ولأصلبنكم في جذوع النخل »(٨٠) ، فقد كانت « أفرع النخيل تستخدم في مناسبات عديدة متصلة بالموت في مواكب الدفن ، وعند زيارة القبور ، وفي تزيين المقابر .. إلخ ، وهي في المعتقد الشعبي رمز الحياة »(٨١) . وما يزال بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يصطحبون سعف النخيل عند زيارتهم للمقابر في الأعياد ، حيث يضعونها مع أغصان أشجار أخرى على قبور موتاهم . ومن خشب النخيل كانت تُبنى المساكن ، خاصة الدعائم ، وألواح الأسقف ، وتنسج أليافه لتصنع منها السلال والحقائب والأواني بأنواعها .. إلخ(٨٢) .

أما ثمار النخيل (التمر) ، فقد ظلت الغذاء الرئيسي لعديد من شعوب الشرق الأوسط (خاصة البدوية) آلافاً من السنين(٨٣) . ولعل من أقدم الاشارات إلى التمر ، التي تحمل صفة القدسية ، تلك التي وردت في القرآن الكريم ، حيث يتضح أن التمر كان غذاء السيدة مريم العذراء عليها السلام عندما وضعت مولودها : « وهُزي إليك بجذع النخله تساقط عليك رطباً جنياً »(٨٤) ، ويُعتقد « أنه يتعين على الواضعة حديثاً أن تأكل ثلاث بلحات من أجل صحتها وصحة وليدها »(٨٥) ، ولقد رُوي عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال : « .. ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من الرطب »(٨٦) ، كما أن ثمار النخيل (التمر) تعتبر غذاءً كاملاً ، وعلاجاً لكثير من الأمراض ، ويروى

عن علي رضي الله عنه قوله : « من اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه »[٨٧] ، ولقد « أثبتت الدراسات بأن التمر هو غذاء كامل ، حتى أن العلم لقّبه بمنجم المعادن .. والتمر أعظم مصدر للفيتامين (ا) حيث تعادل نسبة ما يوجد في زيت السمك منه ، ومعروف أن الفيتامين (ا) هو عامل النمو كما يطلقَ عليه الأطباء ، وهو يحفظ رطوبة العين وبريقها ويقوي الاعصاب البصرية ، ولهذا فإن سكان الصحراء مشهورون بالرؤية لمسافات بعيدة ، وكذلك فإنه يقوي الأعصاب السمعية ، فيفيد الشيوخ وضعفاء السمعية »[٨٨] . والتمر أيضاً « غني بالفيتامينات (ب ١) ، (ب ٢) ، (ب ب) المقوية للأعصاب والملينة للأوعية الدموية والمرطبة للأمعاء . وكذلك فهو غني جداً بالفوسفور الذي يدخل في تركيب العظام والأسنان ويغذي حجيرات الدماغ والتناسل في الإنسان ... »[٨٩] . وبضع حبات تمر تزيد في مفعولها عن فائدة زجاجة كاملة من شراب الحديد ، والسكر الموجود في التمر تهضمه المعدة خلال ساعة فقط »[٩٠] ، ولقد أثبت الطب الحديث صحة سنة الرسول الأعظم (ص) في الصيام وفي الإفطار على التمر ، لأنه يمد الأجسام بمقدار وافر من السكر ساعة الإفطار »[٩١] . ويروى عن النبي (ص) أنه قال : « من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضرّه سمّ ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل »[٩٢] .

وتمر النخيل طعام لا يحتاج إلى أي تحضير ، وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني ، أن البدو قد دعوا الله تعالى « أن يعطيهم طعاماً حلواً لا يحتاج إلى تحضير ، فأرسل الله لهم نخيل البلح ، فلذلك يقولون : « البلح حلاوة بلا نار »[٩٣] ، ومن الخصائص العلاجية للنخيل « يعتقد أنه إذا غليت جذور النخل وخلطت بالدقيق ، فإنه يمكن أن تصنع من هذا الخليط كمادات لعلاج الاورام وتفيد في تنظيم عمل الامعاء »[٩٤] .

وللتمر صفة نفسية هامة « إذْ أنه يهدىء من النفس المتوفزة المضطربة وذلك لاحتوائه على الفيتامين (ا) المضاد لازدياد إفراز الغدة الدرقية »[٩٥] ، ويدخل الخل المستخرج من عسل النخيل في علاج الصداع عند البدو »[٩٦] .

* التين :

التين شجر مشهور في فلسطين وسورية ، وثمره أجاصي الشكل ، وقد تعلو شجرة التين عن الأرض عشرة أقدام إلى عشرين قدماً ، وتتفرع أغصانها إلى أنحاء مختلفة ، وتنتج التينة ثمراً طيباً(٩٧) .

وفي موسم التين كان يمكن للفلاح الفلسطيني تناول التين والاستغناء به عن الخبز ، وهم يقولون في ذلك : « طلع العنب والتين بطلوا العجين » .

والتين من الأشجار المباركة التي تحظى باحترام الناس في الوسط الشعبي ، فهي الشجرة التي اقترنت بقسم الله تعالى في القرآن الكريم : « والتين والزيتون وطور سنين »(٩٨) ، فضلاً عن أن السورة الخامسة والتسعين في القرآن الكريم تحمل إسم « التين » كما أنّ آدم وحواء عندما كانا في الجنة ، وبدت لهما سوآتهما « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة(٩٩) ، فإن هذه الأوراق ، كما يقول الطبري(١٠٠) كانت « ورق التين يلصقان بعضها إلى بعض » ، لذلك كله فليس غريباً إذا « كان القدماء يعتبرون جلوس كل إنسان تحت تينته من دلائل السلام والفلاح »(١٠١) ، كما إن كثيراً من الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقدون بأن المرء إذا وقع من فوق شجرة تين إلى الأرض ، فإنه لا يحدث له أي ضرر ولا يصاب بأي أذى ، إلّا أن بعضهم كان يعتقد أن شجرة التين التي تعطي ثماراً سوداء اللون ، هي من الأمكنة المفضلة لاجتماعات الجن(١٠٢) ، وهم يعتقدون أن ثمرة التين تتخلّق ذاتياً ، فيقولون : « دوده من عوده »(١٠٣) .

* الرّمان :

وترتفع شجرته نحو خمسة أمتار(١٠٤) ، ويمكن أن تصنع الخمر من عصيره(١٠٥) وحول أصل هذه الشجرة ، تروي الأساطير اليونانية بأن « أغديستيس وهو « الكائن الخنثى الجميل » الذي أسكره ديونيزسوس وجبّ قضيبه ، قد نبتت « من دمه شجرة رمّان »(١٠٦) ، وتروي الأساطير اليونانية ، أن الرمان كان من بين الأشياء المخصصة لأفروديت « إلهة الجمال والشهوة والخصب عند الإغريق »(١٠٧) .

كان العرب يقولون : « في كل رمانة حبة من الجنة » ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه « ما من حبة منه تقوم في جوف رجل إلا أنارت قلبه وأخرست شيطان الوسوسة أربعين يوما »(١٠٨) . وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقدون أن كل حبة رمان تحتوي على بذرة من الجنة ، وهكذا يلاحظ بأن كثيراً من المسلمين في المدن يراعون عدم إسقاط أيّ من البذور ، هذا يوضح عادة سقي الأطفال عصير هذه الفاكهة ، ويقال : « الرمان بملي القلب إيمان »(١٠٩) . كما أن ثمرة الرمان ترمز إلى الوفرة والخير والبركة ، وتوضح ذلك - في الوسط الشعبي الفلسطيني - فكرة « قيام العروس بسحق حبة رمان ، فبذور الرمان ترمز إلى العديد من الأطفال الذين ستنجبهم تلك العروس ، فضلا عن أن هذه الممارسة تحمل الإيحاء بوفرة الطعام والشراب في البيت الذي تدخله العروس ، أو هي ترمز إلى الثراء والخير والبركة الذي سيملأ البيت بمقدم العروس »(١١٠) .

وكان المصريون القدماء يستخدمون « قشور الرمان لعلاج الحروق والطفيليات والديدان المعوية ، وثبت أخيراً وجود مادة البابترين الطاردة للديدان »(١١١) .

* البلوط :

البلوط نوع من أشجار السنديان ، ورقه يسقط في الشتاء ، وتبلغ شجرته علو ١٥ مترا ، وخشبه أقل قوة من أكثر أنواع السنديان ، ينشق بسهولة ، إنما حطبه جيد كثير الإستعمال(١١٢) .

حظيت شجرة البلوط بنصيب وافر من الإحترام والقدسية لدى كثير من الشعوب ، ففي فلسطين « ما زال الفلاحون ينظرون إلى أشجار البلوط التي تنمو بوفرة في جهات كثيرة في فلسطين ، نظرة تقديس ، أساسه التصورات الخرافية ، فقد ذكر « طومسون في معرض حديثه عن أيكة البلوط الجميلة التي تقع بالقرب من « بحيرة » الحولة في شمال فلسطين ، فقال : « إن هذه الأشجار التي نجلس تحتها يعتقد الناس في أنها ماوى للجن والأرواح »(١١٣) . وفي كثير من الأحيان نجد أشجار البلوط مزينة بخرق الفلاحين ، وإن لم تكن

هذه الاشجار بجوار قبور الأولياء أو أضرحتهم . ففي « سلوان »[١١٤] تنبت شجرة بلوط كريمة تسمى « بلوطة ابراهيم » وهي إحدى الشجيرات التي تسكنها الارواح ، وتتمتع بشهرة ذائعة في هذا المكان ، وعلى هذه الشجرة يعلق الفلاحون المتطيرون الخرق على فروعها لاسترضاء الارواح التي « تسكنها » وفقا لاعتقاد الأهالي »[١١٥] ، وكانت وظيفة هذه الخرق « حماية » الناس من شرور هذه الارواح ، ويخشى السكان المتطيرون أن يناموا تحتها »[١١٦] .

والفلسطينيون بشكل عام « يألفون أشجار البلوط ، ومن ثم كانت هي الشجرة التي يقدسها الفلاحون أكثر من غيرها من الاشجار »[١١٧] .

تروي الأساطير اليونانية أن « دودون » كان مهبط « وحي قديم في إيبيريا ، وكان الناس يطرحون فيه على الإله زوس أسئلة يجيب عنها من خلال حفيف أشجار البلوط والشوح المنتشرة في غابة هناك »[١١٨] .

ويقال أن الناس يقدسون شجرة بلوط ضخمة عتيقة تنمو في قرية تركية في شمال سورية ، فعند هذه الشجرة يحرق الناس البخور ويقدمون النذور ..[١١٩] .

وفي الأساطير اليونانية أيضاً ، أن الإلهة أثينا أنعمت على السفينة « أرغو » بخشبة من شجرة البلوط الناطقة .. وبها أصبحت السفينة قادرة على الكلام والتنبؤ بالمستقبل[١٢٠] .

* الخرّوب :

الخروب أو (الخرنوب) نوع من الأشجار ، تؤكل قرونه بعد جفافها[١٢١] . وشجرة الخرنوب جميلة المنظر ، دائمة الخضرة ، تعلو إلى ثلاثين قدماً في طولها[١٢٢] ، وتعصر القرون أحياناً وهي خضراء ويضاف عصيرها إلى لبن محلى بسكر فيجمد[١٢٣] ، وقرون الخروب إذا هزّتها الرياح بعد الجفاف تحدث صوتاً أشبه بصليل بعض أنواع الأفاعي[١٢٤] .

ويكثر الخروب في بعض بلدان الشرق ، وفي جنوب أوروبا مثل إيطاليا وإسبانيا[١٢٥] . وقد ارتبطت شجرة الخروب بعدد من المعتقدات في الذهنية

الشعبية ، فهي وفق المعتقد الشعبي « مُلك الكوكب زحل ذي الفأل السيء ، وكل شيء له علاقة بهذا الكوكب ، فهو ينتمي إلى الأرواح الشريرة »(١٢٦) . وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقدون بأن أشجار الخروب هي من الأمكنة المفضلة للجن ، حيث يعقدون عليها اجتماعاتهم(١٢٧) ، وهم يرون أن رؤية شجرة الخروب في المنام إنما هي « مصيبة وهدم وضياع ، وأصل اشتقاقها : خرّب أي هدّم »(١٢٨) وهم يشبهّون الرجل المعوج في سلوكه وتصرفاته ، بقرن الخروب ، فيقولون : « إعوج مثل قرن الخروب » ، كما يقولون : « زي قرن الخروب ، كل ما طال عمره اسودّ وجهه وانحنى ظهره » .

* السَرو :

شجرة السرو من الأشجار الدائمة الخضرة المنتشرة في جنوب أوروبا ، وغرب آسيا ، وجنوب الولايات المتحدة ، وهي عند كل الشعوب رمز للجيل ، وللموت ، وللروح الخالدة ، والكوارث ، وقد سميت جزيرة قبرص على اسم هذه الشجرة العتيدة ، وكان سكانها القدامى يعبدونها كتجسيد للإلهة بيروت ، أما الإغريق والرومان ، فكانوا ينسبونها إلى إله العالم السفلي(١٢٩) .

وعن أصل هذه الشجرية يروى العديد من الأساطير « التي تحكي نشأتها أو تروي عن مصدرها ، فيعتقد أن بذرتها كانت إحدى بذور ثلاثة أعطاها أحد الملائكة لشيث ليزرعها تحت لسان آدم بعد دفنه . أما الزاردشتيون فيعتقدون أن زرادشت قد أحضر برعم هذه الشجرة معه من الجنة ، وهناك شعوب يحكي تراثها الشعبي أن شجرة السرو هي عبارة عن إنسان حوّلته الآلهة إلى هذه الصورة جزاءً له أو عقاباً على جرم ارتكبه »(١٣٠) . ويعتقد أن زرادشت قد زرع شجرة سرو ، ولذلك نجدها مزروعة عند بوابات المعابد الزرادشتية ، كما جاء في أوفيد أن أبولو كان يقدسها . كذلك كان الصينيون يعبدونها لأن جذورها تنمو على هيئة إنسان جالس . وكان الأثينيون القدماء يصنعون توابيت الأبطال من خشب السرو ، كما كان قدماء المصريين يصنعون توابيت الموميات من هذا الخشب نفسه ، كذلك كان القدماء يصنعون من خشب السرو عديداً من

الأشياء ، نذكر منها سهام كيوبيد ، وصولجان جوبيتر ، وعصا هرقل .. وصليب المسيح »(١٣١) . وكان يُعتقد أنه إذا واظب الشخص على أكل بذور تلك الشجرة فترة من الزمن فإنه سيكتسب قوة بدنية هائلة ، كما سيتمتع بالصحة والشباب وقوة الإبصار ، أما ثمارها فيعتقد أنها تفيد في علاج الدوسنتاريا ، ونزيف اللثة ، كما تثبِّت الأسنان المخلخلة »(١٣٢) .

* السِّدْر :

إن شجرة السدر هي « سدرة المنتهى التي هي عن يمين عرش الله ، في المعتقد الإسلامي »(١٣٣) ، ويبدو لنا أنها هي نفسها التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : « ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدْر قليل »(١٣٤) ، وكذلك في قوله تعالى : « وأصحاب اليمين . في سدْرٍ مخضود »(١٣٥) ، وإن شجرة الحديبية التي كان الناس يكثرون قصدها وزيارتها والتبرك بها في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، والتي أمر بقطعها ، كان سمرة أو سدْرة(١٣٦) .

* الصبّار :

شجرة دائمة الخضرة ، ويعزى سبب خضرتها - في المعتقد الشعبي الفلسطيني - إلى أن « النبي الخضر الذي كان يشرب من ماء الحياة فقط ، سكب الماء الباقي في طاسته فوق شجرة الصبر(١٣٧) التي كانت بقربه ، ومنذ ذلك الوقت بقيت شجرة الصبر دائمة الخضرة وغير قابلة للإتلاف »(١٣٨) ، ونلاحظ هنا ارتباط كلمة « الخضر » بالإخضرار الذي تتصف به شجرة الصبار ، ومما يجدر ذكره أن الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يفسرون رؤية الصبر (الصبّار) في المنام بأنه يعني « الصبر » والنجاح ، وصبرَ هو الفعل والإسم صَبْر(١٣٩) .

* السفرجل :

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، أن من رأى السفرجل في

منامه ، فإن ذلك يعني الشرّ « لأن التفسير الشعبي لهذه الرؤيا هو الرحلة ، أو الشجار ، أو الفراق ، على اعتبار أن أصل اشتقاق الكلمة هو : سفر ، وجله ، جلا تعني هجرة »(١٤٠) .

* الصنوبر :

شجر دائم الخضرة ، يبلغ ارتفاعه أربعين قدماً ، وخشبه شديد صلد .. وتوجد منه أنواع كثيرة أشهرها الصنوبر الجبلي والصنوبر الصنوبري(١٤١) . وكانت شجرة الصنوبر من مقدسات أدونيس ، تقطع وتصنع لها أيد مثل تمثال(١٤٢) .

* الدوالي :

يفسر الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، رؤية الدوالي (شجيرات العنب) ، بأنه « دواء ، شفاء ، مساعدة ، « مشتقة من كلمة : « دواء » و « لي »(١٤٣) .

* الجميز :

شجر معروف ، أخضر الورق ، كبير الحجم ، كثيف الظل ، ممتد الأغصان وكثيرها(١٤٤) . وكانت شجرة الجميز إحدى الأشجار المقدسة في مصر وفي بلاد العرب(١٤٥) ، وورق شجر الجميز ـ كما يقول الدميري(١٤٦) يقلع آثار الوشم إذا طلي بالعصارة .

* الصفصاف :

الصفصاف أصناف كثيرة في فلسطين ، تنبت على مجاري المياه(١٤٧) ، ويعتقد أن أشجار الصفصاف قد تركت « فروعها في انحناء نحو الأرض » لأنها لم تتأثر موت المسيح عليه السلام(١٤٨) .

* الثوم :

الثوم من النباتات المعروفة ذات الشهرة الخاصة في أكثر بلاد العالم القديم ،

وهو يستمد مكانته الخاصة هذه من رائحته النفّاذة ، وهي التي كانت السبب فيما نسب إليه من خصائص إيجابية وسلبية على السواء . وأبرز تلك الخصائص كونه نباتاً مطهراً(١٤٩) . ويقال أن الثوم قد عرف أولاً في وسط آسيا ، ثم انتقل الى مصر حيث صار طعاماً شائعاً(١٥٠) . وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن الثوم ذو فائدة عالية جداً في القضاء على سموم البدن ، وهم يعبرون عن ذلك بقولهم « الثّوم قتّال السموم » . وكان الكثير منهم يضعون بعض الثوم داخل الوعاء الذي يحفظون فيه الملح كي لا تقترب منه الأفاعي والحشرات الأخرى ، لاعتقادهم أن رائحة الثوم النفاذة تطرد الأفاعي وسواها من الهوام والحشرات ، كما كان بعضهم يعتقد أن قشرة الثوم إنما هي فضة الجن(١٥١) وقد جرت زراعة الثوم في الصين منذ العهود القديمة ، فقد جاء ذكره في الكتابات السنسكريتية القديمة ، التي هي من أولى اللغات المكتوبة . وكان يستعمل أيضاً كغذاء أساسي في وجبات السومريين القدامى(١٥٢) . وقد استخدم الثوم منذ قرون عدة في كل من الصين واليابان في معالجة ضغط الدم المرتفع(١٥٣) .

والثوم كثير الفائدة يستعمل علاجاً للدْغة النحل ، حيث يقشر الثوم ويكسر ويوضع على اللدغة ، ويستعمل علاجاً لإزالة مسامير اللحم ، حيث يُدق ويوضع كضمادات ، وله فائدة كبيرة للقضاء على الديدان(١٥٤) . وقد لوحظ أن معدل الأمراض القلبية منخفضة جداً في البلدان التي يستهلك سكانها كميات كبيرة منتظمة من الثوم ، ومثل هذه الملاحظة عزّزتها الإكتشافات الأخيرة ، إن الثوم يساعد في تخفيض مستوى الكوليسترول في الدم ، تلك المادة الشمعية التي هي المسبب الأول لأمراض القلب والشرايين(١٥٥) . كما ثبت أن الثوم يخفض من مستويات السكر في الدم ، ويزيد من كميات الأنسولين في الدم الذي يقوم بحرق السكر(١٥٦) . وفضلاً عن فعالية الثوم في تخفيض بعض أعراض السرطان ، أثبتت الكليّة الطبية في فيرجينيا أن الخلاصة السائلة للثوم بإمكانها أن تمنع نمو الفطر الذي يسبب مرض التهاب السحايا (أغشية الدماغ) ، والقضاء على العديد من أنواع البكتريا المضرة والفطريات التي تسبب بعض الأمراض الجلدية(١٥٧) . وقد ذكر الثوم عند أرسطو كعلاج لداء الكلب ،

ولتحمية الطلق (عند المرأة أثناء الوضع)[١٥٨] . وكان أبقراط (أبو الطب) يستخدم الثوم كمسهل للمعدة ومدر للبول ، أما أرسطو طاليس فقد أوصى باستخدامه كعلاج لداء الكلب . في حين كان الطبيب اليوناني جالين (جالينوس) يستخدمه كدواء عام لكل العلل[١٥٩] . ويقال أن الجنود الرومان كانوا يأكلون الثوم قبل المعارك لاكتساب الشجاعة في الحرب[١٦٠]) . وقد قام « بليني الأكبر » العالم الروماني في الطبيعيات بوصف الثوم لعلاج ٦١ داءً مختلفاً ، ابتداءاً من بحّة الصوت ونزيف الدم ، وانتهاءً بداء الصرع والسل ، مروراً بأمراض احتقان وتسمم الدم ، الى آخر ما هنالك من أمراض كثيرة التي قد تسبب الكثير من الإزعاج[١٦١] . وكان الثوم يستهلك يومياً وبشكل منتظم من قبل العمال المصريين الذين شيدوا الأهرام زمن الفراعنة ، كما عثر على كميات منه في قبر توت عنخ آمون[١٦٢] .

ومميزات الثوم التي لم يغفل عنها علماء النبات والأطباء منذ آلاف السنين ، فقد عثر علماء الآثار في مصر على قطعة من البردي يعود تاريخها إلى العام ١٥٥٠ قبل الميلاد ، جاء فيها أن ثمة ٢٢ علاجاً مختلفاً يدخل الثوم في تركيبها ، لمداواة سلسلة طويلة من العلل والأمراض ، التي تتراوح بين إنهاك الجسد والصداع والأورام الخبيثة واحتقان الحنجرة وتساقط الشعر[١٦٣] .

ويعتقد أبناء بعض المناطق « أن الثوم ذو تأثير قوي في جذب الأرواح الشريرة ، فحيث تُشمُ رائحة الثوم النفّاذة يجب أن تتوقع وجود مثل تلك الأرواح . ولعل جانباً من هذا المعتقد موجود بروحه في الثقافة الشعبية عند كثير من الشعوب الإسلامية ، حيث يُعتقد أن الثوم يثير الملائكة ، وأنها لا تتواجد في مكان توجد فيه تلك الرائحة الكريهة[١٦٤] .

وتعتبر النباتات ذات الروائح القوية النفاذة ، ذرائع جيدة ، الأمر الذي يفسر الدور الذي ينهض به نبات الثوم في معارك جنوبي أوروبا ضد الساحرات[١٦٥] . كما يعتقد بأن الروائح النفّاذة جديرة بأن تطرد المردة وتفض أعمال السحر[١٦٦] . كذلك فإن الثوم ـ كما يعتقد الناس في كثير من الأوساط الشعبية ـ « يتميز بقدرة خاصة على طرد الأرواح الشريرة ، وإبعاد العين الحاسدة ، وإبطال السحر الضار ، والحماية ضد الشيطان ، إلخ ولهذا السبب

كان يعلق على البيوت أو داخلها ، وعلى رقاب الناس في أوقات معينة »(١٦٧) .
ويعتقد الناس في أماكن شتى من العالم بأن الثوم هو إحدى الوسائل التي « تحول بين الجان وبين اختطاف أطفالهم »(١٦٨) . وفي أمريكا الجنوبية نجد « أن مصارعي الثيران عند هنود الإيمارا كانوا يعلقون على أجسامهم بعض ثمار الثوم ، اعتقاداً منهم بأن رائحته النفاذة الكريهة سوف تجعل الثور لا يهاجمهم »(١٦٩) . ويلاحظ المؤرخون أن الممرضين الفرنسيين الذين تولوا العناية بضحايا الطاعون الذي اجتاح لندن في القرن الثامن عشر ظلوا معافين أصحاء الجسم ، بسبب تناولهم الثوم ، بينما أصيب الممرضون الإنكليز الذين رفضوا تناول هذا النبات بسبب رائحته النفاذة ، بعدوى المرض(١٧٠) .

«وكان الجنود الألمان يستخدمونه لمنع الإصابة بالغرغرينا بفعل الإصابات والجروح الناجمة عن المعارك»(١٧١) . «ويقوم بربر شمال أفريقيا بدق الثوم وعجنه وإضافته إلى عجين الخبز لعلاج البرد بصفة عامة، كما يستخدمون الثوم كمساعد على الإسراع بحمل المرأة»(١٧٢) .

* البصل :

كان البصل الفلسطيني ذا شهرة عالمية ، فشهرة عسقلان(١٧٣) بجودة بصلها ، أدى إلى تسميته باللغة اللاتينية بلفظة مأخوذة من كلمة « عسقلان » ، إذ يقال له فيها « أسقلونيا ـ Ascalonia **وقد اشتق منها اسمه لأكثر اللغات الاوروبية**(١٧٤) .

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون « أن قشرة البصل هي ذهب الجن(١٧٥) وكانوا يستعملونه « للدمامل » حيث يشوى رأس البصل وتزال عنه القشرة الخارجية ، وتوضع بعض أجزائه على الدمل ، ويكون البصل لا زال ساخناً(١٧٦) كان البصل يعتبر من أهم الخضروات القديمة التي استخدمها المصريون القدماء بكثرة ، حتى أن المؤرخ القديم هيرودوت ذكر أن الفراعنة قد استنفذوا كميات هائلة من البصل والفجل في أثناء بناء الهرم الأكبر . وكما ذكر علماؤهم في ذلك الوقت فإن للبصل قدرة على إدرار البول ، فاستعملوه كثيراً في العلاج الطبى كما كانوا يضعونه على حجر الثعبان لمنعه من الخروج ، ولقد

ثبت علمياً أن البصل يحوي القليل من فيتامين ا ، ج ، كما آنه غني بأملاح الكالسيوم[177] وللبصل فوائد يصعب حصرها كغذاء ودواء ، ولقد بلغ من اهتمام الفراعنة بالبصل ، واعتمادهم عليه ، أنهم كانوا يحلفون به .. والكتابات التي خلفوها على أوراق البردي وجدران المعابد ذكرت أنهم كانوا يضعونه مع الجثث المحنطة لكي ينبهها ويساعدها على استئناف التنفس عندما تُبعث حبة[178] . والبصل يمنح الانسان طاقة على البصر ، ويعطيه طاقةً من القدرة والقوة[179] . وكان بدو مصر يغسلون البصل بالماء ، ويصفّونه ويغسلون الجراح ويسقون العليل منه لمنع تعفّن الجرْح[180] . وكثير من الناس في أماكن شتى من العالم يعتقدون أن البصل يعتبر من بين الوسائل المستخدمة للحيلولة « بين الجان وبين اختطاف أطفالهم[181] . وفي دراسة واسعة أجريت على ١٥٠ صنفاً من النباتات القاتلة للجراثيم ، وُجد أن البصل في مقدمة تلك النباتات ، فهو يمتلك مفعولاً واضحاً في قتل جراثيم التيفوس والجراثيم التي تستوطن الفم والأمعاء[182] .

ويحتوي البصل نسبة كبيرة من الكالسيوم ، والفوسفور والحديد ، وهو مفيد في إدرار البول ، وفي حالات تشمُّع الكبد والاستسقاء ، وانتفاخ البطن ، وبعض أمراض القلب ، وفي البصل مادة « الغلوكونين » المعادلة للأنسولين من حيث مفعولها في تحديد نسبة السكر في الدم ، كما يحتوي البصل على الكبريت والفيتامين ث ومادة مدرّة للصفراء ، ومواد ملينة للباطنة ومقوية للأعصاب ، ويفيد البصل في حالة ضخامة البروستات وحالات الإصابة بالزحير البولي[183] .

* المقدونس :

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يطلقون عليه اسم « البقدونس » ، وهم يعتقدون أن الرجل الذي يحب أكل البقدونس يكره زوجته ، وكذلك الزوجة ، ولذلك يقال عن البقدونس أنه نبتة الشيطان .

* الفجل :

كان بعض الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن عصر ماء الفجل ووضعه في وعاء ، ثم وضع الوعاء في ساحة البيت تحت النجوم ومن ثم شربه في اليوم التالي ، يشفي من الرمل والحصى الموجود في الكليتين أو المثانة .

* القمح :

قال الطبري عن أصل القمح (الحنطة) أنه « إنما جاء به جبريل عليه السلام بعد أن جاع آدم واستطعم ربه ، فبعث الله إليه مع جبرائيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها في يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبرائيل ما هذا ، فقال له جبرائيل هذا الذي أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم »(١٨٤) .

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقد الناس أنه « عندما طرد آدم من الجنة أرسل الله إليه بواسطة الملاك جبريل حبات القمح ملفوفة بسبعة مناديل من الحرير ، وقام آدم بزرع هذه الحبوب والتي اتخذت شكل حرف الألف وهو الحرف الأول من لفظ الجلالة « الله » ولذلك فإن القمح « نعمة من الله » ، ويحرص الفلاح على ألا يدوس أية قطعة خبز مهما صغرت ، وإذا ما وجد الفلاح شيئاً من الخبز قد سقط على الأرض فإنه يتناوله بكل خشوع واحترام ويقبله ويضعه على جبينه ثم يودعه جانباً ، بحيث لا يتعرض لأن يداس بالأقدام »(١٨٥) . ويروى « أن فاطمة ابنة النبي (ص) عندما أرادت أن تدخل غرفة نوم والدها في فترة حيضها لفت انتباهها وجود حبة القمح على العتبة ، فتراجعت فوراً لأنها لم ترد أن تخطو فوق حبوب العيش المباركة وهي في حالتها تلك ، وحاولت في الأيام التالية ولكنها كانت تمتنع عن الدخول للسبب نفسه ، حيث كانت حبة القمح تظهر وتختفي بصورة عجيبة ، وعندما انتهت فترة حيضها اختفت حبة القمح ، وحتى يومنا هذا لا تدخل امرأة أي مزار أو تخطو فوق أيّ شيء مقدس في فترة حيضها ، وأيضاً لا يمكن لأي امرأة مسيحية وهي في فترة حيضها مرافقة جوقة الترتيل في أي كنيسة شرقية(١٨٦) ، كما أن الفلاح

الفلسطيني لا يطأ « بتاتاً بنعليه على كومة قمح »[١٨٧] . والناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يتفاءلون بحبة القمح ، فإذا عاد أحدهم من مهمة ما ، يسأله الآخرون أحياناً « قمحة والّا شعيرة ؟ » فإذا قال « قمحة » فإن ذلك يعني أنه قد حالفه النجاح والتوفيق في تلك المهمة ، إذن فالقمح هنا هو رمز للنجاح ، كما يرمز القمح ـ عندهم ـ إلى الغنى ، فهم يقولون : « إللي عنده قمح بقرضوه طحين » ، وهو يرمز كذلك إلى صاحب الأصل النقي ، وفي الأمثال الشعبية يعبر عن ذلك بقولهم « يلعن هالزمان اللي خلط القمح بالزيوان » . وفي سويسرا يتفاءل الناس بالقمح ، ويعتبرونه مصدراً للسعادة والخير ، ووسيلة لإبعاد الأذى والشر والحسد ، ولكبح جماح الأرواح الشريرة ، فلقد جرت العادة هناك : « أن تقابل امرأة عجوز العروس عند باب بيت زوجها ، وتنثر فوقها ثلاث حفنات من القمح[١٨٨] .

* الشعير :

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعمدون إلى « نثر الملح والشعير على رؤوس الحاضرين أثناء زفة العريس ، وتقوم بهذه العملية أم العريس ، لتحفظ العريس من العين الصائبة »[١٨٩] . كما كانوا يستخدمون « شعير المولد » لغايات مشابهة ، وشعير المولد ، « هو شعير عادي يوضع تحت فرشة الشيخ عند قراءة المولد ، ويستعمل كرقية للعين ، وذلك بإحراق قسم منه عند الولد أو البنت ، أو الدابة ، خوفاً من العين »[١٩٠] .

* الميرمية :

نبات معروف في فلسطين ، طعمه مرّ ، يُغلى مع الشاي ، ويستعمل لوجع البطن[١٩١] ، ولا يكاد بيت فلسطيني يخلو منه . وفي المعتقد الشعبي الفلسطيني ، أن هذا النبات دُعي بهذا الإسم (الميرمية) نسبة إلى مريم العذراء ، ويروى أنها في إحدى نزهاتها في وقت الصيف الحار ، جلست على حجر تستريح من عناء المشي ، وكان العرق يتصبب من جبينها ، فتناولت من تحت أقدامها بضعة أوراق من نبات « الميرمية » لتجفف بها جبينها ، ويقال

أنه منذ ذلك الحين اكتسب النبات رائحته الزكية ، وما زال يكرم باسم العذراء[١٩٢] . وفي الوسط الشعبي الفلسطيني ، يعتقد بعض الفلاحين بأن نبات الميرمية احتفظ برائحة الأم حواء ، وفي « أرطاس »[١٩٣] يقولون : « خذي شمي ريحة أمك »[١٩٤] ، وفي فلسطين ، في عدة أماكن ، « يوضع الموتى في قبورهم فوق الميرمية ، والتي توضع أيضاً فوق القبر[١٩٥] .

* النرجس :

زهر أبيض اللون ، دقيق الحجم ، قوي الرائحة ، جميل العطر ، ينبت في أمكنة كثيرة ، في الحقول البرية وفي الجنائن المدجّنة ، ولا تمنعه الأشواك والصخور من النمو بينها وبالقرب منها ، وكان يكثر في الوديان حتى سمي نرجس الوديان[١٩٦] . وكانت زهور النرجس البيضاء ، ذات خاصية مميتة عند القدماء ، برغم أن أريجها هادىء شيئاً ، ولسنا ندرك سبب ذلك ، فرائحتها الزكية لا توحي بالموت[١٩٧] . وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كان الناس يعتقدون بأن النبي الكريم كان قد « تناول مرةً بيضاً مسلوقاً لم يلائمه فتقيأه ، وبأعجوبة تحول البيض إلى نبات النرجس البري ، فصفار البيض هو الكأس ، والبياض التيلة »[١٩٨] .

* شقائق النعمان :

ويطلق عليه الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني في كثير من الأحيان اسم « البرقوق » ، كما يسمونه أيضاً « الحنون » . وعن أصل هذا النبات في التراث اليوناني ، يروى أن أدونيس قد قتله خنزير متوحش « عندما كان يصطاد في الجبل ، ومن دمه المهدور انتشرت شقائق النعمان »[١٩٩] .

* الدفلى :

يُعتقد بأن مريم العذراء عليها السلام « أضاعت ابنها يسوع ، فأخذت تبحث عنه في الحقول والبساتين وتحت الأشجار ، وحوصرت بأشواك شجيرة ورد ، فوبّختها قائلةً : « أنت لا تعرفين الألم المبرح الذي يسببه لي غياب ابني ، لتحلّ

عليك سرارة روحي ، ومنذ ذلك الوقت فقد ذلك النوع من الورد أشواكه ، ويعرف الآن باسم الدّفلى »[٢٠٠] .

* الخبيزة :

نبات معروف يطهى ويؤكل ، وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن من يأكل هذا النبات فإنه سيفيد منه في أول الأمر ، لأنه سيؤدي إلى تنويف الأمعاء ، لكنه في آخر الأمر ضارّ ، ويعبرون عن ذلك بقولهم « الخبيزة أولها شربه وآخرها ضربة » . وقد ارتبط نبات الخبيزة في الذهنية الشعبية ، عند رؤيته في المنام ، بالتفاؤل والخير ، حيث أنه يرمز « إلى الحياة اليومية ، والاشتقاق من : خبز[٢٠١] .

* الفطْر :

يروى عنه أن مريم العذراء بينما كانت تتنزه في الحقول ، تمنت أن تأكل لحماً بدون عظم ، فجعل الله نبات الفطر ينمو[٢٠٢] .

* الفيجام :

وهو نبات يطلق عليه الفلسطينيون (الطيون) ، وينبت في الوديان ، ورقه يستعمل للتهبيلة ، وبعض اللبخات[٢٠٣] . وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون بأن « الطيّون « فيجام » تقضي على البعوض ، ولذلك يقوم الفلاح من وقت إلى آخر بنثرها على أرض منزله[٢٠٤] . وهذا النبات يدعى أيضاً « الفيجيم » ويسمع أيضاً بلفظ « فيّ جان » أي ظل الجان[٢٠٥] ، والذي نعرفه أن اسم هذا النبات هو « الفيجن » .

هوامش الفصل السابع

(١) (٢)ألكزاندر هجرتي كراب ـ علم الفولكلور ـ ترجمة رشدي صالح ـ وزارة الثقافة ـ مؤسسة التأليف والنشر ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦١م ـ ص ٣٦٧ .

(٣) فردريش فون ديرلاين ـ الحكاية الخرافية ـ ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ـ دار القلم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٣م ـ ص ١٩٨ .

(٤) الدكتور علي زيعور ـ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ تشرين الثاني ـ ١٩٧٧م ـ ص ٢١١ .

(٥) محمود سليم الحوت ـ في طريق الميثولوجيا عند العرب ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٣م ـ ص ١١٠ .

(٦) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الأول ـ ص ٢٧٣ .

(٧) الدكتور محمد عبد المعيد خان ـ الأساطير والخرافات عند العرب ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠م ـ ص ٦١ .

(٨) (٩) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

(١٠) الدكتور محمد الجوهري ـ علم الفولكلور ـ الجزء الثاني ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٠م ـ ص ٧١ ـ ٧٢ .

(١١) الدكتور محمد عبد المعيد خان ـ مصدر سابق ـ ص ٣١١ .

(١٢) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٦٤ .

(١٣) مجلة «العربي» ـ العدد ٢٨٣ ـ يونيو ـ ١٩٨٢م ـ ص ١٣٥ .

(١٤) (١٥)(١٦) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ .

(١٧) أنظر : نمر سرحان ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ـ مركز الأبحاث في م.ت.ف والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٤م ـ ص ١١٠ .

(١٨) ألكزاندر هجرتي كراب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٦٦ .

(١٩) القرآن الكريم ـ سورة الرحمن ـ الآية / ٦ .

(٢٠) مجلة «التراث والمجتمع» ـ العدد الخامس ـ ١٩٧٦م ـ جمعية إنعاش الأسرة في البيرة ـ ص ٧٥ .

(٢١) (٢٢) الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ الجزء الأول ـ ص ٥٤ ، ٦٤ .

(٢٣) قاموس الكتاب المقدس ـ مكتبة المشعل ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ـ ١٩٨١م ـ ص ٥٠٧ .

(٢٤) (٢٥)(٢٦) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ـ ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ .
(٢٧) علي الخليلي ـ أغاني العمل والعمال في فلسطين ـ دائرة الإعلام والثقافة في م.ت.ف ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠م ـ ص ٦٧ .
(٢٨) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ الجزء الأول ـ القسم الأول ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٣م ـ ص ٥٩ .
(٢٩) الزيت : خربة في منطقة القدس . والزيت كذلك اسم نبع في منطقة نابلس .
(٣٠) زيتا : قرية فلسطينية في منطقة الخليل. وزيتا أيضاً قرية في منطقة طولكرم ، وزيتا اسم واد في غربي جبال القدس ، وزيتا كذلك اسم قرية ونبع في منطقة نابلس ، وهناك تل زيتا في منطقة طولكرم .
(٣١) جبل الزيتون ، في مدينة القدس ، وهناك نبع الزيتون في منطقة صفد ، ووادي الزيتون بين جبال نابلس ورام الله ، ووادي الزيتون أيضاً في السهل الساحلي بين أسدود والمجدل .
(٣٢) زيتونات الحويلة : نبع في مدينة القدس .
(٣٣) الزيتونة : نبع في منطقة جنين في فلسطين . وهناك أماكن أخرى عديدة في فلسطين تحمل أسماؤها الزيتون أو الزيت ، نذكر منها : «تل أبو زيتون» في منطقة يافا ـ «بيرزيت» وهي مدينة في منطقة رام الله ، و «بيرزيت» خربة في سهل غزة ، و «بيرزيتا» خربة في منطقة جنين . و «رمل زيتا» في منطقة طولكرم .
(٣٤) القرآن الكريم ـ سورة النور ـ الآية / ٣٥ .
(٣٥) القرآن الكريم ـ سورة التين ـ الآية / ١ .
(٣٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ العدد ١٢ ـ تشرين ثاني ـ ١٩٧٦م ـ ص ٢٥ .
(٣٧) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٤٣٨ .
(٣٨) المصدر السابق ـ ص ٤٣٩ .
(٣٩) علي الخليلي ـ مصدر سابق ـ ص ٦٧ـ ٦٨ .
(٤٠) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ٢٤ .
(٤١) مجلة «التراث والمجتمع» ـ مصدر سابق ـ ص ٧٦ .
(٤٢) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥ .
(٤٣) مجلة «التراث والمجتمع» ـ مصدر سابق .
(٤٤) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٥٠٧ .
(٤٥) المصدر سابق ـ ص ٤٣٩ـ ٤٤٠ .
(٤٦) المصدر سابق ـ ص ٤٣٩ .
(٤٧) معجم الأساطير اليونانية والرومانية ـ إعداد سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق .
(٤٨) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٤٤٠ .
(٤٩) معجم الأساطير اليونانية والرومانية ـ مصدر سابق ـ ص ٣٠ .
(٥٠) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥ .
(٥١) ترمسعيا ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الكويت ـ ١٩٧٣م ـ ص ١٢٦ .

(٥٢) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٤٣٩ .
(٥٣) أحمد جبارة ـ عجائب الطب الشعبي ـ دار البلاغة ـ حلب ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٢م ـ ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٥٤) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٤٣٨ .
(٥٥) المصدر سابق ـ ص ٤٣٩ .
(٥٦) (٥٧)(٥٨)(٥٩) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٩٦٤ ، ٥٨ ، ٩٦٤ .
(٦٠) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار ابن خلدون ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٨م ـ ص ٥٩ .
(٦١) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٢م ـ ص ٦٦٥ .
(٦٢) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٩٦٤ .
(٦٣) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٦٦٥ .
(٦٤) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٥ .
(٦٥) محمود سليم الحوت ـ مصدر سابق ـ ص ١١٠ عن السيرة لابن هشام ـ ص ٢٢ وتاريخ الطبري ـ ص ٩٢٢ ـ ج ١ .
(٦٦) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٥٩ .
(٦٧) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ـ ص ٦٦٧ .
(٦٨) الدكتور علي زيعور ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٥ .
(٦٩) الدكتور محمد عبد المعيد خان ـ مصدر سابق .
(٧٠) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٦٩ .
(٧١) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ص ٥٩ .
(٧٢) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ص ٦٦٥ .
(٧٣) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٥٤٩ .
(٧٤) (٧٥) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية .
(٧٦) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٥٤٩ .
(٧٧) شوقي عبد الحكيم ـ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية مصدر سابق ص ٥٩ .
(٧٨) القرآن الكريم ـ سورة مريم ـ الآية / ٢٣ .
(٧٩) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ ص ٩٦٤ .
(٨٠) القرآن الكريم ـ سورة طه الآية ٧١ .
(٨١) (٨٢)(٨٣) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٦٩ ، ٥٤٩ .
(٨٤) القرآن الكريم ـ سورة مريم ـ الآية / ٣ .
(٨٥) (٨٦)(٨٧) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٥٤٩ ـ ٤٨٩ .
(٨٨) (٨٩)(٩٠)(٩١) أحمد جبارة ـ مصدر سابق ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .
(٩٢) صحيح البخاري ـ المجلد الرابع الجزء السابع ص ٣٠ .
(٩٣) مجلة «التراث والمجتمع» مصدر سابق ص ٧٥ .
(٩٤) الدكتور محمد الجوهري ـ مصدر سابق ص ٥٤٩ .
(٩٥) أحمد جبارة ـ مصدر سابق ص ٣٦ ـ ٣٧ .

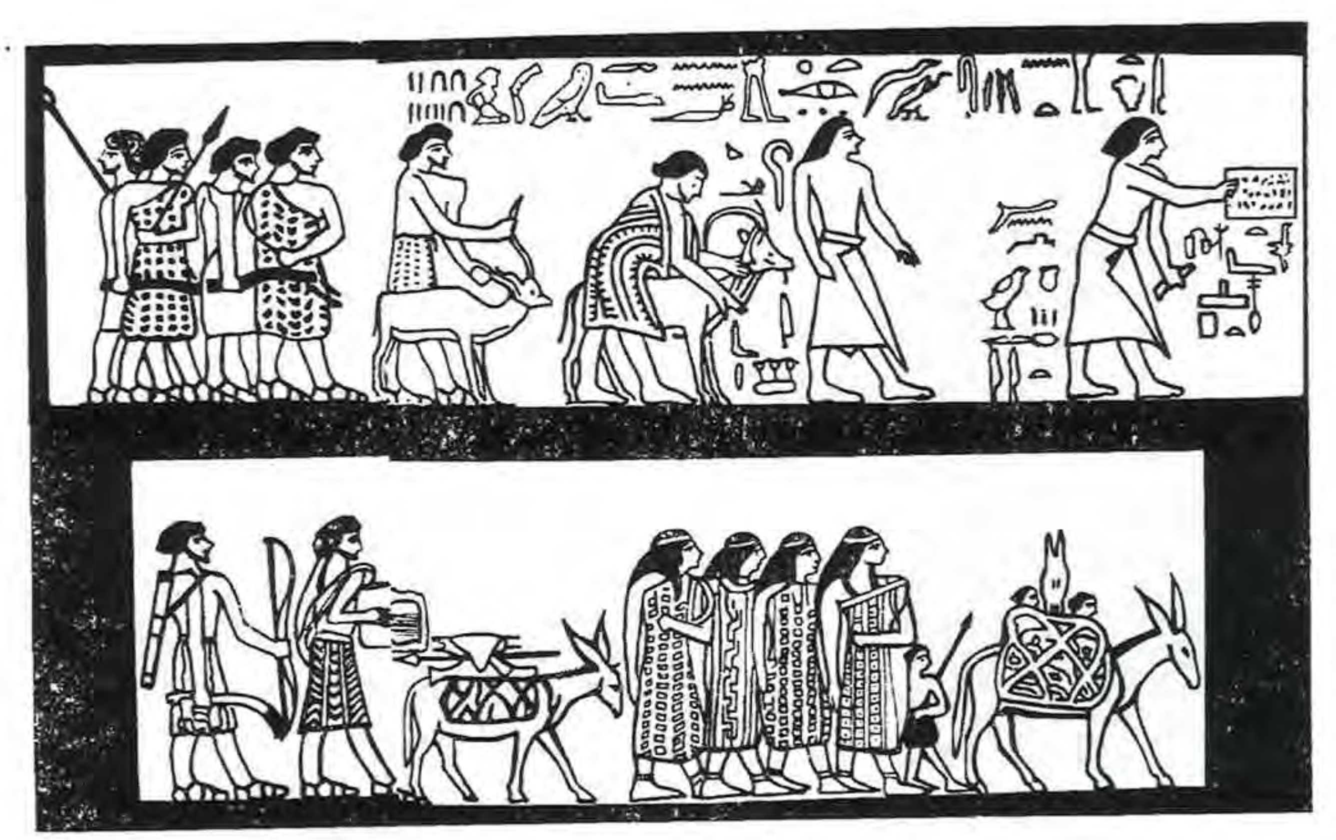
(٩٦) أنظر : الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق .
(٩٧) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
(٩٨) القرآن الكريم - سورة التين الآية / ١ .
(٩٩) القرآن الكريم - سورة الأعراف الآية / ٢٢ .
(١٠٠) الطبري - مصدر سابق ص ٦٤ .
(١٠١) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٢٣٠ .
(١٠٢) أنظر : مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق .
(١٠٣) ترمسعيا - مصدر سابق ص ١٦٣ .
(١٠٤) (١٠٥) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٤١٢ .
(١٠٦) (١٠٧) معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ .
(١٠٨) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤١ .
(١٠٩) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٤ .
(١١٠) نمر سرحان - موسوعة الفولكلور الفلسطيني - الجزء الخامس ص ٩٠ .
(١١١) كتاب الهلال - العدد ٢١٠ - سبتمبر ١٩٦٨ م دار الهلال ص ١٩ .
(١١٢) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ١٨٨ .
(١١٣) جيمس فريزر - الفولكلور في العهد القديم - الجزء الثاني ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م - ص ٨٧ .
(١١٤) سلوان : قرية فلسطينية في منطقة القدس .
(١١٥) (١١٦) (١١٧) جيمس فريزر - مصدر سابق ص ٩٤ ، ٩٩ .
(١١٨) معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق ص ٢٥٧ .
(١١٩) جيمس فريزر - مصدر سابق ص ٨٨ .
(١٢٠) راجع : معجم الأساطير اليونانية والرومانية - مصدر سابق ص ٤٠ - ٤١ .
(١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٣٤١ - ٣٤٢ .
(١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٥ - ٧٦ .
(١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .
(١٣٣) الدكتور علي زيعور - مصدر سابق ص ٢١٥ .
(١٣٤) القرآن الكريم - سورة سبأ - الآية/ ١٦ .
(١٣٥) القرآن الكريم - سورة الواقعة الآية/ ٢٨ .
(١٣٦) محمود سليم الحوت - مصدر سابق ص ١١٠ .
(١٣٧) الصبر : الصبّار .
(١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٥ - ٧٦ .
(١٤١) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٤٩٠ .
(١٤٢) شوقي عبد الحكيم - موسوعة الفولكلور والأساطير العربية - مصدر سابق ص ٤٧ .
(١٤٣) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٦ .
(١٤٤) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
(١٤٥) مصطفى مراد الدباغ - مصدر سابق ص ٤٦٣ .

(١٤٦) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٠٦ .
(١٤٧) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٥٤٣ .
(١٤٨) فردريش فون ديرلاين - مصدر سابق ص ٩٢ .
(١٤٩) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤٤ .
(١٥٠) قاموس الكتاب المقدس - مصدر سابق ص ٢٣٩ .
(١٥١) أنظر : مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٥ .
(١٥٢) (١٥٣) مجلة « المجلة » - العدد ٢٤٧ - نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٤ م - ص ١٠١.
(١٥٤) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد الثالث تموز - ١٩٧٤ م - ص ٨٢.
(١٥٥) (١٥٦)(١٥٧) مجلة « المجلة » - مصدر سابق - ص ١٠١ .
(١٥٨) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٥٤٦ .
(١٥٩) مجلة « المجلة » - مصدر سابق ص ١٠١ .
(١٦٠) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤٦ .
(١٦١) (١٦٢)(١٦٣) مجلة « المجلة » - مصدر سابق ص ١٠١ .
(١٦٤) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤٥ .
(١٦٥) (١٦٦) ألكزندار هجرتي كراب - مصدر سابق ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(١٦٧) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤٥ .
(١٦٨) الدكتور عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - دار الكاتب العربي العدد ٢٠ ١٥/ يونية ١٩٦٨ م - ص ٥٣ .
(١٦٩) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق - ص ٥٤٦ .
(١٧٠) (١٧١) مجلة « المجلة » - مصدر سابق ص ١٠١ .
(١٧٢) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٤٦ .
(١٧٣) عسقلان - : مدينة فلسطينية ساحلية شمال غزة .
(١٧٤) مصطفى مراد الدباغ - مصدر سابق ص ٦٧٤ .
(١٧٥) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٥ .
(١٧٦) ترمسعيا - مصدر سابق ص ١٢٤ .
(١٧٧) كتاب « الهلال » - العدد ٢١٠ - مصدر سابق - ص ١٩ .
(١٧٨) مجلة « المستقبل » - العدد ٤٠٣ تشرين ثاني ١٩٨٤ م ص ٥٩ .
(١٧٩) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية - العدد الثالث تموز ١٩٧٤ م - ص ٨٢ .
(١٨٠) الدكتور محمد الجوهري - مصدر سابق ص ٥٠٥ .
(١٨١) الدكتور عبد الحميد يونس - مصدر سابق ص ٥٣ .
(١٨٢) (١٨٣) مجلة « المستقبل » - مصدر سابق ص ٥٩ .
(١٨٤) الطبري - مصدر سابق ص ٦٤ .
(١٨٥) نمر سرحان - إحياء التراث الشعبي الفلسطيني - دار فيلادلفيا عمان ص ١٠٨ نقلاً عن الدكتور توفيق كنعان .
(١٨٦) (١٨٧) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٨ ، ٨٥ .
(١٨٨) جيمس فريزر - مصدر سابق ص ٧٩ .

(١٨٩) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٩٢ ـ ٩٣ .
(١٩٠) (١٩١) ترمسعيا ـ مصدر سابق ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(١٩٢) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٤ .
(١٩٣) أرطاس : قرية فلسطينية في منطقة القدس .
(١٩٤) (١٩٥) مجلة « التراث والمجتمع » ـ مصدر سابق ص ٧٤ ، ٨٧ .
(١٩٦) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ص ٩٦٧ .
(١٩٧) ألكزندار هجرتي كراب ـ مصدر سابق ص ٣٧٥ .
(١٩٨) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٥ .
(١٩٩) شوقي عبد الحكيم ـ موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ـ مصدر سابق ص ٤٤ .
(٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(٢٠٣) ترمسعيا ـ مصدر سابق ص ١٢٤ .
(٢٠٤) مجلة «التراث والمجتمع » مصدر سابق ص ٧٧ .
(٢٠٥) مجلة « الفنون الشعبية » الأردنية ـ العدد الأول كانون ثاني ١٩٧٤ م ص ٤٢ .



جلجامش يصارع انكيدو



نقش على مقبرة خنم حتبه الثاني من عهد سنوسرت الثاني

الفصل الثامن

معتقدات شعبية متفرقة

*** العجيـن :**

يتكون العجين من الطحين المخلوط بالماء، وللطحين استخدامات في الوسط الشعبي الفلسطيني، حيث كان بعضهم يعمد إلى حفنة من الطحين ويقوم بنثرها على العريس ليلة زفافه، بهدف ربط قواه الجنسية والقضاء على فحولته كرجل، لاعتقادهم بأن تناثر ذرات الطحين بهذا الشكل من شأنها أن تبعثر القوى الجنسية للعريس فتتناثر كما تتناثر ذرات الطحين، ويقوم بهذا العمل أحياناً عدو العريس.

والخميرة هي قطعة من العجين تكون صغيرة الحجم نسبياً، وتكون مختمرة، يضعها الناس في الوسط الشعبي داخل العجين، كي تخمّره فتجعله خامراً، ويمكن اعتبارها هنا أصل العجين، ولا يرغب أحد في الوسط الشعبي الفلسطيني أن تخلو الخميرة «من بيته، إنها قطعة العجين المخمّر التي تستعمل لتخمير عجين الغد. إن خلوّ البيت من الخميرة معناه خروج البركة الإلهية من البيت»(١). وإذا اشترى أحدهم حصاناً أو جملاً أو أي حيوان، فإنه يضع على جبينه (صباحه) خميرة، لاعتقادهم أن المرء -في هذه الحال- سيحالفه النجاح والتوفيق والبركة التي تسببها الخميرة.

في بعض الأوساط الشعبية العربية، إذا طفرت قطعة صغيرة من العجين أثناء عملية العجن، ووقعت خارج (المعجنة) فإن المرأة تفسّر ذلك بأن ضيفاً ما سيحل على أصحاب البيت(٢).

*** الخبـز :**

يعتبر الخبز مادةً مقدسة في الوسط الشعبي الفلسطيني، إذ كان الناس

يكسرون الخبز مثلاً ولا يقطعونه بالسكين، لاعتقادهم أنه إذا قطع بالسكين فإنه سيفقد بركته، ويقول المسيحيون: «المسيح كسر ولم يقطع الخبز»(٣). ويقال «بأن رجلاً أسود وجد قطعة من الخبز على بقعة غير نظيفة، فرفعها وأكلها، ونتيجة لعمله الطيب، حلت البركة عليه، فلوْن خدّه الذي مضغ قطعة الخبز أخذ يشحب تدريجياً وأصبح لونه أبيض»(٤).

وهم يعتقدون أن سبب احترام الخبز يُعزى إلى الإعتقاد بأن القمح، الذرة، الشعير، قد جاءت كلها من السماء في سبعة مناديل، ومن هنا جاء احترام القمح بشكل خاص والحبوب بشكل عام (الذرة والشعير)، وبالتالي فكرة تقديس الخبز الذي يصنع من دقيق القمح أو الذرة أو الشعير(٥).. ولقد كان بائع الخبز في فلسطين (في القرن التاسع عشر) يصيح «الله كريم، ولا يعلن عن بيع الخبز، فالخبز هدية، أو يستبدل بشيء آخر»(٦).

وكانوا يعتقدون بأن المرء إذا جمع قطع الخبز الصغيرة (الفتات) في بيته، وأكلها، فإنه سيدخل الجنة، ويعتقدون أنه إذا نتفها فإنه سيُنتف في الآخرة كما نتفها. ولديهم إعتقاد «بأن الأكل نعمة من الله، وأن هذه النعمة من الممكن أن تزول إذا لم يصنها الإنسان بالشكر والعناية بها، وعدم تركها تداس بالأقدام، فعندما يجد الإنسان في الوسط الشعبي الفلسطيني قطعة خبز ملقاة على الأرض، فإنه يتناولها ويمسح عنها ويقبّلها ويضعها على جبينه، تقديراً وتقديساً، ثم يلقيها لقطّ أو لكلب ليأكلها، أو يضعها جانباً على حجر ليستفيد منها فأر أو نملة»(٧).

ويعمد بعضهم إلى قطعة صغيرة من الخبز، فيضعها تحت وسادته عند النوم، لاعتقادهم أن ذلك سيبعد الأحلام المزعجة والكوابيس الثقيلة عن النائم، ويستخدمون ذلك للأطفال بشكل خاص.

* **الملـــح:**

يعتبر الملح، في الوسط الشعبي الفلسطيني، أحد المنفّرات التي تستخدم لإبعاد الجان وطردهم من المكان، لاعتقادهم بأن الجان يكرهون الملح ولا يطيقونه أبداً، لذلك إذا وقع طفل صغير على عتبة الدار، فإنه أمه ترش الملح

والماء البارد على العتبة، لإبعاد الجان الذين يسكنون عتبات البيوت، حسب المعتقد الشعبي. وكانت المرأة في الوسط الشعبي الفلسطيني، إذا أعارت جارتها منخلاً عند المساء، فإنها تضع فيه قليلاً من الملح.

وقد اعتادوا أن ينقطوا الماء والملح في عيني الطفل عند ولادته، لاعتقادهم بأن هذا إذا لم يحدث، فإن الطفل سيصبح في المستقبل وقحاً، لذلك فإنهم عادةً يصفون الولد الوقح بقولهم: «عينُه مش مًملّحه»، فالماء المالح في المعتقد الشعبي يطرد الوقاحة عن الطفل. وكان الكثيرون منهم يقومون بدهْن جلد الطفل بعد ولادته مباشرة بماء فيه ملح وزيت، لمدة أسبوع، وتقوم بهذا الإجراء عادةً القابلة (الداية)، وهم يعتقدون أن هذه العملية مفيدة، وتشدّ الجلد وتجعله مرناً في الوقت نفسه، كما أنها تجعل جسم الطفل صلباً(٨).

وكان الملح يستخدم عند العرب المسلمين كعلاج، بالإضافة إلى كونه نوعاً من الغذاء. يقول الغزالي: «.. قال علي رضي الله عنه: من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء»(٩). ونقل عن «علماء الطب» المسلمين، أنهم كانوا يقاومون البلغم بالأشياء المالحة(١٠). وقد استخدم البدو في مصر «لبخات من الحلفاء والملح على قورة الرأس»(١١) كعلاج للصداع. وفي بعض الأوساط الشعبية العربية، ترش النساء الملح في ليلة العيد والليالي الأخيرة من شهر رمضان، داخل الغرف، للحيلولة بين الجان وبين رجوعهم إلى المنزل، لأنهم يعتقدون بحبس الجن طوال شهر رمضان المبارك(١٢).

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، كان الملح يستخدم لمنع «الحسد ولردّ العين الصائبة (الحاسدة)، ويكون ذلك «بذرّه على النار، إما مع الطحين أو شعير المولد»، ففي وقت زفاف العريس تقوم امرأة بلغت سن اليأس بحمل مقلى به نار ترش فوقها الملح والطحين أو شعير المولد أو يوضع الملح مع القرحة في جيب العريس لتحفظه من شر العين، وقد تتم عملية «الدعوق» هذه لردّ العين عن الطفل وغيره»(١٣). وشبيه بذلك عملية «نثر الملح والشعير على رؤوس الحاضرين أثناء زفة العريس، وتقوم بهذه العملية أم العريس، لتحفظ العريس من العين الصائبة»(١٤).

ويعتقد الناس في أوروبا أن بعثرة الملح تدعو إلى التشاؤم، لاعتقادهم أن ذلك من شأنه أن يسبب معارك عائلية(١٥).

* الخبز والملح:

يصر كثير من الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني على ما يسمى عادةً «الممالحة»، ولعل إصرارهم على الممالحة يعود إلى إعتقادهم بأن «الإنسان الذي تمالحه ويمالحك، أي يأكل من بيتك أو تأكل من بيته طعاماً. والطعام الفلسطيني لا بد من تمليحه. فإنك تأمن غدره وخيانته، وكذلك هو»(١٦)، وهم يقولون في هذه المناسبة «في بيناتنا خبز وملح»، أي إنّ هذا قد أصبح بمثابة عهد قطعه كل منا على نفسه تجاه الآخر. لذلك فإن من يخون هذا العهد أو ينكث به، فيغدر بصاحبه، يقولون عنه إنه «خاين الخبز والملح»، لأن القادم الجديد «إذا أكل من طعام جيرانه، أصبح مرتبطاً معهم بحق «الزاد والملح» فلا يجوز له أن يخونهم»(١٧). وعادة الممالحة هذه «عادةٌ قديمة جداً، حتى قيل إنها من أيام الجاهلية، وهي عادة فضيلة يراد بها احترام الشخص للعائلة التي أكل من زادها وتذوّق ملحها، فهو يدافع عنها، ولا يؤذي أفرادها، ولا ينظر بسوء إلى نسائها..

* المنـــزل:

هناك معتقد شعبي فلسطيني، مؤداه «أن كل بيت تسكنه مخلوقات خارقة للعادة.. وتوجد هذه المخلوقات على الأخص في البيوت الخالية والخربة والحديثة غير المأهولة. ولذلك يفترض في كل ساكن جديد أن يسترضي تلك المخلوقات. وتبدأ إجراءات ترضية هذه الكائنات ومحاولة كف شرها، منذ البدء في البناء، بعد الأساس، إذ يجب إذ ذاك ذبح ذبيحة كتقدمة للأرواح ساكنة المكان، تسمى «ذبيحة الأساس»، ويستدعي المسيحيون الخوري ليبارك الأساس ويلقي عليه مياهاً مقدسة.

وعند وضع حجر الأساس، يضع صاحب البيت تحت الحجر قطعة عملةً فضّية، باعتبار أن ذلك يشكل فألاً حسناً يدل على «الفضا» أي النّور»(١٩).

ولديهم عادةٌ متّبعة مؤداها أنه عندما «يَعقد البنّاء شاشية باب البيت، فإنه يعلق على الحجر هناك خرزةً زرقاء، وثوماً وقطعة من الشب وبيضة مفرغة، وهناك من يعلق شكل يد بشرية أو صليباً»(٢٠)، وذلك بهدف حماية البيت من شر العيون الحاسدة. ولديهم كذلك «ذبيحة العقْد والتي تُذبح عند إنهاء العمل في السقف. وقد اعتاد البدوي أن يذبح ذبيحة كلما نصب خيمته في مكان جديد، للأسباب والمعتقدات نفسها السالفة الذكر»(٢١).

وهم يتشاءمون «إذا حدث أثناء حفر الأساس أنْ مات بعض العمال أو الحيوانات فيه»(٢٢).

ويروى أنه «كان هناك معتقد قديم مؤداه أنه لن يخلد البناء إلاّ إذا في الأساس إنسان أو جزء من إنسان، وخاصة إذا كان البناء حماماً، أو عمارةً ذات صلة بالجمهور. وقد حلّت فيما بعد عادة ذبح حيوان بدلاً من تلك العادة»(٢٣). ولقد إعتاد أهل قرطاجة «دفن صور معدنية للحشرات السامة تحت بيوتهم، وأخص هذه الهوام العقرب. وكان القصد من ذلك حماية هذه البيوت من أمثال تلك الهوام، أو كان غرضها المنشود أن تسرع في القضاء على الهوام»(٢٤).

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدون أن الباب الخارجي للبيت إذا كان إلى جهة الغرب «غربي» فإنه يجلب الرزق. وكثيرون منهم يحرصون على فتح باب البيت، فتحة قليلة (شَقُّ الباب)، في الصباح الباكر، لاعتقادهم بأن ذلك يجلب الرزق لأصحاب هذا البيت. وكان النساء عندهم يتجنّبن كنس أرض المنزل بعد العصر، ويتشاءمن من ذلك، ويعتقدون أن الكنس في هذا الوقت ربما أدى إلى إيذاء أهل البيت أو كنْس (موْت) بعضهم كما تكنس أرض البيت.

وقد اعتاد بعضهم إذا خرج من بيته قاصداً مكاناً معيناً لقضاء عمل أو للحصول على عمل أو السعي وراء رزقه.. إلخ، فإنهم ينصحونه بأن ينفض بيده ثيابه ناحية المؤخرة، كي يُوَفَّق في ما ذهب إليه ولكي ينجح في مهمته، لاعتقادهم أن ذلك يجلب الخير والبركة والفأل الحسن.

وإذا خرج أحدهم من البيت لقضاء عمل أو تنفيذ مهمة ما، ثم عاد فوراً، فإن

هذا يدعو إلى التشاؤم.

* الأدوات المنزليـــة :

* المرآة :

يعتقد الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، أن النظر في المرآة ليلاً «غير محمود، فقد يكون النظر فيه مجلبةً لمخلوقات شريرة»(٢٥)، ولا سيما بالنسبة للأطفال.

* المقص :

وهم يحذّرون من فتح المقص إذا لم يكن لفتحه أيّ مبرّر، ولا سيما أثناء الليل، لاعتقادهم أن ذلك يثير ويولّد الخصومة والنزاع بين شخصين.

* السكين :

وإذا كان أحدهم يحمل سكيناً في يده، ولعدم الانتباه قُلبت السكين، وراح يعمل بالجانب غير القاطع، فإنه يقول: «ألله يُستر لا ندري من الذي سيموت قريباً».

* الجـــرْن :

إذا جلس أحدهم على حافة الجرْن، فإنهم يفسرون ذلك بأن هذا الشخص سوف يقع في مشكلة لا علاقة له بها أصلاً، وهو بريء منها.

* مغرفة الطعام:

ويتشاءمون إذا رأوا شخصاً يضرب آخر بمغرفة الطعام، لأن ذلك في إعتقادهم يؤدي بالشخص المضروب إلى أن يظل جائعاً لا يشبع أبداً.

وإذا اعترت الإنسان غصةٌ أثناء تناول الطعام، فإنهم يفسرون ذلك بأن هذا الإنسان كان يريد أن يتكلم أو يقول شيئاً، ويعبرون عن ذلك بقولهم: «أبصر

شو كان بده يحكي».

*** الشمعة:**

إذا سُرقت من البيت شمعة أو ضاعت، فإنهم يفسّرون ذلك بأن رجل البيت سيموت، لأن الزوج هو شمعة البيت، والنساء يعبّرن عن ذلك عند الدعاء للمرأة، بقولهن: «ألله يخلّي لكِ شمعة بيتك».

*** سجادة الصلاة:**

ويعتقدون بوجوب طيّ سجادة الصلاة بعد الإنتهاء من الصلاة، لأنهم إن لم يفعلوا ذلك، فإن الشياطين -حسب إعتقادهم- سيعبثون بتلك السجادة.

*** طاسة الرعبة:**

كثير من البيوت في الوسط الشعبي الفلسطيني يوجد فيها ذلك الإناء، الذي يسمونه «طاسة الرعبة» أو «طاسة الروعة»، وهم يعتقدون «أن الجن اعتادت أن تستعمل تلك الطاسة في الاستحمام. وذات مرة ذهب جن ليستحم بالقرب من نبع، وبعد أن أنهى الإستحمام نسي الوعاء السحري بالقرب من النبع، واتفق أن مرّ بالمكان شخص محظوظ ووجد الوعاء فأخذه، وفي وقت قصير تمكن هذا الرجل من اكتشاف مميزاته. وبمرور الزمن صنعت نسخ عن الأصل وأثبتت أن لها ميزات الأصل نفسها»[٢٦]. وتتضمن هذه الطاسة كتابات وكلمات من القرآن الكريم وأسماء الله الحسنى والملائكة والكواكب والنجوم والجمل السحرية[٢٧].

وهم يستخدمون هذه الطاسة للطفل الذي يتعرض (لرعْبة) مفاجئة، كي يذهب عنه الرعب والروع. ويعتقدون أنها إذا تعرضت لأشعة الشمس الساطعة فإنها ستفقد بعض قوتها.

ويعتقدون أن الآنية الزجاجية أو الفخارية، إذا وقعت وكُسرت، بأن ذلك بمثابة (فدْو) افتُدي به فرد ما من أفراد الأسرة، وهم يقولون في ذلك: «انكسر الشر»، أي أنّ الإناء قد انكسر بدلاً من إنكسار (موت) شخص ما.

* **الحلي :**

كان من بين أهداف تعليق الحلي قديماً ، حماية حاملها «من قوى الشر ، كما هو سائد في بعض المعتقدات الدينية القديمة »[٢٨] .

وكانت المرأة في الوسط الشعبي الفلسطيني، تضع «أساورها وذهبها في يديها قبل الولادة لأن ذلك (يحفظها) ويمنع النساء اللواتي يدخلن عليها من كبسها »[٢٩] .

وكان الكنعانيون «يرون في الحلي بعض الفضائل السحرية، باعتبارها عنوان جذوة الحب الخطرة»[٣٠] .

أما العرب فقد كانوا أحياناً يعلقون « الحلي والجلاجل على اللّديغ ، ويرون أنه بذلك يفيق »[٣١] .

* **المنجـل :**

إذا كانت هناك ـ في الوسط الشعبي الفلسطيني ـ مجموعة من الحصّادين، وأخذ بعضهم يعبث بالأرض ويحفرها برأس المنجل ، فإنهم يفسرون ذلك بأنه سيحدث شجار بينه وبين أحد زملائه الحصّادين .

* **الحـذاء :**

وهم يتشاءمون من رؤية الحذاء المقلوب ، لاعتقادهم ، بأن الحذاء المقلوب يسبب الخصومة بين أفراد الأسرة. لذلك فقد يعمد أحدهم ، إذا رأى شخصين يتشاجران ، إلى حذاء فيقلبه أحياناً ، لكي «يزيد» في حدّة الشجار بينهما . وبعضهم يلجأ إلى تصحيح وضع الحذاء المقلوب وإعادته إلى وضعه الطبيعي كي لا يتسبب في إحداث شجار بين أفراد الأسرة. وبعضهم يلجأ إلى استخدام إحدى «فردتي» الحذاء ، في ضرب العضو المصاب بالروماتيزم (العصبي) ، كي يشفى ذلك العضو . ويشترط في ذلك أن يكون صاحب الحذاء أعزب .

وإذا وضع طفل صغير مجموعة من الأحذية فوق وخلف بعضها البعض بشكل قافلة ، أو تصادف أنْ وُجدت تلك الأحذية على ذلك الشكل ، فإنهم يفسرون

هذا بأن أحد أفراد الاسرة سيسافر. وكان العرب يعتقدون بأنه «لا يجوز ترك الحذاء مقلوباً، لأنه (يغمُّ) السماء»(٣٢).

وكانوا يعتقدون أن «وضع حذاء النائم بالقرب من رأسه تسبب له أحلاماً مزعجة»(٣٣).

وفي بعض الأقطار العربية، يعتقد الناس في الوسط الشعبي بأن «وضع الحذاء تحت الرأس أثناء النوم يسبب الإصابة بالنكاف.

*** السـفر :**

في الوسط الشعبي الفلسطيني، كان الناس يفضلون السفر مصبحين، ولا يحبذونه مساءً، ويعبرون عن ذلك بقولهم: «صابح القوم ولا تماسيهم». وإذا غاب أحد أفراد الأسرة عن البيت ثم طال انتظاره، وطالت غيبته، فإنهم يعتقدون أنه لو وُضعتْ ورقة وكتبت عليها بعض العبارات الدينية أو السحرية، ثم علقت على قضيب، وثُبت القضيب في الهواء على سطح المنزل، فإن رفيف الورقة سيؤدي إلى جلب الغائب.

*** القلـب :**

وهم يفسرون إنقباض القلب ودقّاته السريعة غير الناتجة عن التعب أو المرض، بأنه دليل شؤم أو نذير شر.

وهم يتشاءمون إذا تعثر المرء «بحجر عند خروجه من بيته»(٣٥).

*** الصليب :**

كانت الداية (القابلة) في الوسط الشعبي الفلسطيني ترسم على جبين المولود صليباً، عند ولادته، بهدف منع الحسد وردّ شر العين الحاسدة(٣٦)، وكان هذا الإجراء سائداً حتى في بعض القرى في الوسط الشعبي الإسلامي في فلسطين.

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني، إذا مشى رجل فوق جسر وتحته نهر، أثناء الليل، فإنهم يعتقدون أن ذلك سيؤدي بذلك الرجل إلى الجنون.

*** الثيـــاب :**

إنَّ شق الملابس وتمزيقها أثناء الغضب، يدعو -في الوسط الشعبي الفلسطيني- إلى التشاؤم، لأنهم يعتبرون ذلك شراً سيحل بالبيت وأهله، باعتبار أنَّ شق الملابس وتمزيقها لا يتم عادةً لدى الكثيرين إلاّ في مناسبات الموت، حزناً على فقيد عزيز.

وإذا أراد أحدهم أن يمزق ثوباً عتيقاً بالياً، فإنه لا يمزقه وهو يرتديه، لأن ذلك يدعو إلى التشاؤم، لنفس الأسباب التي أشرنا إليها من قبل.

ويعتقدون أن المرأة التي ترتدي دائماً ثياباً حمراء اللون إنما هي امرأة مغرورة بنفسها. وبأن المرأة التي ترتدي «ملاية» طويلة، وتجرّ على الأرض، سيصبح زوجها مختاراً للقرية.

*** الضحـــك :**

إذا ضحك أحدهم واغرورقت عيناه من شدّة الضحك، اعتبروا ذلك بأنه ربما كان نذير شؤم، وهم يعبرون عن خوفهم من ذلك الضحك في تلك الحال، بقولهم: «الله يعطينا خير هالضُّحكه».

★ ★ ★

وإذا شعر المرء بحكة في سقف حلقه، فسَّروا ذلك بأنه سيأكل من هدية إنسان بخيل.

★ ★ ★

ويعتقدون أن كثرة المطر، أو كثرة الزرع، أو كثرة العمران، نذير بوقوع حرب وشيكة.

★ ★ ★

ويعتقدون بأن الإنسان الأبرص، خبيث، ولا تحمد صداقته.

* **القهوة :**

إذا رأى أحدهم «قشدة» (قشطة) على وجه (سطح) فنجان القهوة السائلة، فسَّروا ذلك بأن هذا الشخص سيقبض نقوداً[٣٧].

وإذا اندلق فنجان القوة، وانسكب ما فيه، فإنهم يتفاءلون بذلك، ويعتبرونه فألاً حسناً.

وإذا سقط شيء من القهوة من الفنجان على الصينية، فإنهم يفسّرون ذلك بأن هناك ضيوفاً سوف يزورون المنزل.

★ ★ ★

★ - وهم يتشاءمون من عبوس الرجل إذا كان ذلك باستمرار، لأن ذلك يجلب -حسب إعتقادهم- الفقر وقطع الرزق، ويعبرون عن ذلك بقولهم: «وجهه بقطع الرزق» و «اضحك خلّي الخبز يرخص».

★ ★ ★

★ - إذا استثقل بعضهم ضيوفه، فإنه يضع مسماراً أو إبرة في المكنسة، لاعتقادهم أن هذا سيؤدي إلى طردهم، دون أن يتكلم، لأن الإبرة هنا تعني (نخز) أو وخز الضيوف.

★ ★ ★

★ - ويعتقدون أن المرء الذي يعض لسانه أثناء تناول الطعام هو إنسان بخيل.

★ ★ ★

★ - إذا شوهدت نعجتان تتناطحان فإنهم يفسرون ذلك بأن ذئباً ما سيهاجم القطيع.

★ ★ ★

★ - إذا أصيب أحدهم بجنجل (شحاذ) في إحدى عينيه، وجب عليه أن يشحذ رغيفاً طازجاً، وأن يضعه فوق الجنجل، لاعتقادهم أن ذلك سيشفيه من

(الشحاذ).

★ ★ ★

★ - إذا أصيب أحد بأبي كعب (النكاف) فعليه أن يصبغ خديه (عند الورم) بخطوط من الشحّار (السّخام) على شكل صليب.

★ ★ ★



-إنتهى-

هوامش الفصل الثامن

(١) نمر سرحان -موسوعة الفولكلور الفلسطيني -الجزء الرابع -ص ٧٦.
(٢) أنظر: مجلة «التراث الشعبي» العراقية -العدد الرابع -كانون أول - ١٩٦٩م -ص ١٢٦.
(٣) (٤) مجلة «التراث والمجتمع» -العدد الخامس - ١٩٧٦م -ص ٨٥، ٧٨.
(٥) أنظر: نمر سرحان -مصدر سابق -ص ٧٥.
(٦) المصدر السابق -ص ٧٥.
(٧) نمر سرحان -موسوعة الفولكلور الفلسطيني -الجزء الثالث -ص ٩٣.
(٨) أنظر: نمر سرحان -موسوعة الفولكلور الفلسطيني -الجزء الرابع -ص ٧٦
(٩) الدكتور محمد الجوهري -علم الفولكلور -الجزء الثاني -ص ٤٨٩.
(١٠) (١١)(١٢) أنظر: المصدر السابق -ص ٤٨٩ - ٤٢٠.
(١٣) مجلة «التراث والمجتمع» -العدد ١٢ - ١٩٧٩م -ص ٢٤ - ٢٥.
(١٤) مجلة «التراث والمجتمع» -العدد الخامس - ١٩٧٦م -ص ٩٢ - ٩٣.
(١٥) ألكزاندر هجرتي كراب -علم الفولكلور -ص ٣٥٨.
(١٦) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية -العدد السادس -أيار - ١٩٧٥م -ص ٥٤.
(١٧) (١٨) مجلة «التراث الشعبي» العراقية -مصدر سابق -ص ١٢٧، ١٢٦.
(١٩) (٢٠)(٢١) نمر سرحان -إحياء التراث الشعبي -ص ١٠٤ - ١٠٥.
(٢٢) ترمسعيا -ص ١٠٦.
(٢٣) نمر سرحان -إحياء التراث الشعبي -ص ١٠٥.
(٢٤) ألكزاندر هجرتي كراب -مصدر سابق -ص ٢٠٩.
(٢٥) د. عمر عبد الرحمن الساريسي -الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني -ص ٢٥٢.
(٢٦) نمر سرحان -إحياء التراث الشعبي -مصدر سابق -ص ١٠٢ - ١٠٣.
(٢٧) أنظر: -مصدر سابق -ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢٨) (٢٩) مجلة «الفنون الشعبية» الأردنية - العدد العاشر - ١٩٧٦ م - ص ١٢٧.
(٣٠) هـ. ي. ديل ميديكو - اللآلىء من النصوص الكنعانية - تعريب مفيد عرنوق - ص ٣٤.
(٣١) الدكتور محمد عبد المعيد خان - الأساطير والخرافات عند العرب - ص ٦٣ - عن بلوغ الأرب - ج ٢ ص ٣١٨.
(٣٢) (٣٣)(٣٤) مجلة «التراث الشعبي» العراقية - العدد العاشر - ١٩٧٩ م - ص ٦١ - ٦٢.
(٣٥) ترمسعيا - مصدر سابق - ص ١٦٣.
(٣٦) أنظر: مجلة «التراث والمجتمع» - العدد الثامن - ١٩٧٧ م - ص ٥٠.
(٣٧) أنظر: ترمسعيا - مصدر سابق - ص ١٦٢.

الفهرس

هذا الكتاب " المعتقدات الشعبية في التراث العربي " ، ثمرة مباركة لتعاون مشترك لاثنين من الباحثين الرواد في التراث الشعبي العربي، أمِلا أن يكون هدية متواضعة للأجيال، لتعرف شيئًا عن إرث فكري يتآكله النسيان في زمن العولمة.

الكتاب إنما هو نقطة في بحر المخيلة الشعبية العربية التي لا تحدّها شطآن. مخيلة تختزن ذاكرتنا العربية الجمعية. هو مسعى بسيط لسبر أغوار معتقداتنا الشعبية وبيانها على نحو موضوعي علمي موثق.

